

المُلا محمد عُمر

وطالبان وأفغانستان

مذكرات الملا عبد الحي مطمئن
الناطق السابق باسم الملا محمد عمر

ترجمة: أحمد مولانا وأنس خضر

مركز الخطّابي للدراسات

الملا محمد عمر

وطالبان وأفغانستان





الطبعة الأولى

1444هـ / 2022م

الملا محمد عمر

وطالبان وأفغانستان

ترجمة: أحمد مولانا وأنس خضر

مذكرات الملا عبد الحي مطمئن

الناطق السابق باسم الملا محمد عمر




بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الموضوع	الصفحة

توجد ندرة في الكتابات المتاحة باللغة العربية الَّتِي تتناول تجربة حركة طَالِبَان بِشَكلٍ مفصل يوضح خلفيات الأحداث، وبالأخص في حقبة ما بعد 2001. من هنا تأتي أهمية الكتاب المرفق الَّذِي دونه المُلَّا عبدالحي مطمئن الناطق الرسمي السابق باسم المُلَّا مُحَمَّد عُمَر مؤسس حركة طَالِبَان.

عاصر عبدالحي مطمئن حركة طَالِبَان منذ بداية تأسيسها مروراً بصعودها إلى السلطة وفترة حكمها الأولى الَّتِي دامت خمس سنوات من عام 1996 إلى 2001 ثُمَّ انتزاع الحكم مِنْهَا على يد التحالف الدولي، كما عاصر أيضاً مرحلة إعادة تجميع شتات طَالِبَان مجدداً وصولاً إلى تحولها لتصبح اللاعب الأبرز في المشهد الأَفْغَانِيّ.

نشر المُلَّا عبدالحي مطمئن كتابه بلغة البشتو عام 2017 بعنوان "المُلَّا مُحَمَّد عُمَر وطَالِبَان وأَفَغَانِسْتَان"، وتُرجم إلى الإنجليزية عام 2019، لِيُنشر بعنوان "طَالِبَان: تاريخ نقدي من الداخل". ولكن وُجدت في النسخة الإنجليزية العَدِيْد من مواطن السقط الَّتِي وصلت في أحد المواضع إلى عشر صفحات متتالية، وكذلك توجد في النسخة الإنجليزية بعض الإضافات، كما أشار عبدالحي مطمئن في أحد الفصول إلى تلقيه تعقيبات على نسخة البشتو عندما نشرها، وبالتالي أضاف زيادات في النسخة الإنجليزية تناول فِيْهَا تِلْكَ التعقيبات. ولتدارك السقط المتكرر فقد راجع أحد المترجمين المواضع الَّتِي بهَا سقط من البشتو إلى الإنجليزية فيما ترجم أحمد مولانا وأنس خضر الكتاب إلى اللغة العربية.

وفي ظل اختلاف ترتيب المواضيع وعدد الفصول بين النسختين الإنجليزية والبشتو فقد اعتمد المترجمان الترتيب الوارد في النسخة الإنجليزية عبر تقسيم الكتاب إلى تسعة فصول بدلاً من ستة فصول في نسخة البشتو، وتم التنويه في الهامش إلى الفقرات الموجودة في النسخة الإنجليزية دون أن توجد في نسخة البشتو، والعكس. كما أضيفت في الهامش بعض المعلومات عن الأشخاص والأماكن والأحداث والجماعات الَّتِي ورد ذكرها في الكتاب، وأوردنا في الهامش بعض التعريفات الَّتِي احتاجها السياق، مع التنبيه أن جميع الهوامش من إضافة المترجم، ما عدى ما وضعنا أمامه كلمة (المؤلف).

وفيما يخص المؤلف عبدالحي مطمئن، فقد أعلنت طَالِبَان في 23 يناير 2021 وفاته بعد صــراع مع المرض، نســأل الله لَهُ الرحمة والمغفرة. ونؤكد أن الكتاب يمثل رواية عبدالحي مطمئن للأحداث والَّتِي قد يختلف معه آخرون في بعض تفاصــيلها، وبالأخص فيما يتعلق بالخلافات الداخلية داخل طَالِبَان في مرحلة ما بعد الغزو الأمريكي ثُمَّ مرحلة ما بعد قيادة المُلَّا مُحَمَّد عُمَر، لكن يظل الكتاب يمثل أحد أبرز الكتب الَّتِي تروي قصــة طَالِبَان بلســان أحد كوادرها، وربما يدفع آخرين من قيادات الحَرَكَة لتدوين تجربتهم، ونقد ما يرونه غير صحيح أو غير دقيق مما كتبه عبدالحي مطمئن. ففي ظل الحروب والظروف التي عملت بها طالبان، يصعب أن يمتلك شخص واحد رواية كاملة ودقيقة لكافة الأحداث، لكن عندما يكتب صــناع الأحداث روايتهم، ســيتاح عند ذلك مقارنة الروايات وتمحيصــها، وتجميع التفاصــيل المتناثرة لرسم صورة أكبر وأقرب للواقع والحقيقة.

3/جمادى الآخرة/1444هـ
الموافق لـ 2022/12/26م

كنـت في الثالثـة أو الرابعـة مـن عمـري عنـدما قـاد الشُّـيُوعِيُون أكـبر انقـلاب دمـوي في تـاريخ أَفَغَانِسْـتَان يـوم 27 إبريـل 1978، إذ شـرع أفـراد جهـاز الاسـتخبارات "خـاد" في اعتقـال الأشـخاص المـؤمنين بـالله. وذات يـوم طـرق عـدد مـن الرجـال القبيحـين مـن ذوي الشـوارب بـاب منزلنا، فغادر والدي معهم، ولَمْ يعد بعد ذَلِكَ، ولَمْ نره مرة أخرى.

بعـد عـام بـدأت أستوعب أن ذَلِكَ الشـخص الطيـب لَمْ يعـد برفقتي، لقـد كشـف كُـلّ مـن الفقـر وملابسـي القديمـة أني فقـدت والـدي وأصـبحت يتيمًـا. بـدا في نظـري كُـلّ رجـل بشـارب مثـل قاتـل والـدي. وأخـذنا عمـي معـه إلـى منزلـه في قريـة أخـرى كأطفـال يتـامى، ولَـمْ يعـد لـدينا منـزل منفصـل خاص بنا.

عنـدما أصـبح الشُّـيُوعِيُون الأَفَغَـان غيـر قـادرين علـى السـيطرة علـى الوضـع، اسـتعانوا بالشـيوعيين السـوفييت مـن أتبـاع لينـين وسـتالين مـع طـائراتهم القاتلـة. وحـول الجَـيْش الأحمـر أَفَغَانِسْتَان بأكملها إلى جحيم يشبه يوم القيامة لكن عمي أصر على عدم الهجرة إلى باكستان.

ولَـمْ يكـن الأطفـال الأيتـام هـم الوحيـدون الَّـذِينَ اتسـمت أيـام لعـبهم بـالنيران والحرائـق والقتـل والقصـف الجـوي، فقـد بـدت لنـا التكنولوجيـا الَّتِـي صـنعها الإنسـان أكثـر وحشـية مـن الأشـباح في القصـص الأسـطورية أو الوحـوش في الأدغـال. وبذريعـة معاقبـة المتمـردين، اعتـادت القُـوَات الروسـية دخـول القـرى وإظهـار وحشـيتها ضِـدّ الأَفَغَـان. اسـتهدف الـروس كُـلّ كـائن حـي بمـا في ذَلِكَ الأطفـال والمواليـد الرضـع علـى أذرع أمهـاتهم والطيـور والحيوانـات. فخـلال طفولتنـا، رأينـا دائمـا جثثًـا ملطخـة بالـدماء ومنـازل تُقصـف، وكـان وقـع اسـم الجَـيْش الأحمـر علينـا يشـبه وقـع صوت الرعد.

ذات يـوم، اسـتيقظت وغسـلت وجهـي وتناولـت إفطـاري المكـون مـن الشـاي الأخضـر والخبـز الجـاف، وسـمعت أصـوات الـدبابات وصـرخات الخـوف. كنـت خائفـًا، وأطلـق القرويـون حيوانـاتهم حَتَّـى تـتمكن مـن الهـرب. ركـض النسـاء والشـيوخ والأطفـال علـى الطريـق، وفي بعـض

الأحيـان كـانوا ينظـرون خلفهـم حَتَّـى يُخيـل للرائـي أنهـم يركضـون مـن ثعبـان يطـاردهم بينمـا فمـه مفتوح لابتلاعهم.

ذهبـت أنـا وأخـي الأكـبر إلـى الحقـول، وركضـنا بجانـب قنـاة ضـيقة عميقـة. وشـعرنا بخطـر نيـران طـائرة مروحيـة، واختبأنـا في قنـاة جافـة مليئـة بالحجـارة وفـروع الأشـجار. كنـا خـائفين وأمضـينا طـوال اليـوم مختبئـين في القنـاة دون أن نتحـرك أو نتحـدث مـع بعضـنا الـبعض. وعنـدما غـادرت القُـوَات في فـترة مـا بعـد الظهـر، بـدأ الآبـاء والأمهـات في البحـث عـن أطفـالهم وحيوانـاتهم في الحقول.



الدفاع المدني يستخرج طفلة من تحت الأنقاض بعد قصف روسي في إدلب بتاريخ 2 / 1/ 2022

عنـدما كنـا أطفـالًا فهمنـا أنـه علـى الـرغم مـن أننـا صـغار فإننـا لا نسـتطيع إنقـاذ أنفسـنا مـن الرجـال المسـلحين. وعنـدما أرى صـورًا لمنـازل سـورية تعرضـت للقصـف وأطفـالًا مـدفونين تحـت أنقـاض المنـازل المـدمرة، فـإن ذَلِـكَ يـذكرني بطفـولتي. هـل مـا زال بشـر القـرن الحـادي والعشرين بِهَذِهِ الوحشية؟

لقد نشأنا وسط تعقيدات تِلْكَ الحرب، وبدأنا ثُمَّ أكملنا تعليمًا إسلاميًا. وفي حين عرّفنا الدين على الإنسانية لَمْ نتمكن من العثور على ذَلِكَ في مجتمعنا. أولئك الَّذِينَ بدؤوا الجِهَاد للدفاع عن الوطن، لَمْ نر فيهم قط تِلْكَ الإنسانية أيضًا. لَمْ يكن هناك ما يغير تصوراتنا عن أن البشر هم في الواقع قساة وقتلة.

في سن مبكرة جداً ذهبنا إلى باكستان لتلقي التعليم الديني. هناك رأينا صراعات داخلية بين مجموعات المجاهدين الأَفْغَان. لقد رأينا الحياة الباذخة لبعض قادة الجِهَاد. كان من المخزي للغاية أن يجني مكاسب الحرب مجموعة من الملتحين في شوارع بيشاور ممن تورطوا في قتل الكتّاب والأساتذة من اللاجئين الأَفْغَان مثلهم مثل الرجال أصحاب الشوارب أعضاء جهاز الاستخبارات (خاد).

بعد سقوط النظام الشُّيُوعِيّ رأينا وحشية "المنتصر في الحرب" فقد شاهدنا أفراد المليشيات في المدن والقرى وعلى الطرق السريعة. ولَاحِقًا، شوهد القتلة من أصحاب اللحى الَّذِينَ قتلوا مواطنين أفغان نيابة عن داعميهم الغربيين وهم يتجولون في مدن المملكة المتحدة وألمانيا مرتدين سراويل وبدون لحى !!! فهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قتلوا الآخرين بسبب فتاوى دينية أداروا ظهورهم لنفس الدين عندما تعارض مع مصالحهم ورغباتهم الشخصية.

وقد سمعت بعض القصص عن بعض الوقائع في قندهار من الكاتب والشاعر عبد الباري جهاني. وروى أنه شاهد قصيدة على طاولة مطربة أرسلها المُلَّا أسد الله حنفي عضو إحدى الجماعات الجِهَادِيَّة حَيْثُ طلب من تِلْكَ المطربة أن تغني أشعاره، وهي مطربة سبق أن غنت أغاني للطيارين الشيوعيين من حزب "خلق" ممن قصفوا منازلنا. لكن المطربة رفضت أن تغني شعره بحجة أن كلمات المُلَّا خشنة وثقيلة على الغناء.

بعد انضمامنا إلى المدرسة، لَمْ نعتقد أبدًا أننا سنحتاج يومًا ما إلى أسلحة لمواجهة هَؤُلَاءِ المتوحشين. وبالمثل، كان هناك وقت فكرت فِيْهِ في الحاجة إلى الانضمام إلى حركة طَالِبَان، لكني لَمْ أفكر مطلقًا في الاستمرار في ذَلِكَ حَتَّى النهاية. ظننت أني سأستأنف تعليمي الإِسْلَامِيّ بعد عامين.

قـدمت إلـى مبنـى وزارة الثقافـة والإعـلام بقنـدهار في موقـف لَـمْ أكـن فِيْـهِ علـى استعداد لـترك الحَرَكَـة أو لـدي رغبـة في حمـل السـلاح. لكـن قـدري أصـبح أكثـر تعقيـدًا بالانضـمام إلـى تِلْـكَ الـوزارة ذات الطبيعـة الناعمـة ومجتمـع الشـعر والقصـائد. فقـد انتقـل المسـؤول عـن الـوزارة إلـى كـابول، واعتـبرني أصـدقائي مـؤهلاً لشـغل منصـب المسـئول في قنـدهار بـدلاً مِنْـهُ. في اليـوم الأول، شـعرت كـأن ملائكـة تهمـس في أذني، وأصـبحت متشـككًا بشـأن مسـتقبلي لكنـي عزيـت نفسـي أنـه بعد عام أو عامين سأعود بالتأكيد إلى المدرسة الدِّيْنِيَّة.

في 11 أبريـل 1998، وقـع حـادث غمـرني تمامًـا في الماضـي. كنـت أفكـر في والـدي طـوال اليـوم. وفي منطقـة "ميـان كـوه" شَـمَال مدينـة قنـدهار تـم التعـرف علـى مقـبرة جماعيـة بـالقرب مـن أحـد الجبـال بعـد اعـتراف عضـو شـيوعي سـابق في جهـاز الاسـتخبارات الشُّـيُوعِيّ "خـاد". زرت نفس المنطقـة مـع عـدد قليـل مـن الضـيوف ورأينـا قلـة مـن النـاس يحفـرون حفـرة كبيـرة ويكتشـفون عظامـا بشـرية. كَانَـت هَـذِهِ المقـبرة الجماعيـة لعلمـاء ورجـال ديـن مـن قنـدهار والمحافظـات المجاورة قُتلوا على يد جهاز الاستخبارات "خاد" بعد الانقلاب الشُّيُوعِيّ.

حاولـت البحـث عـن القاتـل المسـؤول الشُّـيُوعِيّ عـن هَـذِهِ المقـبرة الجماعيـة وإطـلاق سـراحه، وذَلِكَ بالعمـل مـع نجـل سـليمان زيـراك الـرئيس السـابق لجهـاز "خـاد". رغبـت في مسـامحة هَـؤُلَاءِ القتلـة ذوي اللحـى والشـوارب البيضـاء مـن بـاب التسـامح الإِسْـلَامِيّ والإنسـانية والعاطفـة تجـاه شـيخوختهم. بـدا لـي أنـه مـن الأفضـل أن يعيشـوا مـع أطفـالهم وأحفـادهم. وسـامحت قاتـل والـدي بـنفس الـروح. لَـمْ أفكـر أبـدًا أنهـم في يـوم مـن الأيـام سـوف يصـبغون لحـاهم البيضـاء وشـواربهم مـرة أخرى ويتعاونوا مع الغزاة لقتل سجنائنا المضطهدين.

تحـدثت مـع نفسـي إلـى روح والـدي في ذَلِـكَ اليـوم لكنـي لَـمْ أسـتطع التعـرف علـى عظـام جسـده! ورغـم أني حُرمـت مـن رؤيتـه طـوال حيـاتي فـإني تـذكرت طيـف وجـه أبـي وجسـده مثـل الظل.

عندما عدت إلى المكتب في المساء، أعددت تقريراً عن الحادثة بناءً على ما ورد في ذهني من أفكار. وبدلاً من المذيع المعتاد، قمت بتقديم الأخبار المسائية في الراديو. وعندما غادرت الاستوديو، شعرت أني طفل يتيم وبكيت وأنا أصرخ فوق قبر والدي القابع في الصحراء.

تلقيت اتصالاً من والي قندهار الراحل مُحَمَّد حسن رحماني، حَيْثُ قَالَ إن إذاعة بي بي سي تريد التحدث معي عن المقبرة الجماعية الَّتِي عُثر عَلَيْهَا في "ميان كوه": سأعطيهم رقمك، وأخبرهم بصوتك عما قلته في الراديو.

لَمْ أتحدث أبدًا مع أي وسيلة إعلام حَتَّى ذَلِكَ الحين. فقط بسبب تشديد الوالي علي تحدثت معهم. فلمدة يومين لَمْ يرد كبير سكرتارية الوزير "وكيل أحمد متوكل"[1] على مكالمة بي بي سي الهاتفية، وكانوا يسألونني عَنْهُ. أخبرت متوكل أن معد أخبار بي بي سي يسأل عنك. كان متوكل جالساً مع المُلَّا مُحَمَّد عُمَر مجاهد، وسمع المُلَّا عُمَر صوتي في سماعة الهاتف. وبعد مرور بعض الوقت أخبرني متوكل أن المُلَّا عُمَر يقول إن عليك التحدث إلى بي بي سي. كان هَذَا جديدًا بالنسبة لي، ولذلك رفضت. قَالَ متوكل: لست من يقول هَذَا إنها تعليمات المُلَّا عُمَر.

لَمْ أكن على علم بتفاصيل الموضوع، ولَمْ تكن لدي خبرة في الحديث عن الأحداث السياسية. ولكن بحثت عن تفاصيل الحادث، وكان هَذَا بمثابة بداية لي كمتحدث رسمي. واصلت العمل كمتحدث رسمي طيلة السنوات الأربع التالية من الأزمات، ومثّلت المُلَّا عُمَر في وسائل الإعلام في القضايا الوطنية والدولية.

مرت السنوات بسرعة كبيرة، وانخرطت في أمور أخرى، وفي صراعات. كنا نظن أن السوفييت متوحشون بينما العالم الغربي يحب البشر. بدا غريبًا جدًا بالنسبة لنا أن عشاق الإنسانية هَؤُلَاءِ يقصفون منازلنا ويقتلون نساءنا وأطفالنا، ويخيفون أطفالنا في الليل.

عندما قصفت الطائرات الحربية الأمريكية قندهار لأول مرة، عثرنا على طرف مقطوع لفتاة قندهارية شابة في منزل مدمر في ميدان "مداد خان" في قندهار. لَمْ تكن هناك علامات

1 - وزير الخارجية الأَفْغَانِيّ آنذاك.

نعـرف مِنْهَـا جسـدها. بـدت هَـذِهِ السـاق وكأنهـا لوحـة الحـزن الأولـى الَّتِـي يرسـمها الغـزاة الأمريكيون للأفغان المحبطين.

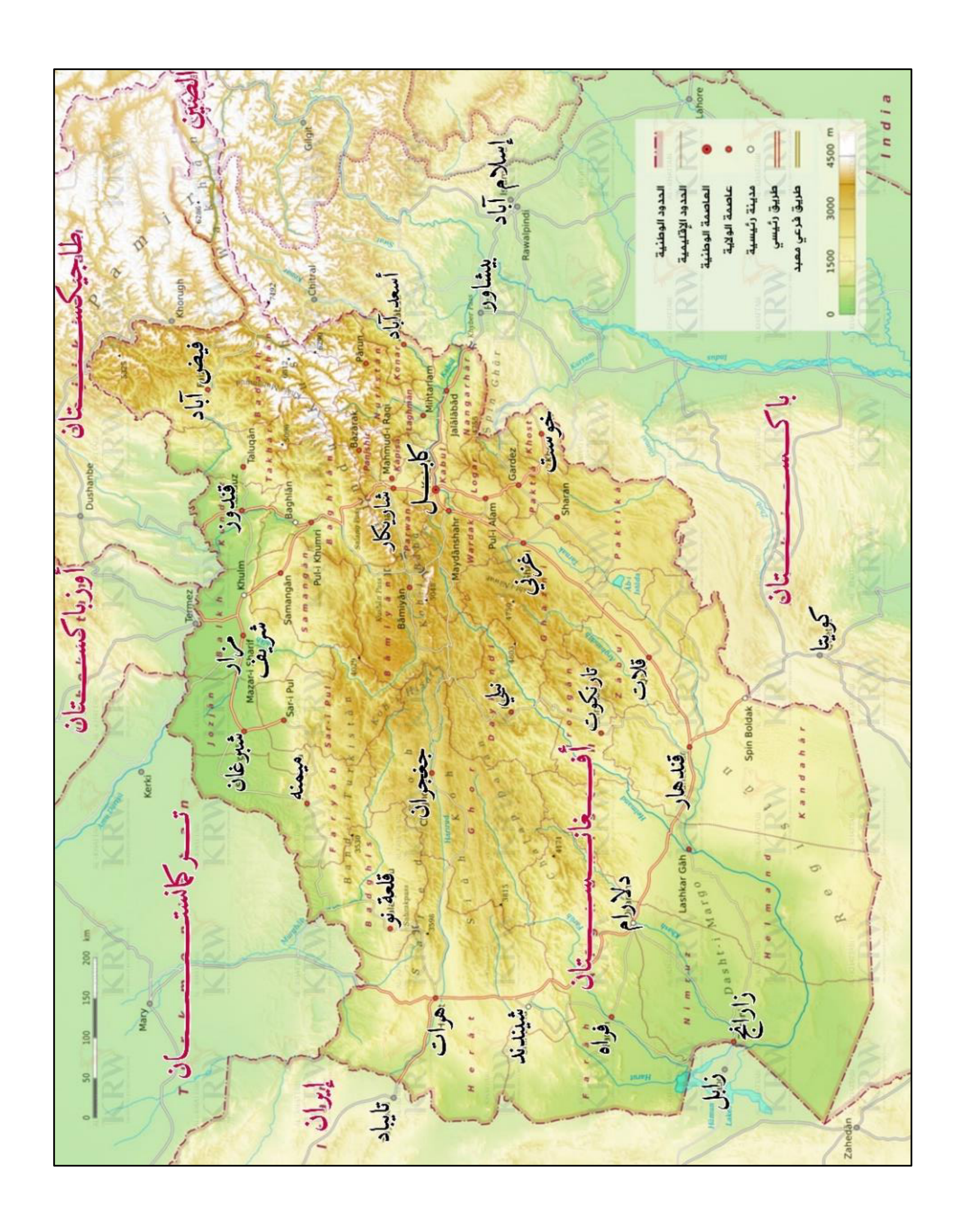
مـن ناحيـة أخـرى أشـاد الإعـلام الغربـي والمتحـدثون الأَفَغَـان والمسـتمعون بأسـلحة الغـزاة الأمـريكيين وقـواتهم. قلـة مـن قـدامى المنتصـرين في الحـرب ضِـدّ الـروس مـن المجاهـدين توقعـوا اسـتخدام قنابـل أكـبر. وكـان الوقـت الَّـذِي قضـيته كمتحـدث رسـمي معقـدًا للغايـة، ومليـئًا بأزمـات واجهت أَفَغَانِسْتَان وطَالِبَان على المستويين الإقليمي والدولي.

تحتـوي هَـذِهِ الصـفحات في الغالـب علـى هَـذِهِ الأسـرار والمعلومـات والحـوادث. لقـد قـدمتها في شـكل قصـص كمـا قـدمت معلومـات أخـرى في شـكل إشـارات. هَـذَا الكتـاب لـيس شـكلاً مـن أشـكال إصـدار الأحكـام. ولا يقـوم علـى روايـة أعمـال شـخص أو قائـد معـين، أو كحملـة لصـالح أي شـخص. إنمـا هـو قصـة حقيقيـة مبنيـة علـى حـوادث شـاهدتها أو سـمعتها. هَـذَا الكتـاب لـن يُسـعد مـن هـم متيمـون بطَالِبَـان ولا أولئـك الَّـذِينَ يكرهونهـا. آمـل أن يكـون مصـدرًا جيـدًا للمعلومـات للأشخاص الَّذِينَ يندرجون بين هاتين الفئتين، وأن يقدم لهم قراءة مفيدة.


الملا عبدالحي مطمئن

مـن الممكـن أن تكـون المعلومـات الَّتِـي تلقيتهـا مـن الآخـرين غيـر دقيقـة، ولا ينبغـي اعتبـار هَـذَا مـوطن ضـعف. لكـن في الأجـزاء الَّتِـي أنـاقش فِيْهَـا تِلْـكَ المعلومـات قـد يكـون هنـاك تحيـز غيـر مقصـود، وهـو ضـعف بشـري. وهنـاك بعـض الحقـائق الَّتِـي يجـب علـي إخفاؤهـا بسـبب قيـود الواقـع. وآمـل أن يغفـر القـراء صـمتي عـن تنـاول هَـذِهِ القضـايا. فـنحن نعـيش في الشـرق، وللأسـف هنـاك مسـتوى مـنخفض مـن التسـامح، ويعـاني المـرء مـن صـعوبات، حَتَّـى أولئـك الَّـذِينَ يزعمـون دعـم حريـة التعبيـر يقفـون ضِـدّ كلامنا. وأدعُ القراء إلى التحلي بالصبر خلال قراءة بقية الكتاب.

مع كامل الحب والاحترام: عبدالحي مطمئن.


طاجيكستان
أوزباكستان
تركمانستان
إيران
باكستان
أفغانستان
الصين
فيض آباد
قندوز
مزار شريف
شبرغان
ميمنة
قلعة نو
جغجران
هرات
شيندند
فراه
زرانج
زابل
تايباد
دلارام
قندهار
قلات
ترينكوت
نيلي
غزني
كابل
شاريكار
أسعد آباد
بيشاور
إسلام آباد
خوست
كويتا
Dushanbe
Termez
Kerki
Mary
Khulm
Samangān
Baghlān
Taluqān
Pul-i Khumri
Bāmiyān
Maydānshahr
Puli Alam
Gardez
Sharan
Mahmud-i Raqi
Bazarak
Parun
Mihtarlam
Jalālābād
Khorugh
Chitral
Gilgit
Rawalpindi
Lahore
India
Spin Boldak
Lashkar Gāh
Zahedān
الحدود الوطنية
الحدود الإقليمية
العاصمة الوطنية
عاصمة الولاية
مدينة رئيسية
طريق رئيسي
طريق فرعي معبد
0 1500 3000 4500 m
0 50 100 150 200 km

جذور معنى كلمتي «طالب» و«طالبان»

تـم تقـديم اسـم جديـد للعـالم بحلـول نهايـة القـرن العشـرين هـو طَالِبَـان. لكـن لَـمْ تكـن تِلْـكَ الكلمـة جديـدة لِكُـلِّ النـاس. فطالـب هـي كلمـة عربيـة مـأخوذة مـن طالـب العلـم، والَّتِـي تعنـي المـتعلم أو التلميـذ. وإن صـيغة الجمـع في اللغـة العربيـة هـي طلبـة وطـلاب. وفي العـالم العربـي يُعـرف تلاميـذ المَـدَارِس والجامعـات بـطلاب الجامعـات وطـلاب المَـدَارِس سـواء كـانوا يدرسـون دراسات دينية أو حديثة.

في الهنـد وباكسـتان تُسـتخدم الكلمتـان طلبـة وطالبـات في التعلـيم الـديني أو الحـديث. ويُعـرف طـلاب التعلـيم الحـديث في أَفَغَانِسْـتَان باسـم المحصـلين أو المتعلمـين، وهـي كلمـات عربيـة أيضًـا، بينمـا يُعـرف تلاميـذ الدراسـات الدِّيْنِيَّة باسـم طالـب، وتُسـتخدم صـيغة الجمـع "طَالِبَـان" بـدلاً مـن صـيغ الجمـع العربيـة. علـى غـرار يـارا أي أصـحاب، ودوسـتان أي أصـدقاء، وأفغانـان أي أفغـان، فإن طَالِبَان هي صيغة الجمع في لغة البشتو لكلمة طالب.

في أَفَغَانِسْـتَان اسـتُخدمت كلمتـا معلـم ومـلا وعـالم للإشـارة إلـى معلمـي المَـدَارِس الحديثـة ومعلمـي الـدين. وتعـود جـذور كلمـة مُـلَّا إلـى البلـدان الإِسْـلَامِيَّة في بـلاد فـارس وخراسـان (أَفَغَانِسْـتَان حاليًـا) وآسيا الوسـطى وجَنُـوب آسيا حَيْـثُ اُسـتخدمت منـذ قـرون. لكـن حَتَّـى الآن لَـمْ يُتفـق علـى أن أصـل الكلمـة هـل هـو مشـتق مـن اللغـة العربيـة أم هـي أعجميـة. فـإذا كـان أصـل الكلمـة عربي فهو يعني عالٍ وعظيم أي عالِم رفيع الشأن وعظيم القدر.

مـن زاويـة تاريخيـة، ففـي بـلاد فـارس وخراسـان مثـل أجـزاء أخـرى مـن العـالم الإِسْـلَامِيّ خـلال الخلافـة العثمانيـة عُـرف معلمـو الأدب والأخـلاق باسـم المعلمـين أو المـؤدبين، ولكـن تغيـر اسـتخدام تِلْـكَ الكلمـات بـبطء، وأصـبح مـن الـدارج الاسـتخدام الشـائع لكلمـات مثـل مُـلَّا ومَوْلَوِي ومولانا.

في المجتمع الأَفَغَانيّ، يُعرف المُلَّا الَّذِي تلقى تعليمًا دينيًا باسم مَوْلَوِي. وكلمة مَوْلَوِي مأخوذة من كلمة مولانا الَّتِي تعني المالك للشيء أو الجليل أو الشخص الحكيم. والمقصود هنا هو المعنى الثالث. ويُعرف الشخص الَّذِي ينتسب إلى الدراسات الدِّيْنِيَّة عمومًا باسم "المُلَّا".

أما آخوند فهي كلمة فارسية تُستخدم للمعلم، وتُستخدم أحيانًا في لغة البشتو جنبًا إلى جنب مع المُلَّا، فعلى سبيل المثال يُقال "المُلَّا بورجان أخوند". وتُستخدم كلمة أخوند أيضًا في أَفَغَانِسْتَان من قبل المجتمع الشيعي لوصف الإمام أو المُلَّا الشيعي، ويطلقون على ملاليهم اسم أخوندان. ولكن في لغة البشتو، تُستخدم هَذِهِ الكلمة في سياق مختلف كإهانة، فعندما يُقدم شخص ما "المُلَّا" على أنه نصف مُلَّا فإنهم يقولون: "إنه ليس مُلَّا بل "آخوند".

في الجانب البشتوني من وادي خيبر، يُعرف ابن العالم الإِسْلَامِيّ باسم "أخوند زاده"، وهي كلمة تعني ابن المُلَّا أو الأخوند، ويستخدم هَذَا التكريم عادة لابن أحد كبار علماء الدين. ولفظ "صاحب زادة" يُستخدم أيضًا لوصف أبناء العُلَمَاء والصوفية والصالحين. وفي لهجة البشتو تُلفظ هَذِهِ الكلمة عمومًا باسم "صاب زادة". ويستخدم لقب "صاحب حق" أو "صابي حق" أيضًا لابن المدرس أو العالم الإِسْلَامِيّ.

الإسلام وخراسان (أَفَغَانِسْتَان الحالية)[1]

بعد 48 سنة من البعثة النبوية أي في العام الخامس والثلاثين للهجرة النبوية وخلال السنوات الأخيرة للخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ﷺ، وصل الفاتحون المسلمون إلى أَفَغَانِسْتَان، وفتحوا كابول للمرة الأولى. وبعد ذَلِكَ بدأت الثورات المضادة، وبعد بضع سنوات خلال الفتح الثاني لكابول في عهد معاوية بن أبي سفيان، سبى عبد الله بن عُمَر بن الخطاب شابا من خراسان يُدعى نافع الكابولي قضى مع ابن عُمَر ثلاثين سنة، واليوم نرى أكثر الأحاديث الَّتِي رواها ابن عُمَر رضي الله عنه رواها عَنْهُ نافع رحمه الله. هَذَا التابعي الكابولي

1 - هَذِهِ الفقرة بأكملها موجودة في النسخة البشتونية فقط، وهي سقطت بالكامل من النسخة الإنجليزية رغم أهميتها وطولها.

هـو الـراوي الأكثـر ثقـة عـن ابـن عُمَـر في كتـب الحـديث. كمـا توجـد رواياتـه في موطـأ الإمـام مالـك وصحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرها من كتب الأحاديث الصحاح.

في القـرن الثـاني الهجـري، بـرز مـن خراسـان قتيبـة بـن سـعيد البلخـي الرجـل العظـيم الَّـذِي روى عَنْـهُ الإمـام البخـاري ثلاثمئـة حـديث. وكـذلك بـرز محـدث عظـيم هـو مكـي بـن إبـراهيم البلخـي مـن مدينـة بلـخ في خراسـان، وقـد روى الحـديث عـن الإمـام أبـي حنيفـة وابـن جـريج والإمـام مالـك. وبينمـا روى الإمـام البخـاري اثنـين وعشـرين حـديثًا ثلاثيـًا في صـحيحه[1]، فمـن بيـنهم أحـد عشـر حـديثًا رواهـم مكـي بـن إبـراهيم البلخـي[2]. كمـا أن المحـدثين مثـل مُحَمَّـد بـن أبـان وأبـو عثمـان سـعيد الطلقـاني[3]، والإمـام ضـحاك البلخـي[4]، كـانوا مـن العُلَمَـاء البـارزين في خراسـان في القـرن الثاني الهجري.

وفي القـرن الثالـث الهجـري، بـرز أيضـا محـدثون مثـل الإمـام أبـو داوود السجسـتاني وطلابـه، وتلاميـذ الإمـام أبـو يوسـف، وكـذلك الإمـام أبـو حفـص قاضـي بلـخ. وبالإضـافة إلـى الأحاديـث والفقه برز معلمون في علوم النحو واللغة والأدب مثل الإمام الأخفش الأوسط[5] .

في القـرن الرابـع الهجـري بـرز ابـن حِبـان البُسـتي – محـدث عظـيم مـن هلمنـد – وأحمـد بـن مُحَمَّـد الخطـابي مـن ولـد زيـد بـن الخطـاب أخـو عُمَـر بـن الخطـاب، حَيْـثُ شـرح صـحيح البخـاري وسـنن أبـي داوود، ولقـد دُفـن في هلمنـد، وهـو مـن كبـار أئمـة علـم رجـال الحـديث. وبـرز في هـرات

1 – أي بسند يشمل ثلاثة رواة فقط عن النبي ﷺ.

2 – مكتـوب في المـتن أن عـدد الثلاثيـات في صـحيح البخـاري 23 حـديثا روى مـنهم مكـي بـن ابـراهيم 13 حـديثًا لكن بمراجعة ثلاثيات البخاري وجدت أنها 22 حديثًا روى مِنْهَا مكي بن إبراهيم 11 حديثًا.

3 – يقصـد الإمـام أبـو عثمـان سـعيد النيسـابوري (230-298) هجريـا، واشـتهر بالإمـام النيسـابوري صـاحب كتاب السنن في الأحاديث النبوية.

4 – هـو الضـحاك بـن مـزاحم، تـابعي مـن رواة الأحاديـث النبويـة، أصـله مـن بلـخ، وتـوفي عـام 102 هجريـًا وقيـل عام 105 هجري.

5 – هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي ثُمَّ البصري أخذ عن الخليل بن أحمد ولزم سيبويه حَتَّى برع.

بديع الزمان الهمذاني في مجال اللغة العربية وآدابها، مِمَّا جعل خراسان مركزا للمهتمين باللغة العربية والنحو والقواعد والأدب.

في الوقت نفسه برز الاهتمام بتفسير القرآن الكريم في خراسان، فظهر مفسرون مثل الإمام البغوي الشافعي في القرن الخامس الهجري، والإمام فخر الدين الرازي صاحب كتاب (التفسير الكبير) في القرن السادس.

وكان ذَلِكَ الوقت الَّذِي ظهر فِيْهِ الاتجاه الفلسفي في تفسير القرآن الكريم حَيْثُ الاهتمام بتعليم العقيدة الصحيحة، وفي القرن الثامن كتب أبو حفص عُمَر الغزنوي[1] من بين علماء آخرين تعليقات على العقيدة الطحاوية، وكتب أيضًا الشامل في الفقه وغيره من الكتب المشهورة. وشهد هَذَا القرن أيضًا في خراسان تزايد الاهتمام بقواعد علم النحو والمعاني والتعبير إلى جانب علم العقيدة والفقه وعلوم أخرى. فبرز سعد الدين تفتازاني ضمن علماء هَذِهِ الحقبة -من سكان منطقة تفتازان في هرات بخراسان- والَّذِي كتب كتاب "علم البيان والمعاني" في الأدب العربي، والكتابين الشهيرين المختصر والمطول.

وفي القرن التاسع برز الاهتمام بتنمية مهارات النحو وقواعد اللغة العربية. ففي هَذَا القرن وُلد العالم الكبير عبد الرحمن الجامي في مدينة هرات بخراسان، وقد ألف كتابًا بعنوان (الفوائد الضيائية) شرح فِيْهِ كافية بن الحاجب، وكتابه (شرح مُلَّا جامي) يدرّس حَتَّى الآن في المَدَارِس الدِّيْنِيَّة في أَفْغَانِسْتَان والهند وباكستان، وقد كتب تلميذه "عبد الغفور بن صلاح اللاري" شرحًا لكتابه يُعرف باسم "حاشية عبد الغفور" وهو كتاب متخصص جداً لدرجة أنه لا يمكن لأي معلم عادي تدريسه.

وفي القرن العاشر، عاد الاهتمام مرة أخرى بعلوم رجال الحديث والفقه والعقيدة. في هَذَا القرن ولد الإمام المُلَّا علي القاري، وهو مصلح عقدي، كتب شرح مسند أبي حنيفة (الفقه الأكبر) في العقيدة، كما ألف كتابًا خاصًا آخر في التعرف على الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

1- عُمَر بن إسحق بن أحمد الهندي الغزنوي (704-773) هجريًا من كبار علماء الأحناف.

وعلى الرغم من أن خراسان لَمْ تكن في مأمن من الصراع على الحكم بين قوى العالم الإِسْلَامِيّ، إلا أنها لا تزال حَتَّى الآن مهدًا للعلوم الدِّيْنِيَّة وعلماء الدين.

وقد أثرت الخلافة الأموية والهاشميون والتنافس بين الغزنويين والسلاجقة وغزو جنيكيز خان والصفويون في إيران بِشَكلٍ كبير على جغرافية منطقة خراسان في أزمانهم. واستمر أتباع الدين الحقيقيون على الرغم من التقلبات في السيادة على أَفَغَانِسْتَان.

إن الخرافات الأيديولوجية والعقائدية وكذلك مظاهر الردة والبدعة قد ظهرت في خراسان، وكذلك في بقية العالم الإِسْلَامِيّ، لكن وجود الدعوة الإِسْلَامِيَّة النقية كافح تِلْكَ الانحرافات، وأبقى الدين الصحيح في الصدارة.

وعندما اغتال أبو جعفر المنصور الخليفة الثاني في العصر العباسي قائده العظيم أبو مسلم الخراساني والَّذِي قاد انتصارات العباسيين، فقط بدوافع الأنانية والتنافس والغطرسة الشخصية، انحاز بعض أتباع مسلم إلى أفراد ومجموعات انبثقت من رحم التعصب العرقي والطائفي، وتمردوا على الخلافة العباسية ثُمَّ أداروا ظهورهم للإسلام، وبدأوا في اتباع الأفكار الزرادشتية القديمة.

ويشمل ذَلِكَ: انتفاضة "سنباد الزرادشتي"[1] وحركة "أستاذ سيس"[2] ونبوة "مقنع البلخي"[3]. ووجدوا أيضًا أتباعًا كثيرين من طوائفهم وأعراقهم، لكن شمعة الإسلام الحقيقية

---

1 - سنباد من أتباع أبي مسلم الخراساني، ولما قُتل أبو مسلم عام 137 هـ، ثار سنباد مطالبًا بثأره، وكثر أشياعه من الخرمية والمزدكية في بلاد خراسان.

2 - أستاذ سيس هو فارسي ادعى النبوة، وقاد ثورة ضِدّ العباسيين في خراسان عام 150 هجريًا، لكنه انهزم وأسر عام 151 هجريًا.

3 - هاشم بن حكيم المعروف بالمقنع لأنه أخفى وجهه بقناع، كان أبوه من قادة أبي مسلم الخراساني، وقد ادعى هاشم النبوة وقَالَ بتناسخ الأرواح، وتمرد على العباسيين، واحتل سمرقند، وانتهى أمره بالانتحار إثر محاصرته من طرف جيوش العباسيين.

لَـمْ تنطفـئ أبـدًا، وتولـت الـدعوة الحقيقيـة بعـد فـترة وجيـزة زمـام المبـادرة مـرة أخـرى في المنطقـة. وفي كُلّ قرن برزت في خراسان صحوة دينية حقيقة أبقت بيئتها مشرقة.

كـان القـرن الحـادي عشـر فـترة تنـافس بـين إيـران الصـفوية والأَفَغَـان في المنطقـة. سـافر الحـاج ميـرويس خـان هوتـاك، وهـو زعـيم متـدين مـن البشـتون، والمعـروف شـعبياً باسـم "مـرويس نيكـا" إلـى مكـة والمدينـة مـع العُلَمَـاء، وجمـع فتـوى مـن علمـاء الحجـاز لإعـداد جيشـه دينيـًا، ثُـمَّ قاتـل لإنهـاء الاسـتعمار الصـفوي. هَـذِهِ المقاومـة لَـمْ تنـه فقـط الهيمنـة الصـفوية علـى خراسـان، ولكـن أيضًـا احتـل الهوتـاك العَدِيْـد مـن مـدن إيـران وأخـذوها مـن الإمبراطوريـة الصـفوية خـلال فـترة حكمهم. وخلال هَذِهِ الفترة، واصل العُلَمَاء السنة في خراسان دعوتهم وكذلك التعليم الديني.

وفي النصـف الثـاني مـن القـرن الحـادي عشـر، اسـتعاد الإمبراطـور العظـيم أحمـد شـاه الأبـدالي[1] الأجـزاء الشـرقية والجنوبيـة مـن خراسـان مـن يـد المغـول، ودفـع الصـفويين إلـى الغـرب. وسـميت المنطقـة الجغرافيـة الَّتِـي سـيطر عَلَيْهَـا بأَفَغَانِسْـتَان إثـر إجمـاع المشـاركين في المجلـس القبلـي "جيرغـا"، وأصـبحت جميـع القبائـل الَّتِـي تسـكن المنطقـة، والَّتِـي تضـم منـاطق حكـم السـلطان الأبدالي بما في ذَلِكَ البنجاب يسمون بالأفغان.

أحمـد شـاه الأبـدالي نفسـه كَانَـت لَـهُ أيضًـا معرفـة دينيـة، وقـد عـين في بلاطـه كبـار العُلَمَـاء والمفتـين كمستشـارين لَـهُ. كـان أحمـد شـاه الأبـدالي يحـترم بِشَـكلٍ كبيـر الشـاه ولـي الله دهلـوي داعيـة الإسـلام العظـيم وإمـام الحـديث النبـوي في الهنـد. وقـد ذهـب أحمـد شـاه للـدفاع عـن المسـلمين اسـتجابة لـدعوة الـدهلوي، وعمـل علـى إنقـاذهم مـن طغيـان إمبراطوريـة ماراثـا الهنديـة الَّتِـي أذاقـت


صورة تقريبية لأحمد شاه الأبدالي

1 – أحمـد شـاه الأبـدالي (1723-1772) ميلاديـًا، هـو المؤسـس لدولـة أَفَغَانِسْـتَان، وأول ملـك لَهَـا، والأبـدالي معناهـا الفارس، وقد غزا الهند تسع مرات.

مسلمي الهند الويلات. ويعتبر أحمد شاه مؤمنًا حقيقيًا وملكًا مجاهدًا، ولهذا السبب أسس مدارس دينية في هرات وقندهار وبيشاور.

التطور التاريخي للتعليم الديني في خراسان[1]

منذ ظهور الإسلام في خراسان، بدأ تدريس التربية الدِّيْنِيَّة وتعلمها، ومرت المَدَارِس والمراكز الدِّيْنِيَّة بدورات مختلفة. فبعد ظهور الإسلام، مورس التعليم الديني في خراسان بأشكال مختلفة. خلال العصر العباسي بُنيت العَدِيْد من المساجد والمَدَارِس في المنطقة. ووفقًا لبعض كتب التاريخ أقيمت بعض المَدَارِس الدِّيْنِيَّة الَّتِي وصل عدد طلابها إلى 3000 طالب.

وفي أوائل القرن الرابع الهجري، نشأت في "غزنة" حضارة إسلامية مشرقة في عهد السلطان محمود الغزنوي. وبالإضافة إلى المَدَارِس الدِّيْنِيَّة النظامية تم إنشاء مراكز لتعليم المهارات والعُلُوم الحديثة المتقدمة. ودّرس في تِلْكَ المَدَارِس علماء أفذاذ في علم الفلك والفيزياء والطب والجيولوجيا والرياضيات مثل أبو ريحان البيروني. وبنى السلطان غياث الدين الغوري جامع هرات الكبير في القرن السادس الهجري. وبالإضافة إلى ذَلِكَ أُسست مدارس دينية أخرى في المنطقة. وتجدر الإشارة أيضًا إلى المعاهد الدِّيْنِيَّة المنتشرة في مدينة بلخ. وقد حافظ الحكام المسلمون وعلماء الدين في خراسان على المَدَارِس والمعاهد الدِّيْنِيَّة على مر القرون، كما نُظم التعليم الخاص بمساعدة عامة الناس والشخصيات الدِّيْنِيَّة الأخرى.

شهد القرن الثاني عشر الهجري العَدِيْد من الانقسامات الدِّيْنِيَّة في العالم الإِسْلَامِيّ، ومرت خلاله الأمة بمرحلة ضعف سياسي. فالخلافة العثمانية أوشكت على الانهيار، فيما تراجعت قوة إمبراطورية المغول بعد وفاة الملك القوي عالمكير (عام 1707). لكن في دلهي، نجح أتباع شاه ولي الله دهلوي في الحفاظ على قوتهم، ولَمْ تنقطع علاقتهم بالعُلَمَاءِ والمفكرين الأَفَغَان.

1 - وردت هَذِهِ الفقرة في النسخة البشتونية فقط..

في النصف الأول من القرن الثالث عشر تسبب الحكام البريطانيون وقمع السيخ في منطقة البنجاب في خلق مشاكل للمسلمين، فأعلن شاه إسماعيل حفيد شاه ولي الله ونجل شاه عبد الغني، وصديقه سيد أحمد بريلوي رحمة الله الجِهَاد ضِدّ السيخ في البنجاب وفي المناطق الَّتِي يسيطر عَلَيْهَا البشتون. وسرعان ما رافقهم الآلاف من العُلَمَاء وطلابهم وقاموا بغزو مساحات شاسعة من مناطق السيخ. كَانَت هناك روابط قوية بين الغزنويين ورجال الدين القبليين والأَفَغَان، وقد استشهد العَدِيْد منهم بجوار بعضهم البعض خلال الحرب مع السيخ، وظلت العلاقات الدِّيْنِيَّة بين المسلمين الهنود والأَفَغَان قوية.

لَمْ تُحبط الانتفاضة الإِسْلَامِيَّة ضِدّ الحكم الاستعماري البريطاني في شبه القارة الهندية عام 1857 م فقط بل جرت محاولات للقضاء على الإسلام في نفوس المسلمين الهنود. في ذَلِكَ الوقت كان مولانا مُحَمَّد قاسم النانوتوي شخصية بارزة بين الطبقة الدِّيْنِيَّة في الهند، وقاد مجموعة من المناضلين من أجل الحرية أيضًا. وبعد ذَلِكَ، من أجل تعزيز المعرفة الفكرية والدِّيْنِيَّة للمسلمين، بدأ مع بعض علماء الدين الآخرين في 15 محرم (30 مايو 1866) في بناء مدرسة تسمى المدرسة العربية الإِسْلَامِيَّة في بلدة نائية من ديوبند في مقاطعة جهانبور في ولاية أوترابراديش. وبمرور الوقت، أصبحت المدرسة تُعرف باسم دار العُلُوم الديوبندية. وقدم للدراسة في ديوبند طلاب من العالم العربي وما وراء النهر وأَفَغَانِسْتَان. وكان لِهَذِهِ المدرسة تأثير علمي على المنطقة بأكملها.



دار العُلُوم الديوبندية في بلدة ديوبند في شبه القارة الهندية

يمكن إرجاع العلاقة بين الأَفغَان ودار العُلُوم بديوبند إلى السنوات الأولى لِهَذِهِ المدرسة التعليمية، ويمكن إرجاع أوراق اعتماد العَدِيْد من الشيوخ الأَفغَان في علم الحديث إلى إنشاء مدرسة ديوبند، فالمذهب الحنفي تواجد في بلاد ما وراء النهر والحجاز والعراق ومصر، وانتشر في خراسان منذ قرون. ومن المحتمل أنه قد انتشر من خراسان إلى الهند مع جيوش الغزنويين والغوريين والأبداليين. وخلال حقبة المغول في الهند، هاجر الفرس والأتراك والعرب أيضًا إلى الهند، وحاز المذهب الحنفي على عدد كبير من الأتباع هناك، ومدرسة ديوبند هي أكبر مدرسة لِهَذَا المذهب. أتباع ديوبند والأَفغَان يشتركون في الفقه الحنفي وفي الصراع الميداني والفكري ضِدّ البريطانيين.

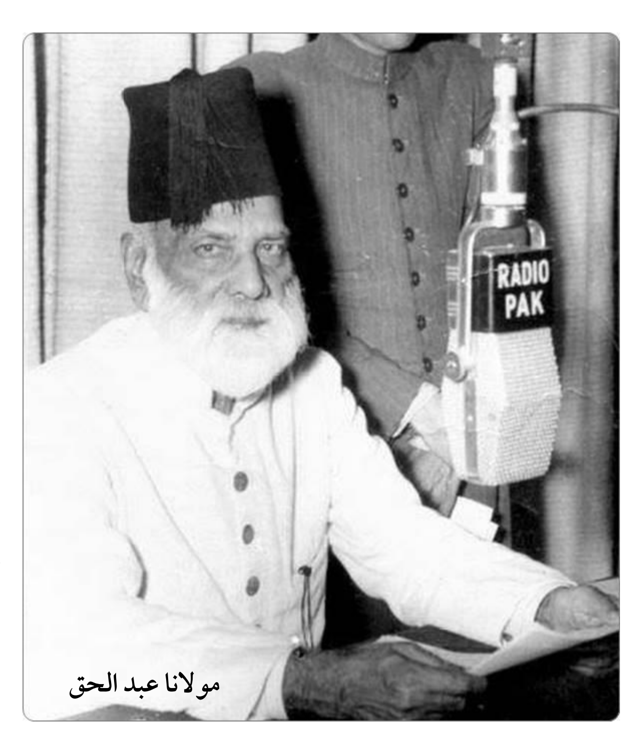
مولانا عبد الرزاق أندر، المستشار الديني للأمير دوست مُحَمَّد خان، وعضو ومدير الإدارة الدِّيْنِيَّة لديوان التحقيق، درس علوم الحديث عند مولانا رشيد أحمد غنغوهي الَّذِي كان معاصرًا لمولانا مُحَمَّد قاسم نانوتوي، وكان لَهُ دور فعال في إنشاء مدرسة ديوبند. وكان مولانا عبد الرزاق رفيقًا لنجم الدين أخوند زاده في الجِهَاد ضِدّ البريطانيين، والَّذِي يُعرف بأنه "زعيم المجاهدين" في وزيرستان.

أيضًا في أوقات لاحقة، حصل العَدِيْد من المشايخ الأَفغَان على إجازات في الحديث وتخرجوا من ديوبند. وقد أدى وجود عدد كبير من مدارس ديوبند الرسمية والمحلية إلى تعزيز روابط التدين في الهند. وفي عهد الأمير حبيب الله خان، بدأ شيخ الهند مولانا محمود الحسن الديوبندي رحمه الله حركة مقاومة مناهضة للاحتلال البريطاني، وقد حظيت بدعم رسمي من الحكومة الأَفغَانِيَّة. وضمن أنشطته سافر شيخ الهند إلى مكة والمدينة في الحجاز، وأرسل مولانا عبيد الله السندي إلى أَفغَانِسْتَان، وفيما بعد هاجر بعض المسلمين الهنود أيضًا إلى أَفغَانِسْتَان.

تم تنظيم "حركة رسالة الحرير"[1] ضِدّ البريطانيين بِشَكلٍ فعال من قبل شيخ الهند وعبيد الله السندي وعلماء آخرين، مِمَّا دفع البريطانيين إلى اعتقال شيخ الهند في الحجاز ووضعه في السجن لمدة ثلاث سنوات في جزيرة مالطا بالبحر المتوسط.

بناءً على هَذِهِ العلاقات بين الحكومات الأَفغَانِيَّة والعُلَمَاء الهنود أمر الملك الأَفغَانِيّ مُحَمَّد ظاهر شاه رئيس وزرائه سردار مُحَمَّد هاشم خان بترجمة القرآن الكريم بواسطة شيخ الهند مولانا محمود الحسن وترجمة تفسير مولانا شبير أحمد عثماني. وقد عين هيئة للترجمة والنشر، ولكن الَّذِي كُلف بمهمة المراجعة العلمية والتصحيح هو مولانا غلام نبي كاموي شيخ الحديث في دار العُلُوم العربية، والَّذِي أنهى تعلمه للأحاديث في دار العُلُوم بديوبند على يد مولانا أنور شاه كشميري. وكان من طلابه المتميزين، وبقي أيضًا مدرسًا في دار العُلُوم بديوبند لعدة سنوات.قارن مولانا كاموي هَذَا الشرح والترجمة على التفسيرات الموثوقة لأئمة التفسير مثل تفسير ابن كثير، وروح المعاني، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وتفسيرات أخرى أصيلة. قبل ذَلِكَ، كَانَت هناك بعض التفسيرات الشهيرة باللغة الفارسية شائعة في المجتمع الأَفغَانِيّ، والَّتِي لا يمكن أن تفيد عامة الناس والأشخاص الأقل تعليمًا، وفي الأوساط المتدينة برزت شروح عربية لتعلم معاني الكلمات وبعض قواعد الإعراب مثل تفسير الجلالين وتفسير البيضاوي. وبالنسبة للعلماء الَّذِينَ درسوا القرآن بتعمق كَانَت هناك شروح عربية ذات مجلدات كثيرة.

1 - حركة رسالة الحرير تشير إلى الحَرَكَة الَّتِي نظمها قادة الديوبندية في الفترة ما بين 1913 و1920، بهدف تحرير الهند من الاستعمار البريطاني عبر تشكيل تحالف مع تركيا العثمانية، وألمانيا، وأَفغَانِسْتَان. وانكشف المخطط من قبل دائرة المباحث الجنائية في البنجاب مع الحصول على رسائل مرسلة من عبيد الله السندي في أَفغَانِسْتَان إلى محمود الحسن الديوبندي في إيران. وكُتبت الرسالة على قماش حريري، ومن هنا جاءت التسمية.



مولانا عبد الحق

وقـد سـهلت هجـرة العُلَمَـاء والتجـار وعامـة النـاس وتـنقلهم بـين أَفَغَانِسْـتَان والهنـد التفاعـل بـين المسـلمين في البلـدين. فقـد جـاء والـد مولانـا عبـد الحـق[1]، وهـو عـالم دينـي معـروف مـن كـوزي بنبتونخـوا (أي منطقـة الباشـتون) ومؤسـس المدرسـة الدِّيْنِيَّـة الشـهيرة دار العُلُـوم الحقانيـة، إلـى منطقـة نوشـهر في كـوزي بختونخـوا بغزنـة في أَفَغَانِسْـتَان. وبعـد تخرجـه مـن ديوبنـد، شـكل مولانـا عبـد الحـق أولاً جمعيـة دينيـة في بلـدة أكـورة ختـك بـالقرب مـن نوشـهر ثُـمَّ ذهـب إلـى الهنـد للمـرة الثانيـة. ومكـث في ديوبنـد عـدة سـنوات، ولكـن مـع تشـكيل باكسـتان أصبـح مـن الصـعب عَلَيْـهِ السـفر إلـى ديوبنـد. ووفـد إلـى هَـذِهِ المدرسـة لدراسـة الحـديث طلبـة العُلُـوم الدِّيْنِيَّـة الأَفَغَـان. وفي فـترة وجيـزة ذاع صـيت المدرسـة بِشَـكلٍ كبيـر، وقـام شـيخ الحـديث مولانـا عبـد الحـق بتوسـيع بنـاء المدرسـة جنبًـا إلـى جنـب مـع زيـادة عـدد الطـلاب والمعلمـين في المدرسـة الَّتِـي أصـبحت تعـرف باسـم دار العُلُـوم الحقانيـة، وهـو المكـان الَّـذِي حصـل العَدِيْـد مـن الطلبـة الأَفَغَـان على دراستهم فِيْهِ.

بعـد الانقـلاب الشُّـيُوعِيّ في أَفَغَانِسْـتَان وغـزو الاتحـاد السـوفيتي لأفغانسـتان، أصبـح مـن الصـعب الـذهاب إلـى ديوبنـد، ومُنعـت أنشـطة المَـدَارِس الدِّيْنِيَّـة داخـل أَفَغَانِسْـتَان، وجـرى إغلاقهـا، وألقـي القـبض علـى العَدِيْـد مـن العُلَمَـاء والشـيوخ أو تصـفيتهم، وهـرب العَدِيْـد مـن الأَفَغَـان إلـى باكسـتان حَيْـثُ درسـوا في المَـدَارِس الدِّيْنِيَّـة في مقـاطعتي خيـبر بختونخـوا وبلوشسـتان البَاكِسْـتَانِيَّة. وجـرى التـدريس في تِلْـكَ المَـدَارِس بلغـة الباشـتو، الأمـر الَّـذِي شـكل مصـدر راحـة واضحًا للأفغان.

1- مولانا عبد الحق ولد عام 1912، وتوفي عام 1988.

بعـد العـيش في باكسـتان لفـترة طويلـة انتقـل طـلاب العُلُـوم الدِّيْنِيَّـة الأَفْغَـان أيضًـا إلـى المَـدَارِس الدِّيْنِيَّــة الرئيســية في البنجــاب وكراتشــي، حَيْــثُ تــولى العَدِيْــد مــنهم التــدريس في وقــت لاحــق.



لِـذَلِكَ، فـإن علاقـة طلبـة العُلُـوم الدِّيْنِيَّـة الأَفْغَـان بالمـدارس الدِّيْنِيَّـة في المنطقـة لَـمْ تكـن مسـألة احتكـاك قصـير وعـابر مثلمـا يتـوهم الـبعض. إذ تشـير الأدلـة التاريخيـة إلـى أن حركـة العُلَمَـاء وطلبـة العُلُوم الدِّيْنِيَّة بين بختونخوا وشبه القارة الهندية كَانَت تقليداً معروفًا منذ فترة طويلة.

تقاليد طلب العلم عبر قرون في أَفْغَانِسْتَان[1]

يعـود التـاريخ الثقـافي لأنظمـة تعلـيم طلبـة العلـم الأَفْغَـان "طَالِبَـان" إلـى قـرون مضـت. إذ كَانَـت هنـاك مـدارس رسـمية محـدودة للغايـة تـوفر التعلـيم الـديني. وبشـكل عـام، كـان لِكُـلِّ عـالم إسـلامي عـدداً محـدوداً مـن الطـلاب وفـق قدرتـه الاسـتيعابية. وإلـى جانـب المسـجد، خصـص كُـلّ عـالم غرفـة أو غـرفتين لسـكن الطـلاب. وقـد أطلـق طلبـة العلـم علـى تِلْـكَ الغـرف اسـم "الحجـرة" أو "الديرة". وكان الطعام يقدمه أشخاص مرتبطون بالمسجد.

1 – عنوان هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية هو: أَفْغَانِسْتَان وثقافة طلب العلم.

العُلَمَاء المسلمون الَّذِينَ تمكنوا من توفير التعليم الديني هم أئمة المساجد الكبيرة، في حين تختص قرية أو اثنتين من القرى الكبيرة بخدمة المسجد حَيْثُ يقوم السكان طواعية في ظل محبتهم للدين بتزويد الإمام وطلبة العلم بالطعام.

وفي حين يُسمى الأطفال (الطلبة الصغار) الَّذِينَ يُرسلون إلى المنازل لجمع الطعام باسم "چريان" أو "چوني" في ولاية خيبر بختونخوا. كان هناك نوعان من الطلاب في هَذِهِ المراكز التعليمية الصغيرة: الأول يضم من جاءوا من المناطق المجاورة لأماكن التعليم الديني ممن ليست لديهم مصاريف ترتبط بالعملية التعليمية. أما الآخرون فهم طلاب أتوا من مناطق بعيدة للدراسة على خلفية شهرة العالم الَّذِي يتولى التدريس، وكانوا يعيشون هناك خلال الأسبوع ثُمَّ يذهبون إلى منازلهم بعد ظهر كُلّ خميس ثُمَّ يعودون يوم الجمعة. وتبقى قلة منهم في أماكن الدراسة لشهور، وربما لسنوات حَتَّى إتمام تعليمهم. وعُدَّت مواجهة المشقة والجوع والشعور بالعوز أثناء تلقي التربية الدِّيْنِيَّة من دواعي الفخر والحظ السعيد.

يخبر المعلمون الدينيون طلابهم دائمًا أن مواجهة صعوبات التعليم ليست شيئًا جديدًا في التاريخ الإِسْلَامِيّ حَيْثُ واجه كبار علماء المسلمين المحن خلال رحلة التعليم الديني مثل الإمام البخاري الَّذِي واجه تحديات في البحث عن الحديث النبوي. ويضربون أمثلة بأصحاب الصفة -وهو مكان مظلل في نهاية المسجد النبوي أعد لإقامة الغرباء ممن لا مأوى لهم ولا أهل- ويقولون إن نموذج الطلاب المحتاجين المقيمين معًا بدأت في حياة النبي مُحَمَّد ﷺ، حَيْثُ لَمْ يكن لأصحاب الصُفة مكان للإقامة، لِذَلِكَ عاشوا في غرفة آخر المسجد مبنية بسعف وأغصان نخيل التمر.

يُعتبر أهل الصُفة في الإسلام مصدرًا رئيسيًا للصلاح وفهم الإسلام والسيرة والحديث. ويُعد أبو هريرة ﵁ -واسمه الحقيقي عبد الرحمن بن صخر- من أشهر الصحابة الَّذِينَ رووا أحاديث النبي مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وسلم، وقد واجه العَدِيْد من التحديات في هَذَا الطريق. فذات يوم بسبب الجوع استلقى غير قادر على الحَرَكَة على الطريق الواصل إلى المسجد النبوي، ولَمْ يكشف عن حالته لأحد، ومر الناس عَلَيْهِ حَتَّى جاء النبي مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ

وسلم فأخذه إلى بيته. وقد قَالَ أبو هريرة ﷺ: (أهل الصُفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد) "صحيح البخاري".

خلال القرون القليلة الماضية في أَفْغَانِسْتَان والمناطق المحيطة، قُدم التعليم الديني في الغالب من خلال المَدَارِس الدِّيْنِيَّة الَّتِي تكونت مِمَّا يُعرف باسم الحجرة أو الديرة. وفي وقت لاحق، جرى إنشاء عدد قليل من مراكز التعليم الديني الرسمية والمنظمة، وقد بُنى بعضها بجهود ذاتية والبعض الآخر بجهود رسمية. لكن تِلْكَ المَدَارِس نظمت منهجية التعلم والفصول وقواعد الامتحان، ويشمل ذَلِكَ مدارس: دار العُلُوم العربية في كابول، ومدرسة أبي حنيفة، ونجم المَدَارِس في ننجرهار، ونور المَدَارِس في غزنة، والأسدية في بلخ، والمدرسة المحمدية في قندهار، ومدرسة هرات الدِّيْنِيَّة، ودار العُلُوم في تخارستان بشمال أَفْغَانِسْتَان، وعدد قليل من المَدَارِس الصغيرة فضلا عن أخرى كبيرة.

وفي السابق كان من الصعب جدًا على الطلاب الالتحاق بالمدارس الَّتِي يديرها علماء مسلمون مشهورون في أَفْغَانِسْتَان حَيْثُ يُقبل فقط الطلاب الأذكياء بعد إجراء مقابلات، ولذا كان الحصول على القبول يمثل مصدر فخر للطلاب.

كان هَـؤُلَاءِ المشايخ المشهورون يختبرون الطلاب في الدروس عبر المناقشات الشفهية لبيان من يتمتع منهم بالكفاءة والذكاء ثُمَّ يشرحون لهم القواعد الَّتِي يجب عليهم مراعاتها والامتثال لَهَا مثل أداء الصلوات الخمس في جماعة، والحفاظ على المظهر والشكل وفق إرشادات السنة النبوية، والتحضير لدروس الصباح في الليلة السابقة، وعدم أخذ عطلة سوى يوم الجمعة، وما يماثلها من ضوابط وشروط تتعلق بالدروس وفق مبادئ الشريعة الإِسْلَامِيَّة.

جهاد طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة "طَالِبَان"

لعب العُلَمَاء دوراً رائداً في الحروب الشعبية الثلاثة الَّتِي خاضها الأَفَغَان ضِدّ بريطانيا. وقد استشهد العَدِيْد من العُلَمَاء وطلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة "طَالِبَان" خلال تِلْكَ الحروب. وإن مقابر طَالِبَان الموجودة في مدينة قندهار، وفي منطقة بولدك، وميدان شهيدانو في هرات، ودروازة قندهار[1] دليل على ذَلِكَ. وبحسب المؤرخ الأَفَغَانِيّ العلامة عبد الشكور رشاد، فإن تِلْكَ المقابر هي لطلبة علوم دينية استشهدوا خلال قتالهم القُوَات البريطانية.

في الحرب ضِدّ بريطانيا، شارك المئات من علماء الإسلام المشهورين، بمن فيهم المُلَّا مشك عالم أندر (واسمه الحقيقي دين مُحَمَّد)، ومولانا عبد الرزاق أندر، ونجم الدين أخوند زاده، والحاج صاحب ترنكزو، وعائلة مجددي من كابول، ومولانا أمير مُحَمَّد المعروف باسم چكنورو مُلَّا صاحب، وسيد مُحَمَّد أكبر شاه المعروف باسم سركانو مُلَّا صاحب، ومَوْلَوِي عبد الكريم الَّذِي قاتل إلى جانب جان آباد مُلَّا صاحب، وشيخ المشايخ عبد الغفور من سوات، ومَوْلَوِي فيض مُحَمَّد، موسهي أخوندزاده، ومَوْلَوِي عبد الله غزنوي ضمن قائمة طويلة جداً. كان لِكُلِّ من هَؤُلَاءِ العُلَمَاء المئات والآلاف من الطلاب الَّذِينَ شاركوا في تِلْكَ الحروب.

الأمير عبد الرحمن الَّذِي عمل مع المحتلين في ذَلِكَ الوقت، تحدث في كتابه "تاج التواريخ" عن العُلَمَاء المسلمين الَّذِينَ انضموا إلى مُحَمَّد أيوب خان الَّذِي انتصر في معركة ميوند الشهيرة ضِدّ بريطانيا. وقد كتب: كان لدى مُحَمَّد أيوب خان أسلحة محدودة للغاية، وعدد قليل من المقاتلين، لكن الملالي الجهال الَّذِينَ وقفوا ضدي أعلنوا الجِهَاد. وصب هَذَا في صالح مُحَمَّد أيوب خان، وقالوا إني صديق لبريطانيا، وأعلنوا أن منافسي هو الفائز.

1 - الدروازة هي البوابة الضخمة للمدينة أو القلعة باللغة الفارسية.

المشاكل بين أمان الله خان وعلماء الدين

عام 1919 اختير أمان الله خان ملكًا لأفغانستان بعد مقتل والده حبيب الله خان. ونتيجة لجهود آل مجددي وعلماء المسلمين، أعلن الأمير أمان الله خان الاستقلال والجِهَاد ضِدّ بريطانيا بحضور آلاف الأَفْغَان في مسجد"عيد گاه" في كابول. ولَمْ تقبل بريطانيا استقلال أَفْغَانِسْتَان، مِمَّا أدى إلى اندلاع الحرب الثالثة والأخيرة بين الأَفْغَان وبريطانيا. شارك العَدِيْد من علماء الإسلام في هَذِهِ الحرب إلى جانب قادة أمان الله خان مثل ابني الخواجة عبد القيوم مجددي، وشمس المشايخ فضل مُحَمَّد مجددي، ونور المشايخ فضل عُمَر مجددي من عائلة مجددي.

قاد نادر خان قيادة ساحة معركة "تل" رفقة شمس المشايخ فضل مُحَمَّد مجددي فيما قاد شاه ولي خان ساحة المعركة في وزيرستان بدعم من نور المشايخ فضل عُمَر مجددي. وأثناء قصف الطائرات الحربية البريطانية تراجع قائد المنطقة الشرقية صالح مُحَمَّد خان على خلفية تعرضه لإصابات طفيفة، وتكبدت القُوَات خسائر، وأعلن أمان الله خان وقف إطلاق النار. كان عدد قليل من المتدينين والمقاتلين غير سعداء بسبب هَذَا الإعلان. لقد أرادوا استعادة كُلّ تِلْكَ المناطق من بريطانيا الَّتِي فصلتها مؤقتًا عن أَفْغَانِسْتَان في اتفاق مشهور بين الأمير أمان الله خان والجنرال ديوراند. فبريطانيا لَمْ تلتزم بِهَذَا الاتفاق وهاجمت أَفْغَانِسْتَان بِشَكلٍ متكرر، ولَمْ يعد هَذَا مشروعا بعد الآن، وقد شعر الأَفْغَان على الجانب الآخر من خط ديوراند بخيبة أمل بسبب هَذَا الإعلان.


أمان الله خان

في 19 أغسطس 1919 قبلت بريطانيا استقلال أَفْغَانِسْتَان، ومنح الملك أمان الله خان أوسمة "الشمس" الرسمية للعلماء من آل مجددي، وأعطاهم لقب "شمس المشايخ" و"نور المشايخ". وفي منتصف عام 1927 ذهب أمان الله خان وزوجته في جولة طويلة إلى أوروبا ثُمَّ عادا إلى أَفْغَانِسْتَان في يونيو 1928، وأصدر أمان الله خان قرارات مفاجئة غير متوقعة مثل فرض حظر على الحجاب واللباس الشرعي والأذان في كابول،

ودعـا إلـى حريـة المـرأة وتقليـد نمـط الحيـاة والملابـس الأوروبيـة، وفـرض حظـراً علـى التعلـيم الإِسْلَامِيّ.

تعـرض الملـك أمـان الله خـان لانتقـادات مـن علمـاء الـدين بمـن فـيهم آل مجـددي شـركاؤه في حـرب الاسـتقلال. وقـد هـاجر نـور المشـايخ فضـل مجـددي إلـى المنـاطق القبليـة المسـتقلة، وعـاش فِيْهَـا لمـدة خمـس سـنوات. ويقـال إن الملـك كـان جـادًا جـدًا في تنفيـذ إصـلاحاته، وعاقـب مـن عارضـه، فعلـى سـبيل المثـال فـتح القاضـي عبـد الـرحمن باغمـاني المصـحف ليثبـت للملـك وجـوب حجـاب المـرأة لكـن الملـك ركلـه، كمـا قتـل قاضـيًا آخـر قـام بفعـل شـبيه لَاحِقًـا. وقـد انـتفض النـاس على جانبي خط ديوراند الحدودي بين أَفَغَانِسْتَان وباكستان ضده، وغادر أمان الله خان البلاد.

تختلــف آراء البــاحثين والمــؤرخين الأَفَغَــان حــول إصــلاحات أمــان الله خــان. فــبعض الأدبيـات الرسـمية في عهـد الملـك مُحَمَّـد ظـاهر شـاه وبعـض كتـب التـاريخ تـزعم أن العُلَمَـاء ورجـال الـدين الَّـذِينَ عارضـوا أمـان الله خـان بعـد زيارتـه لأوروبـا هـم عمـلاء بريطـانيون. لكـن بعـض الأشـياء تسـاعد الشـخص علـى فهـم الواقـع. فـإذا قـدم هَـؤُلَاءِ العُلَمَـاء كُـلّ أنـواع التضـحيات، فلمــاذا يعارضــون أمــان الله خــان عنــدما بــدأ في تكــوين صــداقة مــع أوروبــا؟ إذا كــانوا عمــلاء بريطانيين فلماذا دعموا أمان الله خان في الحرب ضِدّ بريطانيا؟!

زار المـؤرخ الأَفَغَـانِيّ حسـن كـاكر قنـدهار خـلال فـترة حكـم حركـة طَالِبَـان، واستضـفته حَيْـثُ أجرينـا مناقشـة متعمقـة حـول هَـذَا الموضـوع، ومـا زلـت أتـذكر كلماتـه (لمـا أراد أمـان الله خـان تنفيـذ مـا أسـماها بالإصـلاحات كَانَـت المنهجيـة الَّتِـي تبناهـا هـي الحماقـة). لكـن تصـريحات كـاكر لا يلـزم أن تكـون جـديرة بالثقـة تمامًـا، فخـلال العقـدين الماضـيين في ظـل تغيـر الوضـع تغيـر كلامـه حـول نفـس الموضـوع. فقـد كـان متملقًـا وأثنـى علينـا كثيـرًا أثنـاء حكمنـا ثُـمَّ بعـد سـقوط حكومتنـا بـدأ يعارضنا. ومن الممكن أن تكون أقواله آنية تهدف لإسعادنا وقتها.

وبغـض النظـر عمـا كـان عَلَيْـهِ أمـان الله خـان، فقـد كـان ينبغـي عَلَيْـهِ مـن أجـل تنميـة الـبلاد أن يأخـذ في اعتبـاره بِشَـكلٍ ايجـابي المصـالح الوطنيـة واحـترام المعتقـدات الدِّيْنِيَّـة. وجـب عَلَيْـهِ أن يضـفي لمسـة أفغانيـة علـى التطـور المنشـود بـدلاً مـن اللمسـة الغربيـة والجهـود الشـريرة لتغييـر

الثقافة وانتقاد القيم الدِّيْنِيَّة. كان ينبغي أن يبدأ تِلْكَ الحَرَكَة بحكمة آخذا في حسابه الوضع في أَفَغَانِسْتَان، وأن يدعو الجمهور وعلماء الدين للانضمام إِلَيْهِ. كان من الممكن أن يكون هَذَا مفيدًا لَهُ وللبلد ولأهل الدين.

وفقًا لكتب التاريخ، أراد أمان الله خان تغييرًا اجتماعيًا إيجابيًا، وكان متصلبًا في كُلّ جانب من جوانب حياته لكنه تردد في مواجهة الصعوبات. ومن علامات تصلبه أنه كان يلوح بمسدسه ويصدر تهديدات بالقتل في قضايا صغيرة، لكن في زمن المقاومة الحقيقية فضّل الهروب، وغادر البلاد رفقة أتباعه. ولَمْ يقاوم مثل داوود خان ببندقيته حَتَّى الموت، ولَمْ يدعم أتباعه بعد هروبه، وهَذَا دليل على عدم جدارته.

بعد هروب أمان الله خان، حدث فراغ في السلطة لبعض الوقت حَتَّى وصل نادر خان إلى الحكم. وعلى الرغم من أن الطبقة الدِّيْنِيَّة كَانَت قادرة على الجِهَاد إلا أنها تميزت بالورع والميل إلى العزلة، **ولَمْ يكن علماء الدين منظمين بما يكفي لسد تِلْكَ الفجوة رغم أنهم كانوا قادرين على إقامة حكم وطني وإسلامي قوي.**

أثناء الفراغ في السلطة، غزا حبيب الله كلكاني كابول مع أنصاره بعد شنه لهجوم عَلَيْهَا، وأيد تطبيق أحكام الشريعة لكنه كان عديم الخبرة وغير قادر على التعامل مع الأمور الإدارية. وفي النهاية أطاح نادر خان بِهِ من الحكم بمؤامرة، وأعدمه انتقامًا مِنْهُ.

عندما وصل نادر خان إلى السلطة، ألغى قرارات أمان الله خان وبعض التغييرات الَّتِي وضعها سلفه، فهدأت مشاعر الطبقة الدِّيْنِيَّة والجمهور. وبعد فترة حكم نادر خان القصيرة (1929–1933)، وأثناء حكم مُحَمَّد ظاهر شاه (1933–1973) أصبحت ظروف العُلَمَاء جيدة نسبيًا، **لكن الفجوة بين المَدَارِس التعليمية الحديثة التابعة للحكومة والعُلَمَاء اتسعت. وانشغل العُلَمَاء بالتعليم التقليدي بينما ابتعدت المَدَارِس الحديثة عن الدين يومًا بعد يوم.** وتزايد تأثير الفلسفة الماركسية باطراد. وتنامى سلوك طلاب المَدَارِس والجامعات الهادف إلى إهانة علماء الإسلام، وأدى الصمت الطوعي للحكومة ضِدّ هَذِهِ الممارسات إلى بروز الشُّيُوعِيَّة في أَفَغَانِسْتَان.

مساهمة الجماعات والشخصيات الدِّيْنِيَّة في السياسة

في كافة الحروب الثلاثة ضِدّ البريطانيين قاد العُلَمَاء المقاومة، وقَبِل الحكام آنذاك رأيهم وقرارهم بالمقاومة. كَانَت الطبقة الدِّيْنِيَّة بشخصياتها وعائلاتها ذات قيمة للحكام. فالطبقة الدِّيْنِيَّة نشطت في المجال العام، وفي ذَلِكَ الوقت لَمْ تشعر بالحاجة إلى بنية سياسية أو إطار هيكلي خاص بِهَا. لكنها شعرت تدريجياً بالحاجة إلى ذَلِكَ مع التغير في الوضع وتعدد التجارب والمحن.

نور المَدَارِس وخدام الفرقان

في مطلع حكم ظاهر شاه بدأ نور المشايخ فضل عُمَر مجددي بتنظيم العُلَمَاء وتأسيس الوعي السياسي لديهم، ولا يزال من الممكن رؤية تأثير هَذَا التوجه في أَفَغَانِسْتَان حَتَّى اليوم. فعام 1942 ميلادياً أسس المُلَّا مشك عالم أندر مدرسة "نور المَدَارِس" في منطقة شالغار في غزنة. كَانَت هَذِهِ المدرسة شديدة التنظيم ولديها أيضًا برامج للتوعية السياسية بالإضافة إلى التعليم الديني. وكان المعلمون انعزاليين وركزوا فقط على التدريس لكن عددًا قليلاً من المعلمين والإداريين وأفراد عائلة مجددي نظموا محاضرات وبرامج لعرض المعلومات العامة والأفكار السياسية والإِسْلَامِيَّة. وساهم هَذَا في تخريج العَدِيْد من الشخصيات الهامة في الفكر الإِسْلَامِيّ والنهج الجِهَادِيّ من تِلْكَ المدرسة الَّتِي انتشرت آثارها في جميع أنحاء البلاد. وأدى ذَلِكَ إلى إنشاء جمعية "خدام الفرقان" الَّتِي بدأت صراعًا أيديولوجيًا وسياسيًا. ونشرت هَذِهِ الجمعية مجلة "نداء الحق" الَّتِي حظرتها الحكومة في كثير من الأحيان بسبب الانتقادات السياسية الواردة فِيْهَا.

(قاد مُحَمَّد إسماعيل مجددي نجل نور المشايخ فضل عُمَر مجددي جمعية "خدام الفرقان"، بينما كان نائبه هو مَوْلَوِي نصر الله منصور. وكان المَوْلَوِي عبد الستار صديقي

مسؤولاً عن مجلة "نداء الحق"، ثُمَّ تولى مَوْلَوِي رحيم الله زرمتي مسئولية المجلة من بعده، وظل يشغل ذَلِكَ المنصب حَتَّى النهاية)[1].


داوود خان

قدمت جمعية "خدام الفرقان" ومدرسة "نور المَدَارِس" التعليم الديني إلى جانب غرس الوعي السياسي. ضمت المدرسة عدة فصول دراسية وصلت إلى الصف السادس عشر بما في ذَلِكَ المدرسة الثانوية حَتَّى الصف الثاني عشر. وكَانَت دراسة الحديث الشريف تنتهي بحلول الصف السادس عشر. كان أحد شيوخ الحديث من خريجي ديوبند، ولهذا قُدم مقرر الحديث وفقًا للمدرسة الديوبندية، حَيْثُ شمل صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داوود وسنن الترمذي وموطأ الإمام مالك وسنن النسائي وسنن ابن ماجه. وانصب التركيز الرئيسي على صحيح البخاري وصحيح مسلم وجامع الترمذي.

امتد وجود جمعية "خدام الفرقان" تدريجيًا إلى الجامعات الحديثة. فخلال فترة حكم ظاهر شاه نظم قادة الجمعية احتجاجات ضخمة ضِدّ بعض الأنشطة الَّتِي اعتبروها معادية للإسلام. واستمرت الاحتجاجات لبضعة أيام، وخشيت الحكومة من حدوث ثورة عامة فشنت حملة قمع ضِدّ العُلَمَاء وسجنت الكثيرين. وانتهت الاحتجاجات في ظل وعود وتطمينات من الحكومة، لكن المناوئين للإسلام وخاصة العناصر الشُّيُوعِيَّة في الحكومة أصبحوا حساسين تجاه عائلة مجددي. وأثناء زيارة ظاهر شاه لإيطاليا أطاح بِهِ ابن عمه داوود خان في انقلاب أبيض.


ظاهر شاه

أحاط داوود خان نفسه غالبًا بالشيوعيين، فازدادت المشاكل مع "خدام الفرقان"، لكن الحكومة كَانَت على علم

[1] – هَذِهِ الفقرة وردت في النص الإنجليزي للكتاب ولَمْ ترد في النسخة الأصلية بالبشتو.

بخلفية عائلة مجددي، ولَمْ تكن قادرة على الضغط عَلَيْهَا أكثر. وعام 1973 أثناء الانقلاب الشُّيُوعِيّ سُجن في البداية جميع أفراد عائلة مجددي باستثناء طفل أو طفلين وامرأة، وأُعدم لَاحِقًا مائة فرد من هَذِهِ العائلة في السجون الشُّيُوعِيَّة. بينما سُجن المئات والآلاف من أعضاء وأتباع خدام الفرقان، وأُعدم معظمهم فيما بعد.

انضم أتباع تِلْكَ العائلة ذات النفوذ فيما بعد إلى الجماعات الجِهَادِيَّة مثل حركة الانقلاب الإِسْلَامِيّ، والحزب الإِسْلَامِيّ بقيادة مَوْلَوِي مُحَمَّد يونس خالص، ونجات ملي "التحرير الوطني" – بقيادة عائلة جيلاني الصوفية– والاتحاد الإِسْلَامِيّ، ومن ثُمَّ بدأوا الجِهَاد. ومن بين الشخصيات البارزة آنذاك مَوْلَوِي نصر الله منصور، ومَوْلَوِي جلال الدين حقاني، ومَوْلَوِي رفيع الله مؤذن، ومَوْلَوِي عبد الستار صديقي، ومَوْلَوِي رحيم الله زرمتي، وقائد قندهار الشهير لالا مالانج، وقائد زابل الشهير المُلَّا موسى كليم، وقادة جهاديون آخرون في أنحاء أَفَغَانِسْتَان.

الإخوان والحَرَكَة الإِسْلَامِيَّة:

بعد الحرب العالمية الأولى، وقعت آخر بقايا الخلافة الإِسْلَامِيَّة بقيادة العثمانيين الأتراك ضحية لمؤامرات القوى الغربية، وشعر العالم الإِسْلَامِيّ بالحاجة إلى الوحدة. نتيجة لِذَلِكَ بدأت حركة الخلافة الأولى في شبه القارة الهندية، ولعب علماء ديوبند المسلمين دورًا رئيسيًا فِيْهَا. وسحق البريطانيون هَذِهِ الحَرَكَة، لكنها عملت على إيقاظ مسلمي شبه القارة الهندية. وعام 1928 أنشأ عالم إسلامي يُدعى حسن البنا وأصدقاؤه حركة الإخوان المسلمين الَّتِي هدفت إلى تطبيق الشريعة الإِسْلَامِيَّة في مصر.

مع مرور الوقت أصبحت هَذِهِ الحَرَكَة مؤثرة للغاية في مصر. وعام 1948 عندما فقدت فلسطين استقلالها بدأ الإخوان المسلمون يرفعون شعارات المقاومة والدفاع عن استقلال فلسطين، وأخذوا يناضلون من أجل هَذِهِ القضية. زاد شعار استقلال فلسطين من شعبية هَذِهِ الحَرَكَة الإِسْلَامِيَّة الحديثة في مصر والدول العربية المجاورة. وخوفًا من انتشار هَذَا التنظيم الآخذ في التوسع، أعلن رئيس الوزراء المصري محمود فهمي النقراشي باشا أن الإخوان جماعة غير شرعية. وصودرت ممتلكات جماعة الإخوان المسلمين وسُجن العَدِيْد من

أعضائها فغضب أتباع الحَرَكَة. ويُعتقد أن النقراشي قُتل في 28 ديسمبر 1948 على يد عدد قليل من أعضاء الإخوان. ورداً على مقتل النقراشي اغتالت الحكومة المصرية الجديدة حسن البنا في 12 فبراير 1949. وبعد ذَلِكَ واجهت الجماعة العَدِيْد من المشاكل فضلاً عن حظر أنشطتها. وقد نشأت تِلْكَ العراقيل على خلفية تدخل بريطانيا في المجتمع المصري.

عام 1954 اُتهم الإخوان المسلمين بالوقوف خلف محاولة اغتيال جمال عبد الناصر، فسُجن نحو مائة من أعضاء الإخوان الكبار لمدة خمسة عشر عامًا. ومن أشهر هَؤُلَاءِ سيد قطب الَّذِي كتب العَدِيْد من الكتب المشهورة في الفكر الإِسْلَامِيّ كما ألف كتاباً مشهوراً في التفسير بعنوان "في ظلال القرآن" وقد أُفرج عَنْهُ لفترة ثُمَّ أعيد اعتقاله، وأُعدم في 29 أغسطس 1966.

أثرت جماعة الإخوان على الدول العربية المجاورة والحركات الإِسْلَامِيَّة الأخرى في العالم الإِسْلَامِيّ. ففي سياق السعي لتمكين سلطة سياسية إسلامية، تبنى المسلمون في بلدان مختلفة بما في ذَلِكَ أَفَغَانِسْتَان وباكستان أنماطًا مماثلة لجماعة الإخوان المسلمين، ويُعرف أتباع هَذِهِ الجماعة بالإخوان.

في باكستان تُعتبر الجماعة الإِسْلَامِيَّة بقيادة مولانا المودودي من أتباع جماعة الإخوان المسلمين. وأثناء حكم ظاهر شاه في أَفَغَانِسْتَان تأسست جماعة إسلامية حركية باسم "النهضة الإِسْلَامِيَّة" خلال عام 1957 ميلاديا، لكن تعود جذور تأسيسها الحقيقي إلى عام 1952 على يد مجموعة من الطلاب المسلمين والمعلمين في كلية الشريعة في كابول. وعُرفت هَذِهِ المجموعة فيما بعد بأتباع الإخوان. وبعد الانقلاب الشُّيُوعِيّ، اعتبرت ثلاث من التنظيمات الجِهَادِيَّة نفسها الوريثة السياسية والأيديولوجية لحركة "النهضة الإِسْلَامِيَّة". وكان مؤسس هَذِهِ الجماعة هو غلام مُحَمَّد نيازي من سكان مقاطعة أندار في غزنة، وعمل رئيسًا لكلية الشريعة بجامعة كابول، وسبق أن أكمل تعليمه العالي بجامعة الأزهر في مصر.

لقد تأثر غلام نيازي بأيديولوجية الإخوان، وبدأ نوعًا مشابهًا من النضال السياسي في أَفَغَانِسْتَان. وهناك سردية أخرى مفادها أن غلام مُحَمَّد نيازي كان مصدر الفكر، بينما تلميذه

عبد الرحيم نيازي هو المؤسس. وقد قُتل الأتباع الرئيسيون لِهَذِهِ الحَرَكَة إبان حكم داوود خان والشيوعيين. كما انضم عدد قليل من العُلَمَاء إلى هَذِهِ الحَرَكَة حَيْثُ كان للأستاذ نيازي علاقات مع علماء مشهورين وأخذ بنصائحهم في العَدِيْد من القضايا.

في مراكز التعليم الحديثة برزت هَذِهِ الحَرَكَة المتأثرة بالإخوان ضِدّ الأيديولوجية اللينينية الماركسية والحركات المناهضة للإسلام الَّتِي دعمها الحكام آنذاك. وبعد الانقلاب ضِدّ داوود خان سُجن وأُعدم العَدِيْد من الأعضاء البارزين في هَذِهِ الحَرَكَة، وأُجبر بعض الأعضاء على الهجرة إلى باكستان.

عام 1978 بعد الانقلاب الشُّيُوعِيّ، لَمْ يتمكن أعضاء الحَرَكَة الإِسْلَامِيَّة من الاتحاد في تنظيم جهادي واحد حَيْثُ اعتبرت الجمعية الإِسْلَامِيَّة والحزب الإِسْلَامِيّ نفسيهما الورثة الفعليين للحركة الإِسْلَامِيَّة. وأدت تِلْكَ الخلافات إلى التنافس بين هَذِهِ التنظيمات على السلطة السياسية. وكان هناك أفراد ناشطون آخرون، ومجموعات صغيرة، وجمعيات ومنظمات لعلماء إسلاميين وشخصيات روحية، لكنهم لَمْ يكونوا مؤثرين على مستوى بارز.

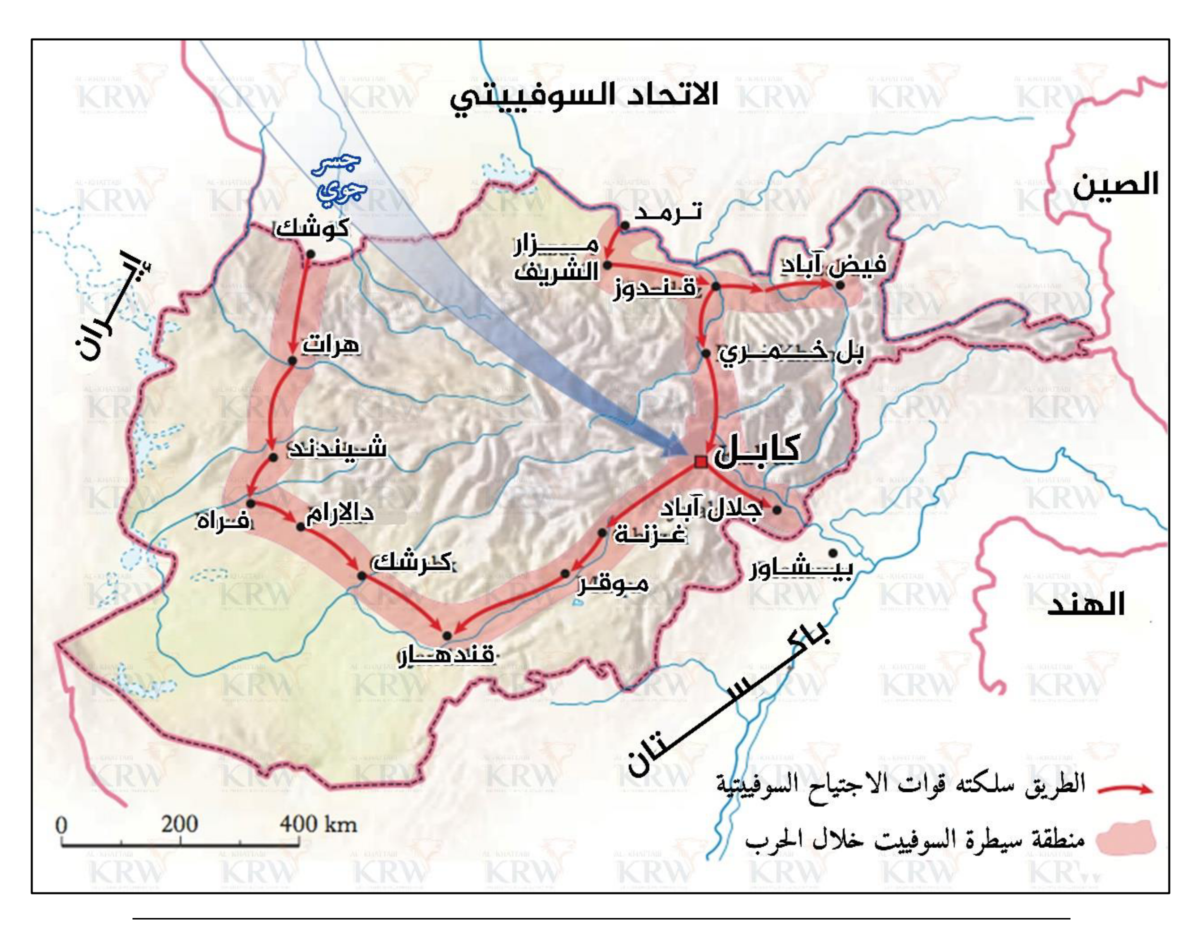
الانقلاب الشُّيُوعِيّ وبداية الجِهَاد

خلال حكم داوود خان كان الشُّيُوعِيُون في حزبي خلق وبرشم مؤثرين للغاية. خاف داوود خان من الإسلاميين ووثق بالشيوعيين. وخلال الأيام الأخيرة من حكمه ساءت علاقته مع زعيم الاتحاد السوفيتي بريجنيف. وخلال اجتماع في موسكو أعرب بريجنيف عن قلقه من تواجد فنيين تابعين للناتو في شَمَال أَفَغَانِسْتَان، فرد داوود خان عَلَيْهِ بوقاحة، وانتهت المحادثات دون نتيجة. وقرر داوود خان طرد الشيوعيين من الحكومة في ذَلِكَ الوقت، لكن سار الشُّيُوعِيُون على خطى أقدام السوفييت، وقاموا بانقلاب دموي عام 1978 بقيادة حزب خلق، وأصبحوا حكام أَفَغَانِسْتَان ثُمَّ بعد حوالي ستة عشر شهرًا ونصف قتل حفيظ الله أمين رئيس الحكومة نور مُحَمَّد تراقي واستولى على السلطة[1]، ثُمَّ قُتل حفيظ الله أمين على يد

---

1 – عام 1967 انقسم الحِزْب الماركسي "حزب الشعب الديموقراطي الأَفَغَانِيّ" إلى قسمين، حزب خلق أي الشعب بقيادة نور مُحَمَّد تراقي وحفيظ الله أمين، وحزب برشم أي البيرق بقيادة بابراك كارمل.

حـزب برشـم الشُّـيُوعِيّ، وجـاء بـابراك كرمـل مـع السـوفييت إلـى كـابول علـى مـتن الـدبابات والمدرعات، وكان هَذَا عملياً بداية غزو الاتحاد السوفياتي لأفغانستان.



القُوَات السوفييتية تدخل أَفَغَانِسْتَان

لَـمْ يكـن الشُّـيُوعِيُون علـى درايـة بأيديولوجيـة الأَفْغَـان ومعتقـداتهم وثقـافتهم، ووقفـت قلـة قليلـة مـن الشـعب إلـى جانـب الشـيوعيين مـن أجـل الأَمْـوَال والمصـالح الشخصـية أو بسـبب الخـوف. وأظهـرت غالبيـة الشـعب حساسـية تجـاه الشـيوعيين الَّـذِينَ اسـتهدفوا بوحشـية أصـحاب الأيـديولوجيات المختلفـة عـنهم أو الَّـذِينَ عارضـوهم عمليًـا كمـا اسـتهدفوا الطبقـة الدِّيْنِيَّـة، واختفـى قسـراً كُـلّ عـالم إسـلامي وشخصـية روحيـة حظيـت بـبعض القبـول العـام. فُقـد مـا يقـرب مـن مائـة ألـف شـخص مـن علمـاء الإسـلام والزعمـاء الـروحيين وأعضـاء الحركـات الإِسْـلَامِيَّة، وعرفت الأمة أخبار استشهادهم بعد أكثر من عقد من الزمان.

لعـب العُلَمَـاء الـدور الأبـرز في الجِهَـاد ضِـدّ الشـيوعيين، ففـي المنـاطق النائيـة بأَفَغَانِسْـتَان هـاجم الأَفَغَـان المباني الحكومية والمسـؤولين باسـتخدام العصـي والفـؤوس والمجـارف فقـط.

وقـاد هَـذِهِ الثـورة الملالـي المحليـون. وأثنـاء حكـم داوود خـان حـاول الإسـلاميون الأَفْغَـان المقيمـون في باكسـتان الجِهَـاد ضِـدّ الحكومـة لكنهم لَـمْ يحظـوا بتفاعـل إيجـابي مـن الشـعب. ولكـن عنـدما أعلـن الملالـي الجِهَـاد بـدأ النـاس في القِتَـال باسـتخدام الفـؤوس والعصـي. وأعطـت هَـذِهِ الثـورة الحيـاة للقـوى العالميـة المناهضـة للاتحـاد السـوفيتي الَّتِـي دعمـت بـدورها المجاهـدين ووفرت المأوى للاجئين.

تشكيل مجموعات المجاهدين في باكستان

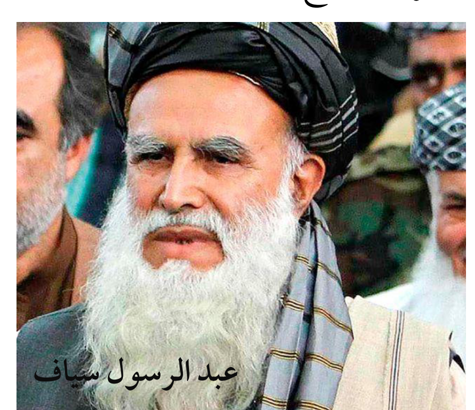
في عهـد داوود خـان اختبـأ عـدد قليـل مـن الإسـلاميين في باكسـتان حَيْـثُ بـدأوا في تنظـيم أنفسـهم لتأسـيس مقاومـة وطنيـة. واتحـدت هَـذِهِ التنظيمـات مـرتين تحـت قيـادة زعـيم واحـد ثُـمَّ انقسـمت مـرة أخـرى. فبعـد انقـلاب عـام 1978 تطلـع برهـان الـدين ربـاني وقلـب الـدين حكمتيـار ومَوْلَـوِي مُحَمَّـد يـونس خـالص ومَوْلَـوِي جـلال الـدين حقـاني ومَوْلَـوِي نصـر الله منصـور وأصـدقاؤهم إلـى تأسـيس جماعـة جهاديـة منظمـة وموحـدة. ونتيجـة لجهـود العُلَمَـاء اتفقـوا علـى التوحـد في ذَلِـكَ العـام تحـت قيـادة مَوْلَـوِي مُحَمَّـد نبـي محمـدي ضـمن تنظـيم "حركـة الانقـلاب الإِسْـلَامِيّ" ثُـمَّ انقسـم هَـذَا التحـالف عنـدما انسـحب مِنْـهُ ربـاني وحكمتيـار في نفـس العـام، لكـن معظـم العُلَمَـاء ظلـوا في تنظـيم مَوْلَـوِي مُحَمَّـد نبـي في حـين انفصـل مَوْلَـوِي مُحَمَّـد يـونس خـالص عن الآخرين.

عـام 1979 ذهـب عبـد الرسـول سـياف إلـى بيشـاور، وجـرى تشـكيل تحـالف بـين الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ بقيـادة حكمتيـار، والجمعيـة الإِسْـلَامِيَّة، والحـزب الإِسْـلَامِيّ جنـاح مَوْلَـوِي يـونس خـالص. واختيـر سـياف كـزعيم لِهَـذَا التحـالف المؤقـت. لكـن بعـد بضـعة أشـهر اتهمـت التنظيمـات الَّتِـي اتحـدت معـا سـياف بالفسـاد المـالي، وانقسـم هَـذَا التحـالف. وكتـب مَوْلَـوِي خـالص عـن هَـذَا مقالاً في إحدى المجلات بعنوان "الشعور بالمسؤولية هو الضامن للسلامة".

أسـس سـياف تنظيمـاً خاصـاً بـهِ باسـم "الاتحـاد الإِسْـلَامِيّ" بالتنسـيق مـع باكسـتان وقـوى أجنبيـة وعربيـة، وحصـل علـى أمـوال ضـخمة وأسـلحة. وفي البدايـة لَـمْ يكـن لتنظيمـه دوراً رئيسـياً في أَفَغَانِسْـتَان. لكـن القـادة الَّـذِينَ تركـوا جماعـاتهم بسـبب نقـص الأَمْـوَال والأسـلحة انضـموا إلـى تنظـيم سـياف. وخـلال الأيـام الأخيـرة للجهـاد بـرز عـدد قليـل مـن القـادة مـن جماعـة سـياف. وقـد

واجه سياف نقصاً في القوى العاملة، لكن توافر لديه ما يكفي من الأسلحة والأَمْوَال. وكان هناك عدد قليل من القادة الميدانيين يبحثون عن هَذَا الأمر، وقد حصل القليل منهم على أسلحة، وباعوها فيما بعد مقابل المَال. كَانَت هَذِهِ الجماعة مصدرًا جيدًا لمثل تِلْكَ الأنشطة.

ومن بين نجاحات سياف أنه نجح في جذب المجاهدين العرب عبر صنع رمزية شعبية لَهُ في العالم العربي. وقد فتحت صداقته مع العرب خاصة علاقته الوثيقة مع الشيخ عبد الله عزام الباب أمام الدعم المقدم لَهُ من الحكومات والجمعيات الخيرية. وفي الاجتماعات الخاصة وفاعليات التمويل طلب سياف الأَمْوَال كممثل لجميع المجاهدين لكنه احتفظ بمعظم الأَمْوَال لصالح جماعته.


عبد الرسول سياف

منذ أن كان للملالي وأتباعهم دوراً رئيسياً في الانتفاضة الجماهيرية، تمتعت كُلّ مجموعة لديها عدد أكبر من الملالي بالقوة في البداية، ثُمَّ انضم معظم طبقة الملالي إلى "حركة الانقلاب الإِسْلَامِيّ" بقيادة المُلَّا مُحَمَّد نبي لأنها جماعة حظيت بدعم شعبي أكبر من الجماعات الجِهَادِيَّة الأخرى. ولكن بسبب أوجه القصور لديها من قبيل عدم الانضباط والاضطراب ونقص الأسلحة والخلافات الداخلية نمت هَذِهِ الجماعة بِشَكلٍ أضعف، وانضم العَدِيْد من قادتها إلى الجماعات الأخرى الأكثر ثراءً.

أما التنظيم الكبير رقم اثنين في الساحة فكان الجمعية الإِسْلَامِيَّة بقيادة برهان الدين رباني، حَيْثُ برز فِيْهَا قادة مؤثرون مثل أحمد شاه مسعود وإسماعيل خان ثُمَّ يأتي الحِزْب الإِسْلَامِيّ بقيادة حكمتيار في المرتبة الثالثة، وبقي كَذَلِكَ حَتَّى النهاية.

في بيئة باكستان المليئة بالدعاية قُدم الحِزْب الإِسْلَامِيّ باعتباره المنظمة الرئيسية الرائدة. وقدمت باكستان والداعمون الآخرون أموالاً ضخمة لَهُ وأسلحة تفوق طاقته. لقد كان الحِزْب قوياً جدًا في دعايته، كما حظي بدعم عدد قليل من الجماعات والجهات البَاكِسْتَانِيَّة.

منذ أن راقب العالم المجاهدين في بيشاور تبنى بعض الأجانب أيضًا وجهات نظر مماثلة حَتَّى أن الجنرال الروسي ألكسندر مايوروف أخطأ في مذكراته خلال حديثه عن حكمتيار، فحين كتب عن معركة السوفييت في قندهار الَّتِي استمرت أربعين يوما ضِدّ المُلَّا النقيب ومجموعة أخرى من "حركة الانقلاب الإِسْلَامِيّ" قَالَ إن تِلْكَ المعركة كَانَت عنيفة للغاية لأن حكمتيار جاء بنفسه إلى ساحة المعركة، لكن الجميع في قندهار يعلمون أن القُوَات الَّتِي قاتلت تشكلت من مقاتلي المُلَّا نقيب ومجاهدي "حركة الانقلاب الإِسْلَامِيّ" الآخرين. فقد كسر الحصار المُلَّا بورجان من بانجواي، وكان المُلَّا نقيب مرتبطًا بحركة "الانقلاب الإِسْلَامِيّ" ثُمَّ انضم لَاحِقًا إلى الجمعية الإِسْلَامِيَّة. وبالمثل، فإن تدمير الدبابات والمروحيات في بعض المناطق كان من عمل مجموعات أخرى، لكن أعضاء الجناح الإعلامي في الحِزْب الإِسْلَامِيّ التابع لحكمتيار نشروا صوراً للمعدات المدمرة في مجلاتهم الأسبوعية وغيرها، وادعوا وقوفهم خلف استهدافها. وهَذَا هو السبب في أن الحِزْب الإِسْلَامِيّ عُرف بأنه جماعة متشددة بارزة في بيئة بيشاور، لكن الواقع كان مختلفًا تمامًا.

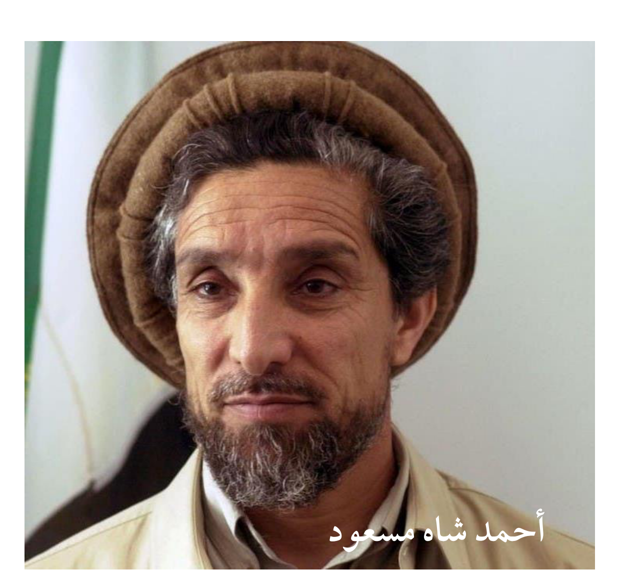
برهان الدين رباني

على مستوى المجتمع في أَفَغَانِسْتَان، كان لدى "حركة الانقلاب الإِسْلَامِيّ" وحكمتيار ويونس خالص أكثر من 60٪ من المجاهدين في حين أن الجمعية الإِسْلَامِيَّة داخل أَفَغَانِسْتَان لَمْ يكن لديها ما يصل إلى 20٪ منهم. لكن الجمعية كَانَت مميزة بسبب وجود قائدين كبيرين مثل أحمد شاه مسعود وإسماعيل خان، وكذلك من خلال التحكم في تجنيد



قلب الدين حكمتيار

الحكومة –عندما شكلوها– لقادة جدد بسبب مواردها المالية.

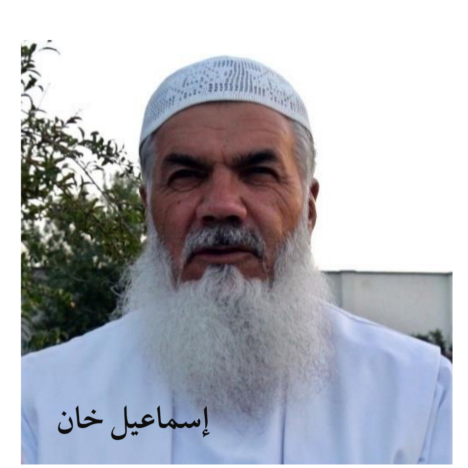


لَـمْ يُنسـب أحمـد شـاه مسـعود وإسـماعيل خـان سـوى إلـى كونهمـا مـن الجمعيـة حَيْـثُ اعتـبرا نفسـيهما قـوى منفصلـة علـى المسـتوى المركـزي. وأطلـق مسـعود علـى منظمتـه اسـم "شـورى نظـار"[1] فيمـا قـاد إسـماعيل خـان مجلـس شـورى آخـر تواجـد في ثـلاث محافظات.

تظهـر قـوة وشـعبية مسـعود وخـان أيضًـا في أنهمـا أجـبرا قـادة صـغار مـن الجمعيـة الإِسْـلَامِيَّة والجماعـات الأخـرى علـى اتباعهم باسـتخدام تكتيكـات مختلفـة، حَيْـثُ يـتردد أنهمـا أعـدما بعـض القـادة الصـغار بسـبب معارضـتهم لهمـا. ويُعتقـد أن إسـماعيل خـان قَتَـلَ في ظـروف غامضـة بعـض القـادة مـن هـرات وبـادغيس. كمـا أُتهـم مسـعود بقتـل العشـرات مـن القـادة بـدءاً مـن الأيـام الأولـى للجهـاد، حَيْـثُ اتُهـم بقتـل نائبـه أمـير بهلـوان أحمـد جان بحجة ضلوعه في مؤامرة ترتبط بالحكومة.

1– يُعـرف باسـم مجلـس الإشـراف علـى الشَّـمَال، وقـد تأسـس عـام 1984 في مقاطعـات تخـار وبـدخان وبلـخ وقنـدوز الشمالية، وضم حوالي مئة وثلاثين من قادة الجِهَاد من اثنتي عشرة منطقةً بشمال وشَرْق ووسط أَفَغَانِسْتَان.

تحـول الصـراع بـين الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ والجمعيـة الإِسْـلَامِيَّة مـن الاشـتباك الإعلامي إلى العَسْكَرِيّ[1]


إسماعيل خان

بـدأ الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ والجمعيـة الإِسْـلَامِيَّة في البداية حربـًا سياسية ودعائية ضِدّ بعضهما البعض ثُـمَّ تحـول الأمـر لَاحِقًـا إلـى نـزاع مسلح. (فقبل عام من الانقلاب الشُّيُوعِيّ في أَفَغَانِسْتَان انضم أعضاء ينتمون إلى حركات مختلفة ممن فروا من داوود خان إلى حزب واحد ثُمَّ انشق رباني وحكمتيار فيما بعد عن الحِزْب المذكور. وقد حاول حكمتيار قتل رباني وأحمد شاه مسعود عبر الترتيب لإطلاق النار في بيشاور على منزل القائد المجاهد الشهير آدم خان. وبحسب الأستاذ ياسر[2] ومحمد زمان مزمل، كان مسعود ورباني لحظة الهجوم ضيوفًا على آدم خان. وقد أعطى حكمتيار مسدسات للحاج دين مُحَمَّد ومَوْلَوِي سرفراز ومَوْلَوِي زاهد لقتلهما، ولكن عندما أدرك آدم خان الموقف، تمكن من حماية رباني ومسعود في الوقت المناسب)[3].

بعد تفكك الاتحاد السوفياتي شَمَال أَفَغَانِسْتَان، قتل قادة الحِزْب الإِسْلَامِيّ خصومهم حَيْثُ استهدفوا مجموعة من قادة أحمد شاه مسعود. (رد أحمد شاه مسعود على الحادث بقتل القائد الشهير بالحزب الإِسْلَامِيّ سيد جمال)[4]. وبدأت الحرب بين الأحزاب الجِهَادِيَّة بعد تِلْكَ الأحداث، وأثرت الخلافات كَذَلِكَ على ساحة المعركة الدعائية في بيشاور. فقد نشر الحِزْب الإِسْلَامِيّ والجمعية الإِسْلَامِيَّة كتبًا ومجلات ضِدّ بعضهما البعض واستخدما لغة

---

1 – عنوان هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية هو الصراع بين الحِزْب الإِسْلَامِيّ والجمعية الإِسْلَامِيَّة.

2 – قيادي سابق بالجمعية الإِسْلَامِيَّة عمل وزيرا للإعلام في حكومة أحزاب المجاهدين ثُمَّ انضم لَاحِقًا إلى طَالِبَان عندما ظهرت، حَيْثُ تولى منصب رئيس اللجنة الثقافية بالحَرَكَة، ثُمَّ اعتقل مرتين عقب الغزو الأمريكي، ويتردد أنه توفي في المعتقل.

3 – هَذِهِ الفقرة وردت في النسخة الإنجليزية فقط.

4 – هَذِهِ الفقرة وردت في النسخة الإنجليزية فقط.

بذيئـة. ولَـمْ يسـتطع أي قـارئ لتلـك المنشـورات أن يعتقـد أنهـا مكتوبـة بيـد جماعـة جهادية فقـد تجـاوزوا الحـدود الأخلاقيـة عـبر تضـمين ادعـاءات جنسـية في دعـايتهم. لقـد قـرأت مـوادهم المنشـورة خـلال طفـولتي في بيشـاور، وكَانَـت تتضـمن أشـياء لا يسـتطيع كاتـب مسـلم أن يكتبهـا أو أن يناقشها بالتفصيل.

لَـمْ تكتـف الصـحيفة اليوميـة للحـزب الإِسْـلَامِيّ الصـادرة في بيشـاور باسـم "شـهادت" باسـتخدام لغـة بذيئـة ضِـدّ الجمعيـة الإِسْـلَامِيَّة بـل فعلـت ذَلِـكَ أيضـاً ضِـدّ الجماعـات الجِهَادِيَّـة الأخـرى. فعـام 1989 نشـرت صـحيفة "شـهادت" صـورة لفتـاة أفغانيـة تقـف بجانـب رجـل إنجليـزي قائلـة: "إنهـا ابنـة زعـيم جماعـة ملـي نجـات - جبهـة التحريـر الـوطني - صـبغة الله مجـددي". في ذَلِـكَ الوقـت، كـان مجـددي زعيمًـا للحكومـة الانتقاليـة بـالمنفى في باكسـتان. ورغـم أنه جرى التأكيد في اليوم التالي على أن مجددي ليس لديه ابنة، فَلَمْ تعتذر الصحيفة.

هَـذِهِ المعارضـة اللاذعـة وتلـك الإخفاقـات الأخلاقيـة حوّلـت كـابول إلـى رمـاد. فمـن ناحيـة أخـرى اتُّهـم عناصـر مـن اسـتخبارات الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ بقتـل المجاهـدين المنافسـين والقـادة والمـواطنين والعُلَمَـاء. وقـد أخـبرني مهنـدس صـديق ذات مـرة قصـة عـن جلوسـه في سـيارة مـع الحـاج مالـك مسـؤول الاسـتخبارات رفيـع المسـتوى بـالحزب الإِسْـلَامِيّ. حَيْـثُ أشـار الحـاج مالـك إلـى منـزل في بيشـاور ضـاحكًا، وقَـالَ إن أهـل هَـذَا المنـزل لا يعرفـون عـدد الأشـخاص الَّـذِينَ قتلـتهم ودفنـتهم في باحتـه. فقـد سـبق أن اسـتأجر هَـذَا المنـزل وقتـل العَدِيْـد مـن الأشـخاص ودفـنهم فِيْهِ.

(بـرز حكمتيـار بفضـل التنظـيم الجيـد لحزبـه فضـلاً عـن كونـه قائـداً نشـيطًا، لكنـه زرع بـذور عـدم التسـامح في الثقافـة الجِهَادِيَّـة في أَفَغَانِسْـتَان حَيْـثُ كـان عـدوانيًا للغايـة في السياسـة والدعايـة. ولقـد عامـل منافسـيه مـن المجاهـدين بوحشـية في كُـلّ مـن الجَـيْش والاسـتخبارات. وخـلال الأيـام الأولى للحرب اعتبر خصومه السياسيين والعسكريين شيئًا واحدًا)[1].

1- وردت هَذِهِ الفقرة في النص الإنجليزي للكتاب ولَمْ ترد في النسخة الأصلية بالبشتو.

دور العُلَمَاء وطلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة في الجِهَاد ضِدّ الاتحاد السوفيتي

كَانَت الطبقة الدِّيْنِيَّة -وخاصة الملالي الَّذِينَ حصلوا على بعض الدعم العام- الهدف الأول بعد الانقلاب الشُّيُوعِيّ. فقد صرح الشُّيُوعِيُون الأَفْغَان علانية بأن الشُّيُوعِيَّة نجحت في الاتحاد السوفياتي بعد أن قتل ستالين 20 مليونا من الروس. ومن ثُمَّ قالوا سنقتل أيضًا بضعة ملايين من الأَفْغَان. لكن في أَفْغَانِسْتَان احتاجوا إلى قتل المزيد من الناس، حَيْثُ لَمْ يكن الشعب مستعداً لقبول الشُّيُوعِيَّة، وبالتالي أصبح من المفترض عقاب أكثر من 90٪ من الشعب الأَفْغَانِيّ. نفذ الشُّيُوعِيُون فلسفة ستالين إلى حد ما، بقتل الأَفْغَان الأبرياء بما فيهم أئمة المساجد والفقراء وعمال المزارع. ولو أَخَّرَ الأَفْغَان ثورتهم ضِدّ الشيوعيين لربما أفسحوا الطريق أمامهم لتنفيذ خطتهم بقتل بضعة ملايين من الأَفْغَان.

قُتل أكثر من مليون أفغاني أثناء معارضة الشيوعيين، معظمهم دفاعًا عن النفس أو خلال المقاومة بدلاً من التعرض للأسر. واقتُلعت الشُّيُوعِيَّة من أَفْغَانِسْتَان ودول أخرى بسبب تِلْكَ التضحيات. شكّل العُلَمَاء المسلمون جزءًا كبيرًا من أولئك الَّذِينَ خاضوا النضال العَسْكَرِيّ والسياسي ضِدّ الشُّيُوعِيَّة. ولَاحِقًا ظهرت حركة طَالِبَان إلى الوجود كاستمرار لنفس النضال.

الصراع العَسْكَرِيّ

لقد دُعي الشعب للانخراط في الجِهَاد والثورة الوطنية من قبل الملالي المدعومين من عامة الناس. ففي بكتيا كان القادة كُلّ من مَوْلَوِي جلال الدين حقاني ومَوْلَوِي نصر الله منصور ومطيع الله خان ومَوْلَوِي فريد محمود والعَدِيْد من العُلَمَاء الآخرين. وفي غزني: قاري بابا ومَوْلَوِي حياة الله (مُلَّا كاكا) ومَوْلَوِي جل مُحَمَّد ومَوْلَوِي نيك مُحَمَّد ومَوْلَوِي بهادر خان ومَوْلَوِي مؤذن ومَوْلَوِي عبد الحكيم ومَوْلَوِي عبد الرحمن ومَوْلَوِي فقير والمُلَّا فيض الحق (أمير مقاطعة ناوه) والمولوي عبد السَّلَام، قاري عبد الله دانش وقاري عبد الله من جناح آباد، فضلاً عن العَدِيْد من العُلَمَاء المعروفين وطلبة العُلُوم الشرعية والقراء.

في كـابول كـان مَوْلَـوِي شـفيع الله وشـقيقه مَوْلَـوِي صـديق الله مـن الجهـاديين المشـهورين. وقـد بـدأ القـادة التـابعين لمولـوي مُحَمَّـد يـونس خـالص مثـل المُـلَّا موسـى كلـيم الجِهَـاد في ولايـة زابـل، وكـان معظـم أفـراد مجموعـة المُـلَّا موسـى كلـيم مـن طلبـة العُلُـوم الشـرعية. وكـذلك المُـلَّا مـدد خـان قبـل استشـهاده. ومـن بـين طلبـة العُلُـوم الشـرعية المُـلَّا عبـد السَّـلَام راكتـي والمُـلَّا عبـد الكـريم والمُلَّا عبد القهار وزعيم طلبة العُلُوم الشرعية "طَالِبَان" في شاجوي المُلَّا عبد الغني.

كـان للمولـوي مُحَمَّـد يـونس خـالص التـأثير الأكـبر في ننجرهـار، بينمـا كـان للمولـوي جميـل الـرحمن العَدِيْـد مـن أعضـاء جماعتـه في كونـار. وفي لغمـان كـان مَوْلَـوِي عبـد الـرحيم حنفـي مجاهـدا شـهيرًا قبـل أن يُقتـل علـى يـد الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ. وفي لـوغر تـزعم مَوْلَـوِي عبـد الأحمـد (المعـروف باسـم الحـاج عبـد الأحمـد) حركـة الانقـلاب الإِسْـلَامِيّ بالمنطقـة. وأيضـًا قـاد المُـلَّا خوشـحال والمُـلَّا داوود ومَوْلَـوِي منـور والمُـلَّا كاتـب (الَّـذِي شـغل منصـب حـاكم لـوغر أثنـاء حكـم ربـاني) والعَدِيْد من العُلَمَاء وطلبة العُلُوم الشرعية جبهات وجماعات جهادية معروفة.

كـان مـن بـين العُلَمَـاء المسـلمين المشـهورين مـن لـوغر في السـاحة السياسـية في بيشـاور: مَوْلَـوِي مُحَمَّـد نبـي محمـدي أميـر حركـة الانقـلاب الإِسْـلَامِيّ، وهـو مـن سـكان عبـاس قلعـة. كَـذَلِكَ مـن الشخصـيات الَّتِـي تسـتحق الـذكر كـلاً مـن مَوْلَـوِي ظبطـو خـان ومَوْلَـوِي مُحَمَّـد ميـر ومَوْلَـوِي موسـى جـان ومَوْلَـوِي فضـل أحمـد ومَوْلَـوِي هاشـمي ومَوْلَـوِي سـيد أكـبر ديـلاوار والـد مَوْلَوِي شهاب الدين ديلاوار القيادي بِطَالِبَان ومولوي فرقاني.

في قنـدهار بـرز المُـلَّا نقيـب الله والمُـلَّا مـالانج، ولالا مـالانج ، والمُـلَّا مُحَمَّـد ربـاني، والمُـلَّا بورجـان، والحـاج مُـلَّا مُحَمَّـد، والمُـلَّا نيـك مُحَمَّـد، والمُـلَّا عبيـد الله، والمُـلَّا مُحَمَّـد صـادق، والمُـلَّا يـار مُحَمَّـد، والمُـلَّا حفـيظ الله أخونـد زاده، والمُـلَّا مُحَمَّـد عُمَـر مجاهـد، والمُـلَّا نـور الـدين ترابـي، والمُـلَّا عبـد الغنـي بـرادر، والمُـلَّا مشـر، والمُـلَّا مُحَمَّـد حسـن رحمـاني، ومَوْلَـوِي حمـد الله نـاني، مَوْلَـوِي نسـيم، مُـلَّا مُحَمَّـد عبـاس، والمُـلَّا مُحَمَّـد غـوث، وغيـرهم الكثيـر مـن الملالـي وطلبـة العلـم المشـهورين الَّـذِينَ إمـا كَانَـت لـديهم جبهـات يقاتـل فِيْهَـا طلبـة العُلُـوم الشـرعية أو قـادوا مجموعـة جهاديـة أو انشـغلوا بالجهـاد في جبهـات أخـرى كنـواب للقـادة أو كمقـاتلين منخـرطين في الجِهَاد.

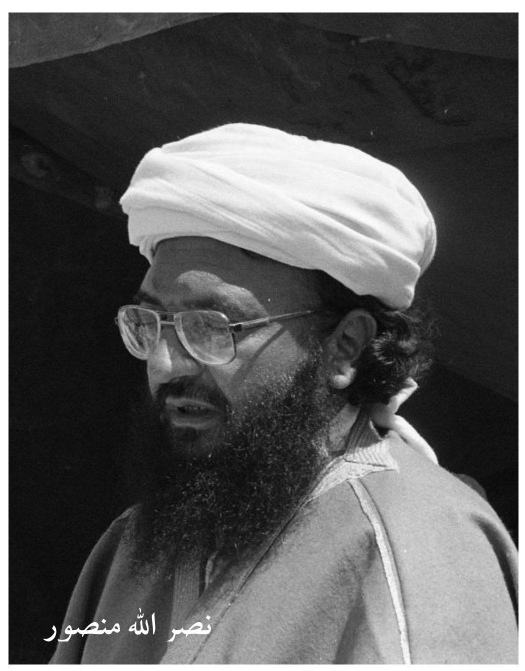
في هلمند كَانَت هناك مجموعات شهيرة مثل: نسيم آخوندزاده، والرئيس المُلَّا عبد الواحد، ومَوْلَوِي عطاء مُحَمَّد، ومَوْلَوِي باز مُحَمَّد. وفي أوروزجان المُلَّا عبد الرحيم، ومَوْلَوِي عبد الغني، والمُلَّا عبد الله، والمُلَّا مُحَمَّد شفيق، والمُلَّا عبد الملك، والمولوي عبد الجبار، والمُلَّا روى مُحَمَّد، والمُلَّا مُحَمَّد عباس، والقائد عبد الودود، وملا مُحَمَّد صادق، وملا مشر، ومَوْلَوِي مُحَمَّد شريف وغيرهم.

كان لمولوي جلال الدين حقاني ومَوْلَوِي نصر الله منصور نفوذاً في خوست وبكتيا، بينما امتلك مَوْلَوِي منصور نفوذاً في بكتيكا وغزنة. وحاز مَوْلَوِي جلال الدين حقاني قوة جهادية رئيسية في المنطقة، فهو عالم إسلامي بارز ولديه مدرسة كبيرة عبر الحدود الأَفْغَانِيَّة البَاكِسْتَانِيَّة، وقاتل على خط المواجهة، وكان معظم مقاتليه وقادته من طلاب العُلُوم الشرعية ومن أبرز قادته المُلَّا رحيم الله (زدران)، والمُلَّا دين مُحَمَّد، والمُلَّا شاه زاده من قندهار، والمُلَّا بدر الدين من بكتيا، والمُلَّا داروخان والمُلَّا شاولي من غزنة.

في الجَنُوب والجَنُوب الغربي، كان الناس على دراية بالمجموعات المسلحة التابعة لطلاب العُلُوم الشرعية وعاداتها وسماتها وخصائصها. لكن بسبب الدعاية أو الافتقار إلى المعرفة اعتبر عدد قليل من الناس أن طلبة العُلُوم الشرعية ينتمون إلى جماعات متشددة أو جهادية تابعة لدولة أخرى.

ولعب المقاتلون من طلبة العُلُوم الشرعية في تِلْكَ الجبهات دور النواة لحركة طَالِبَان. حَيْثُ تعرف عليهم الناس والمجاهدون في مناطقهم ورأوا أخلاقهم وبراعتهم القتالية. ودعمتهم الجماهير على الفور، ولَمْ يتمكن المجاهدون والملالي الَّذِينَ حادوا عن الطريق الصحيح من مواجهتهم حَيْثُ استمروا في المقاومة لفترة محدودة للغاية، وفضلوا الهرب لَاحِقًا.

الهياكل السياسية


نصر الله منصور

كـان لتنظـيم "حركـت" أي حركـة الانقـلاب الإِسْـلَامِيّ بقيـادة مَوْلَـوِي مُحَمَّـد نبـي محمـدي هـيكلاً سياسـيًا دائمـًا يُسـمى جمعيـة "طلبـة حركـت"، وكـان رئيسـها يُعـرف باسـم رئيـس الطلبـة. وباسـتثناء نضـال الجمعيـة في مجـال الدراسـات الدِّيْنِيَّـة والمنشـورات والتربيـة السياسـية، لَـمْ يكـن لَهَـا أي تـأثير علـى قـادة الحَرَكَـة الميـدانيين ومقـاتليهم داخـل أَفَغَانِسْتَان. وكـان لـديها مكاتـب في بيشـاور وكويتـا. وقـد تبـع طلبـة العُلُـوم الدِّيْنِيَّـة مـن المقاطعـات الوسـطى والشـرقية والجنوبيـة الشـرقية مكتـب بيشـاور، بينمـا تبـع طلبـة المنطقـة الغربيـة والجنوبية الغربية والجنوبية مكتب كويتا.

وقـد تـولى مَوْلَـوِي وكيـل أحمـد متوكـل رئاسـة مكتـب كويتـا، في حـين تـولى مَوْلَـوِي إحسـان الله إحسـان رئاسـة إقلـيم قنـدهار. وقـد أصـبحا فيمـا بعـد شخصـين معـروفين في حركـة طَالِبَـان. وكـان لجمعيـة ‘"طلبـة حركـت" قـادة في الولايـات أيضًـا. وتمثـل الهـدف الرئيسـي للجمعيـة في خلـق وعـي بـين المتـدينين مـن طلبـة العُلُـوم الدِّيْنِيَّـة حـول السياسـة الإقليميـة والدوليـة، وعقـد لقـاءات ونقاشـات حول القضايا المهمة، وترتيب البرامج التعليمية.

لَـمْ يكـن دور جمعيـة الطلبـة قويـًا ومنظمـًا في تنظـيم مَوْلَـوِي مُحَمَّـد نبـي محمـدي لأن اهتمـام القِيَـادَة بهَـا لَـمْ يكـن دائمـًا. ومـن ثُـمَّ أسـس مَوْلَـوِي نصـر الله منصـور "مجموعـة حركـت" منفصـلة. وكَانَـت المجموعـة الَّتِـي أسسـها نشـطة وفعالـة لأن مَوْلَـوِي منصـور وثـق في طـلاب المَـدَارِس الدِّيْنِيَّـة، واعتـبر هَـذَا الجيـل الشـاب بمثابـة قـادة المسـتقبل لأفغانسـتان. وكـرر في بـرامج التـدريب

والاجتماعـات أن هَـذَا الجيـل الـديني الجديـد يمكـن أن يلعـب دورًا خاصـاً في السياسـة المسـتقبلية لأفغانستان.

نظـم نصـر الله منصـور هَـذَا الهيكـل السياسـي الجديـد الَّـذِي أطلـق عَلَيْـهِ "تنظـيم الطلبـة"، وضـم شـيوخًا مـن جميـع الولايـات بالإضـافة إلـى منـاطق بـارزة مـن باكسـتان، وشـكل الأَفَغَـان أغلبيـة فِيْـهِ. وقـدم التنظـيم الجديـد بـرامج تعليميـة أسـبوعية لتجنيـد أو جـذب الطـلاب مـن المَـدَارِس العصـرية والدِّيْنِيَّـة. وعـين طلابـاً مـن الجامعـات والمَـدَارِس العصـرية كقـادة في بعـض المجـالات. وقـاد هَـؤُلَاءِ الشـباب وألقـوا دورات في التربيـة السياسـية ومحاضـرات أمـام الآلاف مـن الحاضـرين حـول قضـايا تاريخيـة وحـوادث مهمـة. ووجـه مَوْلَـوِي منصـور طلابـه لـتعلم اللغتـين الإنجليزيـة والعربيـة الأمر الَّذِي جعل العَدِيْد من كبار الملالي ينتقدونه.

نشـر "تنظـيم الطلبـة" ثـلاث أو أربـع منشـورات، وكـان أحـد هَـذِهِ المنشـورات ذائـع الصـيت بـين المنشـورات الصـادرة في بيشـاور، وقـد صـدر في شـكل مجلـة أسـبوعية تسـمى "كـوثر" بقيـادة مُحَمَّـد أمـين فـروتن الَّـذِي شـغل منصبـاً قياديـاً في الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ ثُـمَّ تـرك الحِـزْب فيمـا بعـد لأسـباب معينـة، وانضـم إلـى المَوْلَـوِي منصـور نائبـاً لَـهُ. وفي ظـل انتقـاده لحكمتيـار في مجلـة "كـوثر" حاولـت اسـتخبارات الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ قتلـه لكنـه نجـا وأصـيب بجـروح خطيـرة في الـرأس منعتـه مـن مواصلة نشاطه.

مـن رحـم "تنظـيم الطلبـة" بـرز العَدِيْـد مـن الأشـخاص ممـن كـانوا قـادرين علـى القيـام بأعمـال إداريـة لَاحِقَـاً في حكومـة ربـاني وحكومـة طَالِبَـان حَتَّـى أنـه قيـل في عهـد نظـام طَالِبَـان أن فلانـاً يفهـم الإدارة لأنه قضى وقتاً في تنظيم مَوْلَوِي منصور.

وقـد شـارك شـباب مـن حركـة الانقـلاب الإِسْـلَامِيّ والحـزب الإِسْـلَامِيّ في جلسـات مَوْلَـوِي نصـر الله منصـور التعليميـة حـول السياسـة والتعلـيم. لِـذَلِكَ كـان منصـور مـؤثراً للغايـة في صـفوف طلبـة العُلُـوم الدِّيْنِيَّـة الَّـذِينَ انضـموا لَاحِقَـاً إلـى حركـة طَالِبَـان، ومـن ثُـمَّ اسـتخدم العَدِيْـد مـن شـبابها اسم "منصور" كاسم مستعار في أسمائهم.

ومـن الشخصـيات الشـهيرة في حركـة طَالِبَـان مـن أتبـاع مَوْلَـوِي نصـرالله منصـور: مَوْلَـوِي مُحَمَّـد طـاهر أنـوري (وزيـر الماليـة ووزيـر التخطـيط)، ومَوْلَـوِي عـارف الله عـارف (محـافظ غزنـة ووكيـل وزارة الماليـة) قـاري أحمـد الله (قائـد الشـرطة في ولايـات قنـدهار وزابـل ونمـروز، ووزيـر الداخليـة ورئـيس الاسـتخبارات في عهـد طَالِبَـان)، ومَوْلَـوِي رحـيم الله زرمتـي (نائـب وزيـر الإعـلام والثقافـة)، مَوْلَـوِي أحمـد جـان (وزيـر الكهربـاء، والمنـاجم والصـناعات) ومَوْلَـوِي إسـحاق أخونـد زاده (والـي لغمـان)، المهنـدس عبـد الله جـل ريـان (رئـيس مفوضـية حقـوق الإنسـان)، والأسـتاذ فـيض أحمـد فـيض (المتحـدث الرسـمي باسـم وزارة الخارجيـة)، وعبـد الغفـور أفغـاني (المتحـدث باسـم وزارة الخارجيـة)، وعبـد الحكـيم مجاهـد (ممثـل طَالِبَـان في نيويـورك والسـفير الأَفْغَـانِيّ في إسلام أباد) وعدد قليل آخر من ذوي المناصب الرفيعة.

(كَـذَلِكَ كَانَـت عائلـة السـيد مُحَمَّـد طيـب آغـا ومجمـوعتهم مرتبطـة أيضـا بمولـوي نصـر الله منصـور، ولكـن عنـدما توقـف توريـد الأسـلحة لمجموعـة مَوْلَـوِي منصـور، انضـموا إلـى تنظـيم الاتحاد الإِسْلَامِيّ مثل العَدِيْد من المجموعات الأخرى)[1].

وقـد أنشـأ الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ والاتحـاد الإِسْـلَامِيّ والمـلا نجـات (جبهـة التحريـر الـوطني الأَفْغَـانِيّ بقيـادة صـبغة الله مجـددي) هياكـل سياسـية مماثلـة لمـا أسسـه مَوْلَـوِي منصـور. ففـي بدايـة التسـعينيات في بيشـاور أرادت الطبقـة الدِّيْنِيَّـة أن تشـرع في تأسـيس حركـة ومبـادرة دائمـة وجماعـة إصـلاحية في أَفْغَانِسْـتَان. فـاتفقوا وأسسـوا تنظيمًـا يسـمى جمعيـة "طلبـة أهـل السـنة"، وعقـدوا اجتماعـات أسـبوعية، وعينـوا قـادة ونوابًـا لِكُـلِّ ولايـة. وبمـرور الوقـت اكتسـب التنظـيم أتباعًـا كمـا تبعـه أشـخاص في صـمت داخـل أَفْغَانِسْـتَان. وكُـلّ الأعضـاء أو غـالبيتهم بِشَـكلٍ أدق كـانوا لاجئـين في باكسـتان. وفي وقـت لاحـق ظهـر عـدد قليـل مـن كـوادر طَالِبَـان ممـن تعـود جـذورهم إلـى هَـذِهِ المجموعـة مثـل مَوْلَـوِي عبـد الحكـيم شـرعي رئـيس جمعيـة طلبـة أهـل السـنة في خوسـت، والَّـذِي أصـبح فيمـا بعـد قائـداً لشـرطة خوسـت، ونفـذ إجـراءات أمنيـة جيـدة مقارنـة بنظرائـه. وقـد حـل تنظيمـه وضـمه إلـى حركـة طَالِبَـان عنـدما وصـلت إلـى خوسـت. كمـا تـولى حكـم ولايـة خوسـت لـبعض الوقـت خـلال عهـد طَالِبَـان. وبفضـل جهـود بعـض العُلَمَـاء المسـلمين توحـد تنظـيم مَوْلَـوِي

---

1 – هَذِهِ الفقرة وردت في النص الإنجليزي للكتاب ولَمْ ترد في النسخة الأصلية بالبشتو.

مُحَمَّد نبي محمدي وتنظيم مَوْلَوِي نصر الله منصور في النهاية. واختير محمدي كقائد ومنصور كنائب لَهُ. كما اندمج تنظيم الطلبة وجمعية الطلبة معا.

تشكيلات طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة من غزنة إلى زابل قبل تأسيس حركة طَالِبَان في قندهار[1]

قبل سنوات قليلة من ظهور حركة طَالِبَان في بكتيكا وغزنة وزابل، بدأ طلاب العُلُوم الدِّيْنِيَّة حراكًا من أجل تحقيق السَّلَام والعدالة والأمن. فعُقدت اجتماعات كبيرة في البداية، وطلبوا فيما بعد دعم قادة المناطق الَّتِي تواجدوا فِيْهَا. وعندما أخلت حكومة نجيب الله عددًا قليلاً من المقاطعات لتسيطر فقط على مراكز الولايات اندلع صراع بين القادة في غزني وباكتيكا وزابل. وعندما أصبحت حكومة نجيب على وشك الانهيار كَانَت بعض مراكز الولايات أيضًا على وشك السقوط.

اندلعت حرب ضروس بين الجماعات المختلفة، وبادر طلاب العُلُوم الدِّيْنِيَّة (طَالِبَان) من سكان هَذِهِ المناطق ببذل جهود من أجل إحلال السَّلَام والأمن خلال تِلْكَ الفترة، وطلبوا من بعض القادة دعمًا عسكريًا حَتَّى يتمكنوا من التدخل عند الحاجة للسيطرة على الوضع.

هناك سببان رئيسيان لعدم تأسيس حركة طَالِبَان في تِلْكَ المناطق بخلاف ما حدث في قندهار. أولاً، لَمْ تكن هناك درجة من الوحشية تدفع لتأسيس الحَرَكَة على الفور. ثانيًا لَمْ تكن هناك مجموعات منفصلة من طَالِبَان في المنطقة، فمثلاً جماعة المُلَّا موسى كليم في زابل (الَّتِي ترأسها لَاحِقًا المُلَّا مدد) كَانَت أيضًا في الأصل جماعة من طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة مِمَّا عزز بقاء المجموعة حَتَّى النهاية. وبسبب هَذَا تعامل قادة تِلْكَ المناطق مع طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة بِشَكلٍ هادئ وتجنبوا الصراع معهم.

أظهر طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة أنفسهم كمجموعة واحدة وقاموا بعقد جلسات وعظ، ولعب هَذَا الهيكل الموحد فيما بعد دورًا رئيسيًا داعما لحركة طَالِبَان في الاستيلاء على غزنة وزابل

1 – عنوان هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية هو: الهيكل العَسْكَرِيّ لطلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة من غزنة إلى زابل.

وباكتيكا. فعندما انتفضت حركة طَالِبَان في قندهار بدأ طلاب العُلُوم الدِّيْنِيَّة أنشطتهم على الفور في غزنة وزابل على طريق كابول السريع، وتطور تواصلهم مع قندهار. فعلى الطريق السريع بين كابول وقندهار وبالتحديد من غزنة إلى قندهار كان الهيكل السياسي والعَسْكَرِيّ لطلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة أقدم بثلاث إلى أربع سنوات من هيكل الحَرَكَة في قندهار.

كان المُلَّا إسحق أخوند زاده (الَّذِي أصبح فيما بعد حاكم خوست ثُمَّ لغمان في عهد طَالِبَان) زعيمًا للمجموعة، وكان لديه العشرات من طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة في منطقة قرباغ بغزنة، وكان المُلَّا عبد الباري نائبه. بينما كان زعيم الطلبة في أوباند هو عبد المنان، وكان المُلَّا عبد الولي زعيم الطلبة في مقاطعة مقور، في حين تزعم المُلَّا عبد الغفور مجموعات الطلبة في جيلان. وكان زعيم الطلبة في منطقتي زابل وشاه جوي المُلَّا عبد الغني بينما كان نائباه المُلَّا عبد الجبار والمُلَّا نور الله نوري. وفي أثناء حكم حركة طَالِبَان أصبح المُلَّا نور الله نوري حاكم ولاية بلخ ورئيس المنطقة الشمالية، وبعد الغزو الأمريكي سُجن في غوانتانامو لمدة 13 عامًا. أما المُلَّا عبد الوهاب فكان زعيم الطلبة في منطقة القلعة وسط زابل، وكان نائبه المُلَّا أسد الله والمُلَّا مُحَمَّد نذير.

عندما وصلت طَالِبَان في البداية إلى زابل أقام قادة طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة في منطقتي قلعة وشاه جوي نقاط تفتيش ومراكز في المنطقة لأنهم لَمْ يرغبوا في تجاوز طَالِبَان قندهار لحكمهم في زابل إنما أرادوا أن يحكموا بأنفسهم. وكان المطلب الآخر ألا يجمع أحد الأسلحة في زابل. وتسببت هَذِهِ النقاط في خلاف قبل شهر من معركة غزنة.

في ديسمبر 1994 أصبح قاري أحمد الله قائداً للشرطة في منطقة قلعة، وهو أحد سكان منطقة خوكيانو في غزنة، وقد ظل وزيرًا للداخلية ورئيسًا للاستخبارات في عهد طَالِبَان. (عشت معه سابقا في بلوشستان لمدة عامين، وبسبب هَذَا الارتباط أقمت معه في قلعة لدعمه)[1]. وقد أخبرني أن طَالِبَان المحلية لا تريد الانضمام للحركة الرئيسية وتطرح خيارات ومطالب خاصة بها. وقد زار أحد العُلَمَاء من زابل ويُدعى المُلَّا عبد السَّلَام سالمي، وعالم من قندهار لا أتذكر

1 – هَذِهِ الفقرة وردت في النص الإنجليزي للكتاب ولَمْ ترد في النسخة الأصلية بالبشتو.

اسمه، والمُلَّا نور الدين ترابي الَّذِي أصبح وزير العدل في عهد نظام طَالِبَان وكان حينها مسؤولاً عن السيطرة على المنطقة الَّتِي دخلتها الحَرَكَة حديثًا، زعيم طَالِبَان المحلي المُلَّا عبد الوهاب لإقناعه بالانضمام للحركة الأم، وقد رافقتهم أيضا. وكان المُلَّا عبد الوهاب يقدم أعذارًا مختلفة أثناء المناقشة وينتقد حركة طَالِبَان أيضًا. لَمْ يكن يتفق معنا بأي شكل من الأشكال. وبعد فترة اختفى المُلَّا عبد الوهاب ولَمْ ينضم للحركة حَتَّى النهاية، لكن نوابه انضموا إلى طَالِبَان.

في ديسمبر من ذَلِكَ العام زار وفد آخر من قندهار بقيادة المُلَّا إحسان الله إحسان زابل. ودعوا إلى لقاء في المسجد الكبير بمنطقة قلعة. وحضر اللقاء عزيز خان شقيق المُلَّا مدد والمُلَّا عبد السَّلَام راكتي (قائد الفيلق العَسْكَرِيّ في ننجرهار في عهد طَالِبَان). وفي خطاب مقنع وفعال، شرح المُلَّا إحسان الله أسباب انطلاق حركة طَالِبَان وأهدافها واستراتيجيتها المستقبلية. وأعلن عزيز خان والمُلَّا عبد السَّلَام راكتي خلال الاجتماع دعمهما الكامل للحركة. وقد قَالَ المُلَّا راكتي: لو كان الطَّالِبَان باكستانيون لكنت أوقفتهم في منطقة شهر صفا (لأن المُلَّا راكتي أعلن عداوته لباكستان بعد اختطافه ضابطًا باكستانيًا) وأضاف: أعرف من هم قادة طَالِبَان، وماذا يريدون. وبعد أيام قليلة زار المُلَّا نور الله نوري والمُلَّا جبار برفقة مقاتلين مسلحين منطقة قلعة للقاء قادة الطلبة. وأجروا مناقشات مهذبة أدت إلى حدوث اتفاق. وفي وقت لاحق شارك المُلَّا نور الله نوري وأصدقاؤه في العمل العَسْكَرِيّ، وحُلت الخلافات معهم.

الحاجة إلى تأسيس حركة طَالِبَان

عندما غادرت القُوَات السوفيتية أَفَغَانِسْتَان في فبراير 1989 اتجه النظام الشُّيُوعِيّ بقيادة نجيب الله نحو السقوط يومًا بعد يوم. فبدأ نجيب بعرض مفاوضات للسلام. وبعد فترة وجيزة بدأت الحكومة في إخلاء مراكز المقاطعات والتمركز في عواصم الولايات. وقد سقطت العَدِيْد من مراكز الولايات في أيدي المجاهدين بعد فترة. وكان هناك تنافس وصراع مستمر بين مجموعات المجاهدين المختلفة في السيطرة على المناطق الجديدة. كان لبعض الجماعات

موقف حذر للغاية بينما وقفت الجمعية الإِسْلَامِيَّة والحزب الإِسْلَامِيّ ضِدّ بعضهما البعض منذ وجودهما في بيشاور.

وقد واجهت الحكومة الائتلافية الَّتِي اتخذت من بيشاور مقراً لَهَا معارضة مستمرة من حكمتيار. ففي تِلْكَ الحكومة أصبح صبغة الله مجددي رئيسًا للحكومة، ومَوْلَوِي مُحَمَّد نبي محمدي وزيراً للدفاع، ومَوْلَوِي يونس خالص وزيراً للداخلية، وحكمتيار وزيراً للخارجية، لكن بعد فترة أعلن حكمتيار مغادرته الحكومة، ووصفها بأنها حكومة مستأجرة.


عبد الرشيد دوستم

عندما أدركت الحكومة البَاكِسْتَانِيَّة والشركاء الدوليون أنه باستثناء رباني وحكمتيار، لَمْ تكن الجماعات الأخرى مهتمة بالصراع من أجل الهيمنة على الحكم، بدأوا في محاولة إقناع الاثنين. ونتيجة لِذَلِكَ فعام 1992 بعد سقوط حكومة نجيب، اختير حكمتيار رئيسا للوزراء، ومسعود وزيراً للدفاع، وصبغة الله مجددي رئيسًا لمدة شهرين. وبعد مضي الشهرين جرى تعيين رباني رئيسًا لمدة أربعة أشهر. وعندما سقطت حكومة نجيب على وقع معارضة أنصار ميليشيا دوستم لنجيب كَانَت تِلْكَ المليشيا المتوحشة لا تزال تسيطر على مدينة كابول، ودخل أحمد شاه مسعود كابول كمؤيد لهم.

بينما سيطر أحمد شاه مسعود وميليشيا دوستم على كابول، لَمْ يُسمح للمسلحين الآخرين بدخول المدينة. وحاولت قوات الحِزْب الإِسْلَامِيّ أيضًا دخول كابول، ووصلت في البداية إلى وزارة الداخلية، وصعدت إلى باب منزل الرئيس، لكنها دُفعت إلى حدود المدينة بعد معركة شرسة شنتها القُوَات المشتركة لمسعود وميليشيا دوستم ومسلحو النظام الشُّيُوعِيّ القديم. كما اندلعت حرب شرسة بين قوات الحِزْب الإِسْلَامِيّ والجمعية الإِسْلَامِيَّة على مدى ثلاث سنوات دُمرت خلالها مدينة كابول بالكامل، واستشهد أكثر من خمسين ألفٍ من أبناء كابول

الأبرياء في ذَلِكَ الصراع. وكان من بين الشهداء أطفال ونساء وشيوخ. وفي البداية دخل مجددي مدينة كابول، وبعد أيام قليلة ذهب إلى مدينة مزار الشريف كقائد لوفد حكومي. وهناك أعلن عن منح لقب "الجنرال العظيم" وأطلق وصفا مقدسا على عبد الرشيد دوستم حَيْثُ شبهه بخالد بن الوليد القائد المشهور وصاحب الرسول مُحَمَّد ﷺ مِمَّا أزعج العَدِيْد من الأَفْغَان.

بعد شهرين حاول مجددي البقاء في منصبه، لكن منذ اليوم الأول لَمْ يقبله أحمد شاه مسعود كرئيس للبلد، ولَمْ ينصع لأي من أوامره، (حَتَّى أنه استخدم المصطلح الدرامي مزدوج المعنى "الحكومة بالنيابة" خلال حديثه عن رئيسها في البث الرسمي بالتلفزيون والإذاعة والصحف)[1]. عندما انتهى الشهران، تخلص مسعود من مجددي بسهولة، وأصبح رباني زعيمًا في حفل رسمي. وبعد انتهاء الشهور الأربعة المقررة لشغل رباني للمنصب ظل في مكانه معتمداً على قوات مسعود العَسْكَرِيَّة. هَـذَا السلوك خيب آمال القادة والأحزاب والجماعات الأخرى، وأضعف التحالف الضعيف بالفعل. نأى أصحاب العقول الصادقة من قادة وشيوخ الحِزْب الإِسْلَامِيّ بأنفسهم عن الأوضاع السائدة. فقط القادة الَّـذِينَ اتسموا بالتبعية العمياء لحكمتيار انخرطوا في القِتَال. بل حَتَّى من سبقت لهم المشاركة في أعمال سيئة رُحب بهم وقُدمت لهم كافة أنواع الدعم. وتحولت مدينة كابول إلى ساحة معركة وحشية بين مسعود ودوستم وحكمتيار وسياف وميليشيا حزب الوحدة الشيعي.

وبعد جرائم الحرب الَّتِي ارتكبها الشُّيُوعِيُون، ربما يكون من الصعب العثور على أمثلة مماثلة للوحشية في تاريخ أَفْغَانِسْتَان باستثناء ما حدث في الحرب بين الأحزاب الجِهَادِيَّة، فقد ارتكبت ميليشيا سياف مجازر في المناطق الخاضعة لسيطرة ميليشيا حزب الوحدة، وذَلِكَ عبر إهانة نساء الهزارة وقتل الناس ونهب منازلهم. وبالمقابل تحت قيادة مزاري قائد حزب الوحدة الشيعي انتقم رجاله من سياف بالقبض على البشتون وقطع أعناقهم وهم أحياء ثُمَّ صب الزيت الساخن عليهم. وخلال تِلْكَ العملية احتفل أعضاء حزب الوحدة على وقع حركة جثة الشخص المذبوح قبل أن تسلم الروح، وأطلقوا على ذَلِكَ المشهد اسم "رقصة الموتى". كان

1 – هَذِهِ الفقرة وردت في النسخة الإنجليزية فقط.

هَـذَا الأسـلوب مـن اخـتراعهم، وربمـا يكـون مـن الصـعب العثـور عـلى نظيـر لمثـل تِلْـكَ الوحشـية في العالـم.

خضـعت جماعـة سـياف لقيـادة سـياف نفسـه وابـن أخيـه ممتـاز والقائـد شـير علـم وعـدد قليـل مـن المسـلحين مـن أصحـاب السـمعة السـيئة، في حـين قـاد حـزب الوحـدة عبـد العلـي مـزاري وآخـرون مـن شـيوخ وقـادة الهـزارة الَّـذِينَ دعمـوا هَـذِهِ الأنشـطة. ويشـغل معظمهـم مناصـب رسـمية في الحكومـة الحاليـة (حكومـة أشـرف غنـي). فـإذا كَانَـت عاصمـة البـلاد خـلال حكـم ربـاني قُسـمت على هَذَا النحو بين قادة متوحشين، فكيف كان الوضع في المناطق النائية؟!

هنـاك قصـة طويلـة مـن الوحشـية والاعتـداء علـى حيـاة النـاس وأعراضـهم وممتلكـاتهم في مدينـة كـابول، قصـة لـن يكفيهـا حَتَّـى كتـاب مـن آلاف الصـفحات. وقـد نشـر الكُتـاب الَّـذِينَ يكتبـون عـن شـئون المنطقـة والمنظمـات الدوليـة المعنيـة بحقـوق الإنسـان أدلـة كثيـرة حـول هَـذَا الموضـوع. وللأسـف لَـمْ يعاقـب أحـد هَـؤُلَاءِ المجـرمين. وبـدلاً مـن ذَلِـكَ، كرمـت الجهـات الَّتِـي تـزعم دعـم حقـوق الإنسـان هَـؤُلَاءِ المجـرمين عـبر تـوليتهم للمناصـب وتزويـدهم بـالأموال مقابـل خدمـة أهدافهم الاستعمارية.

منـذ أحـداث 11 سـبتمبر 2001 عنـدما غـزت الولايـات المتحـدة أَفَغَانِسْـتَان، حكمـت نفـس المليشـيات ومنتهكـو حقـوق الإنسـان الـبلاد بسـبب دعمهـم للغـزاة الأمـريكيين. وبسـبب هَـؤُلَاءِ المجـرمين لا يمكـن للهيئـة المسـتقلة لحقـوق الإنسـان نشـر تقريـر يسـجل مثـل تِلْـكَ الحـوادث الَّتِـي تتضمن انتهاكات لحقوق الإنسان في الحرب الأهلية خلال العقدين الماضيين.

بعض الأمثلة من كابول

في وقت مبكر نهبت ميليشيا جيلجام بقيادة عبد الرشيد دوستم مدينة كابول، وأخذت بالقوة النساء والأطفال دون السن القانونية إلى أماكن إقامتهم وتجمعاتهم الَّتِي تضم خمورا وموسيقى حَيْثُ اغتصبوهم وألحقوا العار بهم، وفي حال رفضهم ذَلِكَ تعرضوا للقتل. وقد عاصر العَدِيْد من سكان كابول تِلْكَ القصص. كما شارك قادة مجموعة "شورى نظار" التابعة لأحمد شاه مسعود في أنشطة مماثلة. فكان قتل الناس أمرًا روتينيًا بالنسبة لهم، حَيْثُ يُقتل كُلّ من يرفض مطالبهم. كما انخرط أعضاء حزب الوحدة في نزاع مسلح مع مقاتلي سياف حول ملكية الأراضي. وألقى مقاتلو حزب الوحدة القبض على أفراد من عرقية البشتون وسمّروا رؤوسهم أحياء. كما تعرضت نساء البشتون للعار وقطع أثدائهن بينما كن على قيد الحياة. وتكررت تِلْكَ الحوادث. وهناك العَدِيْد من الأشخاص والشهود الَّذِينَ شاهدوا هَـذِهِ الأحداث وما زالوا موجودين على قيد الحياة. وقد اعترف بعض أعضاء حزب الوحدة عندما ألقت طَالِبَان لَاحِقًا القبض عليهم بقيامهم بأنشطة من هَذَا القبيل.

ومن أمثلة تِلْكَ الحوادث أنه عند نقطة تفتيش بالقرب من بول تشرخي اختطف مسلحون امرأة حامل، وقيل لزوجها أننا رأينا نساء في كُلّ حالة باستثناء حالة الولادة، ونريد أن نشاهد هَـذَا أيضًا. وكان معظم مقاتلي سياف مدمنون على المخدرات، وقد اغتصبوا نساء الهزارة وقتلوا أطفالهن وكبار السن منهم، ونهبوا ثرواتهم. ودعم قادة الأحزاب القادة الميدانيين المتوحشين والقاسين الَّذِينَ يقتلون الناس لخدمة أهدافهم، ومنحوهم أنواعًا شتى من الامتيازات.

كَانَت نقطة تفتيش بين كابول وننجرهار بالقرب من ساروبي تحت سيطرة "زرداد فريادي" القائد التابع لحكمتيار، وكان أحد مقاتليه يرتدي زي كلب ويمتلك أسنانا حادة فيُسلط على الأشخاص الَّذِينَ يرفضون دفع نقود عند الحاجز لإجبارهم على دفع الأَمْوَال المطلوبة.

وتوجد قصة مشهورة بين سكان كابول مفادها أن قائدًا في مجلس "شورى نظار" التابع لمسعود القائد العَسْكَرِيّ لرباني، أخذ زوجة أحد الأشخاص بالقوة، وتمكن الزوج من نقل شكواه المكتوبة إلى رباني الَّذِي كتب على ظهر الشكوى: "أيها القائد المحترم، أرجوك أعد لَهُ زوجته".

قندهار في قبضة الإرهاب[1]

قُسمت مدينة قندهار بين عشرات القادة. وكَانَت السيطرة في الغالب من قبل مجموعة المُلَّا نقيب، لكنه لَمْ يكن قويًا في حد ذاته. فقد كان يفرض سلطته بواسطة القائد خان مُحَمَّد المعروف باسم "خانو"، والَّذِي قاد رجالاً متوحشين، وخافه المُلَّا النقيب نفسه.

كان غول آغا شيرزاي هو حاكم المدينة، وقد حصل على دعم مالي من رباني باسم قندهار. ولَمْ تكن لديه قوة، ولذلك ركز فقط على أن يصبح ثريًا. وكان لديه عدد قليل من الأفراد العسكريين ومعظمهم من مدمني المخدرات والأشخاص السيئين وعديمي النفع.

خضعت الفيالق العَسْكَرِيَّة لسيطرة "خانو" الَّذِي تمتع بقوة عسكرية وامتلك أسلحة ودبابات مدرعة. وقد اهتم رباني بِهِ لأن هَذِهِ المجموعة انتسبت للجمعية الإِسْلَامِيَّة في قندهار. وسيطر على المطار الحاج أحمد تر نجل القائد البارز الحاج مغاش. بينما سيطر على منطقة قشلة الجديدة العَسْكَرِيَّة والمناطق الغربية المحيطة بِهَا عناصر متوحشة تابعة لأمير لالي. في حين سيطر القائد التابع لسياف الأسطة عبد العليم على منطقة سروبزي غَرْب قندهار. وكان يعمل سائقًا قبل الجِهَاد، ولذلك اشتهر بلقب الأسطة. كان رجاله أيضًا قساة تمامًا مثل رجال القادة الآخرين. وفيما كان البعض أقل سوءاً في حين كان آخرون أسوأ. وسيطر على مدينة قندهار القديمة قائد الحِزْب الإِسْلَامِيّ عطا مُحَمَّد سر كاتب.

بدأ الجِهَاد ضِدّ السوفييت في قندهار من قبل أشخاص شديدي التدين كما كان العَدِيْد من الأشخاص الَّذِينَ انخرطوا لَاحِقًا في الجِهَاد أيضًا إسلاميين من أهل التقوى والصلاح. مع مرور الوقت استشهد عدد قليل من المجاهدين المعروفين والنشطين مثل لالا مالانج،

---

1 – عنوان الفقرة في النسخة الإنجليزية: قندهار في قبضة البرابرة.

وحادت الغالبية عن الطريق مع ازدياد رغبة المجاهدين في كسب الثروة والسلطة، وسادت هَـٰذِهِ المشكلة في جميع أنحاء أَفَغَانِسْتَان. اتُبعت خطوات غير مشروعة لتحقيق هَـٰذَا الغرض، ووجد اللصوص والقتلة المرتزقة مكانًا لهم في تِلْكَ المجموعات. وقد أصبح هَـٰؤُلَاءِ اللصوص والقتلة المرتزقة أقوياء لدرجة أن قادتهم لَمْ يتمكنوا من السيطرة عليهم.

في قندهار كان هناك العَدِيْد من أعضاء الجمعية الإِسْلَامِيَّة التابعة لبرهان الدين رباني ممن انتموا سابقًا إلى حزب "خلق" الشُّيُوعِيّ وانخرطوا في الميليشيات الشُّيُوعِيَّة، وقد رحب بهم بعض القادة لعوامل قبلية أو بهدف توظيفهم في سحق خصومهم. فيما بعد أصبح نفس الأشخاص أقوياء، وأقاموا نقاط تفتيش على الطرق. هَـٰؤُلَاءِ الناس لَمْ يهتموا أبدًا بشرف وحياة أي شخص ونفذوا جرائمهم الوحشية والقاسية منذ أيام النظام الشُّيُوعِيّ.

فعلى سبيل المثال اختطف "منصور" و"بارو"[1] اللذان أقاما نقطة تفتيش على الطريق السريع "قندهار – بولدك"[2] الفتيات والفتيان من المركبات بهدف إشباع رغباتهما الجنسية. وقد هاجمت طَالِبَان نقطة التفتيش تِلْكَ قبل أيام قليلة من سيطرتها على قندهار، وقتلت الرجلين وشنقتهما فوق دباباتهما كما قُتل معظم مقاتليهم في الحرب، ولَمْ يُبق على قيد الحياة إلا عبد الرازق لصغر سنه آنذاك[3]. لقد أخاف هجوم طَالِبَان على نقطة التفتيش المذكورة المسلحين الآخرين في قندهار، وأصبح من السهل على طَالِبَان الاستيلاء على ولاية قندهار.

سبق أن اندلعت حرب بين مجموعات مختلفة من المسلحين في قندهار أُضرمت خلالها النيران في منازل المواطنين. وحرس الناس نسائهم ومنازلهم عبر تسيير دوريات في الليل بينما قبع معظم المجاهدين الحقيقيين في منازلهم، وتركوا هَـٰؤُلَاءِ القادة الفاسدين يمرحون في ساحة المعركة رفقة العناصر الشُّيُوعِيَّة القديمة الَّتِي انضمت لهم على خلفية الروابط القبلية، وقد قاتلوا بعضهم البعض للاستيلاء على الأراضي.

1– قاتل بارو خلال الجِهَاد ضِدّ الروس ضمن جماعة الاتحاد الإِسْلَامِيّ بقيادة سياف، واشتهر باقتنائه للغلمان وزواجه القسري من الفتيات لمدة شهر واحد، وأعدمته طَالِبَان عام 1994.

2– تقع سبين بولدك على الحدود مع باكستان، وتمثل الطريق الرئيسي للمسافرين براً من أَفَغَانِسْتَان إلى باكستان.

3– أصبح عبد الرازق قائد شرطة قندهار في عهد الاحتلال الأمريكي، وقُتل على يد طَالِبَان عام 2018.

وقـد روى لـي بعـض شـهود العيـان مـن قنـدهار قصصًـا مثـل كيـف كَانَـت هنـاك دبابـة علـى جانـب مـن نقطـة تفتيش تطلـق لمـدة شـهر القـذائف علـى المنافسـين، وفي نهايـة الشـهر بسـبب إطـلاق النار الكثيف فقد مشغل الدبابة عقله، ونُقل إلى باكستان لتلقي العلاج.

إن شـعب قنـدهار لَـهُ تـاريخ مـدهش في الجِهَـاد ضِـدّ الشُّـيُوعِيَّة، فقـد كـان مجاهـدو قنـدهار مـن الناحيــة القتاليــة مقــاتلين أقويــاء للغايــة، وســبق أن دخلــوا مدينــة قنــدهار لــيلاً وقــاتلوا القُــوَات الحكوميـة، وعنـدما غـادروا المدينـة في الصـباح كَانَـت الحكومـة قـد مُنيـت بخسـائر فادحـة، ولَـمْ يكن من الممكن للمجاهدين دخول مدينة قندهار دون وجود دعم من أهلها.

لَـمْ يـتمكن الشُّـيُوعِيُون مـن مغـادرة نقـاط التفتـيش الأمنيـة الخاصـة بهـم علانيـة وسـط قنـدهار لأن نصـف سـكان المدينـة قـاتلوا ضـدهم. كمـا رفـع أهـل قنـدهار ذات مـرة شـعارات التكبيـر ضِـدّ الحكومـة مـن فـوق أسـطح منـازلهم، وتزايـد التكبيـر إلـى حـد أربـك الحكومـة مِمَّـا دفعهـا لإطـلاق النـار علـى النـاس دون أن تـتمكن مـن إسـكاتهم. وفي وقـت لاحـق اعتـذرت الحكومـة، وعُقـد لبحـث الأمـر مجلـس لويـا جيركـا[1] ولسـوء الحـظ استشـهد بعـض المجاهـدين الشـجعان والصـالحين، وفضل البعض الآخر البقاء في منازلهم بعد سقوط حكومة نجيب عام 1992.

بعضُ الذكرياتِ من أفواهِ الناسِ[2]

سـمعت هَـذِهِ القصـة مـن المَوْلَـوِي عبـد العلـي الديوبنـدي، وهـو شـخص ورع كـان مفتيًـا بـارزًا وعالمًـا خـلال فـترة حكـم طَالِبَـان (وتـوفي خـلال حقبـة الاحـتلال الأمريكـي) إذ قَـالَ: أخـذ قائـدٌ امـرأةَ شـخصٍ قنـدهاري إلـى غرفتـه ليغتصـبها، وكـان الـزوج مـن البشـتون لكنـه لمـا عجـز عـن حمايـة زوجتـه بـدأ بالصـراخ والبكـاء بصـوت عـالٍ قـائلا بـالله عليـك إنهـا شـرفي، فأرسـل القائـد بعـض المسـلحين الَّـذِينَ ألقـوه أرضـًا علـى وجهـه، ولفـوا قضـيبه بقـوة حَتَّـى انفصـل عـن جسـده فمـات الشـخص علـى الفـور. كَـذَلِكَ أخـبرني مسـؤول في إذاعـة قنـدهار عـن روايـة شـاهد عيـان لطفـل في منطقـة "شـهرنو" بقنـدهار إذ طلـب مِنْـهُ شـخص مسـلح عنـد أحـد الحـواجز القـدوم إِلَيْـهِ، وأدرك

---

1 – اللويا جيركا اجتماع يحضره الوجهاء وكبار القبائل لتداول الرأي وبحث المشاكل وكيفية حلها.

2 – هَذَا هو عنوان الفقرة في نسخة البشتو.

الطفل أن نية الرجل هي الاعتداء الجنسي عَلَيْهِ فحاول الهرب، فأطلق المسلح النار على الطفل من بندقية كلاشينيكوف وقتله.

وأيضاً خلال مصاحبة شاب مهاجر من الملالي لجثة والده المتوفى إلى منطقة شاجوي لأداء صلاة الجنازة عَلَيْهَا وجد على طريق قندهار - زابول[1] بالقرب من مقاطعة شهر صفا نقطة تفتيش للقائد بالحزب الإِسْلَامِيّ "كارانو". وعند المرور بنقطة التفتيش المذكورة قَالَ المُلَّا الشاب إن عائلته المجاهدة ترتبط بالحزب الإِسْلَامِيّ حَيْثُ رغب في تجنب المشاكل مع هَؤُلَاءِ المسلحين، وعرّف نفسه على أنه من عناصر الحِزْب لكنهم ضحكوا بغضب وقالوا إننا نعرف المَال فقط، فَقَالَ إنه بسبب وفاة والده المفاجئة لَمْ يكن لديه سوى ما يكفي من المَال للسفر أما الباقي فقد استولى عَلَيْهِ مسلحو حاجز سابق، فأخذه المسلحون إلى مكتب حاكم المقاطعة مع جثة والده وسألوه: هل هَذِهِ جثة والدك؟ فَقَالَ نعم، فقالوا لَهُ أنه إذا لَمْ تستطع دفع المَال فسيتعين عليك الرقص بالقرب من جثمان والدك، فبدأ في تقديم الأعذار وناشدهم أن يتركوه في ظل وفاة والده، وقَالَ لهم أنا من طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة ولا أعرف كيف أرقص، فرفعوا الكلاشينيكوف في وجهه، وأدرك أنهم لن يرحموه إلا إذا رقص لهم، فأخذ يرقص حَتَّى اقترب من الانهيار ثُمَّ سمحوا لَهُ بأخذ جثة والده. وفي ظل ذَلِكَ العار لَمْ يخبر أهله بِهَذِهِ القصة، وشكر الله أنه لَمْ تكن معه امرأة في ذَلِكَ الوقت.

تتواتر العَدِيْد من القصص الشهيرة عن وحشية مقاتلي المليشيات القندهارية، لكنني أعتبر القصص الَّتِي ذكرتها كافية لتقديم نظرة عامة. وقد أثرت هَذِهِ الظروف على المجاهدين الصالحين الَّذِينَ ضحوا بأنفسهم لتحرير قندهار من الشيوعيين. فخلال المعارك الَّتِي اندلعت بعد انهيار الحكومة الشُّيُوعِيَّة بقي هَؤُلَاءِ المجاهدين في منازلهم واستولى على مواقعهم الشُّيُوعِيُون السابقون ومصطنعي الفتن والمجاهدين ممن ضلوا الطريق، فحاصروا جميعاً شعب قندهار الشجاع، وعندئذ تقدم المُلَّا مُحَمَّد عُمَر لقيادة الثورة ضدهم. كَانَت الأمة تريد

1 - تأسست ولاية زابول إدارياً عام 1964، وكَانَت تتبع سابقاً لولاية قندهار.

فقط من يستنهضها، ولذلك برز التأييد الشعبي لِلْمُلَّا عُمَر الَّذِي لَمْ يملك شيئًا من الدنيا يجذب الناس لَهُ.

من هو المُلَّا مُحَمَّد عُمَر مجاهد؟


المُلَّا مُحَمَّد عُمَر مجاهد

وُلد المُلَّا مُحَمَّد عُمَر عام 1960 في قرية جاه همت التابعة لمنطقة خاكريز بقندهار. وهو ينتمي إلى عائلة متدينة، واسم والده هو مَوْلَوِي غلام نبي، أما جد المُلَّا عُمَر فهو المَوْلَوِي مُحَمَّد رسول، بينما جده الأكبر مَوْلَوِي باز مُحَمَّد. وُلد مَوْلَوِي غلام نبي والد المُلَّا عُمَر في خاكريز، وتلقى بِهَا تعليمه الديني في مدارس مختلفة. وفيما بعد بسبب انخراطه في التعليم الديني والدعوة أصبح معروفًا كشخصية اجتماعية ودينية مشهورة.

ينتمي المُلَّا عُمَر إلى فرع تومزي من قبيلة هوتاكي البشتونية، وهي قبيلة بشتونية مشهورة لَهَا تاريخ، فهي ثاني قبيلة تتشرف بقيادة البشتون بعد الغوريين. ومن بين القادة الهوتكيين في التاريخ الأَفْغَانِيّ المعاصر الحاج ميرويس خان[1]. وكان أفراد عائلة المُلَّا مُحَمَّد عُمَر علماء دين متميزين ومدرسين للعلوم الدِّيْنِيَّة مِمَّا جعلهم شخصيات مرموقة في منطقتهم.

عندما كان المُلَّا عُمَر في الثانية من عمره هاجرت عائلته إلى قرية "نودي" في مقاطعة داند بقندهار حَيْثُ شاركوا في تقديم التعليم الديني. وقد تُوفي والد المُلَّا عُمَر في نفس المنطقة عام 1965، ودُفن في مقبرة قديمة مرتبطة بطلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة. وبعد وفاة والده، هاجر المُلَّا عُمَر في الخامسة من عمره رفقة عائلته إلى منطقة دهراود في ولاية أوروزغان. وهَذَا هو المكان الَّذِي أمضى فِيْهِ سنواته الأولى تحت وصاية أعمامه مَوْلَوِي مُحَمَّد أنور ومَوْلَوِي مُحَمَّد جمعة. وعندما أصبح عمره ثماني سنوات التحق المُلَّا عُمَر بالمدرسة الدِّيْنِيَّة التابعة لعمه مَوْلَوِي

1 – ميرويس خان هو أبرز رموز سلالة الهوتاكي، وقد قضت قبيلة دوراني لَاحِقًا على نفوذ قبيلته.

مُحَمَّد جمعة في منطقة شهر كوهنه في دهراود، وأكمل تعليمه الديني الابتدائي والثانوي بِشَكلٍ جيد. وبدأ دراساته الدِّيْنِيَّة العليا في عُمَر الثامنة عشرة لكنه لَمْ يتمكن من إنهاء تعليمه مثل العَدِيْد من الطلاب الآخرين بسبب الانقلاب الشُّيُوعِيّ عام 1978.

المشاركةُ في الجِهَاد ضِدّ الاتحاد السوفياتي

بدأ المُلَّا عُمَر الجِهَاد ضِدّ الغزاة السوفييت في دهراود بولاية أوروزغان. وقد اشتهر كمقاتل شجاع على مستوى الولاية، واختير كقائد للعمليات العَسْكَرِيَّة المشتركة لتحالف بين عدة مجموعات جهادية متنوعة. وشارك بأوروزغان في معارك مختلفة كقائد أو مجاهد، كما عُرف بأنه مقاتل صلب في الولاية بأكملها حَيْثُ يقول بعض أصدقائه إنه منذ كان في سن مبكرة تميز ببعض الخصائص الفريدة، وامتلك مهارات قيادية، ولهذا اختير كقائد كما تمتع بجسد صلب.

عام 1983 ذهب إلى مقاطعة ميوند في قندهار مع أصدقائه المجاهدين، وشارك في الجِهَاد ضِدّ الاتحاد السوفيتي تحت قيادة فيض الله أخوند زاده القائد الجِهَادِيّ الشهير لحركة الانقلاب الإِسْلَامِيّ التابعة للمولوي مُحَمَّد نبي محمدي. خلال الجِهَاد برز بعض طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة في قندهار بسبب شجاعتهم ومهاراتهم التكتيكية، لكن المُلَّا نيك مُحَمَّد[1] والمُلَّا مُحَمَّد عُمَر مجاهد والمُلَّا مُحَمَّد أخوند كانوا معروفين جدًا. فوفقًا لرواية أشخاص من قندهار، اشتبك المُلَّا نيك مُحَمَّد بمفرده مع قافلة من الدبابات والمدرعات الروسية لساعات، ودمر عشرات الدبابات بقذائف الأر بي جي. ويُقال إنه حمل ثلاثة أنواع من الأسلحة لمحاربة الدبابات ومقاتلي العدو. وقد شارك المُلَّا عُمَر والمُلَّا نيك مُحَمَّد في العَدِيْد من المعارك، وأصيب المُلَّا عُمَر أربع مرات خلال الحروب ضِدّ الاتحاد السوفيتي، وفقد عينه اليمنى.

1 – صديق من قندهار لِلْمُلَّا عُمَر اشتهر بمهاراته القتالية في الجِهَاد ضِدّ الروس، وتوفي في ثمانينات القرن العشرين.

بعض الذكريات الجِهَادِيَّة لِلْمُلَّا مُحَمَّد عُمَر

سجل أشخاص مقربون من المُلّا عُمَر هَذِهِ الذكريات:

1 -كَانَت هناك نقطة تفتيش حكومية قوية تُسمى "بدوانو"، وقد وضع الشُّيُوعِيُون دبابة في موقع حساس للغاية بالقرب مِنْهَا، وواجه المجاهدون مشاكل بسبب الهجمات الَّتِي تنطلق من هَذِهِ النقطة. وقد حاول العَدِيْد من المجاهدين القضاء على تِلْكَ الدبابة لكن لَمْ ينجح أحد. وفي النهاية دعا المجاهدون المحليون المُلَّا مُحَمَّد عُمَر من ميوند، ونجح في تدمير هَذِهِ الدبابة بقذيفة آر بي جي كما قام زميله المُلَّا عبيد الله أخوند بإحراق العَدِيْد من الدبابات والمركبات الروسية المدرعة في "محلة جات" بقندهار خلال الجِهَاد ضِدّ السوفييت. وفي اليوم التالي عندما رأى الناس تِلْكَ الدبابات والمركبات المحترقة اعتقدوا أن القافلة لا تزال متوقفة هناك. وقد شغل المُلَّا عبيد الله أخوند منصب وزير الدفاع أثناء حكم طَالِبَان، وبعد الغزو الأمريكي عُين نائبا لِلْمُلَّا عُمَر ثُمَّ استشهد في أحد السجون البَاكِسْتَانِيَّة عام 2010.

2 -خلال مرور دبابات روسية عبر سنجيسار على طريق "قندهار- هرات" السريع تواجد المُلَّا عُمَر والمُلَّا عبدالغني برادر، ولَمْ يكن لديهما سوى أربعة قذائف آر بي جي لمهاجمة القافلة الروسية، لكنهما نجحا في تدمير أربع دبابات. وخلال حكم طَالِبَان عُين المُلَّا برادر في هيئة الأركان العامة بوزارة الدفاع، ثُمَّ عُين حاكماً لولاية هرات. وبعد الغزو الأمريكي عمل نائباً لِلْمُلَّا عُمَر، وهو مسجون حالياً في باكستان[1].

3 - دمر المُلَّا عُمَر سبع دبابات روسية بقذائف آر بي جي في منطقة تيموريان بمديرية داند خلال تقدم الدبابات الروسية لمهاجمة المجاهدين المتحصنين ببنادقهم في الخنادق. وبحسب شهود عيان فقد أنقذ المُلَّا عُمَر والمُلَّا عبيد الله المجاهدين وهزموا القُوَات الروسية المجهزة تجهيزاً جيداً، وقد أصيب المُلّا عبيد الله في هَذِهِ المعركة.

1 - اعتقل المُلَّا برادر عام 2010 وخرج من السجن بباكستان عام 2018، وشغل عام 2021 منصب نائب رئيس الوزراء في أَفْغَانِسْتَان بعد الانسحاب الأمريكي.

من عام 1983 إلى 1991، انخرط المُلَّا عُمَر في الجِهَاد ضِدّ السوفييت انطلاقًا من قواعد المجاهدين في مديريات ميوند وزهاري وبانجواي وداند في قندهار. ونفذ بنجاح عمليات ضِدّ السوفييت على الطريق السريع الرئيسي بين كابول وقندهار بالقرب من منطقة شهر صفا في زابل ومدينة قلعة. وكان سلاحه المفضل هو قاذف الأر بي جي السلاح الأكثر فعالية ضِدّ الدبابات المدرعة، إذ كان المُلَّا عُمَر خبيرًا في استخدامه.

خلال السنوات الأخيرة من الجِهَاد ضِدّ الشيوعيين، فقدت العَدِيْد من مجموعات طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة "طَالِبَان" السيطرة وتشظت، وقد غادر المُلَّا عُمَر وأبرز رفاقه مجموعة فيض الله أخوند زاده. وبعد فترة وجيزة أجبره أصدقاؤه على تكوين مجموعة قوية من المجاهدين. فأسس قاعدة صغيرة في منطقة "ادِي" في سنجيسار على طريق "قندهار – هرات". ونجح المُلَّا عُمَر في تغطية النفقات من خلال الأَمْوَال الَّتِي قدمها أصدقاؤه المجاهدون وعدد قليل من المتبرعين إلى أن ضم هَذِهِ المجموعة الجِهَادِيَّة إلى حركة الانقلاب الإِسْلَامِيّ. لكن الحقيقة هي أنه خلال الجِهَاد ضِدّ الشيوعيين لَمْ يلتق المُلَّا عُمَر بمولوي مُحَمَّد نبي محمدي، ولَمْ يذهب إلى باكستان للحصول على الأسلحة. ونُقل خلال حياته مرة واحدة فقط إلى كويتا بباكستان لعلاجه من الإصابة في عينه، وعاد إلى قندهار بعد ذَلِكَ. وكَانَت هَذِهِ هي زيارته الأولى والأخيرة إلى باكستان. (لكن بعض أفراد عائلته يزعمون أنه زار باكستان أربع مرات خلال الحرب "الأَفْغَانِيَّة – السوفيتية": مرة واحدة للعلاج، ومرة ثانية لتسجيل مجموعته ضمن المجموعات الجِهَادِيَّة، وزيارتين لرؤية أصدقائه المصابين، والله أعلم بمدى صحة ذَلِكَ)[1].

1 – هَذِهِ الفقرة وردت في النص الإنجليزي للكتاب ولَمْ ترد في النسخة الأصلية بالبشتو.

نهاية الجِهَاد ضِدّ السوفييت

بعـد سـقوط حكومـة نجيـب عـام 1992 وانـدلاع الحـرب الأهليـة، ألقـى المُـلَّا عُمَـر والمجاهـدون الصـادقون الآخـرون أسـلحتهم، وأنشـأوا مدرسـة دينيـة بـالقرب مـن مسـجد حـاج إبـراهيم في قريـة "كيشـانو" بمنطقـة سنجيسـار بمديريـة دانـد. واسـتأنف المُـلَّا عُمَـر في هَـذِهِ المدرسـة تعليمـه الـديني الَّـذِي لَـمْ يكملـه مع عـدد قليـل مـن أصـدقائه المجاهـدين. فـدرس كتـاب الحـديث النبـوي "مشـكاة المصـابيح" لكنـه لَـمْ يتمكن مـن تـدريس المزيـد مـن كتـب الحـديث. كمـا أعطـى دروس تـلاوة وتجويـد قـرآن لأصـدقائه حَيْـثُ كـان متقنـًا للتجويـد. وعمـل المُـلَّا عُمَـر حينهـا مدرسًا وطالبًا ومؤسسًا ومديراً للمدرسة الصغيرة.

(يقـول المُـلَّا جـول آغـا عضـو مجلـس شـورى حركـة طَالِبَـان، ورئـيس لجنـة الشـؤون الاقتصـادية بطَالِبَـان[1]، وهـو مجاهـد وصـديق لِلْمُـلَّا عُمَـر في مدرسـته الدِّيْنِيَّـة: كـان هنـاك 32 طالبًـا يعيشـون مـع المُـلَّا مُحَمَّـد عُمَـر في مدرسـة سنجيسـار، ومـن بـين هَـؤُلَاءِ الطلبـة: المُـلَّا عبـد الغنـي بـرادر، مُـلَّا يارانـا، المُـلَّا سـيف الله، المُـلَّا سـعد الـدين "مقـيم في بـاغران بهلمنـد"، المُـلَّا عبـد الظـاهر، المُـلَّا أخـتر مُحَمَّـد، مُـلَّا بـاري، المُـلَّا عبـد الكـريم، قـاري عبـد السَّـلَام، المُـلَّا غـلام محـي الـدين، مُـلَّا عبـد العلـي، المُـلَّا عبـد البـاري، المُـلَّا عبـد القيـوم، المُـلَّا عبـد الغفـور، مَوْلَـوِي عبـد الـرحمن، عبـد المنـان شـقيق المُـلَّا عُمَـر، المُـلَّا عبـد السَّـلَام، المُـلَّا غـازي، المُـلَّا سـردار مُحَمَّـد، المُـلَّا ظريـف، المُـلَّا دارو خـان مـن ميونـد، المُـلَّا جمعـة خـان، المُـلَّا جنـان، المُـلَّا سـعد الله). أمـا المعلمـون في المدرسـة فكـانوا: مَوْلَـوِي عبـد الحبيـب، مَوْلَـوِي عبـد الـرحيم، مَوْلَـوِي عبـد الـرحمن، مالانجانو مَوْلَوِي صاحب)[2].

1- أقالـه المُـلَّا مُحَمَّـد عُمَـر لَاحِقَـا مـن منصبـه عـام 2009، وفُصـل مـن طَالِبَـان لَاحِقَـا عقـب انخراطـه بِشَـكلٍ منفـرد في محادثات سلام مع أمريكا والحكومة الأَفْغَانِيَّة.

2- هَـذِهِ الفقـرة وردت في الـنص الإنجليـزي للكتـاب ولَـمْ تـرد في النسـخة الأصـلية بالبشـتو، وصـاحب هـو لقـب يـدل علـى الاحترام، ويُستخدم مع كبار السن والمعلمين ومن يشغلون مناصب حكومية هامة.

لجأ الناس إلى علماء الدين قائلين إنكم أفتيتم بالجهاد ضِدّ الغزو السوفيتي، فلماذا تسكتون عن الفظائع الحالية؟

فمعظم ساحات القِتَال الَّتِي كان قادتها أو أعضاؤها من طَالِبَان والملالي قد هُجرت في ذَلِكَ الوقت، وجلس القادة وأتباعهم في منازلهم بينما مدينة قندهار والمناطق المجاورة لَهَا وقعت إلى حد كبير تحت سيطرة مقاتلين متوحشين أدمنوا النهب والفجور، حَتَّى في حال كون القائد منهم قائداً جهادياً سابقاً، فَلَمْ يكن أعضاؤه من المجاهدين، ولكن العرقية والقواسم المشتركة السلبية الأخرى جمعتهم معاً.

وعندما تصاعدت وحشية المسلحين، بحث الناس عن موقف طلبة العلم من هَذِهِ القسوة، وعن أسباب صمتهم تجاه الوحشية الَّتِي انتشرت في كُلّ من المدن والمناطق النائية. ففي تِلْكَ الآونة عومل المسافرون على الطرق السريعة الرئيسية الَّتِي تربط "هلمند – قندهار" و"قندهار – بولدك" معاملة سيئة للغاية. وتسببت تِلْكَ السلوكيات الإجرامية على الطريق السريع بين هلمند وقندهار في العَدِيْد من المشاكل لأشخاص يعيشون بالقرب من مكان إقامة المُلَّا عُمَر.

من ميوند حَتَّى مدينة قندهار برز دارو خان وصالح ونادر جان كقادة متوحشين حَيْثُ عاملوا المسافرين معاملة سيئة للغاية، وشكلوا تهديدًا كبيرًا على أعراض الناس وممتلكاتهم. كما عُرف منصور وبارو كقادة قاسين في مناطق إنزارجي وغزنة وتانجي وتخت بول على طريق بولدك– قندهار. فمنصور كان قائداً سابقاً عند قائد الميليشيا الشهير عصمت مسلم، وحظي بدعم العَدِيْد من الشيوعيين السابقين وأبناء قبيلة أتشكزاي بسبب الروابط القبلية.

بمبادرة من المُلَّا عُمَر في يونيو 1994 عُقد اجتماع في مسجد المجاهد السابق الحاج غوث الدين شارك فِيْهِ علماء من المناطق المجاورة ومديرو مدارس ومعلمون وأئمة. وكان من بين الحضور مَوْلَوِي سيد مُحَمَّد الَّذِي ظل قاضيًا لمجاهدي المنطقة، وعُرف باسم مَوْلَوِي پاسني، ومَوْلَوِي عبد الحكيم المعروف باسم الشيخ عبد الحكيم الَّذِي أصبح لَاحِقَا عضواً في مجلس شورى حركة طَالِبَان والمسؤول عن ملف القضاء، وخلال الاجتماع قرر المشاركون بدء حركة إصلاحية ضِدّ إجرام المليشيات. وطُلب من مَوْلَوِي سيد مُحَمَّد قيادة هَذِهِ الحَرَكَة

لكنه رفض، وانتهى الاجتماع دون نتيجة، وفي اليوم التالي زار المُلَّا عُمَر عدة مدارس مختلفة للحصول على دعم للمشروع المأمول رفقة صديقه المُلَّا عبد الصمد[1].

لكن يقول المُلَّا جول آغا إن الاجتماع الأول عُقد في مسجد الحاج غوث الدين، وأن مَوْلَوِي ياسني لَمْ يكن جزءًا من هَذَا الاجتماع الَّذِي طالب الحاضرون فِيْهِ بمن فيهم الملالي وشيوخ العشائر ومدراء المَدَارِس المحلية باتخاذ خطوات لوقف الممارسات الوحشية للمليشيات، لكنهم اقترحوا على المُلَّا عُمَر الحصول على فتوى من قاضي المنطقة المفتي السيد مُحَمَّد ياسني.

(وبحسب المُلَّا جول آغا فقد تقرر في الاجتماع أن يتشاور المُلَّا مُحَمَّد عُمَر مع مَوْلَوِي ياسني بشأن صدور فتوى بالجهاد ضِدّ هَذَا القهر والطغيان. كان مقر مَوْلَوِي ياسني بالمحكمة الواقعة في قرية زانجي أباد[2] فأعطى الحاج "بشير"[3] المُلَّا عُمَر وصديقه مَوْلَوِي عبد الصمد سيارة وسائق توجهت بهما إلى المحكمة حَيْثُ انتظرا هناك حَتَّى بعد الظهر ثُمَّ اجتمعا مع مَوْلَوِي ياسني، وأطلعاه على تفاصيل الاجتماع في مسجد الحاج غوث الدين، فَقَالَ ياسني إنه سيدعو عددًا قليلاً من العُلَمَاء للتشاور معهم، وطلب منهما الاتصال بِهِ مرة أخرى في اليوم التالي، فذهبا إلى قائد المنطقة المُلَّا جول أخوند، وأمضيا الليلة معه.

في اليوم التالي ذهبا إلى المحكمة حَيْثُ دعا مَوْلَوِي ياسني ثلاثة علماء آخرين للتشاور معهم، وهم: مَوْلَوِي عطا مُحَمَّد أخوند زاده، ومَوْلَوِي شاه مُحَمَّد، ومَوْلَوِي عبد الخالق. وبناء على إجماعهم، أبلغوا المُلَّا عُمَر أن الجِهَاد واجب في الظروف الحالية، وأن هناك حاجة ماسة للتحرك ضِدّ عناصر المليشيات وجرائمهم. لكنهم قالوا إنه لا يمكنهم إصدار فتوى مكتوبة

---

1 – تولى المُلَّا عبدالصمد لاَحِقًا في عهد طَالِبَان منصب حاكم مقاطعة سبين بولدك ثُمَّ ترأس وزارة الكهرباء في قندهار ثُمَّ وزارة الزراعة في ولاية هلمند.

2 – هي ثاني أكبر قرية في مديرية بانجواي..

3 – الحاج بشير هو زعيم قبلي من قبيلة نورزاي بقندهار، قاتل خلال الجِهَاد الأَفْغَانِيّ ضِدّ الشيوعيين مع الاتحاد الإِسْلَامِيّ بقياد سياف، ثُمَّ انضم إلى مَوْلَوِي يونس خالص كما دعم حكم طَالِبَان، لكنه تعاون مع الإدارة الجديدة عقب الغزو الأمريكي، وسُجن في أمريكا منذ عام 2005 عقب إدانته بالإتجار في المخدرات، وأفرج عَنْهُ في تبادل أسرى في سبتمبر 2022. ويُطلق عَلَيْهِ الإعلام الأمريكي اسم "بابلو اسكوبار" الأَفْغَانِيّ.

لأن عناصر المليشيات سيفتكون بهم لو أصدروها في ظل عدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم، كما قالوا لِلْمُلَّا عُمَر إنك أيضًا ليس لديك قوة عسكرية للتحرك ضِدّ المليشيات، فَقَالَ لهم المُلَّا عُمَر: سنبدأ جهادنا وإذا نجحنا فعليكم أن تدعمونا وتعطونا فتوى، وإذا فشلنا أو استشهدنا فلن يضايقكم أحد.

إلى جانب مَوْلَوِي عبد الصمد انضممتُ إلى المُلَّا عُمَر الَّذِي أراد زيارة المَدَارِس الدِّيْنِيَّة وإقناع طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة بالجهاد، فذهبنا إلى بانجواي واجتمعنا مع المُلَّا مُحَمَّد أخوند (الَّذِي أصبح فيما بعد قائدًا عسكريًا لِطَالِبَان)، ومعلم بديع "قائد المنطقة" والحاج توراك آغا (حاكم خوست في عهد نظام طَالِبَان، والَّذِي ترأس فيما بعد الهلال الأحمر) حَيْثُ وعدنا بتقديم دعمه الكامل. وخلال التجوال قَالَ سائق الحاج بشير نورزاي إنه متعب ولا يمكنه القِيَادَة إلى قرية "غوشاك جارجا" فطلب المُلَّا عُمَر الذهاب إلى غرفة الضيوف الخاصة بي ونقل تحياتنا إلى المُلَّا برادر أخوند، وإخباره بأننا بدأنا عملنا. ومنذ ذَلِكَ الوقت بدا أن المُلَّا عُمَر هو القائد والمُلَّا عبد الغني برادر نائبه.

ذهب المُلَّا عُمَر ومَوْلَوِي عبد الصمد إلى مجلس "سروار ماما" الَّذِي أعطاهما دراجة نارية كما زارا مدارس مختلفة بما في ذَلِكَ مدرسة مشان[1] الواقعة في قرية قريبة من قرية المُلَّا عُمَر، ومدرسة الحاج أختر مُحَمَّد في قرية طالقان، ومدرسة الحاج قدير آغا حَيْثُ يعطي الشيخ مَوْلَوِي عبد الحكيم دورات دينية قصيرة، ومدرسة الحاج حافظ مجيد في قندهار (قائد الشرطة في عهد نظام طَالِبَان) في قرية زانجي أباد حَيْثُ يعيش طلبة علوم دينية آخرون.

في كُلّ لقاء ألقى المُلَّا عُمَر كلمة مكتوبة شرح فِيْهَا ضرورة الجِهَاد ووجوبه، وطالب الطلبة بالاستعداد للجهاد، وأصر على البدء بِهِ فورًا قائلاً: لا ينبغي لأحد أن يكون لَهُ عذر في الانشغال بالدراسات الدِّيْنِيَّة وعدم الانشغال بالمصابين والشهداء. وقَالَ كَذَلِكَ لا توجد لدي موارد مالية وعليكم جميعًا أن تدعموني على أساس الثقة بي. وقد وافقت قلة قليلة من طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة على الانضمام إلى المُلَّا عُمَر وفق هَذِهِ الشروط الصارمة.

---

[1] – تقع قرية مشان في مديرية بانجواي بولاية قندهار.

وافق حوالي أربع وخمسين طالبًا من مدارس مختلفة، ودعاهم المُلَّا عُمَر للحضور إلى مدرستنا في اليوم التالي لكن بعد تفاعلهم مع ما سمعوه جاءوا إلى مدرستنا في الساعة الواحدة صباحًا. وقد رآهم المُلَّا عُمَر في صلاة الفجر. وبعد أن أم المصلين في الصلاة سألني كيف أنقل هَؤُلَاءِ الطلبة خلال التحرك فقلت لَهُ يجب أن نطلب مساعدة الحاج بشير فأرسلنا المُلَّا سيف الله أخوند إلى الحاج بشير على الدراجة النارية الَّتِي أعطاها لنا سروار. فاستجاب الحاج بشير وقدم لنا سيارة بيضاء رباعية الدفع[1] وشاحنة تويوتا طراز هينو. وكان عنده أيضًا المعلمان سناء الله ومحمد نبي، ولَمْ يسترجع الحاج بشير السيارتين قط.

توجه طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة "طَالِبَان" إلى كشكين أخود عاصمة مديرية ميوند، ولَمْ يكن مع الطلبة آنذاك سوى خمس قطع أسلحة عبارة عن ثلاثة بنادق كلاشينيكوف ورشاشين ثقيلين. تركنا الأسلحة لحماية المدرسة، وذهبنا إلى ميوند بالسيوف والعصي كما قمنا ببناء غرفة في المدرسة، وأقمنا نقاط تفتيش أمنية بالسلاسل على كُلّ جانب من جوانب السوق. وخلال التفتيش الأمني قص الطلبة شعر المقاتلين المتوحشين التابعين للمليشيات.

في اليوم الثاني قدم لنا الحاج بشير عشرين قطعة سلاح وثلاثة ملايين من النقد الأَفَغَانِيّ. كما قدم الزعيم القبلي بالمنطقة الحاج بورجيت آغا خمسة عشر قطعة سلاح بما في ذَلِكَ مدفع رشاش بعيد المدى. وفي اليوم الثالث تجمع ثمانون شخصًا مسلحًا من الطلبة تحت قيادة المُلَّا عُمَر من ضمنهم المُلَّا برادر وأصدقاء آخرين أكبر سنًا. كَانَت معي قاذفة صواريخ وثلاثة قذائف. وتحركنا من ميوند إلى مسجد منطقة باشمول وزير الساعة الواحدة صباحًا. وقد استيقظ مَوْلَوِي "خوش ديل" لأداء الصلاة في وقت متأخر من الليل، وقَالَ بما أننا متعبون فسوف يؤدي هو مهام الحراسة حَتَّى الصباح.

في الصباح أرسل المُلَّا عُمَر مجموعة من الطلبة بقيادة المُلَّا برادر إلى أحد جوانب الطريق السريع، بينما كَانَت مجموعة المُلَّا الشهيد رحمة الله أخوند والقادة المُلَّا عبد الواحد أخوند والمُلَّا مشر على مقربة في الجانب الآخر، ووقع تبادل لإطلاق النار لكن لَمْ تقع إصابات. وفي

[1] – تويوتا داتسن بحسب المُلَّا عبد السَّلَام ضعيف في مذكراته حياتي في طَالِبَان، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 2015، ص154.

المساء اتخذ المُلَّا برادر موقعه على الطريق السريع، ثُمَّ جاء مسلحون من المليشيات يركبون سيارة أخذوها بالقوة من المواطنين، فأسرهم مسلحو طَالِبَان، وخلال تفتيشهم ضُبطت بعض المشروبات الكحولية والرصاص في السيارة لكن هرب المسلحون في وقت لاحق.

في الليل جاء أصدقاء سر كاتب (القائد العام لقندهار آنذاك) واندلعت المعركة مرة أخرى في الصباح مع صياح المسلحين عند نقطة التفتيش بأنهم رجال سر كاتب[1]، وبعد تبادل لإطلاق النار أُخليت أيضًا ستة حواجز تابعة للقائد صالح. وأصيب المُلَّا داد الله قائد الطلبة في ذَلِكَ اليوم، وكان أول رجل يُصاب من حركة طَالِبَان.

كان للقائد القبلي الشهير دارو خان من منطقة الصولغة ثلاثة نقاط تفتيش غير قانونية، وطلب منا ممرًا آمنًا فوفرناه لَهُ، وغادر رجاله الحواجز دون مقاومة. وفي ذَلِكَ الوقت قُسمت طَالِبَان إلى أوتاق مختلفة يتراوح عددها من أربعة إلى خمسة أوتاق[2]. وكان دعم المواطنين وسعادتهم ملموسين، وأخذ عدد عناصر طَالِبَان يزداد كُلّ يوم، وارتفعت أعداد ومعنويات أفراد طَالِبَان أكثر بعد انضمام المُلَّا مُحَمَّد رباني أخوند (شغل منصب رئيس وزراء حكومة طَالِبَان ونائب المُلَّا عُمَر قبل وفاته بورم سرطاني) والمُلَّا مُحَمَّد عيسى أخوند.

مفاوضات أولية مع ميليشيات (طوباكيان) وفقًا لِلْمُلَّا جول آغا

جاء معظم القادة والأشخاص الَّذِينَ أقاموا حواجز غير شرعية في قندهار للتفاوض باستثناء المُلَّا نقيب وخان مُحَمَّد. فعلى سبيل المثال جاء سر كاتب من باغ بول، والأستاذ عبد الحكيم من زارا بولا، ونادر جان من نايجيهان، وأمير لالاي من مدينة قندهار، وحبيب الله جان من سنزاري، والعَدِيْد من القادة الصغار الآخرين اجتمعوا مع المُلَّا عُمَر والمُلَّا برادر والمُلَّا مُحَمَّد أخوند. وطلبوا من طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة "طَالِبَان" ألا يزعجوهم مقابل تقديم دعمهم الكامل للطلبة. وبالمقابل طلب المُلَّا عُمَر منهم عدة طلبات في مقدمتها إزالة نقاط

1 – عطا مُحَمَّد سر كاتب: من قيادات الحِزْب الإِسْلَامِيّ أثناء الجِهَاد الأَفْغَانِيّ ضِدّ الروس بقندهار، وقضت طَالِبَان على نفوذه عام 1994 حَيْثُ غادر إلى كويتا بباكستان.

2 – الوتق كلمة تعني خيمة أو معسكر بالفارسية.

التفتيش غير القانونية الَّتِي دشنوها. فردوا عَلَيْهِ قائلين: إذا كان هدفك هو تطبيق الشريعة في المدينة، فسننشئ محاكم قوية ونوفر لك أفرادًا مسلحين وموارد أخرى. فَقَالَ المُلَّا عُمَر: لا نريد صدقة من أحد، عليكم إزالة الحواجز غير الشرعية، وسنقيم نقاطا لِطَالِبَان هناك للسيطرة على الأمن وحماية الناس وممتلكاتهم إذ لا نثق بكم حاليًا. واتفقوا في النهاية على إزالة نقاط التفتيش وبناء الطلبة لنقاط حراسة بديلة.

في ذَلِكَ الوقت تمركز الوتق الرئيسي للطلبة في داند، وتحدث المُلَّا عُمَر إلى المُلَّا منصور الَّذِي كَانَت لديه نقطة تفتيش أمنية في منطقة ترنيكة (منطقة حدودية بين مدينة قندهار وبولدك) وطلب مِنْهُ إزالة نقطة التفتيش وفق التعهدات المقدمة لِلْمُلَّا عُمَر. وتوقع المُلَّا عُمَر أن يزيل جميع قادة قندهار الحواجز من نقاط التفتيش الأمنية مع ترجيحه أن يقاتل قادة منطقة بولدك رفضًا لِذَلِكَ. ونصح المُلَّا عُمَر المُلَّا منصور بألا يتورط في مشاكل مع الناس في أمور مثل حلق شعورهم وغيرها من القضايا البسيطة، وقَالَ لَهُ إذا فعلت ذَلِكَ فلن يقف أحد في طريقك. وحدث ما توقعه المُلَّا عُمَر بالفعل حَيْثُ قاتلت مليشيات بولدك المسلحة ضِدّ طَالِبَان، وانتهى القِتَال بشنق المُلَّا منصور ومجرمين آخرين دون أن يسأل أحد عنهم أو يهتم بمصيرهم)[1].

بداية حركة طَالِبَان حسب رواية المُلَّا عُمَر

انعقد اجتماع كبير للعلماء البارزين في قندهار في 4 أبريل 1996. وفي نهاية هَذَا الاجتماع حصل المُلَّا عُمَر على لقب "أمير المؤمنين". حضرت طوال مراحل الاجتماع بصفتي مضيفًا. وقد خاطب المُلَّا عُمَر التجمع في اليوم الأخير بلهجة مبسطة ثُمَّ بعد يومين تحدث في نفس الموضوع مع بعض التغييرات الطفيفة خلال لقائه مع وفد من العُلَمَاء من بولدك. وهَذَا ملخص كلامه:

(وصلت أحوال مدينة قندهار والمناطق المحيطة بِهَا إلى درجة أن شرف المسلمين وأرواحهم وممتلكاتهم لَمْ تعد آمنة. ذات يوم عندما كنت أقود الدراجة إلى المدرسة رأيت

1 – هَذِهِ الفقرة المطولة بداية من شهادة المُلَّا جول أغا وردت في النص الإنجليزي للكتاب ولَمْ ترد في النسخة الأصلية بالبشتو.

شخصًا يقف على الطريق. وبحلول الوقت الَّذِي وصلت فِيْهِ إلى هناك كان قد مات. أثرت هَذِهِ الأعمال الوحشية وغيرها على ذهني بِشَكلٍ سلبي. وبعد وصولي إلى المدرسة اعتبرت أن من الواجب علي وقف هَذِهِ الجرائم. فتركت أنا وصديقي المدرسة وذهبنا إلى زانجي أباد. وطلبت دراجة نارية هناك من رجل يدعى "سروار" من سكان قرية طالقان. وأخبرت صديقي أننا سنزور المَدَارِس الآن لدعوتهم للانضمام إلى قضيتنا.

في المساء ذهبنا إلى إحدى المَدَارِس، ودعونا أربعة عشر من طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة من طلاب المدرسة، وقلنا لهم إن المسلمين يتعرضون للهلاك، وإن عدداً قليلاً من المجرمين القساة استولوا على هَذِهِ المناطق. وأنه لَمْ يعد أحد آمنًا على حياته أو عرضه أو ماله. فهَؤُلَاءِ الفاسقين يذلون الناس على الطرق، ولا ينبغي أن نسكت في مثل هَذِهِ الظروف. وإذا كنتم تتعلمون العُلُوم الدِّيْنِيَّة لإرضاء الله، فعليكم ترك ذَلِكَ حاليًا وإيقاف الفساد مرضاة لله. فالدراسة والتدريس غير ممكنة في ظل هَذِهِ الظروف العصيبة. ولا يمكننا وقف تِلْكَ الجرائم بمجرد رفع الشعارات. وقلت لهم أنه لَمْ يَعِدْنا أحد بالدعم، لكن سنطلب الطعام من المسلمين الأَفغَان، ولا نعرف حَتَّى ما إذا كانوا سيساعدوننا، ويوجد احتمال بألا نجد أبدًا فرصة لمواصلة تعليمنا، كما أننا لسنا متأكدين من فرص نجاحنا.

ولتشجيعهم قلت أيضا: هَؤُلَاءِ المجرمون الفساق يجلسون في الطرق على الأحجار الساخنة في هَذَا الجو الحار، ويظهرون معصيتهم وعداوتهم لله سبحانه وتعالى. فلماذا لا نؤيد الدين علانية؟ لا تكونوا مهملين ولا تثبطوا عزائمكم. عندما نسيطر على أي مكان، سنجلس هناك، ولن تكون هناك شكوى من أن دروسًا فاتتنا أو أننا لا نملك المَال والأسلحة والطعام. وبعد ذَلِكَ سألتهم عما إذا كانوا سيدعمونني أم لا. ولَمْ يقل أي منهم ما إذا كانوا مستعدين للقتال معي، وأخبروني أنه يمكننا دعمك إذا كان بإمكانك القيام بأي شيء ليلة الجمعة القادمة، فقلت لهم من سيفعل شيئًا معي بعد يوم الجمعة؟

ويشهد الله فالقصة كما أذكرها. ولو بحثنا عن مكتسبات ومنافع مادية لكنا قد رجعنا إلى مدارسنا الدِّيْنِيَّة محبطين. لكني وعدت الله ووثقت بهِ، وبسبب هَذِهِ الثقة وصلنا إلى هَذَا المنصب. وبعد ذَلِكَ ذهبنا إلى مدرسة أخرى، وقلنا لهم إن هَذِهِ ليست مهمة سهلة، وسجل

خمسة أفراد أو سبعة أسماءهم. كَانَت كُلّ مدارس الطلبة من نفس السكان المحليين والبلدات، ويسكن طلبتها بنفس المنطقة. لَمْ يكن الأمر ليتم لو كانوا من أماكن مختلفة، أو كان بعضهم من العُلَمَاء والبعض الآخر من الجهلاء، وكانوا جميعًا شبابًا. ففي الأمر حكمة غريبة، وكنت أمام اختبار كبير من الله.

كَانَت هَذِهِ بداية حركة طَالِبَان. وقمنا بزيارة مدارس مختلفة باستخدام الدراجة النارية الَّتِي أعطاها لنا "سروار"، وبحلول المساء، قَدّم لنا ستة وخمسون شخصًا أسماءهم. وطلبت منهم أن يجتمعوا في الصباح الباكر في مدرستي. وفي الليل عدت إلى مدرستي، وبحلول الساعة الواحدة صباحًا حضروا جميعًا.

في صباح اليوم التالي رتبنا اثنين من السائقين، وفي الساعة العاشرة صباحًا أرسلنا عددًا قليلاً من الأشخاص إلى الحاج بشير حَيْثُ طلبنا مِنْهُ سيارتين وأسلحة، وقد وفرها لنا. ذهبنا إلى "كشكين أخود" عاصمة مديرية ميوند، ورتبنا مع بضعة أشخاص آخرين. وعندما زادت أعدادنا، أخذنا الأسلحة وبدأنا عملنا من موقع يبعد خمسة أميال عن منطقتنا.

في النهاية قَالَ المُلَّا عُمَر إننا تنادينا لتحقيق أمر كبير، وسوف نواجه العَدِيْد من الصعوبات من أجل فعل ذَلِكَ. يحتاج هَذَا العمل فقط إلى التوكل على الله، فمن السهل إطلاق الدعاوى، لكن اختبار ذَلِكَ عمليًا أمر صعب للغاية. وأضاف (يا علماء الإسلام أحتاج إلى دعمكم وتوجيهكم لأنني ما زلت طالبًا. إذا لَمْ توجهوني بِشَكلٍ صحيح لتطبيق شرع الله، فستُسألون عن ذَلِكَ في الآخرة).

لماذا دعم الحاج بشير المُلَّا عُمَر؟

في ربيع عام 1994 عندما كان المُلَّا عُمَر يؤسس حركة ضِدّ المليشيات والفوضى ونقاط التفتيش غير القانونية في قندهار، انخرط مقاتلو الحاج بشير في صراع مع مقاتلي الأستاذ عبد العليم القائد التابع لسياف. فالحاج بشير كان قائداً تابعًا للحزب الإِسْلَامِيّ جناح مَوْلَوِي يونس خالص، وسيطر على مركز مديرية ميوند. وبالمقابل أراد رجال عبد العليم إقامة نقطة تفتيش غير قانونية بالقرب من ميوند، مِمَّا شكل تحديًا جديدًا للسكان المحليين، وقد عارض

مقـاتلو بشـير ذَلِـكَ. ووقعـت معركـة مسـلحة بينهمـا بـالقرب مـن مقـبرة "لوكـل خيلـو هـديري" في ميونـد حَيْـثُ قُتـل مسـلح مـن جماعـة عبـد العلـيم. وهـاجم مسـلحون مـن جماعـة عبـد العلـيم في وقـت لاحـق قاعـدة للحـاج بشـير بقيـادة المُـلَّا عبـد السـتار، وقُتـل سـبعة عشـر شخصـًا مـن جماعـة الحاج بشير نورزاي.

كَانَـت هَـذِهِ خسـارة فادحـة للحـاج بشـير إذ لَـمْ يسـبق لَـهُ التـورط في نزاعـات محليـة حَتَّـى ذَلِـكَ الحـين. وبعـد هَـذِهِ الحادثـة، تطلـع الحـاج بشـير إلـى حـل هَـذِهِ القضـايا بطريقـة لائقـة، فالحـاج بشـير علـى معرفـة قديمـة بـالمُلَّا عُمَـر، فهمـا مـن سـكان ميونـد، وكـان بشـير علـى إطـلاع بانجـازات المُـلَّا عُمَـر الجِهَادِيَّـة. وعنـدما علـم بنيـة عُمَـر للتصـدي للفوضـى، دعمـه علـى الفـور عـبر تزويـده بالعتـاد بـل وسـلمه منطقتـه. وهكـذا سـيطرت طَالِبَـان علـى منطقـة ميونـد وأقامـت قاعـدة هنـاك. كمـا أنشـأت قاعدة أخرى في سوق "حوض مدت" قرب مدينة قندهار.

بـدأ المُـلَّا عُمَـر وأصـدقاؤه الكفـاح للقضـاء علـى نقـاط التفتـيش غيـر الشـرعية وإحـلال السَّـلَام في المنـاطق الواقعـة بـين قنـدهار وهلمنـد. كمـا أسسـوا قاعـدة صـغيرة في منطقـة دانـد بـالقرب مـن مدينـة قنـدهار. وظلـوا لمـدة شـهرين علـى الأقـل يطلبـون مـن المسـلحين المتواجـدين في نقـاط التفتـيش غيـر الشـرعية التخلـي عـن هَـذَا العمـل والمغـادرة. وفي النهايـة أزالـوا بـالقوة نقطـة تفتـيش غيـر شـرعية في منطقـة باشـمول الواقعـة بـين قنـدهار وميونـد. وكَانَـت هَـذِهِ بدايـة العمـل العَسْـكَرِيّ لِطَالِبَان.

ومـن قاعـدة طَالِبَـان الجديـدة في "حـوض مـدت" وصـولا إلـى قنـدهار، تواجـدت مـا يقـرب مـن عشـر نقـاط تفتـيش اشـتهرت باسـم القـادة المسـيطرين عَلَيْهَـا: دارو خـان (كولـك)، بسـم الله (باشـمول)، بيـر مُحَمَّـد (باشـمول)، صـالح مُحَمَّـد (بسـاو وزيـر كـالا سـره)، قيـوم خـان (أشـوغه)، حبيـب الله جـان (سـنخري)، نـادر جـان (شـاه آغـا دوراهـي)، عطـا مُحَمَّـد سـر كاتـب (بـاغ بـول)، الأستاذ عبد العليم (ساربوزه)، مُلَّا نقيب الله (هندوكوتي).

أول دورية وأول معركة

عندما بدأ المُلّا عُمَر وأصدقاؤه نضالهم المنظم ضِدّ مسلحي نقاط التفتيش غير الشرعية، طُلب من المسلحين عند نقاط التفتيش مرارًا وتكرارًا التوقف عن ممارساتهم، لكن ردهم كان قاسيًا ومثيرًا للاشمئزاز. كَانَت أول نقطة تفتيش للمسلحين هي نقطة تفتيش "دارو خان" بالقرب من باشمول على الطريق السريع. وقد سئم الناس من ظلم وقسوة المليشيات.

في 29 سبتمبر 1994 هاجمت طَالِبَان حاجز "دارو خان" في منطقة كولك، ونجح الهجوم، فهرب المسلحون وغادروا المنطقة، وخلصت طَالِبَان الناس من مقاتلي نقاط التفتيش وقادتهم، ونتيجة لِذَلِكَ رحبت المجتمعات المحلية بعناصر طَالِبَان في كُلّ مكان مِمَّا رفع من معنوياتهم. ومن ثُمَّ بدأ الدعم العام يترسخ وانضم إليهم أشخاص جدد من كُلّ مكان. وكَانَت هَذِهِ هي الخطوة الأولى للتقدم العَسْكَرِيّ لِطَالِبَان الَّذِي حدث في المنطقة الواقعة بين منطقتي داند وبانجواي حَيْثُ كان المُلّا عُمَر يتمتع بنفوذ في السابق.

يربط قلة من المعلقين الجهلاء أو المغرضين ظهور حركة طَالِبَان بمنطقة بولدك بالقرب من الحدود مع باكستان، وهو خطأ تاريخي. فقد بدأت انتفاضة طَالِبَان في المنطقة الواقعة بين مقاطعات ميوند وداند وبانجواي، وظهرت لأول مرة في ميوند، منطقة الفاتح الأَفَغَانِيّ مُحَمَّد أيوب خان.

انتخابُ المُلّا عُمَر أميراً

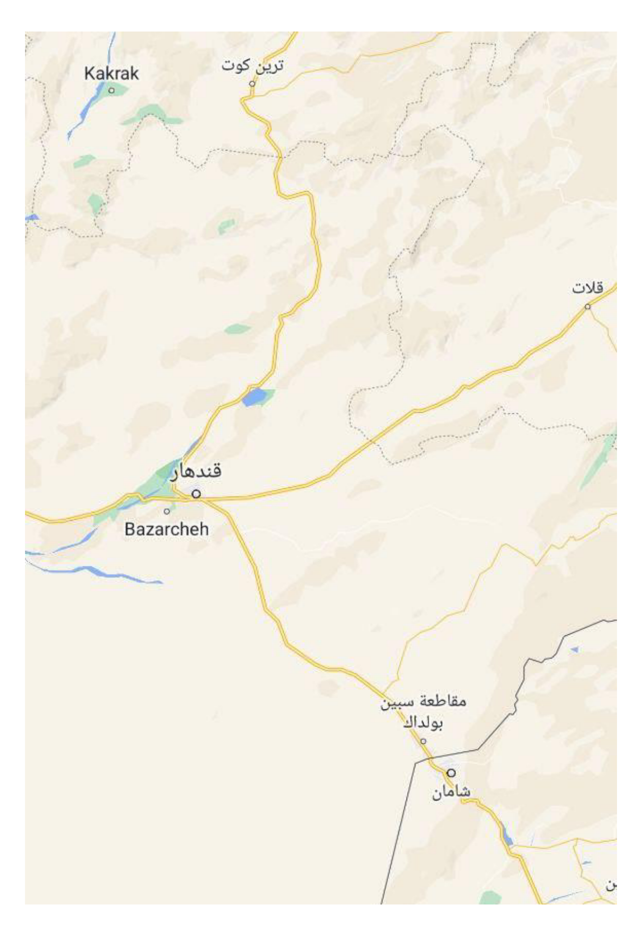
أدى القضاء على نقطة تفتيش "دارو خان" إلى إخافة المسلحين الآخرين، فهجر عدد قليل منهم المنطقة طواعية، في حين بقي عدد قليل من الرجال القساة مثل صالح ونادر جان. وانضم عدد قليل من الجهاديين السابقين المشهورين وطلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة الجدد من مناطق بولدك وأرغستان وأرغنداب ومعروف إلى حركة طَالِبَان. وكان مَوْلَوِي عبد الصمد والمُلّا عُمَر يعملان معًا حَتَّى هَذَا الوقت. حَيْثُ عمل المُلّا عُمَر كقائد عسكري، بينما كان مَوْلَوِي عبد الصمد هو الرئيس. لكن خاف مَوْلَوِي عبد الصمد من توسع حركة طَالِبَان لأنه كان شخصًا هادئا للغاية، فاعتبر معظم عناصر طَالِبَان المُلّا عُمَر زعيمهم الفعلي في حين أراد الأصدقاء

المـؤثرون والعُلَمَـاء بالمنطقـة أن يكـون أيـًا مـن الـرجلين أميـرًا دائمًـا. وبعـد ثمانيـة أيـام مـن العمليـة العَسْـكَرِيَّة الأولـى، دُعـي لعقـد اجتمـاع لاختيـار أميـر في المسـجد الأبـيض في منطقـة حـوض مـدت. وقـد وافـق معظـم المشـاركين بمـن فـيهم المُـلَّا نـور الـدين الترابـي علـى تعيـين المُـلَّا عُمَـر أميـراً، واختير بالإجماع. وعقب ذَلِكَ استعدت طَالِبَان للاستيلاء على منطقة بولدك.

معارك حركة طالبان

- وتوسعها في قندهار إلى طريق -(كابول - قندهار) -

السيطرة على "سبين بولدك"



لَـمْ تكـن "سـبين بولـدك" تحـت نفـوذ طَالِبَـان أو المكـان الَّـذِي انطلقـت مِنْـهُ. فقـد تشـكلت حركـة طَالِبَـان في أمـاكن بـين قنـدهار وهلمنـد كَانَـت في السـابق منـاطق نفـوذ لـزعيم طَالِبَـان المُـلَّا مُحَمَّـد عُمَـر حَيْـثُ قـاد الجِهَـاد فِيْهَا ضِدّ السوفييت.

بعـد الاسـتيلاء علـى نقطـة تفتـيش علـى طريـق قنـدهار في أول عمـل عسـكري بـارز للحركـة، قـام العُلَمَـاء وطلبـة العلـم مـن مقاطعـات أرغسـتان ومعـروف وبولـدك في قنـدهار بزيـارة المُـلَّا عُمَـر، وتبـاهوا بأبنـاء منـاطقهم مـن المجاهـدين المشـهورين وطلبـة العلـم والعُلَمَـاء بمـا في ذَلِـكَ المُـلَّا مُحَمَّـد ربـاني المعـروف باسـم الحـاج معـاون الَّـذِي أصـبح مسـاعداً لِلْمُـلَّا عُمَـر ورئيسـاً للـوزراء حَيْثُ تعود جذوره إلى أرغستان.

كَانَـت هَـذِهِ المقاطعـات علـى وشـك الانهيـار، وتحتـاج لقيـادة موحـدة. وبعـد التشـاور مـع طلبـة العلـم بِهَـذِهِ المنـاطق، خطـط المُـلَّا عُمَـر للاسـتيلاء علـى مقاطعـة سـبين بولـدك، فهاجمهـا في 10 أكتـوبر 1994. وبعـد عشـرة أيـام مـن العمليـات العَسْـكَرِيَّة في المنـاطق الواقعـة بـين قنـدهار وهلمنـد، مُـدت حركـة طَالِبَـان بعـدة مركبـات مموهـة. وكَانَـت إحـدى المركبـات بقيـادة المُـلَّا مُحَمَّـد أخونـد (الَّـذِي أصـبح فيمـا بعـد قائـداً عسـكرياً في الجَنُـوب خـلال حكـم طَالِبَـان)، وهـو قائـد في

طَالِبَان، وكَانَت سيارة أخرى تحت قيادة المُلَّا مُحَمَّد، وهو صديق مقرب لِلْمُلَّا عُمَر. وتوقفت الشاحنات في وسط مقاطعة سبين بولدك، وبدأ فرض نفوذ حركة طَالِبَان.

مركز مقاطعة بولدك كان تحت سيطرة قائد الحِزْب الإِسْلَامِيّ "أختر جان" الَّذِي لَمْ يكن مستعداً للمعركة حَيْثُ فر مسلحوه بسبب الهجوم المفاجئ، واكتفى عناصر طَالِبَان بإطلاق طلقات في الهواء لتخويف رجال أختر جان، ووقعت أغلب المنطقة تحت سيطرة طَالِبَان.

في اليوم التالي جاء أختر جان ورجاله للقتال، وهاجموا مركز المقاطعة، لكن عناصر طَالِبَان لَمْ يطلقوا النار استجابة لتعليمات المُلَّا عُمَر، وأرادت طَالِبَان من خصومها مغادرة المنطقة دون قتال، وبالتالي لَمْ يردوا على إطلاق النار.

في اليوم الثالث هاجم رجال أختر جان عناصر طَالِبَان مجدداً، فردوا عليهم بإطلاق النار، وأطلق المُلَّا داد الله عليهم قذيفة آر بي جي، ولأول مرة قُتل رجل من جانب طَالِبَان هو "سليم أغا" من سكان زانكاوات بقندهار. وبعد فترة وجيزة، سقطت الأجزاء المتبقية من المقاطعة أيضًا في يد طَالِبَان. وأذاعت وسائل الإعلام الإقليمية خبر الاستيلاء على سبين بولدك، لتجتذب حركة طَالِبَان انتباه دول المنطقة وبقية العالم.

لقد لقيت طَالِبَان بلا شك ترحيبًا حاراً من قبل رجال الأعمال وعامة الناس والسائقين على الطرق السريعة. وانتشر خبر سيطرتها على سبين بولدك حَيْثُ تداوله السكان على جانبي الحدود البَاكِسْتَانِيَّة الأَفْغَانِيَّة، وجاء طلاب المَدَارِس الدِّيْنِيَّة البَاكِسْتَانِيَّة لدعم طَالِبَان، وانضم الطلبة الجدد للحركة تمهيداً للسيطرة على قندهار.

السيطرة على سبين بولدك كَانَت بمثابة مبادرة جيدة لِطَالِبَان، فمن ناحية انضم بعد ذَلِكَ إلى صفوفها قادة طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة وأبرز القادة من المقاطعات المجاورة، ومن ناحية أخرى جذب الانتصار طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة الأَفْغَان من المَدَارِس البَاكِسْتَانِيَّة.

كان هناك سوق ضخم بين بولدك وتشامان حَيْثُ تاجر فِيْهِ كبار التجار وعقدوا صفقاتهم. وأصبح وجود طَالِبَان مصدر دعم لهم حَيْثُ وفرت لهم الأمن، **وبالمقابل ساعد هَؤُلَاءِ التجار طَالِبَان ماليًا، وتولوا نفقات الغذاء والوقود والمركبات مِمَّا عزز قوة حركة طَالِبَان.**

وبعـد الاسـتيلاء علـى بولـدك سـيطرت طَالِبَـان أيضًـا علـى عـدد قليـل مـن مسـتودعات الأسـلحة والـذخيرة التابعـة للمليشـيات المسـلحة الَّتِي سـيطرت علـى المنطقـة سـابقًا، وحصـلت طَالِبَـان مِنْهَـا على كمية هائلة من الأسلحة.

وقـد أدى الـدعم المـالي والـترويج لِطَالِبَـان مـن قبـل الأَفْغَـان المقيمـين في باكسـتان والبشـتون الباكسـتانيين ذوي التوجهـات الدِّينِيَّـة إلـى تعزيـز قـوات طَالِبَـان بِشَـكلٍ مضـاعف. فكُـلّ مـن سـافر إلـى إيـران أو باكسـتان مـن خـلال هَـذَا الطريـق سـواء بمفـرده أو مـع أسـرته، واجـه مشـاكل علـى يـد المليشـيات، وأراد الـتخلص مِنْهَـا، وهـو مـا حققتـه طَالِبَـان. وقـد أثـر ذَلِـكَ أيضًـا علـى الباكسـتانيين لأن السَّلَام والأمن في الجوار يعنيان مستقبلًا أفضل للمنطقة.

السيطرة على مدينة قندهار

حَتَّى قبـل السـيطرة علـى مقاطعـة سـبين بولـدك، تحـرك عناصـر طَالِبَـان بحريـة في مدينـة قنـدهار بسـبب عـدم وجـود جهـاز أمنـي مركـزي قـوي يسـيطر علـى المدينـة. فباسـتثناء عـدد قليـل مـن الأمـاكن تمتـع كُـلّ فصـيل مـن المقـاتلين بحريـة التنقـل في المدينـة، ولَـمْ يهـاجموا بعضـهم الـبعض. وبعـد سـيطرة طَالِبَـان علـى نقطـة تفتـيش دارو خـان أُخليـت جميـع نقـاط التفتـيش بـين منطقـة ميونـد وقنـدهار بـالتزامن مـع فـرار المسـلحين. وقـد غـادر عـدد قليـل مـنهم المنطقـة بعـد إبـداء مقاومـة طفيفـة، وبقيـت فقـط نقطـة تفتـيش منطقـة بـاغ بـول الَّتِي أقامهـا قائـد الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ عطـا مُحَمَّـد سر كاتب، بالإضافة إلى وجود قاعدة عسكرية تابعة لمقاتلي الأستاذ عبد العليم.

حاولـت طَالِبَـان في البدايـة حـل المشـاكل مـع تِلْـكَ المجموعـات عـبر التفـاهم المتبـادل. لكـن سـاد انعـدام الثقـة عنـدما خطـط عطـا مُحَمَّـد لقتـل المُـلَّا عُمَـر، فبعـد الاسـتيلاء علـى نقطـة تفتـيش نـادر خـان علـى طريـق شـاه آغـا، أنشـأت طَالِبَـان مركـزًا في منطقـة هنـدوكوتاي. وعـادة مـا كـان المُـلَّا عُمَـر يـأتي لزيـارة هَـذَا المركـز مـن ميونـد، وكـان حـاجز سـر كاتـب يقـع علـى نفـس الطريـق. كُشـفت المـؤامرة بواسـطة عُمَـر خطـري نجـل الـزعيم القبلـي الحـاج عبـد العلـيم الَّـذِي يسـكن بـنفس قريـة المُلَّا عُمَـر. ومـن ثُـمَّ أجـل المُـلَّا عُمَـر سـفره وفشـلت الخطـة. وبعـد أيـام قليلـة اعتقـل سـر كاتـب قائـد

طَالِبَان الشهير المُلَّا بورجان على هَذَا الطريق. فاعتقلت طَالِبَان قائدًا آخر للحزب الإِسْلَامِيّ يُدعى عبد الأحد، وأفرج عن المُلَّا بورجان مقابل الإفراج عَنْهُ.

كان دور العُلَمَاء وطلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة بارزًا جدًا في السيطرة على قندهار إذ ينتمي البشتون الَّذِينَ يعيشون بالقرب من جبال كوزهاك وفي المناطق الحدودية لقندهار إلى نفس القبائل. وتوجد العَدِيْد من المَدَارِس في هَذِهِ المناطق، وخلال الجِهَاد ضِدّ الاتحاد السوفياتي اشتهرت تِلْكَ المناطق بأنها معابر ومناطق استراحة للمجاهدين. وقد هاجر الناس من المناطق البعيدة من مقاطعات سبين بولدك ومعروف وأرغستان في ظل الروابط القبلية الَّتِي تربطهم بسكان المناطق الحدودية في باكستان إلى أماكن مثل شامان، جولستان، باشين، زنجال، قلعة عبد الله، وتوبه.

توجد العَدِيْد من المَدَارِس الدِّيْنِيَّة والعُلَمَاء الَّذِينَ لديهم نفوذ مناطقي وقبلي. وقد تحرك هَؤُلَاءِ خلال الجِهَاد ضِدّ الاتحاد السوفياتي بدوافع دينية وروحية. يستحق المرحوم مولانا عبد الغني من شامان أن نذكره هنا، فقد كَانَت خطبه ضِدّ الشيوعيين تخيفهم لدرجة أنهم قصفوا مسجده عبر خط ديوراند الحدودي الفاصل بين باكستان وأَفْغَانِسْتَان. ومن بين العُلَمَاء وطلبة العلم البارزين من بولدك المُلَّا عبد الصمد، المُلَّا عبد الرازق (وزير الداخلية في عهد طَالِبَان)، المُلَّا سراج الدين، المُلَّا دوست مُحَمَّد، المُلَّا خلق داد، المَوْلَوِي عبد المنان حنفي، المُلَّا ولي جان.

في 3 نوفمبر، دخلت حركة طَالِبَان مدينة قندهار بعد أن استولت على نقاط التفتيش الموجودة بين المدينة ومقاطعة بولدك. وهرب مقاتلو منطقتي "تخت بول" و "انځرګي". أثرت هَذِهِ الخسائر على معنويات قادة المليشيات في قندهار، وقد حاولوا تشكيل تحالف فيما بينهم ضِدّ طَالِبَان، ولكن بسبب صراعاتهم على مدى السنوات القليلة الماضية لَمْ يكن لديهم سوى القليل من الوقت لتشكيل تحالف بِشَكلٍ سريع، فسقط المطار والعَدِيْد من أحياء مدينة قندهار في أيدي حركة طَالِبَان دون مقاومة.

عنـدما فشـلت المُفَاوَضَـات هُـزم سـر كاتـب في المعركـة وهـرب. وبعـد هزيمتـه قـام القائـد البـارز بمدينـة قندهار المُـلَّا نقيـب الله أخونـد بتسـليم أسـلحته ومعداتـه إلـى طَالِبَـان. ويمكـن القـول بـأن الـدعم الفعلـي للسـيطرة علـى مدينـة قنـدهار كـان مـن طـرف المُـلَّا نقيـب الله الَّـذِي سـلم لِطَالِبَـان أربعين دبابة وأسلحة أخرى ثقيلة وخفيفة.

قـادة طَالِبَـان الرئيسـيون الَّـذِينَ لعبـوا دورًا في دفـع المُـلَّا نقيـب الله للاستسـلام هـم: المُـلَّا مُحَمَّـد (الَّـذِي ظل القائـد العـام لقـوات طَالِبَـان، ثُـمَّ استشـهد خـلال المعركـة مـع إسـماعيل خـان بـين قنـدهار وهـرات، والمُـلَّا مُحَمَّـد ربـاني نائـب المُـلَّا عُمَـر ورئـيس مجلـس تصـريف الأعمـال "مجلس الوزراء").

قبـل عـام مـن استسـلامه أخـبر المُـلَّا نقيـب المـواطنين في مسـجد "خـرقـي" أن القـادة المنسـوبين إِلَيْـهِ ليسـوا تحـت سيطرته مِمَّـا يشـير إلـى أنـه كـان يبحـث عـن طريقـة للخـروج مـن هَـذَا الوضـع. وقـد لعـب دورًا بـارزاً في تسـليم الفيـالق العَسْـكَرِيَّة الموجـودة بقنـدهار، وأجـبر القائـد الشـهير خـان مُحَمَّـد "خـانو" علـى الفـرار مـع رجالـه. ولَاحِقَـا أصبح "خـان مُحَمَّـد" قائـداً لشـرطة قندهار في عهد حكومة كرزاي، وقُتل في هجوم لِطَالِبَان.

في 15 نـوفمبر، أصـبحت مدينـة قنـدهار والمنـاطق المحيطـة بهَـا تحـت سـيطرة طَالِبَـان. وعُـين المُـلَّا عُمَـر رئيسًـا لجميـع المكاتـب العَسْـكَرِيَّة والحكوميـة في الولايـة. وبعـد الاسـتيلاء علـى قنـدهار أصـبح اسـم حركـة طَالِبَـان حاضـراً في وسـائل الإعـلام الإقليميـة والدوليـة. وتحـدث الجميـع عـن طَالِبَـان كُـلّ حسـب معلوماتـه. وقَـالَ مسـلحون ممـن فـروا مـن وجـه طَالِبَـان لإذاعـة بـي بـي سـي بلغـة الباشـتو، وهـي مصـدر إعلامـي بـارز في ذَلِـكَ الوقـت (إن باكسـتان دعمـت طَالِبَـان في الاسـتيلاء علـى قنـدهار). وسـواء كـان هَـذَا تصـريحـاً ذاتيـاً مـنهم أو بإيعـاز مـن آخـرين، فقـد سـاعد خصـوم طَالِبَـان الَّـذِينَ أشـاعوا أنهـا تحصـل علـى دعـم باكسـتاني. ومـع ذَلِـكَ، لَـمْ يتـأثر المواطنـون بِهَـذِهِ الدعايـة، فرحبـوا بِطَالِبَـان في كُـلّ مكـان مِمَّـا سـاعدها علـى الانتقـال إلـى منـاطق أخـرى في جميـع أنحـاء أَفْغَانِسْتَان.

على مستوى العمليات العَسْكَرِيَّة، فإن زعيم الحِزْب الإِسْلَامِيّ قلب الدين حكمتيار هو الوحيد الَّذِي أعلن الحرب على طَالِبَان. ولَمْ يكن لدى قادة الحِزْب الإِسْلَامِيّ في قندهار نية كبيرة لمحاربة طَالِبَان لكن اتصالات قادة قاعدة حكمتيار في بيشاور -الَّتِي رصدتها طَالِبَان- أجبرت سر كاتب على القِتَال لكنه هُزم وهرب إلى باكستان.

في ذَلِكَ الوقت كَانَت باكستان تدعم حكمتيار، وزار ضباط الاستخبارات البَاكِسْتَانِيَّة خطوط القِتَال بالقرب من شارسياب في كابول، وزودوا حكمتيار بالأسلحة والعتاد، وبالتالي لَمْ يتمكن حكمتيار من اتهام طَالِبَان بتلقي دعم باكستاني. لكنه زعم لَاحِقًا أن طَالِبَان مدعومة من طرف الشيوعيين السابقين وأمريكا وبريطانيا. وفي كويتا بباكستان، وزع أعضاء الحِزْب الإِسْلَامِيّ منشورات تفيد بأن القائد الطالباني المُلَّا بورجان هو في الواقع جنرال شيوعي انتحل هوية جديدة لكن هَذَا لَمْ يقبله أهل قندهار الَّذِينَ عرفوا المُلَّا بورجان منذ بداية الجِهَاد في أَفَغَانِسْتَان. وقد استمرت دعاية حكمتيار بينما رحبت حكومة برهان الدين رباني بِطَالِبَان، ووصف سياف طَالِبَان بملائكة الخلاص.

في غزنة هزمت طَالِبَان قوات التحالف المشكل من الحِزْب الإِسْلَامِيّ وحزب الوحدة الشيعي بقيادة قاري بابا، واستولت على ميدان وردك، فانسحبت قوات حكمتيار من شارسياب في ضواحي كابول. وواجهت طَالِبَان للمرة الأولى قوات رباني ومسعود. وكان حكمتيار وأصدقاؤه يعتبرون طَالِبَان قوى شيوعية قديمة يدعمها الروس في ظل ترحيب حكومة رباني بهَا. فيما بعد اتهموا طَالِبَان بأنها قوة تابعة لبريطانيا وأمريكا والملك السابق ظاهر شاه.

عام 1996، بعد أن شكل رباني وحكمتيار تحالفًا مع زعيم الجماعة الإِسْلَامِيَّة البَاكِسْتَانِيَّة قاضي حسين أحمد، استولت طَالِبَان على كابول وفر الرئيس رباني ورئيس الوزراء حكمتيار إلى شَمَال كابول، وقَالَ وقتها حكمتيار لإذاعة بي بي سي بلغة البشتو إن بريطانيا دخلت كابول عبر جلال آباد ودخل عبيدهم إِلَيْهَا مجدداً الآن.

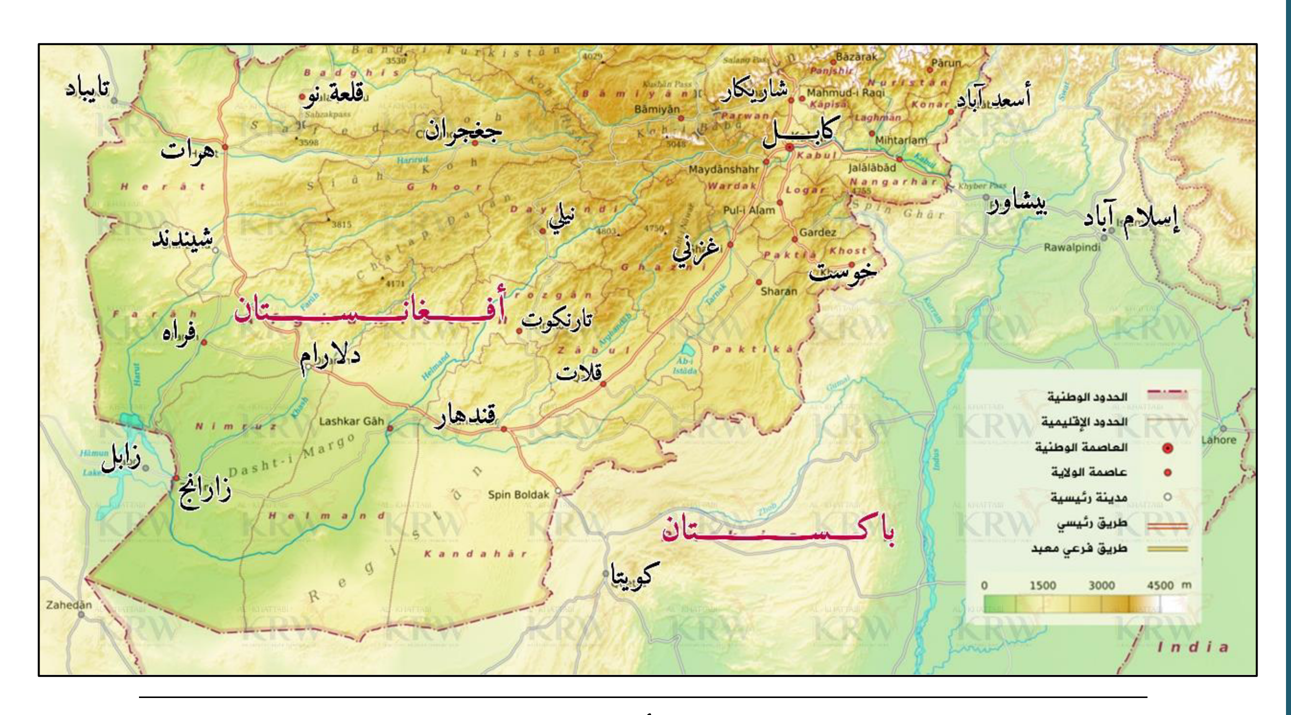
التطورات ما بعد قندهار

بعد السيطرة على هلمند وصلت طَالِبَان إلى مركز ولاية زابل. ونظراً لوجود مجموعات من طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة مسبقًا بالولاية وتمتعهم بنفوذ فَلَمْ يواجه أحد طَالِبَان. الوحيد الَّذِي كَانَت لديه مثل هَذِهِ النوايا هو حميد الله القائد بالحزب الإِسْلَامِيّ، لكن مجموعته كَانَت صغيرة وضعيفة جدًا في أيام الجِهَاد الأخيرة، ويُعتبر القائد الوحيد لحكمتيار في زابل. وبعد اطلاعه على قوة حركة طَالِبَان هرب إلى غزنة، وانضم إلى مقاتلي الحِزْب في منطقة ميدان.

بعد هزيمة سر كاتب في قندهار فشلت جهود مَوْلَوِي مُحَمَّد نبي محمدي المستمرة ومفاوضاته مع القائد التابع لَهُ بتنظيم حركة الانقلاب الإِسْلَامِيّ غفار أخوند زاده، وبدأت طَالِبَان حربًا ضِدّ أخوند زاده بعد أن دعم علماء وطلبة علوم دينية من هلمند حركة طَالِبَان، حَيْثُ حاول غفار أخوند زاده محاربة طَالِبَان باستخدام ميليشيات قبلية، وبالمقابل دعم القائد التابع للجمعية الإِسْلَامِيَّة الرئيس عبد الواحد طَالِبَان ضِدّ أخوند زاده.

بعد هزيمة أخوند زاده أصبحت ولاية هلمند بما في ذَلِكَ لشكر جاه مركز الولاية تحت سيطرة طَالِبَان بالكامل. فر القادة الصغار الَّذِينَ بقوا وكانوا معارضين لِطَالِبَان إلى ولاية فراه أو تجنبوا الانخراط في قتال مسلح. وانضم القادة الَّذِينَ فروا من هلمند وقندهار إلى قوات القائد إسماعيل خان في فراه، وتجمعوا على حدود ولايتي نيمروز وهرات حَيْثُ خططوا لاستعادة هلمند وقندهار بدعم من إسماعيل خان مِمَّا أدى إلى اندلاع صدام بين طَالِبَان وخان. وقد

جهـز إسـماعيل خـان هَـؤُلَاءِ القـادة ودعمهـم. ولكـن بعـد أن اسـتولت طَالِبَـان علـى فـراه ونيمـروز، فر معظم هَؤُلَاءِ القادة إلى إيران.



جنوب أفغانستان

تمتـع المُـلَّا عُمَـر في "أوروزغـان" بـالنفوذ، وقـد انضـم عـدد قليـل مـن القـادة إلـى طَالِبَـان في حـين التـزم آخـرون مثـل الحـاكم جـان مُحَمَّـد خـان الهـدوء. لكـنهم بـدأوا فيمـا بعـد في معارضـة طَالِبَـان. وحظيـت طَالِبَـان بِشَـكلٍ عـام بترحيـب حـار في أوروزغـان، وسـيطرت في النهايـة علـى ولايـة زابـل بالكامـل. وخـلال الشـتاء وصـلت حركـة طَالِبَـان إلـى أطـراف غزنـة. وكـان الجـزء الأكـبر مـن منـاطق جنـدا ومقـور وقربـاغ بالفعـل تحـت سـيطرة طلبـة العُلُـوم الدِّيْنِيَّـة المحليـين قبـل وصـول قـوة طَالِبَان الرئيسية.

هَـذِهِ المـرة امتنـع قـادة بكتيكـا النافـذون عـن القِتَـال، وانحـاز مركـز بكتيـا الَّـذِي سـيطر عَلَيْـهِ آنـذاك مَوْلَـوِي نصـر الله منصـور وقـادة محليـون آخـرون متحـالفون معـه إلـى جانـب طَالِبَـان. وبعـد الاسـتيلاء علـى قنـدهار وزابـل بعـث حـاكم بكتيـا مَوْلَـوِي عبـد اللطيـف منصـور (وزيـر الزراعـة السـابق في حركـة طَالِبَـان، وحـاكم قنـدهار) رسـالة ترحيـب إلـى طَالِبَـان. وخـلال القِتَـال جـاءت قـوة كبيـرة بقيـادة نجـل مَوْلَـوِي نصـر الله منصـور، الشـهيد سـيف الـرحمن منصـور، لـدعم طَالِبَـان

بالـدبابات المدرعـة ولعبـت دورًا رئيسـيًا في القِتَـال ضِـدّ الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ والتحـالف الَّـذِي يقـوده قاري بابا[1].

انـدلعت معركـة غزنـة في أواخـر ينـاير 1995، حَيْـثُ رافـق المُـلَّا سـيف الـرحمن مسـلحون مـن طَالِبَـان ودبابـات بقيـادة مَوْلَـوِي إحسـان الله إحسـان والقائـد خيـال مُحَمَّـد الَّـذِي لعـب دورًا رئيسـيًا في الفـوز بِهَـذِهِ الحـرب. وانضـم عـدد قليـل مـن القـادة مثـل المُـلَّا شـدق أخونـد إلـى طَالِبَـان، فيمـا تجنـب آخـرون مثـل الحـاكم جـان مُحَمَّـد خـان القِتَـال. لكـنهم بـدأوا فيمـا بعـد في معارضـة طَالِبَـان. واسـتُقبلت طَالِبَـان بِشَـكلٍ عـام بترحيـب حـار في أوروزغـان، وفي النهايـة سـيطرت طَالِبَـان علـى المنطقة.

في 2 فبرايـر، اسـتولت حركـة طَالِبَـان علـى عاصـمة الولايـة ميـدان وردك، وفي اليـوم التـالي اسـتولت علـى عاصـمة ولايـة لوجـار ومنطقـة شارسـياب معقـل الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ دون مقاومـة. وفي الغـرب ووسـط ولايـة كـابول، واجهـت طَالِبَـان مقاومـة مـن قبـل الجمعيـة الإِسْـلَامِيَّة الَّتِـي يقودهـا ربـاني وحلفائهـا، إذ قـاد أحمـد شـاه مسـعود المقاومـة في كـابول، وقـاد إسـماعيل خـان المقاومة في الغرب حَيْثُ انحاز لَهُ الهاربون من قادة ومليشيات هلمند وقندهار.

معركة غزنة

في منتصـف نـوفمبر 1994، سـيطرت طَالِبَـان علـى قنـدهار، ومـن ثُـمَّ بـدأت في تركيـز جهـدها للاسـتيلاء علـى هلمنـد وزابـل. كـان الهيكـل التنظيمـي لطلبـة العُلُـوم الدِّينِيَّـة "طَالِبَـان" في هَـذِهِ المقاطعـات أقـدم بـثلاث سـنوات مـن نظيـره في قنـدهار، وبـدأ الطلبـة في العمـل لتطهيـر المنطقـة بعـد أن ألهمـتهم الأحـداث الَّتِـي وقعـت في قنـدهار. وتمتـع معظـم قـادة الأحـزاب المسـلحة بهلمنـد وزابل بعلاقة جيدة مع قادة الطلبة وعاملوهم باحترام.

عينـت طَالِبَـان قـادة لمعظـم مقاطعـات ولايـة غزنـة، وبعـد فـترة وجيـزة مـن السـيطرة علـى قنـدهار رتبـوا اجتماعًـا في مديريـة الزراعـة بغزنـة حَيْـثُ كـان رئـيس المديرية مـن أنصـار طَالِبَـان.

1 - تحالف تكون من الحِزْب الإِسْلَامِيّ وحزب الوحدة الشيعي بقيادة القائد الميداني قاري بابا.

وحضـر الاجتمـاع قـادة طَالِبَـان بغزنـة مـن مختلـف المقاطعـات، بمـا في ذَلِـكَ زعـيم مقاطعـة واغـاز المُـلَّا شـهاب الـدين ثاقـب، ومَوْلَـوِي عبـد الوكيـل مـن شـالجار، وقائـد مقاطعـة خوجيـاني قـاري حضـرة مُحَمَّـد، والمُـلَّا مُحَمَّـد إسـحاق أخونـد زاده مـن قربـاغ، والمُـلَّا عبـد المنـان مـن أوبانـد، والمُـلَّا مُحَمَّـد شـفيق مـن مقاطعـة مقـور، وقائـد طَالِبَـان بمقاطعـة جـيلان المُـلَّا عبـد الغفـار. وقـد حـددوا المجتمعـون هـيكلهم التنظيمـي علـى أنـه لجنـة تمثيـل لقـادة طَالِبَـان المـذكورين، ومـن ثُـمَّ دعوا المُلَّا السيد أحمد شهيد للحضور كممثل لمدينة ومركز غزنة.

قـررت اللجنـة أن يلتقـي الأعضـاء وأصـدقاؤهم والطلبـة في مقاطعـة جـيلان بولايـة غزنـة لعقـد أنشـطتهم. وهـي مقاطعـة تقـع بـالقرب مـن طريـق زابـل السـريع، كمـا نشـطت طَالِبَـان في مقاطعـة شـاه جـوي القريبـة التابعـة لولايـة زابـل. وأراد قـادة الطلبـة تحقيـق انسـجام فيمـا بيـنهم في هَـذِهِ المنـاطق المجـاورة. وتجمـع أعضـاء اللجنـة في جـيلان وقـرروا أولاً جمـع الأسـلحة ثُـمَّ مهاجمـة نقطـة تفتـيش في سـوق جينـدي علـى الطريـق السـريع لكـن أُخليـت النقطـة قبـل شـن الهجـوم. ثُـمَّ أرسـلت اللجنـة وفـداً إلـى مقاطعـة نـوى الَّتِـي كَانَـت آنـذاك تحـت سـيطرة القائـد التـابع لحركـة الانقـلاب الإِسْـلَامِيّ المُلَّا فيض الحق الَّذِي رحب بالطلبة ودعمهم.

حولـت اللجنـة تركيزهـا إلـى مقاطعـة مقـور، وعقـدت اجتماعـًا ضـخمًا في المسـجد الرئيسـي بسـوق مقـور، ودُعـي جميـع قـادة المقاطعـة إلـى حضـور التجمـع حَيْـثُ حضـر يـاوار والحـاج فضـل التـابعين لحـزب الجبهـة الإِسْـلَامِيَّة الوطنيـة بقيـادة أحمـد جـيلاني، وحبيـب الله جـان والمُـلَّا نظـام الـدين مـن حركـة الانقـلاب الإِسْـلَامِيّ التابعـة لمولـوي مُحَمَّـد نبـي محمـدي، وشـير خـان التـابع للجمعيـة الإِسْلَامِيَّة بقيـادة برهـان الـدين ربـاني، وتعهـدوا بـدعم الطلبـة. والشـخص الأبـرز مـن بـين الحاضرين هو القائد حبيب الله الَّذِي سيطر آنذاك على مركز المقاطعة والسوق الرئيسي.

بتشـجيع مـن القائـد العَسْكَرِيّ خيـال مُحَمَّـد التـابع لقـاري بابـا، رحـب حبيـب الله جـان بِطَالِبَـان. في البدايـة تمركـز الأفـراد المسـلحون مـن طَالِبَـان غزنـة في مركـز المُـلَّا نظـام الـدين ثُـمَّ انتشـروا بالمقاطعـة. وعنـدما سـلم حبيـب الله جـان المقاطعـة إلـى طَالِبَـان، اسـتمر عـدد قليـل مـن القـادة في تقـديم الأعـذار لتجنـب تسـليم الأسـلحة، فهاجمـت مجموعـات صـغيرة مـن طَالِبَـان مراكـزهم، وأخليت دون مقاومة.

لعب المُلَّا مُحَمَّد جول جوزجاني والمُلَّا فيروز دورًا رئيسيًا ضمن هَذِهِ المجموعات الصغيرة. فالمُلَّا مُحَمَّد جول من البشتون من ولاية جوزجان الكائنة بشمال البلاد، لكن عائلته هاجرت إلى غزنة في عهد الملك ظاهر شاه. وكان المُلَّا جول نيازي مقاتلاً شجاعًا وخبيرًا قاتل النظام الشُّيُوعِيّ أثناء عمله ضمن مجموعات مَوْلَوِي جلال الدين حقاني.

بعد أن استولت طَالِبَان على مركز مقاطعة مقور بغزنة، دعا "تاج مُحَمَّد" المشهور بـ "قاري بابا"، وهو قائد قوي في غزنة، طَالِبَان للتفاوض. في ذَلِكَ الوقت كان قاري بابا يسيطر على مركز ولاية غزنة ومنطقة شالجار فضلاً عن نفوذه في مقاطعة جواره.

التقى وفد من طَالِبَان غزنة بقيادة المُلَّا شهاب الدين ثاقب مع قاري بابا عند نقطة تفتيش تابعة لأحد داعمي طَالِبَان ويُدعى بير مُحَمَّد في ناناي بالقرب من مدينة غزنة. وروى قاري بابا قصصًا عن جهاده وحبه وصداقته مع طَالِبَان، وقَالَ إنه هو نفسه طالب علوم دينية من عائلة علمية. عرضت طَالِبَان عَلَيْهِ أن يدعمها كما دعمها المُلَّا نقيب الله في قندهار، وتوصلوا إلى اتفاق على أنه إذا هاجم أتباع حكمتيار قاري بابا فإن طَالِبَان ستدعمه، وإذا هاجم أنصار الحِزْب الإِسْلَامِيّ طَالِبَان فإن قاري بابا سيوقفهم.

في ذَلِكَ الوقت كان هناك نزاع بين قادة مجلس الولاية، فكُلّ من المُلَّا جول مُحَمَّد والقائد خيال مُحَمَّد والقائد الشيعي الشهير لحركة محسني[1] الدكتور شاه جهان دعموا حركة طَالِبَان فيما عارض آخرون الحَرَكَة. وكشف أنصار طَالِبَان في اجتماعات المجلس عن الخطط الموضوعة ضِدّ طَالِبَان. كما جرى إنشاء مجلس يُسمى "مجلس العُلَمَاء" في ذَلِكَ الوقت

1 – مُحَمَّد آصف المحسني (1935 – 2019) أحد مراجع تقليد الشيعة في أَفْغَانِسْتَان، ورئيس شورى علماء الشيعة في أَفْغَانِسْتَان، ومؤسس الحوزة العلمية وجامعة "خاتم النبيين" في كابول، أسس عقب الغزو السوفيتي حزب الحَرَكَة الإِسْلَامِيَّة في أَفْغَانِسْتَان الَّذِي قاتل ضِدّ السوفييت.

برئاسة المُلَّا عبد الحكيم من قرباغ، والد زعيم طَالِبَان في قرباغ المُلَّا إسحاق، وهو عالم موثوق تخرج من نور المَدَارِس[1].

أرسل هَذَا المجلس وفداً للتباحث مع الحَرَكَة الَّتِي تأسست مؤخراً، وعقد اجتماعًا مع طَالِبَان في جاندا بالقرب من مركز طَالِبَان الرئيسي في جيلان. وضم الوفد المهندس المتوفى لَاحِقًا عبد الله جول ريان والمُلَّا حضرة جول. وبعد عودتهم أرسلوا المُلَّا حضرة جول إلى بيشاور للتباحث حول الأمر مع مَوْلَوِي مُحَمَّد نبي.

في غزنة، كان هناك نوعان من المجموعات: المجموعة الأولى مع مَوْلَوِي مُحَمَّد نبي منذ البداية، والمجموعة الثانية تابعة لِلْمُلَّا منصور. ومن بين عناصرها الأفراد الَّذِينَ انضموا إِلَيْهِ بعد انفصاله عن حركة الانقلاب الإِسْلَامِيّ بقيادة مَوْلَوِي مُحَمَّد نبي.

بعد توقف تزويد مجموعة المُلَّا منصور بالسلاح انضم العَدِيْد من أتباعه إلى تنظيمات أخرى، مثل قاري عبد الله من جنة أباد، قائد مقاطعة واغاز المُلَّا فخر الدين، المُلَّا جول مُحَمَّد، المُلَّا عبد البصير من مركز الولاية. لكنهم جميعًا اتبعوا أمير حركة الانقلاب الإِسْلَامِيّ المَوْلَوِي مُحَمَّد نبي في الشؤون الدِّيْنِيَّة والحساسة. وقد أرسل مَوْلَوِي مُحَمَّد نبي رسائل إلى جميع قادته البارزين بمن فيهم قاري بابا عبر المُلَّا حضرة غول وآخرين حثهم فِيْهَا على دعم طَالِبَان دون أي شروط مسبقة.

وبعد اجتماع مطول مع وفد طَالِبَان، أرسل مجلس علماء غزنة المؤسس حديثًا وفداً إلى قندهار للقاء المُلَّا عُمَر. وترأس الوفد المُلَّا عبد الحكيم يرافقه قادة طَالِبَان من اللجنة المؤسسة بغزنة، وقادة طَالِبَان بمقاطعات ولاية غزنة.

---

1 – عام 1942 أسس المُلَّا مشك عليم أندر مدرسة "نور المَدَارِس" في منطقة شالجار في غزنة. وهي مدرسة قدمت أيضًا برامج للتوعية السياسية بالإضافة إلى التعليم الديني. وقدم فِيْهَا بعض المعلمين والإداريين وأفراد عائلة مجددي محاضرات وبرامج لعرض المعلومات العامة والأفكار السياسية والإِسْلَامِيَّة. وساهم هَذَا في تخرج العَدِيْد من الشخصيات الهامة في الفكر الإِسْلَامِيّ والنهج الجِهَادِيّ من تِلْكَ المَدْرَسَة الَّتِي انتشرت آثارها في أنحاء أَفَغَانِسْتَان.

وفي نهاية شهر نوفمبر، أُرسلت قوات عسكرية جديدة من قندهار إلى مركز ولاية زابل. كان المُلَّا مُحَمَّد عُمَر مشغولاً في المُفَاوَضَات مع القادة الداعمين لِطَالِبَان في أوروزغان حَيْثُ أعد خططًا لتطهير أوروزغان بالكامل. وآنذاك كان الصراع مع غفار أخوند زاده في هلمند لا يزال دون حل. وزار الوفد المذكور قندهار حَيْثُ استقبله واستضافه عضو المجلس الأعلى لِطَالِبَان إحسان الله إحسان، وبقي الوفد في قندهار عدة أيام للقاء المُلَّا عُمَر. وعندما عاد المُلَّا عُمَر من أوروزغان التقى بالوفد واتفقا على العمل سويًا. وقَالَ المُلَّا عبد الحكيم لِلْمُلَّا عُمَر إنه لوقف الدعاية المضادة والعمل على تأسيس مجموعات جديدة (أعطني يدك لأبايعك). وفقًا لمعلوماتي، كَانَت هَذِهِ أول بيعة في الحَرَكَة، وقبل ذَلِكَ لَمْ تكن طَالِبَان أبدًا تنظر إلى هَذَا التقليد .

أقسم الوفد على الولاء لِطَالِبَان. وقبل مغادرتهم، أخبرهم المُلَّا إحسان الله أن المُلَّا عُمَر حزين لأن مجموعات طَالِبَان المرسلة من قندهار لن تتخطى ما بعد مقاطعة مقور، لأن طَالِبَان في غزنة تواجه مجموعات معارضة مختلفة مثل حزب الوحدة الشيعي، وأتباع حكمتيار، وقاري بابا الَّذِي نسق مع غفار أخوند زاده رغم أن طَالِبَان لازالت في صراع معه.

تواجد وفد من مقاطعة مقور في قندهار عندما هاجم عدد قليل من طَالِبَان بمن فيهم السيد أحمد شهيد خيل ومحمد جول جوزجاني نقطة تفتيش سيئة السمعة. وبعد التغلب على مقاومة صغيرة، أُخليت نقطة التفتيش، وهرب القائد التابع للجمعية الإِسْلَامِيَّة نجي الله. وخلال هَذِهِ المعركة أصيب مُحَمَّد جول جوزجاني وطالب آخر ونُقلا إلى قندهار ليلاً. وفي الساعات الأولى من صباح اليوم التالي، أيقظ المُلَّا إحسان الله إحسان زعيم طَالِبَان البارز بغزنة المُلَّا شهاب الدين، وأرسله إلى غزنة مع تعليمات بالتوقف عن المضي قدمًا حَتَّى تصل قوات جديدة من قندهار.

بعد معركة قرباغ، زار وفد من حكومة رباني من كابول برئاسة المُلَّا سخي داد فيض أعضاء طَالِبَان بغزنة لإجراء مفاوضات. والتقى في قرية نعيم قلعة في قرباغ مع عضو لجنة طَالِبَان بغزنة المُلَّا شهاب الدين ثاقب حَيْثُ شرح لَهُ أهداف الحَرَكَة، ومن جانبه سلم المُلَّا سخي داد فيض رسالة من حكومة رباني تدعم فِيْهَا طَالِبَان.

في ذَلِكَ الوقت هاجم عبد الغفار الَّذِي قاد مجموعة تابعة لقاري بابا في قرية كونساف بشالجار مركزاً لأتباع حكمتيار. واندلعت معركة قصيرة لَمْ تحدث فِيْهَا خسائر. وفقًا للعديد من الأشخاص، كان الأمر مجرد صدام تكتيكي حَيْثُ حاول قاري بابا تشكيل تحالف ضِدّ طَالِبَان لكن معظم قادته كانوا على استعداد لدعم طَالِبَان. وبعد هَذِهِ المعركة بوقت قصير أرسل قاري بابا رسالة إلى اللجنة الَّتِي تمثل طَالِبَان يسأل فِيْهَا عن وعدهم لَهُ بدعمه ضِدّ الحِزْب الإِسْلَامِيّ بقيادة حكمتيار.

في نهاية ديسمبر 1994، جاء مَوْلَوِي إحسان الله إحسان من قندهار إلى زابل، وعقد اجتماعًا في مسجد زابل المركزي حَيْثُ كنت حاضراً في الاجتماع الَّذِي أعلن خلاله العَدِيْد من القادة البارزين بغزنة ولاءهم لِطَالِبَان.

تقدمت المُفَاوَضَات مع طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة في شاهجوي أيضًا حَيْثُ توجه مَوْلَوِي إحسان إلى نيقور ودعا قادة طَالِبَان في غزنة إلى هناك. وكان برفقته المُلَّا نور الدين ترابي وعدد قليل من قادة طَالِبَان. وعقد اجتماعات مع القادة المحليين. ودعا زعيم الطلبة بشالجار المُلَّا نور الله إلى ترتيب لقاء بين القائد خيال مُحَمَّد ومَوْلَوِي إحسان في منطقة يارجوتو بين قرباغ وشلجار.

وأكد خيال مُحَمَّد ومَوْلَوِي إحسان دعمهما الكامل لبعضهما البعض. وبعد ذَلِكَ رتب القائد خيال مُحَمَّد لقاءاً بين مَوْلَوِي إحسان وقاري بابا في منطقة ناناي. وقد رافق مَوْلَوِي إحسان العَدِيْد من مسلحي طَالِبَان حَتَّى يتمكن قاري بابا من مشاهدة قواتهم. وأشار قادة طَالِبَان بغزنة الحاضرين في الاجتماع إلى مقاتلي طَالِبَان وقالوا إنهم قدموا لدعمنا. وفي نهاية المناقشات، أخرج قاري بابا رسالة مَوْلَوِي مُحَمَّد نبي محمدي من جيبه، وقَالَ لمولوي إحسان إن أميري قد أصدر تعليماته لي بدعمك. وفي ذَلِكَ الوقت، وقع قاري بابا اتفاقية سرية مع الحِزْب الإِسْلَامِيّ سمح بموجبها لقوات حكمتيار بدخول مدينة غزنة ومحاربة طَالِبَان.

لَمْ يعتبر قاري بابا نفسه قادرًا على مواجهة طَالِبَان والمجموعات الَّتِي تدعمها بما في ذَلِكَ القائد خيال مُحَمَّد. وهَذَا يدل على أنه في غزنة، ولا سيما في منطقة شلجار، لَمْ يكن مسموحًا

بمحاربة طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة والعُلَمَاء. ومن ناحية أخرى، كان أبناء وإخوة العَدِيْد من قادة قاري بابا يتلقون تعليمهم في المَدَارِس الدِّيْنِيَّة حَيْثُ انضم معظمهم إلى حركة طَالِبَان.

اعتقدت حركة طَالِبَان أنها ستقاتل خلال الشتاء في غزنة ضِدّ نقاط التفتيش غير الشرعية، وستدافع بدعم من قاري بابا ضِدّ الهجمات المحتملة للجمعية الإِسْلَامِيَّة والحزب الإِسْلَامِيّ. ولكن لأن قاري بابا سمح لأنصار حكمتيار بدخول غزنة، فقد أصبح هَذَا سببًا منعت بموجبه طَالِبَان رجال حكمتيار من السيطرة على غزنة.

خلال الأيام الأخيرة من شهر يناير 1995 انطلاقًا من شامان، استولى حكمتيار على قاعدة عسكرية تقع بين مدينة غزنة ومنطقة شاش جاو بدعم من قلم وزرداد وسر كاتب. وفي مقابل ذَلِكَ نصح القائد خيال مُحَمَّد والدكتور شاه جاهان وقادة آخرون من أنصار طَالِبَان الحَرَكَة بدخول مناطق استراتيجية في مدينة غزنة، والاستيلاء عَلَيْهَا من حزب الوحدة وحكمتيار.

في 28 يناير 1995، زار مَوْلَوِي إحسان مدينة غزنة، وعقد تحت قيادة الدكتور شاه جاهان اجتماعًا مع القادة الميدانيين للهزارة ووجهائهم وعلمائهم. وقد مثّل أكبري حزب الوحدة في الاجتماع، بينما مثّل محسني الحَرَكَة الإِسْلَامِيَّة الَّتِي تتكون من الهزارة. وكان من بين الحضور أيضًا ملالي شيعة، وكذلك زاهدي من مجموعة أكبري وحكيمي من جماعة الخليلي التابعة لحزب الوحدة. وبعد أن توصلوا إلى تفاهم مشترك أعلنوا دعمهم لِطَالِبَان، وفي النهاية صلى الملالي الشيعة ودعوا من أجل انتصار طَالِبَان.

لكن حزب الوحدة برئاسة خليلي استعد سراً للحرب ضِدّ طَالِبَان جنبًا إلى جنب مع قوات حكمتيار. وقد نظمت حركة طَالِبَان تجمعًا ضخمًا لمسلحيها في منطقة ناناي تمهيداً للسيطرة على غزنة، كما جاء أيضًا دعم من مجموعات الطلبة من قندهار وزابل لرفاقهم بغزنة.

في الليلـة الثانيـة دخـل مسـلحو طَالِبَـان معظـم أنحـاء مدينـة غزنـة. وفي الصـباح دعـا القائـد الميـداني خيـال مُحَمَّـد قـادة مجموعتـه وسـلم الفرقـة العَسْـكَرِيَّة الموجـودة بغزنـة رسـميا إلـى مَوْلَـوِي إحسان، وتألفت من دبابات مدرعة وأسلحة أخرى.

لَـمْ يكـن لـدى طَالِبَـان خبـراء مدفعيـة أو دبابـات. ولكـن تحـت قيـادة عـارف الله عـارف مـن بكتيـا جـاء العَدِيْـد مـن المسـلحين والمقـربين مـن مَوْلَـوِي نصـر الله منصـور إلـى غزنـة. ومـن بيـنهم خـبراء في المدفعيـة والـدبابات ارتـدوا زيًـا موحـداً، وقـد سـاعدوا قـوات طَالِبَـان بِشَـكلٍ كبيـر عـبر تشـغيل الدبابات والمدفعية، وكان لِهَؤُلَاءِ الخبراء دور لا مثيل لَهُ في السيطرة على مدينة غزنة.

في الليلـة الثالثـة، هـاجم مسـلحو الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ نقـاط التفتـيش الشـهيرة باسـم "تابـا سـردار جونـدي" علـى قمـم الـتلال في منطقـة الروضـة بالمدينـة لكـن نجحـت قـوات طَالِبَـان في صـد هَـذِهِ الهجمـات. وسـلمت المجموعـات التابعـة لأكـبري ومحسـني بحـزب الوحـدة نقـاط التفتـيش إلـى الهزارة.

في اليـوم الأول للمعركـة كـان المَوْلَـوِي إحسـان الله القائـد العـام في حـين عمـل نـور الله نـوري مـن زابـل، والحـاج عنايـة الله مـن (غزنـة – منطقـة تـاودا شـينا) والمُـلَّا خـالق داد مـن (قنـدهار – بولدك) كقادة عسكريين للقوات باستثناء قوات الدعم القادمة من بكتيا.

دفعـت طَالِبَـان الهـزارة للتراجـع، كمـا دفعـت ميليشـيا حكمتيـار للتراجـع إلـى منطقـة جونـد. وتخلـت القُـوَات الداعمـة لحكمتيـار عـن الوحـدة العَسْـكَرِيَّة الموجـودة بـين مدينـة غزنـة ومديريـة ديـك. وفي الصـباح توجـه مَوْلَـوِي إحسـان الله إلـى ديـك وعقـد اجتماعـًا مـع شـيوخ العشـائر وعلمـاء الدين والشخص المرشح لتولي منصب حاكم الولاية.

في نفـس اليـوم أرسـل المُـلَّا عُمَـر المُـلَّا مُحَمَّـد ربـاني إلـى غزنـة حَيْـثُ زار جميـع المنـاطق، وتوجـه بعـد الظهـر إلـى المنطقـة الَّتِـي تخلـى عَنْهَـا أتبـاع حكمتيـار. ودار نقـاش مفصـل بـين المُـلَّا ربـاني ومَوْلَـوِي إحسـان الله وعناصـر طَالِبَـان الغزنـويين حـول الوضـع والمعركـة الحاليـة. وبعـد التوصـل إلـى إجمـاع حـول شـكل المعركـة، تـولى المُـلَّا ربـاني قيـادة المعركـة، كمـا وصـل قائـد

ميداني جديد من طَالِبَان رفقة مسلحين من قندهار إلى غزنة من بينهم المُلَّا مشار (المُلَّا عبد القيوم) والقائد الرئيس عبد الواحد.

في صباح اليوم التالي، بدأ حكمتيار ومقاتلي حزب الوحدة شن هجماتهم، وبحلول فترة ما بعد الظهر استولت طَالِبَان على جوند من قوات حكمتيار، وتراجع حزب الوحدة من خط المواجهة. وقد تعرض العَدِيْد من مقاتلي الحِزْب الإِسْلَامِيّ وحزب الوحدة في هَذِهِ المعركة للأسر حَيْثُ أغلق عناصر طَالِبَان المحليين من منطقة جاغتو في ولاية وردك طريق قوات حكمتيار المهزومة وقبضوا على العَدِيْد منهم. وقد أطلق قادة طَالِبَان سراحهم جميعًا بعد مرور بعض الوقت، ولحسن الحظ لَمْ يُقتل أي أسير خلال هَذِهِ المعركة.

عُين المَوْلَوِي عارف الله عارف حاكمًا لغزنة من طرف طَالِبَان. وبعد تقدم طَالِبَان هاجمت قافلة ضخمة بقيادة القائد الشهير المُلَّا عبد القيوم فوج سيساي في منطقة سيد آباد التابعة لولاية وردك. وتشكل هَذَا الفوج من مقاتلي سياف، وعُثر بِهِ على كمية كبيرة من الأسلحة. بعد ذَلِكَ استولت طَالِبَان على مديرية سيد آباد، ولَمْ يقاومهم أحد حَتَّى وصلت مديرية ميدان شهر. وفي 2 فبراير، أصبحت مديرية ميدان شهر بولاية وردك تحت سيطرة طَالِبَان.

بعد هزيمة مليشيات حكمتيار في غزنة هرب القائد زرداد وعدد قليل من القادة الآخرين إلى مديرية خروار في ولاية لوجار عبر منطقة زانا خان، وقد طارده عدد قليل من طلبة غزنة بداية من زانا خان حَتَّى دخلوا خروار. وفي ذَلِكَ الوقت نُظم طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة في لوجار أيضًا ليندرجوا ضمن حركة طَالِبَان. ودخلت مجموعة أخرى من طَالِبَان لوجار من منطقة شيخ آباد طنجي في وردك.

رحب العَدِيْد من القادة الميدانين بِطَالِبَان في لوجار، وهرب مقاتلو الحِزْب الإِسْلَامِيّ. وكان طلبة العُلُوم الدِّيْنِيَّة المحليين من لوجار مسلحون أيضًا. ولهذا السبب، فبعد يوم واحد من الاستيلاء على مديرية ميدان شهر، سقط مركز مديرية لوجار بولي علم أيضًا في يد طَالِبَان. وفي نفس اليوم، استولت طَالِبَان على مركز للحزب الإِسْلَامِيّ في مقاطعة شارسياب دون أن

تواجـه أي مقاومـة. وقـد دعـم نـانجيلاي القائـد المحلـي للجبهـة الإِسْـلَامِيَّة الوطنيـة التابعـة لأحمـد جـيلاني في ولايـة وردك، وموسـى قائـد حركـة الانقـلاب الإِسْـلَامِيّ في مديريـة ميـدان شـهر حركـة طَالِبَان.

وفي ذَلِكَ الوقـت قاتلـت طَالِبَـان في معركـة ضِـدّ الجمعيـة الإِسْلَامِيَّة بقيـادة برهـان الـدين ربـاني والقُـوَات المتحالفـة معـه في غَـرْب ووسـط كـابول. وقـاد أحمـد شـاه مسـعود القِتَـال في كـابول بينمـا قـاد إسـماعيل خـان القِتَـال في الغـرب، وقاتـل بجـوار خـان أيضـا القـادة الميـدانيون الَّـذِينَ هربـوا مـن طَالِبَان في هلمند وقندهار. وآنذاك توسعت طَالِبَان غربـاً لتصل إلى ولايتي فراه ونيمروز.

طَالِبَان في لويا بكتيا[1]

بعـد أيـام قليلـة مـن السـيطرة علـى غزنـة زار مَوْلَـوِي إحسـان الله قـاري بابـا لتهدئـة خـواطره، حَيْـثُ خشـي مِنْـهُ في ظـل تقديمـه لـدعم خفـي للحـزب الإِسْلَامِيّ واتفاقـه مـع الحِـزْب سـراً في معركـة غزنـة. وثانيًـا، بسـبب انتشـار أجـواء مـن عـدم الثقـة بينـه وبـين قادتـه الآخـرين، لا سـيما القائـد خيـال مُحَمَّـد. وفي تِلْـكَ الأجـواء قـام قـاري بابـا بتـأمين المنـاطق المحيطـة بمنزلـه بالألغـام لكنـه أزالهـا بعـد لقائـه بمولـوي إحسـان ثُـمَّ بعـد بضـعة شـهور ذهـب إلـى كـابول وانضـم إلـى قـوات ربـاني ومسـعود وسياف.

بعـد لقائـه قـاري بابـا توجـه مَوْلَـوِي إحسـان إلـى شـارانا مركـز ولايـة بكتيكـا بـدعوة مـن والـي بكتيكـا مَوْلَـوِي فريـد محمـود وقائـد الشـرطة مُحَمَّـد علـي. فكلاهمـا كانـا قائـدين سـابقين تـابعين للمولـوي نصـر الله منصـور. وتحـت قيـادة مَوْلَـوِي إحسـان توجهـت مجموعـة مـن طَالِبَـان إلـى شـارانا، وتـم تسـليم مركـز الولايـة إلـيهم. وعُـين مَوْلَـوِي إحسـان حاكمـاً وقائـداً للشـرطة. وفي وقـت لاحـق ذهـب مَوْلَـوِي إحسـان إلـى جـارديز بولايـة بكتيـا الَّتِـي كَانَـت بالفعـل تحـت سـيطرة طَالِبَـان منـذ أن انضم أتباع مَوْلَوِي نصر الله إلى طَالِبَان قبل معركة غزنة.

---

1 – منطقة لويا بكتيا تتكون من ولايات بكتيا وبكتيكا وخوست وبعض المناطق المجاورة.

تجنب القادة الميدانيون الآخرون المؤثرون الانخراط في صراع مسلح مع طَالِبَان، إذ كان مركز مديرية غارديز بالفعل تحت سيطرة قادة مُوحَدين وعائلة المَوْلَوِي نصر الله منصور، وكلهم دعموا طَالِبَان.

بعد انتصار طَالِبَان في قندهار وزابل، رحب بهَا حاكم بكتيا مَوْلَوِي عبد اللطيف منصور (وزير الزراعة السابق في حركة طَالِبَان وعمدة قندهار والعضو الحالي في مجلس شورى طَالِبَان). وكان هَذَا هو السبب في لعب أتباع وأفراد عائلة مَوْلَوِي نصر الله منصور دورًا رئيسيًا في معركة غزنة عبر دعمهم طَالِبَان ضِدّ قوات حكمتيار وحزب الوحدة.

وانطلاقًا من قلعة غارديز، رتب مَوْلَوِي إحسان الله مجموعات لبسط نفوذ الحَرَكَة في المناطق المحيطة ببكتيا وبكتيكا. وعقد اجتماعات مع زعماء القبائل والقادة الميدانيين في مدينة غارديز كما دعا قادة الجِهَاد من خوست، وكان ذَلِكَ في الأسابيع الأولى من شهر فبراير.

في منتصف فبراير جرت مفاوضات ناجحة بين مَوْلَوِي جلال الدين حقاني ومَوْلَوِي إحسان الله. وفي 19 يناير سُلمت مدينة خوست إلى طَالِبَان بدعم من جلال الدين حقاني. وقد سيطرت طَالِبَان بِشَكلٍ كامل على لويا بكتيا، وعززت قبضتها على مدينة خوست ومركز المقاطعة في الجَنُوب، وعلى غرار قندهار حصلت طَالِبَان على دعم وترحيب من المواطنين والعُلَمَاء.

جبهة كابول والمعركة الأولى ضِدّ مسعود

أجرى أحمد شاه مسعود محادثات مباشرة مع طَالِبَان في ميدان شهر عاصمة ولاية وردك. وقد طلب مِنْهُ المُلَّا مُحَمَّد رباني تسليم كابول والانضمام إلى حركة طَالِبَان من أجل تحقيق السَّلَام في أَفْغَانِسْتَان، ووافق مسعود في البداية، وعرض تسليم سلاحه إلى طَالِبَان. لكنه في الحقيقة كان يرصد قوة طَالِبَان. وعندما عاد إلى مواقعه، بادر إلى قصف قوات طَالِبَان ثُمَّ هاجمها.

وفي ذَلِكَ الوقت تواجد مقاتلو طَالِبَان بالقرب من ريشخور، وبسبب الهجوم المفاجئ من طرف مسعود انسحبوا من منطقة شارسياب، وقد أثر ذَلِكَ على معنوياتهم سلبًا، فللمرة الأولى واجهوا عائقًا كبيرًا بعد تحقيق انتصارات متواصلة. لكن طَالِبَان أعادت بناء خطها القتالي في لوجار، وأقامت خطها الأمامي بالقرب من باغمان في ضواحي ميدان وردك حَيْثُ دارت المعركة مع قادة سياف ومسعود. وجرى تحشيد القُوَات وحدث تبادل يومي لإطلاق النار. وكَانَت هَذِهِ بداية الحرب بين أحمد شاه مسعود وحلفائه وطَالِبَان.

انتهت سلسلة الانتصارات، وأدت المقاومة القوية الَّتِي أبدتها قوات مسعود إلى إضعاف معنويات طَالِبَان إلى حد ما. لكن عانت القُوَات الحكومية بِشَكلٍ عام من ضغط قوي في ظل خوفها من سقوط كابول الَّتِي حوصرت عمليًا من قبل طَالِبَان.

هروب وموت عبد العلي مزاري

في أوائل مارس 1995، وصلت طَالِبَان إلى كابول لأول مرة. وكَانَت الأجواء في كابول مليئة بالخوف. انسحبت قوات الحِزْب الإِسْلَامِيّ من شارسياب في حين كَانَت قوات حزب الوحدة أيضًا جزءًا من التحالف المناهض للحكومة[1]. وبعد هزيمة قوات التحالف في غزنة، تفرقت القِيَادَة العَسْكَرِيَّة الَّتِي أدارت الحرب ضِدّ طَالِبَان، وغادرت ميليشيات دوستم كابول. وبسبب انسحاب قوات الحِزْب الإِسْلَامِيّ من شارسياب، حوصرت قوات حزب الوحدة بين حركة طَالِبَان وقوات مسعود من الغرب.

خلال المعركة في غزنة، دعم قادة حزب الوحدة الحِزْب الإِسْلَامِيّ ضِدّ طَالِبَان. وبعد أن دخلت طَالِبَان إلى محيط كابول، استغل أحمد شاه مسعود وقوات سياف الموقف، وحاولوا الاستيلاء على الأراضي الَّتِي يسيطر عَلَيْهَا حزب الوحدة. واندلعت معركة شرسة بينهما للاستيلاء على مناطق بعضهما البعض. وأثناء ذَلِكَ أتاح قادة حزب الوحدة ممرًا آمنًا لِطَالِبَان لدخول مدينة كابول. وبدون صدور أي تعليمات من القِيَادَة أو وجود خطة للقتال تقدم قادة

1 – حزب الوحدة الشيعي بقيادة ميزاري والحزب الإِسْلَامِيّ بقيادة حكمتيار قاتلا ضِدّ قوات مسعود ورباني الَّتِي مثلت الحكومة آنذاك.

طَالِبَان من الرتب الصغيرة إلى جنوب كابول، وتعرضوا لهجوم مفاجئ من طرف قوات مسعود مِمَّا أدى إلى فقدانهم السيطرة على العَدِيْد من المناطق بما في ذَلِكَ شارسياب.

أراد حزب الوحدة حماية نفسه وكسر الحصار المفروض عَلَيْهِ عبر فتح مساحة للقتال بين طَالِبَان وقوات مسعود. وفي 11 مارس حاول زعيم حزب الوحدة عبد العلي مزاري الهرب من كابول رفقة عدد قليل من القادة في عربة تسوق روسية. لكن أحد السكان المحليين أبلغ طَالِبَان بهروبه. فاعتُقل من طرف حركة طَالِبَان، وبناء على تعليمات المُلَّا عُمَر تقرر نقله إلى قندهار على متن طائرة. فمن وجهة نظر المُلَّا عُمَر إذا لَمْ يستسلم القادة المهمون من الجماعات المسلحة طواعية واعتقلوا أثناء الحرب، فيجب احتجازهم كسجناء لحين اتخاذ قرار بشأنهم أو إلى أن تتراجع فرص تمردهم مجددًا.

أُرسل مزاري وقادته في البداية إلى لوجار. وأُرسلت مروحية من قندهار لنقلهم وهم مقيدون الأيدي، ورافقهم مقاتل من طَالِبَان للحراسة لكنه كان مهملاً ونام، راقب أحد السجناء المناطق أدنى المروحية وبمجرد المرور قرب مدينة غزنة ظهرت التلال الصغيرة الَّتِي تشير إلى بداية مناطق تواجد الهزارة. فقام القائد أبو ذر من سكان غزنة، والَّذِي يعرف المنطقة جيدًا، بفك يديه وانتزع سلاح الكلاشينيكوف من فرد طَالِبَان النائم، وأمر الطيار بالهبوط في تِلْكَ التلال.

في البداية لَمْ يقبل الطيار الأمر لكن بعد أن أطلق أبو ذر النار أصيبت يد الطيار، وأُجبر على الهبوط بالمروحية بالقرب من الطريق الرئيسي في منطقة نوغي. وفي ذَلِكَ التوقيت كَانَت مجموعة من طَالِبَان في طريقها من قندهار إلى غزنة، فرأى عناصرها طائرة مروحية تهبط بِشَكلٍ مفاجئ، فظنوا أنها حادثة، وتوجهت سيارة تابعة لِطَالِبَان على الفور تجاه المروحية، ورأى ركابها عدداً قليلاً من الرجال الملتحين مكبلي الأيدي يركضون من المروحية باتجاه التلال. فأدركوا أنهم يفرون وأطلقوا عليهم النار وقتلوهم جميعًا.

عندما علم المُلَّا عُمَر بالحادثة أمر بإجراء تحقيق فوري، واعتبرها حادثة سيئة للغاية لأنه لأول مرة يُقتل زعيم جماعة في حادث كهَذَا. فَلَمْ يكن لدى أحد نية بقتل عبد العلي مزاري.

وتـرك هَـذَا الحـادث أثـراً علـى المسـتوى الـوطني، وحزنـت حركـة طَالِبَـان لحدوثـه. وسُـلمت جثـة مـزاري إلـى أتباعـه الَّـذِينَ اعتـبروا الحـادث عمـلاً متعمـدًا مـن طـرف طَالِبَـان. وقيـل إنهـم احتفظـوا بجثـة مـزاري فـوق حصـان في محيـط مدينـة بلـخ لبضـعة أيـام، وقـدموا روايـات مختلفـة ومؤلمـة عـن وفاته لإثارة مشاعر الهزارة ضِدّ طَالِبَان.

لَـمْ يكـن لِطَالِبَـان خلافـات مـع الهـزارة. فكُـلّ قبيلـة ومنطقـة وشـخص سواسـية في نظـر طَالِبَـان لكـن بعـد هَـذَا الحـادث بـدأ الهـزارة في الدعايـة ضِـدّ طَالِبَـان، كمـا أخـذت إيـران أيضـًا الأمـر بجديـة. وأظهـر التحقيـق أن الحـادث كـان غيـر مقصـود، واُعتـبر السـجناء مسـؤولين عـن حدوثـه، فعناصـر طَالِبَـان الَّـذِينَ أطلقـوا النـار علـى السـجناء الهـاربين كـانوا يجهلـون هويـة الفـارين، واعتقـدوا أنهـم قتلوا الطيار ومقاتل طَالِبَان المرافق لهم في المروحية.

شـارك عبـد العلـي مـزاري وقادتـه بفاعليـة في الحـروب الدمويـة والجـرائم المرتكبـة في كـابول بعـد سـقوط النظـام الشُّـيُوعِيّ. وكـان عبـد العلـي مـزاري شخصـًا عصـبيًا وقاسـيًا انخـرط في الحـرب الأهلية، واتسم بالقسوة والتعذيب.

حرب ضارية على جبهتين، وعملية جمع السلاح

شـهد صـيف 1995 حربـًا شرسـة. وواجهـت طَالِبَـان مـرارًا نقصًـا في الأَمْـوَال والأسـلحة. وفي ذَلِـكَ الوقـت، تلقـت طَالِبَـان عائـدات مـن الجمـارك التابعـة لولايـة قنـدهار علـى الحـدود البَاكِسْتَانِيَّة في حـين كَانَـت الإيـرادات مـن الولايـات الأخـرى منخفضـة للغايـة. وقـدم رجـال الأعمـال مـن البشـتون والقبائـل الَّتِـي تعـيش بـالقرب مـن الحـدود الكثيـر مـن الـدعم المـالي لِطَالِبَـان لأنهـم اعتبروها الأمل الوحيد لتحقيق السَّلَام في المنطقة.

ركـزت حركـة طَالِبَـان علـى جمـع الأسـلحة، وذَلِـكَ باعتبـار أن نـزع سـلاح المليشـيات أمـر مهـم لإحـلال السَّـلَام. وتمثّـل الهـدف الآخـر لنـزع السـلاح في حاجـة طَالِبَـان للـذخيرة. وتطلـب ذَلِـكَ أحيانـًا التفتـيش عـن الأسـلحة بِشَـكلٍ غيـر مشـروع لَـمْ يعلـم بـهِ المُـلَّا عُمَـر. وحـدثت أعمـال وحشـية في بعـض الحـالات. ووقـف خلـف تِلْـكَ الأفعـال الخاطئـة عـدد قليـل مـن الشـباب والقـادة الصـغار. وقُتـل شـخص واحـد في زابـل أثنـاء عمليـات نـزع السـلاح. وعنـدما علـم المُـلَّا عُمَـر بِـذَلِكَ

أصدر تعليمات لأفراد طَالِبَان أتذكر بعضاً مِنْهَا، إذ ورد فِيْهَا (اتقوا الله، لا تضربوا الناس بحجة نزع السلاح. علمت أن الناس يتعرضون للضرب بالسياط. وهَـذَا عمل شيطاني، خافوا من عذاب الله. لا تضربوا الناس من أجل الحصول على اعترافات، وفي حال ضرب أي شخص بالسياط، فسوف يعاقب بشدة كُلّ من يفعل ذَلِكَ).

في ذَلِكَ الوقت، كان المُلَّا عبد القيوم (المُلَّا مشار) هو القائد العام لجبهة القِتَال في كابول من جهة ميدان شهر، بينما كان المُلَّا بورجان مسؤولاً عن منطقة شارسياب، وقد أصيب بجروح بالغة. في وقت لاحق، أصبح المُلَّا مُحَمَّد هو المسؤول العَسْكَرِيّ العام عن الجبهة الغربية لكابول.

(دارت معارك ضارية حول كابول لمدة عام كامل، وحدثت هجمات من الطرفين. تقدمت طَالِبَان عدة مرات، ولكن بسبب الاستخدام الواسع للألغام المضادة للأفراد من قبل مسعود في جنوب وغرب كابول، تعرقل تقدم الأشخاص والمركبات في ظل التعرض لخسائر كبيرة)[1].

في 10 مايو 1995، تراجعت قوات طَالِبَان من الخطوط الأمامية للجبهة الغربية في فراه ونيمروز بسبب تعرضها لهجوم مفاجئ من قبل إسماعيل خان وقوات التحالف بدعم جوي. وانسحبت طَالِبَان من المنطقة بعد قتال عنيف. وبعد سقوط فراه، تعرضت نيمروز للحصار. ودخل إسماعيل خان وقادة التحالف ومقاتلوهم مدينة زرنج عاصمة ولاية نيمروز عبر إيران. فحاربهم طوال اليوم قائد شرطة نيمروز القائد قاري أحمد الله (الَّذِي عمل في وزارة الداخلية والمخابرات في عهد طَالِبَان). وأدى نقص الأسلحة إلى اعتقاله من قبل قوات إسماعيل خان، في حين تمكن مَوْلَوِي عبد الغني جوزجاني وعدد قليل من أفراد طَالِبَان من مغادرة المنطقة بنجاح، لكن مَوْلَوِي عزة الله عارف رئيس مكتب إيرادات الولاية استشهد بعد أن أبدى مقاومة طويلة.

1 – وردت هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية فقط.

تحركت طَالِبَان على الجبهة الغربية بالقرب من فراه باتجاه هرات في بعض الأحيان، وفي بعض الأوقات أُجبروا على التراجع إلى مواقعهم السابقة. وتكبدت طَالِبَان أكثر من ألف قتيل خلال تِلْكَ المعارك الدموية في المنطقة الغربية. وقد زار المُلَّا عُمَر ساحات القِتَال في مواجهة تحالف جميع القادة الميدانيين الهاربين من طَالِبَان من قندهار وهلمند مع إسماعيل خان، حَيْثُ اشتركوا بالقتال على هَذِهِ الجبهات. ومثّل تقدمهم تهديدًا مباشرًا لمدينة قندهار الَّتِي تُعد العاصمة الفعلية لِطَالِبَان.

حادث الطائرة الروسية والاتصال المباشر الأول مع العالم

في 3 أغسطس 1995، حلقت طائرة روسية من طراز TD76 إليوشن 2 في المجال الجوي لقندهار متجهة نحو كابول. لَمْ يكن مسؤولو كابول على علم بأن طائرة من هَذَا النوع قد هبطت في قندهار. فبعد سقوط حكومة نجيب الشُّيُوعِيَّة قُسمت البلاد بين قادة مختلفين، وبالتالي فُصل نظام الاتصالات في مطار قندهار عن كابول.

عندما شوهدت الطائرة المشبوهة على الرادار، وتبين لبرج مراقبة الطيران أن وجهتها نحو كابول، تم الاتصال بالمُلَّا عُمَر على وجه السرعة، وحلقت طائرة عسكرية تابعة لِطَالِبَان لإجبار الطائرة الروسية على الهبوط.

وقد قاد الطائرة العَسْكَرِيَّة العقيد جيلاني خان نورزاي الَّذِي يتمتع بالمهارة والخبرة في هَذَا المجال، واضطرت الطائرة الروسية إلى الهبوط. تلقينا لَاحِقًا معلومات تفيد بأن الطائرة تابعة لشركة Airistan للنقل الَّتِي يوجد مقرها في جمهورية ترستان التابعة للاتحاد الروسي. وتبين أن الطائرة محملة بذخائر من الأسلحة الثقيلة، وبالتالي أصبحت بمثابة المنقذ لِطَالِبَان حَيْثُ واجهت نقصًا في الذخائر في ذَلِكَ الوقت.

أجري تحقيق مفصل، وتبين أن الأسلحة الموجودة بالطائرة هي جزء من الدعم العَسْكَرِيّ الروسي لحكومة كابول بقيادة برهان الدين رباني، وأنها قادمة من ألبانيا، وسُلمت الذخائر إلى مسؤول عسكري من طَالِبَان، وأُرسل طاقم الطائرة إلى دار ضيافة. وقد رافق السجناء مترجم عمل مع السوفييت أثناء الغزو السوفيتي وعدد قليل من الحراس. وتولى مسؤولية مراقبتهم

رئيس دار الضيافة العقيد أحمد علي خان متقي شقيق أمير خان متقي القائد بِطَالِبَان، وتولى مسؤولية مراقبتهم مَوْلَوِي سليمان من سكان لندر بكابول. وخُصص فريق للتحقيق مع هَؤُلَاءِ السجناء .

بدأ الروس جهودًا شاملة للإفراج عن السجناء. وطالبت طَالِبَان من جهتها بالإفراج عن خمسين إلى ستين ألف سجين أفغاني من عهد الغزو الروسي حال وجودهم على قيد الحياة، وكان معظمهم من علماء الدين. ففي ذَلِكَ الوقت ساد اعتقاد بأنهم قد نُقلوا إلى روسيا. فبعد سقوط الحكم الشُّيُوعِيّ في أَفَغَانِسْتَان، أخبر الشُّيُوعِيُون المواطنين الأَفَغَان أنهم لن يروا هَؤُلَاءِ السجناء مجدداً لأنهم نُقلوا إلى روسيا. ولكن تم التأكد لَاحِقًا بأن هَؤُلَاءِ السجناء لَمْ يؤسروا على يد السوفييت إنما قُتلوا على أيدي الشيوعيين الأَفَغَان.

كان هناك ثلاثون طنًا من الأسلحة والذخيرة على متن الطائرة، وسبعة من أفراد الطاقم هم: فلاديمير شارباتوف (القائد)، غازي نور خيرولين (مساعد طيار)، ألكسندر زدور (ملاح)، أسخاد أبيازوف، يوري فشيفتسيف، سيرجي بوتوزوف، وفيكتور ريازانوف.

استغرقت المُفَاوَضَات بين طَالِبَان والروس وقتًا طويلاً لأن طَالِبَان لَمْ يُعترف بها رسميًا من قبل أي دولة. ويُقال إن السيناتور الأمريكي "هانك براون"[1] بذل جهودًا مستقلة في هَذَا الصدد. كما طالب السجناء الروس بضرورة متابعة صيانة الطائرة من الناحية الفنية وفحص المحركات من حين لآخر. وقبلت طَالِبَان هَذَا بسبب المعايير الدولية. ونُقل السجناء إلى المطار كُلّ أسبوع في يوم الجمعة لفحص الطائرة، ثُمَّ صاروا يُنقلون لَاحِقًا كُلّ أسبوعين. واستغرقت فترة حراسة الطائرة عامًا واحداً. ففي يوم الجمعة الموافق 16 أغسطس 1995، توجه أفراد الطاقم إلى المطار مع حراس مسلحين حسب الروتين. ولَمْ يسمح لهم بتمديد الإطار الزمني المحدد للفحص، لكن عناصر طَالِبَان المرافقين لهم أصبحوا بمرور الوقت مهملين في ظل تكوين بعض الثقة بينهم وبين الطيارين الروس.

1 - شغل الجمهوري هانك براون وقتها مقعد النائب عن ولاية كولورادو في مجلس الشيوخ الأمريكي.

في ذَلِكَ اليوم، ذهب ستة حراس فقط رفقة طاقم الطائرة، ولَمْ يكن هناك شخص تقني متاح لمراقبة عملهم. ثُمَّ ذهب ثلاثة حراس لأداء صلاة الجمعة، وتبقى ثلاثة فقط من أفراد طَالِبَان في الطائرة في انتظار انتهاء الطيارين من عملهم الروتيني، وترقبًا لعودة زملائهم من الصلاة تمهيداً لإعادة الطاقم إلى دار الضيافة.

يبدو أن أفراد الطاقم لاحظوا إهمال الحراس فخططوا للفرار. وشغلوا في البداية محركًا واحداً ببطارية، وأدركوا أن المحركات الأخرى يمكن تشغيلها بسهولة. بينما اعتقد عناصر طَالِبَان دائمًا أنه في ظل عدم تمكن الطائرة من عبور مجالنا الجوي دون موافقتنا، فلن تتمكن أيضًا من المغادرة. لكن الروس كانوا على دراية بخصائص راداراتهم، وخططوا لإبعاد الطائرة عن مراقبة الرادار. وانتهز أفراد الطاقم الفرصة، وأغلقوا الأبواب في وجه الحراس المهملين، وسرعان ما انزلقت الطائرة إلى المدرج.

أبلغ برج المراقبة القِيَادَة الجوية أن الطائرة تتجه نحو المدرج. وحاول عناصر طَالِبَان على عجل إغلاق المدرج بحافلة صغيرة، لكن الطائرة حلقت في الهواء متجنبة الحافلة. وحدد الطاقم على الخريطة الطريق الصحراوي الخالي من الجبال الَّذِي يوصل إلى دولة الإمارات. وشغلوا الطائرة على وضع طيران منخفض فوق الصحاري ومياه الخليج حَتَّى وصلوا إلى إمارة الشارقة.

كَانَت الطائرة المقاتلة طراز ميج 22 التابعة لِطَالِبَان معطلة في ذَلِكَ اليوم. وبعد إصلاحها لَمْ تظهر الطائرة الهاربة على الرادار. في البداية ساد الاعتقاد أن الطائرة توجهت إلى كابول أو تركمانستان وربما إيران. لكن لَمْ يفكر أحد في الإمارات. ونظرًا لوجود عدد قليل جدًا من الطائرات لدى طَالِبَان لَمْ يكن متاحًا إرسال طائرات في اتجاهات مختلفة.

كان هَذَا الحادث مقلقًا للغاية، وأثار العَدِيْد من الأسئلة، وأدى إلى أجواء من عدم الثقة والانتقاد بين مسؤولي طَالِبَان رفيعي المستوى وذوي الرتب العالية. لَمْ يشك أحد في المُلَّا عُمَر حَيْثُ كان الجميع على دراية بعاداته -إذ لَمْ يسبق لَهُ، ولَمْ يسمح لأي شخص بإجراء تفاهمات سرية- ولَمْ يكن المُلَّا عُمَر بحاجة إلى عقد صفقات سرية. حَيْثُ يقوم علنًا بأي

عمل طالما بدا لَهُ أنه مشروع، ولَمْ يهتم أبدًا بما يقوله الناس. لكن الناس بدأوا في انتقاد مسؤولي المطار، والمسؤولين عن دار الضيافة، وعملية نقل السجناء من دار الضيافة إلى المطار. مِمَّا أحدث أجواء من التوتر.

وفي النهاية، أذاع المُلَّا عُمَر بيانًا إذاعيًا على راديو قندهار وعبر الاتصالات اللاسلكية إلى جميع مراكز الأمن. وقَالَ المُلَّا عُمَر في البيان (لقد حققنا بِشَكلٍ كامل في قضية هروب الطائرة. باستثناء الإهمال، لَمْ يشارك في حادث هروبها أحد من حركة طَالِبَان. لا نقبل أي شك من أي من أفراد طَالِبَان تجاه أي شخص بخصوص هَذَا الحادث، ولا ينبغي الحديث بظلم ضِدّ أي شخص، فهَذَا يماثل الحديث بغير بينة وإلقاء التهم جزافًا على المسلمين الآخرين. اتقوا الله واصمتوا عن الكلام في هَذِهِ الحادثة). وبعد صدور هَذَا البيان لَمْ أسمع أي شخص يتحدث عن حادث هروب الطائرة. ورأى الجميع أنه كان حادثًا قدريًا غير متعمد. وتحسن الوضع على الفور بعد هَذَا البيان.

حرب ضارية في الغرب والخط الأمامي الأكثر دموية

خلال الفترة من مارس إلى 5 سبتمبر 1995، سيطرت طَالِبَان على مركز ولاية هرات بعد معركة شرسة على الجبهة الغربية. وعندما استولت طَالِبَان على ولايتي فراه ونيمروز في فصل الربيع، عُين مَوْلَوِي عبد الغني جوزجاني واليًا لنيمروز، وقاري أحمد الله رئيسًا للشرطة، ومَوْلَوِي عزة الله عارف رئيسًا لمكتب الإيرادات. وظلت الولايتان تحت سيطرة طَالِبَان لما يقرب من شهرين.

تعرضت طَالِبَان لضغط عسكري في هرات بالقرب من منطقة شندند، واستعرت الحرب مع قوات إسماعيل خان. وعندما استولت قوات المعارضة على فراه خلال العيد في 10 مايو 1995؛ استُشهد وجُرح وأُسر العَدِيْد من أفراد طَالِبَان، كما أُسر الحاكم المؤقت لولاية فراه المُلَّا عبيد الله أخوند. ومن ثُمَّ هاجمت قوات إسماعيل خان نيمروز من الجانب الإيراني، وحاصرت جميع مقاتلي طَالِبَان، ونجح حاكم نيمروز عبد الغني وعدد قليل من الأشخاص الآخرين في الهرب من الحصار. وقاتل قائد الشرطة قاري أحمد الله مع عدد قليل من رفاقه،

واعتقل في نهاية اليوم بسبب نقص الأسلحة والذخيرة. وبعد قتال طويل استشهد المَوْلَوِي عزة الله عارف، وأُسر عدد من عناصر طَالِبَان، بمن فيهم المُلَّا عبيد الله أخوند (وزير الدفاع في نظام طَالِبَان)، ومَوْلَوِي عبد الصمد من بولدك. وقد أُطلق سراحهم لَاحِقًا في عملية تبادل للأسرى. في حين استُبعد قاري أحمد الله ونائبُه المُلَّا عبد الباري من هَذَا التبادل، وظلا في السجن حَتَّى فتح هرات.

في يونيو 1995، تصاعدت المعارك مرة أخرى لاستعادة السيطرة على فراه، ونجحت طَالِبَان في الاستيلاء على عدد قليل من المقاطعات والمناطق الرئيسية. وحدثت حرب شرسة للتقدم في هرات. وقد تابع المُلَّا عُمَر بنفسه هَذِهِ الحرب وزار الجبهة عدة مرات. فيما خطط إسماعيل خان وقوات التحالف المناوئ لاحتلال قندهار وهلمند. وخلال هَذِهِ الحرب استشهد القائد العام لِطَالِبَان الحاج المُلَّا مُحَمَّد أخوند وهُزمت طَالِبَان. وفي غضون يومين امتدت الحرب من حدود فراه إلى منطقة جريشك في هلمند.

الخوف من سقوط قندهار والمعركة التاريخية في جريشك

في الأسابيع الأخيرة من أغسطس 1995، تراجع القِتَال في الجبهة الغربية مع إسماعيل خان وقوات التحالف المدعومين من قوات أحمد شاه مسعود والمليشيات الهاربة من قندهار وهلمند. واستولوا على مركز ولاية فراه من طَالِبَان ثُمَّ تقدموا نحو هلمند في غضون أيام قليلة. فقد أفراد طَالِبَان الكثير من روحهم المعنوية عقب استشهاد قائدهم البارز المُلَّا مُحَمَّد أخوند. ووصلت الحرب إلى منطقة شوراو مانده في مقاطعة جيريشك الَّتِي أصبحت مهددة بالسقوط. وخطط العدو للتحرك نحو قندهار بعد الاستيلاء على جريشك.

شاهد عيان على الوضع

في ذَلِكَ الوقت كَانَت هناك ثلاث عشرة مجموعة من حركة طَالِبَان، وتوليت قيادة مجموعة صغيرة من طَالِبَان في سبين بولدك الَّتِي اعتُبرت في البداية مركزًا مهمًا لِطَالِبَان لأنها تقع بعد ميوند، وكَانَت مفتاحًا رئيسيًا آخر للولاية تمكنت طَالِبَان من خلاله من السيطرة على مدينة قندهار.

أثر استشهاد المُلَّا مُحَمَّد على المعركة في الجبهة الغربية حَيْثُ فقدت طَالِبَان قائدًا قويًا قاد قوات الحَرَكَة للسيطرة على نصف أَفَغَانِسْتَان، ونجحت طَالِبَان بسبب تكتيكاته الحربية. فالمُلَّا مُحَمَّد تبنى استراتيجيات قتالية جديدة، وراقب باهتمام مناورات الأعداء مِمَّا أدى إلى تحقيق انتصارات مع تكبد خسائر أقل. وكان رحيمًا في التعامل مع أسرى الحرب، واتبع المبادئ الإِسْلَامِيَّة أثناء القِتَال. وحاول دائمًا التقليل من الخسائر في الأرواح والإصابات في صفوف الخصوم. واشتهر المُلَّا مُحَمَّد بأنه قائد عسكري مخضرم خلال حقبة الجِهَاد ضِدّ السوفييت، وكان من أبرز القادة الموثوقين لدى المُلَّا عُمَر منذ بداية تأسيس حركة طَالِبَان. وكان عزيزًا جدًا على قلب المُلَّا عُمَر، ولهذا السبب استخدم المُلَّا عُمَر اسم "المرحوم" خلال اتصالاته اللاسلكية.

أدت الهزيمة في هَذِهِ الحرب، واستشهاد المُلَّا مُحَمَّد إلى دفع طَالِبَان للتراجع. وبرز تهديد بإمكانية سقوط قندهار وهلمند. وطلب المُلَّا عُمَر دعم قوات طَالِبَان من مناطق أخرى بما في ذَلِكَ بولدك. كان المُلَّا خير الله آنذاك حاكم مديرية بولدك والمتحدث الرسمي باسم حركة طَالِبَان. استعد هو وصديقه القائد المُلَّا دوست مُحَمَّد للحرب. رافقتهما واخترت قاذف آر بي جي لأحمله. رأيت هَذَا القاذف مع المجاهدين في الحرب ضِدّ السوفييت خلال طفولتي ولذا بدا الأمر أفضل بالنسبة لي. بدأنا رحلة السفر بعد الظهر ووصلنا إلى قندهار ليلاً. عندما غادرنا مدينة قندهار كَانَت هناك سيارة ذات نوافذ مظلمة تتحرك بسرعة كبيرة. عندما شاهدنا السائق خفّض السرعة وتوقفت السيارة. فصعد المُلَّا خير الله والمُلَّا دوست مُحَمَّد إلى السيارة ورافقتهما. كان المُلَّا عُمَر يقود هَذِهِ السيارة. تحدث بهدوء قائلاً (سأقوم بترتيب جلب المزيد

مـن المسـلحين والمعـدات العَسْـكَرِيَّة. سـنعد أنفسـنا لحـرب الغـد). وطلـب منـا الـذهاب إلـى هلمند. هدوؤه منحني الشجاعة، وكَانَت أول مشاركة لي في معركة.

تحركنـا ببطء، وفي الصباح اقتربـت منـا سـيارات مليئـة بعناصـر طَالِبَـان المنسـحبين مـن القِتَـال خـلال الليـل. كلمـا اقتربنـا مـن جريشـك رأينـا المزيـد مـن مقـاتلي طَالِبَـان ينسـحبون مـن جبهـات الحـرب. عنـدما وصـلنا إلـى جريشـك وجـدنا المُـلَّا خـالق داد شـقيق المُـلَّا دوسـت مُحَمَّـد يقـف رفقـة مـدافع روسـية علـى طريـق مغلـق لمنـع عناصـر طَالِبَـان مـن الهـروب مـن المنطقـة. وعنـدما التقينـا بـالمُلَّا خـالق داد كـان يبكـي علـى استشـهاد المُـلَّا مُحَمَّـد. وفي النهايـة تمـت السـيطرة علـى حركـة مقـاتلي طَالِبَـان الهـاربين مـن القِتَـال. وزار المُـلَّا عُمَـر المنطقـة عـدة مـرات، واتخـذ ترتيبـات لجلب تعزيزات من الأسلحة والمقاتلين للسيطرة على ساحة المعركة.

قصـفت طـائرات إسـماعيل خـان بشـدة لـواء جريشـك حَتَّـى الظهـر. وبعـد الظهـر تحركنـا مسـافة كيلـومترين باتجـاه قنـدهار، وأقمنـا قاعـدة مؤقتـة هنـاك بـالقرب مـن منطقـة تشـاهال ميـل. وأُعلـن في فـترة مـا بعـد الظهـر أننـا سـنهاجم قـوات العـدو بينمـا هـم يخططـون لمهاجمتنـا؛ إذ مـن الأفضـل أن نقـوم بِـذَلِكَ أولاً. وبفضـل جهـود المُـلَّا عُمَـر وصـلت الـدبابات الَّتِـي تـم إصـلاحها، وهو الأمر الَّذِي رفع من معنويات مقاتلي طَالِبَان.

اسـتعدت مدينـة جريشـك للحـرب. وقبـل سـاعة مـن القِتَـال جلسـت علـى ضـفة قنـاة كبيـرة واغتسـلت في النهـر ثُـمَّ غمرتنـي الأفكـار، واعتقـدت أنـه في قتـال اليـوم سيكون مـن المسـتحيل تقريبًـا النجـاة، ولَـمْ يكـن أحـد مـن قريتـي موجـوداً معـي، فلـو حـدث أن أحـدهم دفـن جسـدي في قريـة نـاد علـي بهلمنـد كـان سـيأخذ جسـدي إلـى منـزل عمـي حَتَّـى لا يُـترك دون عنايـة بـين عشـية وضـحاها. لقـد اقترضـت ألفـي روبيـة في كويتـا، وقلـت لـو مـت لـن أتمكـن مـن سـدادها، فقـررت أن أكتـب رسـالة قصـيرة عـن القـرض وأضـعها في جيـب قميصـي. وبينمـا كنـت أفكـر في تِلْـكَ الأمـور جـاءني شـاب وسـيم بشـعر أسـود طويـل وقَـالَ (طالـب! لمـاذا تسـتغرق في التفكيـر؟) فَلَـمْ أجبـه، فأضـاف (هـل أنـت متـزوج؟) قلـت لا! قَـالَ وهـو يضـحك بصـوت عـالٍ، لا تقلـق إذاً علـى الإطـلاق ... كـان هَـذَا الشـاب هـو المُـلَّا سـراج الـدين مـن سـكان بولـدك، وكـان قائـداً شـجاعًا للغايـة. واستشـهد لَاحِقًا في مواجهة مع الأمريكيين بعد عدة سنوات.

كـان هَـذَا يومًـا تاريخيًـا لأن العـدو حلـم بالاسـتيلاء علـى المعقـل الرئيسـي لحركـة طَالِبَـان في قنـدهار. ولَـمْ يكـن هنـاك سـوى ثمانمئـة مـن مقـاتلي طَالِبَـان بينمـا تمتـع العـدو بـدعم جـوي فضـلاً عــن امتلاكــه آلاف المســلحين المجهــزين بالــدبابات. كــان هجومنــا بمثابــة "هجــوم انتحــاري"، وأُخـذ عهـد مـن كُـلّ عناصـر طَالِبَـان بأنـه لـن يتراجـع مـنهم أحـد، وأنهـم سـيقاتلون حَتَّـى أنفاسـهم الأخيرة.

نُظـم الهجـوم بِحَيْـثُ ترافـق الـدبابات والمركبـات الثقيلـة الأخـرى القُـوَات الموجـودة علـى الطريـق الرئيسـي في حـين تتحـرك قـوة كبيـرة في سـيارات دفـع ربـاعي مـزودة بمـدافع رشاشـة ثقيلـة ومـدافع عيـار 82 ملـم وقـذائف آر بـي جـي ورشاشـات خفيفـة باتجـاه الجـانبين الأيمـن والأيسـر مـن الطريق بالتزامن مع تغطية المنطقة بأكملها حَتَّى لا يتمكن العدو من محاصرة مقاتلي طَالِبَان.

بـدأ القِتَـال قبـل صـلاة العصـر حَيْـثُ توجهنـا بسـرعة نحـو الجانـب الأيسـر مـن الطريـق. ومـرت بجوارنـا مسـرعة سـيارة دفـع ربـاعي بيضـاء، ونـزل مِنْهَـا عـدد مـن مقـاتلي طَالِبَـان لينتشـروا بـين قـوات الخصـم، وهـاجموا خطـوط العـدو. فوجئـت بمـدى سـرعة وصـولهم إلـى العـدو الَّـذِي لَـمْ يـتمكن مـن اسـتهدافهم. ومـن ثُـمَّ تبعنـاهم، ورأينـا دبابـة مصـفحة تتقـدم نحونـا، فـأخرجـت قذيفـة آر بـي جـي لضـرب الدبابـة ولكـن عنـدما ضـغطت علـى الزنـاد لَـمْ تنطلـق القذيفـة، فـأخبرت مرافقـي أن القـاذف لا يعمـل، فأجـاب إنـه قـاذف قـديم، وإن الزنـاد مكسـور. انضـممت إلـى المُـلَّا ظـاهر مـن بولـدك، وشـاركت معـه في لعبـة تقمـص الأدوار حَيْـثُ اشـتهر بضـرب الأهـداف بقـذائف الأر بـي جـي. وتسببت قذيفة آر بي جي الأولى في إتلاف الدبابة لتصبح غير قادرة على العمل.

خاضت طَالِبَان هَذِهِ المعركة كحرب حاسمة، واستخدمت كامل قوتها المتاحة آنذاك وقاتلت بصلابة. وتعرضنا لقصف جوي اعتقدنا أنه سيمزقنا أشلاء، ورددنا صيحات الله أكبر وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [سورة الأنفال:17]، مع توجيه طلقات نارية تجاه الطائرات المغيرة.

استهدف المُـلَّا ظـاهر دبابـة أخـرى، وأطلـق أعيـرة ناريـة علـى دبابـات أخـرى أيضـًا. وسـيطرت مجموعتنــا الصــغيرة المكونــة مــن ســبعة إلــى ثمانيــة مقــاتلين علــى مقــاتلي العــدو. وفي المســاء، أصـبحت سـاحة المعركـة مضـيئة بالطلقـات الناريـة. ثُـمَّ توقفنـا عـن إطـلاق النـار بسـبب نقـص

الـذخيرة إذ صـاح أحـد زملائنـا لا تسـتخدموا المزيـد مـن الـذخيرة لتجنـب الوقـوع في الحصـار. وتواجـدت السـيارة الَّتِـي تحمـل أسـلحة وذخـائر علـى مسـافة قصـيرة منـا، وكَانَـت هنـاك أرض جافـة بيننـا وبينهـا، وخوفـًا مـن نقـص الأسـلحة ركضـت نحـو السـيارة دون إذن رفيقـي، وتبعنـي أحـدهم. وأطلـق مقـاتلو العـدو النـار علينـا مـن بنـادقهم الآليـة لكـن لحسـن الحـظ وصـلنا إلـى السـيارة وأخـذنا صـندوقـًا مـن ذخـائر الكلاشـينكوف والأر بـي جـي، وعـدنا بنجـاح إلـى مواقعنـا. سـعد زملاؤنـا بِذَلِكَ، واستأنفنا الهجوم، وبدأنا في ترديد هتافات النصر، وأخذ العدو في التراجع.

اقتربنـا مـن الـدبابات المتضـررة، ووجـدنا أن السـائقين وأطقـم التشـغيل قـد هربـوا في حـين بقـي رجـل عجـوز مصـاب بـالقرب مـن إحـدى الـدبابات يحمـل علبـة ميـاه كبيـرة علـى ظهـره، وكـان جيبـه ممتلئـًا بـأموال ربـاني الَّتِـي أصـدرتها الحكومـة. سـأله أحـد زملائنـا عمـا إذا كـان المَـال هـو سـبب قدومـه إلـى الحـرب، فأجـاب (اعتقـدت أنـه سـيكون لـدي المزيـد مـن الوقـت للعـيش، ولكـن أعتقـد أن هَـذِهِ هـي النهايـة بالنسـبة لـي الآن) وانتهـت المعركـة وشـعرنا بالراحـة. وبعـد أسـبوع تقـدمنا مـرة أخرى نحو الجانب الآخر، وزادت خسائر العدو الفادحة من انتصاراتنا.

ذهبـت مجموعتنـا الصـغيرة إلـى مدينـة جريشـك، وزاد عـدد الأشـخاص في المجموعـة، لكـن الظـروف تغيـرت تمامـًا إذ وصـل الآلاف مـن الشـباب والشـيوخ والرجـال إلـى هنـاك لـدعم طَالِبَـان. أراد الجميـع الانتقـام، لأنـه عنـدما انتشـر الخـبر في قنـدهار عـن عـودة مقـاتلي المليشـيات إلـى المدينـة انـتفض النـاس ضـدهم وأرادوا حمايـة مـدينتهم وحيـاتهم وشـرفهم وثـروتهم، وحملـوا السلاح لمحاربة الميليشيات غير الشرعية دون أن يطلب منهم أحد ذَلِكَ.

في ذَلِـكَ اليـوم لَـمْ يـتمكن القائـد المُـلَّا بورجـان مـن المشـاركة في الحـرب بسـبب إصـابته. وفي مسـجد خرقـي المركـزي بخوسـت، طُلـب مـن النـاس تقـديم الـدعم. ولَـمْ يـأت النـاس إلـى جريشـك فحسـب، بـل أحضـروا أيضـًا سـيارات مليئـة بالطعـام بمـا في ذَلِـكَ العنـب الطـازج واللحـوم المطبوخـة والخبـز. جلـب النـاس كُـلّ مـا لـديهم لـدعم طَالِبَـان. أدى هَـذَا إلـى تحويـل جريشـك لتصبح مركـزاً قتاليـاً مملـوءاً بالعاطفـة والحمـاس، وقـد سـاهم هَـذَا المشـهد أيضـًا في تحفيزنـا. ولَـمْ أر قـط مثـل هَـذَا الـدعم العـام والحـب مـن قبـل. وفي ظـل تعبنـا منـذ الليلـة السـابقة تناولنـا بعـض الطعـام، وذهبنـا إلـى منـزل المُـلَّا خـالق داد. وفي ذَلِـكَ اليـوم لَـمْ يقـع قتـال، وانتشـرت أجـواء مـن

السَّـلَام، وبعـد أداء الصـلاة اتكـأت علـى صـخرة ونمـت طـويلاً. اسـتيقظت في الصـباح والشـمس تضرب عاتقي. لَمْ يرني أصدقائي خلال نومي لإيقاظي، ولذلك فاتتني صلاة ذَلِكَ الصباح.

في حـوالي السـاعة التاسـعة مـن صباح اليـوم التـالي، أعـد مَوْلَـوِي عبـد المنـان حنفـي ومـلا خـالق داد وأصـدقاء مَوْلَـوِي دوسـت مُحَمَّـد اللحـم والشـاي. وبعـد تنـاول الشـاي في حـوالي السـاعة 9:45 صـباحًا، قَـالَ أحـد أصـدقائنا إن قائـد الحـاجز الشـهير نـادر جـان قـد اُعتقـل وسـينُقل إلـى قنـدهار فأردنـا رؤيتـه، وركضـت نحـو الطريـق، وأوقفـت سـيارة نقـل طـراز هينـو ممتلئـة بمقـاتلي طَالِبَـان، كـان بعضـهم جالسًـا والـبعض الآخـر واقفًـا بينمـا جلـس رجـل عجـوز ذو لحيـة بيضـاء في المنتصـف. لقـد فوجئـت كيـف ارتكـب هَـذَا الرجـل العجـوز الملتحـي المـدعو نـادر جـان جـرائم كـبرى مثـل اغتصاب النساء وحوادث قتل.

توجهـت السـيارات إلـى قنـدهار ورأينـا سـيارة المُـلَّا عُمَـر تسـرع علـى الطريـق، وعنـدما رأى المُـلَّا عُمَـر السـيارة طـراز هينـو أوقـف سـيارته. وأُنـزل نـادر جـان، وأطلـق المُـلَّا عُمَـر النـار علـى رأسـه مـن مسدسـه. وحسـب معلومـاتي كـان أول وآخـر أسـير يقتلـه المُـلَّا عُمَـر. نـادر جـان كـان قائـداً لديـه نقطـة تفتـيش ذات سـمعة سـيئة بـالقرب مـن منـزل المُـلَّا عُمَـر. وانخـرط في اختطـاف النسـاء مـن السـيارات لاغتصـابهن، ويُعـد هَـذَا الحـاجز أحـد أسـباب انتفاضـة المُـلَّا عُمَـر وتأسيسـه لحركـة طَالِبَان.

وفي الليـل تحـت قيـادة المُـلَّا رحمـة الله تبـع المُـلَّا عبـد السَّـلَام وقـادة آخـرون قـوات العـدو. وفي الصـباح عنـدما وصـلنا إلـى دلارام مركـز ولايـة نيمـروز، غـادر خصـومنا المنطقـة بعـد فـترة وجيـزة، وفـروا باتجـاه وسـط ولايـة فـراه. ووجـدنا جثـث العـدو ملقـاة علـى جـانبي الطريـق. كسـرت تِلْـكَ الخسـائر الفادحـة قـوة العـدو العَسْـكَرِيَّة لكـن طـائرات إسـماعيل خـان كَانَـت لا تـزال تقصـف منـاطق سيطرتنا بشدة.

المعاملة غير المشروعة للأسرى

عندما انتقلنا من جريشك في اليوم التالي، رأينا جثث الأسرى الَّذِينَ قُتلوا دون تعليمات من أي قائد، ولكن على يد القُوَات المشتركة لِطَالِبَان. كان هناك عدد قليل من عناصر طَالِبَان الَّذِينَ لَمْ يشاركوا في المعركة لكنهم قتلوا بعض الأسرى بعد ذَلِكَ.

لسوء الحظ، بعد وفاة القائد العَسْكَرِيّ المُلَّا مُحَمَّد لَمْ يركز أي قائد آخر على مسألة منع مقاتلي طَالِبَان من الأعمال غير المشروعة. لَمْ يسمح المُلَّا مُحَمَّد لأحد بقتل أسرى الحرب. قَالَ العَدِيْد من عناصر طَالِبَان إن أعضاء الميليشيات الَّذِينَ عفا عنهم المُلَّا مُحَمَّد قاتلوهم مرة أخرى، ولذا لا ينبغي العفو عنهم. وبالفعل قاتل العَدِيْد من المقاتلين الهاربين من قندهار وهلمند مرة أخرى ضِدّ طَالِبَان بعد العفو عنهم.

قام بِهَذَا العمل غير المشروع عدد قليل من عناصر طَالِبَان المتهورين انتقامًا لاستشهاد المُلَّا مُحَمَّد ومقاتلين آخرين خلال المعارك. لَمْ يوجد أي قائد قوي ذا سطوة بعد المُلَّا مُحَمَّد لديه القدرة على إيقافهم. لكن المُلَّا مُحَمَّد رباني لعب دوراً في وقت لاحق في السيطرة على الوضع إلى حد ما.

كان المُلَّا رباني على وشك الوقوع ضحية خلال حادث ذات صلة إذ أراد حماية أسير من هرات لديه لحية بيضاء من أحد مقاتلي طَالِبَان، لكن الأخير ركض نحو الأسير وأطلق النار بالقرب من المُلَّا رباني، لكن الأسير نجا، وتعرض الطالب المتهور لعقوبة شديدة من قادة طَالِبَان.

غالبية الأسرى الَّذِينَ تعرضوا للقتل هم من المسلحين الَّذِينَ فروا سابقًا من وجه طَالِبَان في قندهار وهلمند، ولذلك لَمْ يرحمهم مقاتلو طَالِبَان. وعلى الرغم من أن نسبة الأسرى القتلى كَانَت منخفضة، إلا أن هَذَا أثر سلبيًا على ذهني. حَتَّى أنني أصبحت أشك في شرعية هَذَا الجِهَاد المقدس. احتفل زملائي بِهَذَا الانتصار لكني شعرت بالضغط والحزن.

قَالَ المُـلَّا مُحَمَّـد ربـاني الَّـذِي قـاد الحـرب، إن مـا حـدث عمـل غيـر مشـروع وأنـه غيـر مسـموح لأحـد بقتـل الأسـرى. لكنـه لَـمْ يكـن قـادراً علـى مراقبـة مجموعـات طَالِبَـان الصـغيرة. وكـذلك أمـر المُـلَّا عُمَـر بعـدم قتـل أي سـجين، لكـن في هَـذِهِ العمليـات غيـر المنظمـة قُتـل عـدد قليـل مـن السـجناء على أيدي عناصر طَالِبَان العاديين غير المسؤولين.

في ليلـة الهجـوم الثالـث بقيـادة المُـلَّا مُحَمَّـد ربـاني، شـرع في الصـلاة لفـترة طويلـة ثُـمَّ دعـا طـويلاً أيضًـا وطلـب التوفيـق مـن الله. كـان رجـلاً ورعًـا وتقيـًا (مـا زلـت متـأثراً بورعـه وتقـواه). في الوقـت نفسـه، قفـز شـاب مـن مركبـة عسـكرية كبيـرة وتعـرض للصـرع (في التعبيـر التقليـدي سـيطر عَلَيْـهِ الجـن) كـان الصـبي يبلـغ مـن العمـر 18 أو 19 عامـًا. صـرخ عَلَيْـهِ القائـد مـن بـاغران المُـلَّا عبـد الواحـد ليقـوم! فوقـف الصـبي علـى الفـور وعـاد إلـى السـيارة وهـو مـذعور. عنـدما استفسـرت أخـبرني أصـدقائي أن قائـد بـاغران يجـبر المسـلحين علـى الانضـمام للقتـال، وأن الشـاب فعـل ذَلِـكَ خوفـًا مـن الحـرب، لكنـه هـاب مـن صـراخ قائـده (رئيـس بـاغران). شـعر قلبـي بالإشـفاق تجاهـه. لَـمْ يكـن هنـاك أشـخاص مـن نفـس الفئـة العمريـة في الشـاحنات العَسْـكَرِيَّة لِلْمُـلَّا عبـد الواحـد. أخـبرني أحـدهم أن المُـلَّا عبـد الواحـد يجنـد أشخاصـًا مـن منطقتـه ومـن قبيلتـه بـالقوة. هَـذَا جعلنـي مسـتاء للغاية من وصمة العار تِلْكَ على طَالِبَان.

لَـمْ أر قـط حادثـة مماثلـة حَيْـثُ يُقتـل سـجناء دون أن يواجهـوا أي عدالـة. بـدا هَـذَا الجانـب مـن الحـرب وحشـيًا بالنسـبة لـي. حَتَّـى ذَلِـكَ الحيـن كنـت متأكـدًا مـن أن هَـذِهِ كَانَـت حربـًا مقدسـة بحتـة، وأن مشـاركة كُـلّ طالـب في هَـذِهِ الحـرب أمـر مقـدس تمامـًا. لكنـي أدركـت أن قداسـة الحـرب صـعبة للغايـة في الواقـع في ظـل تمكـن عـدد قليـل مـن أفـراد طَالِبَـان مـن الانحـراف وارتكـابهم لتجـاوزات. مـاذا سـيفعل الآخـرون أثنـاء الحـرب؟ لقـد قبلـت أن البشـر يمكـن بسـهولة أن يعتـادوا علـى جـرائم القتل. وقلت لنفسي: يا الله! لا تجعلني معتاداً على القتل.

توجـه أصـدقائي نحـو هـرات بأمـل الاسـتيلاء عَلَيْهَـا. وذهبـت إلـى جبـل خرمـا، وبعـد ذَلِـكَ علمـت أن طَالِبَـان لَـمْ تتكبـد خسـائر جديـدة ولَـمْ تكـن بحاجـة إلـى المزيـد مـن المقـاتلين. ولـذلك دون استشـارة أحـد عـدت إلـى دلارام بنيمـروز مـع القائـد الحـاج بشـير. ثُـمَّ ذهبـت إلـى قنـدهار

ومكثـت في بولـدك شـهرين. وسـلمت أسـلحة مجمـوعتي إلـى حـاكم منطقـة بولـدك وودعـت الأعمال القتالية، وصرت أكثر ميلاً نحو الثقافة والأدوار السياسية في حركة طَالِبَان.

فتح مدينة هرات

بعـد أسـبوع مـن القِتَـال اسـتولت طَالِبَـان علـى مركـز ولايـة هـرات في 5 سـبتمبر 1995. وأبـدت قـوات إسـماعيل خـان مقاومـة خـارج هـرات لكنهـا تجنبـت الحـرب داخـل المدينـة. فـر إسـماعيل خـان وقادتـه الرئيسـيون إلـى إيـران عـبر منطقـة إسـلام قلعـة. في حـين كَانَـت نيمـروز وفـراه تحـت سـيطرة طَالِبَـان. وبـدأت حركـة طَالِبَـان عمليـة تطهيـر لمحيـط هـرات، وسـيطرت علـى منـاطق قليلـة في ولايـات بـادغيس وفريـاب وغـور، الأمـر الَّـذِي وضـع حركـة طَالِبَـان في مواجهـة قـوات دوسـتم للمرة الأولى.

كمـا هـو الحـال في مـدن أخـرى، بعـد الاسـتيلاء علـى مدينـة هـرات أعلنـت حركـة طَالِبَـان عفـوًا عامًـا. وعـاد المسـؤولون السـابقون وعناصـر النظـام القـديم بعـد بضـعة أيـام ليسـتأنفوا عملهـم. **ومع ذَلِـكَ سُـلمت المناصـب العليـا والإدارات رفيعـة المسـتوى لأفـراد مـن طَالِبَـان، في حـين عُـين الموظفون القدامى في مناصب أدنى.**

خـلال أسـبوع واحـد مـن القِتَـال الَّـذِي بـدأ مـن جريشـك وانتهـى بالسـيطرة علـى هـرات ونيمـروز وفـراه، تعرضـت قـوات العـدو لخسـائر كبيـرة في الأفـراد والمعـدات حَيْـثُ قُتـل مـا يقـرب مـن ألـف مسـلح مـن بيـنهم مقـاتلون وقـادة سـبق أن فـروا مـن قنـدهار وهلمنـد، وعناصـر مـن ميليشـيات إسـماعيل خـان، وقـوات مواليـة لأحمـد شـاه مسـعود، وعـدد قليـل مـن مسـلحي وادي بنشـير ممـن لَـمْ يكونـوا علـى درايـة بجغرافيـة وطبيعـة المنطقـة أثنـاء هـروبهم. فمـاتوا مـن العطـش في الصـحاري الشاسـعة بـين هلمنـد وفـراه، فـالطقس كـان حـاراً، كمـا تتسـم تِلْـكَ المنطقـة بريـاح شـديدة السخونة.

عينـت طَالِبَـان المُـلَّا يـار مُحَمَّـد حاكمـًا لهـرات. كـان شخصـا ذكيـًا وحنونـًا وودوداً. وأثنـاء الجِهَـاد ضِـدّ السـوفييت بـرز كقائـد مشـهور علـى مسـتوى قنـدهار، كمـا اشـتهر علـى مسـتوى أَفَغَانِسْـتَان بإسـقاط الطـائرات الحربيـة الروسـية حَيْـثُ اسـتهدف بمفـرده ثلاثـًا وعشـرين طـائرة

حربيـة سـوفيتية طـراز مـيج 21 ومـيج 22 بصـواريخ سـتينغر الأمريكيـة. لكـن السـؤال الَّـذِي طـرح نفسـه هـو كيـف حصـل علـى صـواريخ سـتينغر بِهَـذِهِ الكميـة؟ الجـواب هـو أنـه كـان صـديقًا لحامـد كـرزاي أثنـاء الجِهَـاد ضِـدّ الاتحـاد السـوفيتي، فهمـا مـن نفـس القبيلـة. وربمـا كـان كـرزاي يـأتي بصواريخ ستينغر من طرف وكالة المخابرات المركزية في ذَلِكَ الوقت.

مـع السـيطرة علـى هـرات تولـت طَالِبَـان المسـؤولية رسـمياً عـن إقلـيم كبيـر آخـر. أهـل هـرات مثقفـون وودودون ومهـذبون. لكـن إيـران خططـت لمـؤامرات مختلفـة ضِـدّ طَالِبَـان مـن وقـت لآخـر مِمَّـا أدى إلـى خلـق مشـاكل. وتـم التخطـيط عـدة مـرات انطلاقـاً مـن إيـران لاغتيـال حـاكم الولايـة، ووُضـع جهـاز هـاتف مفخـخ بـالمتفجرات في مكتـب الحـاكم، لكـن مسـؤولي الاسـتخبارات عثـروا علـى القنبلـة الموضـوعة بـاحتراف في سـماعة الهـاتف. وإلـى جانـب الـوالي، أُرسـل عضـو مجلـس الشُّـورَى والخطيـب البـارز في حركـة طَالِبَـان مَوْلَـوِي إحسـان الله إحسـان إلـى هـرات لإقامـة علاقـات ودية بين التجمعات السكانية في هرات وحركة طَالِبَان، إذ كان ماهرًا جدًا في هَذَا المجال.

ما بعد انتصار هرات، والزيادة في الإيرادات الحكومية لِطَالِبَان

مدينـة هـرات هـي البوابـة الرسـمية للتجـارة مـع إيـران وتركمانسـتان. تـأتي العَدِيْـد مـن المنتجـات مـن إيـران والخلـيج إلـى أَفْغَانِسْـتَان عـبر مينـاء بنـدر عبـاس مـروراً بهـرات. هَـذَا الطريـق مهـم جـداً لإيـران وأَفْغَانِسْـتَان. وبالمثـل، تعتـبر بوابـة تورغونـدي بـالقرب مـن تركمانسـتان طريقـا مهمـا للتجـارة مـع دول آسـيا الوسـطى. وقـد أُغلقـت الحـدود الإيرانيـة أمـام التجـارة لفـترة طويلـة ولكنهـا فُتحـت لَاحِقـًا. **وقـد بلغـت الإيـرادات الشـهرية التقريبيـة لجمـارك هـرات في ذَلِـكَ الوقـت مـا بـين خمسـمئة إلـى سـتمئة ألـف دولار. ولَـمْ يكـن هَـذَا المبلـغ ضـئيلاً بالنسـبة لحركـة مثل طَالِبَـان. وزادت الأرباح في وقت لاحق، وكان هَذَا المبلغ الأولي شريان حياة لحركة طَالِبَان.**

عـبر جمـارك هـرات تـم اسـتيراد السـيارات المسـتعملة مـن الشـرق الأوسـط، والإطـارات وزيـت موبيـل والمنتجـات المنزليـة وغيرهـا مـن السـلع مثـل الجـازولين والمنتجـات الغذائيـة مـن إيـران، والزيـوت والمنتجـات الغذائيـة مـن تركمانسـتان. كمـا حققـت جمـارك نيمـروز وجمـارك خوسـت الجنوبيـة (بوابـة غـلام خـان) بعـض الإيـرادات. وقـد فرضـت طَالِبَـان ضـرائب قليلـة جـدًا

على السلع التجارية. وبعد السيطرة على أَفَغَانِسْتَان، بلغت الإيرادات اليومية أقل من مئة ألف دولار، وهي حصيلة منخفضة للغاية مقارنة بإيرادات الحكومات السابقة في أَفَغَانِسْتَان.

خلال القِتَال في هرات ونيمروز وفراه، استولت طَالِبَان على مخبأ ضخم للأسلحة والمركبات المدرعة والدبابات من العدو، كما استولت على بعض الطائرات المدنية والحربية في مطار شندند.

تجمع ضخم من العُلَمَاء في قندهار، ومنح لقب أمير المؤمنين لِلْمُلَّا مُحَمَّد عُمَر

في مارس 1996، اقترح مجلس الشُّورَى الأعلى على المُلَّا عُمَر الدعوة إلى عقد اجتماع للعلماء من المناطق الَّتِي تسيطر عَلَيْهَا طَالِبَان فضلاً عن العُلَمَاء المقيمين في مخيمات اللاجئين الأَفَغَان بالدول الأخرى للنقاش حول الوضع العام والحَرْب، وتلقي اقتراحاتهم وتوجيهاتهم بِحَيْثُ تنُظم أنشطة طَالِبَان في المستقبل وفقًا للمبادئ والتوجيهات الدِّيْنِيَّة. ويقال إن هَذَا المقترح في البداية رفعه مَوْلَوِي جلال الدين حقاني إلى مجلس الشُّورَى عبر مَوْلَوِي إحسان الله إحسان الَّذِي نقل توصيته إلى الأعضاء الآخرين، واقترحوا ذَلِكَ لَاحِقًا على المُلَّا عُمَر.

اختيرت المدرسة الميكانيكية في قندهار كمكان للاجتماع. فمبناها توجد بِهِ مساحة كافية لعقد اجتماع كبير. كما خُصص مكتب مؤقت عند مدخل المدرسة لتسجيل الضيوف وعمل الترتيبات الخاصة بإقامتهم. وعُين مَوْلَوِي حمد الله نعماني مدير دائرة الإعلام والثقافة مسؤولاً عن هَذَا المكتب. وتولى أحمد علي خان متقي مسؤولية دار الضيافة وتنظيم أنشطة أخرى للاجتماع. كان هناك عدد قليل من أصدقائنا لتقديم الدعم أيضًا.

كُلّ مجموعة من العُلَمَاء جاءت من نفس المنطقة أرادت الإقامة في مكان واحد، وخُصصت لهم غرف كبيرة منفصلة. وخُصص لِكُلِّ شخص أو شخصين أو ثلاثة غرفة حسب

سعتها. وأقام عدد قليل من الضيوف في بيت الضيافة بقندهار وفندق ميوند في حين عاد العُلَمَاء من سكان قندهار إلى منازلهم ليلاً.

بدأ الاجتماع في 30 مارس 1996، وانضم إِلَيْهِ المُلَّا عُمَر في اليوم الثالث. وقبل صلاة الظهر لخص المُلَّا عُمَر قصة تأسيس حركة طَالِبَان خلال خطابه. وبكى خلال حديثه، وبكى معه جميع المشاركين تقريبًا.

أوصى مَوْلَوِي إحسان الله إحسان خلال كلمته الحشد المجتمع بأن يطلقوا على المُلَّا عُمَر لقب "أمير المؤمنين"، وهو ما رحب بِهِ الجميع. وبدأ في مبايعة المُلَّا عُمَر الَّذِي كان مرتبكًا ومتفاجئًا لأن ما حدث غير متوقع. امتلأت عيناه بالدموع وارتجف. كَانَت الأجواء عاطفية، واتسم خطاب المُلَّا عُمَر بالبساطة المبنية على الحقيقة، وكان مؤثراً بينما على الناحية الأخرى شحن مَوْلَوِي إحسان الله إحسان الحاضرين عاطفيًا. سألت اثنين من كبار الأصدقاء عما إذا كان منح اللقب جزءًا من برنامج الاجتماع. فقالوا إنه لا يوجد شيء مثل هَذَا، وإن المُلَّا عُمَر لَمْ يطلبه أبدًا.

كان هناك ما يقرب من ألف وأربعمئة إلى ألف وخمسمئة مشارك مسجل ضمن أماكن الضيافة فضلاً عن العُلَمَاء الَّذِينَ شاركوا من قندهار أو أولئك الَّذِينَ اتخذوا ترتيباتهم الخاصة لإقامتهم. وحضر مَوْلَوِي إحسان الله إحسان والمُلَّا مُحَمَّد رباني والمُلَّا بورجان والمُلَّا نور الدين ترابي ومَوْلَوِي وكيل أحمد متوكل وعدد من أعضاء المجلس الأعلى لِطَالِبَان. وفي نهاية الاجتماع أعلن العُلَمَاء عدم شرعية حكم برهان الدين رباني وعدم شرعية نقاط تفتيش المليشيات، وأصدروا قراراً بإبعاد رباني بالقوة عن الحكومة.

إعلان تِلْكَ القرارات ومنح لقب أمير المؤمنين أثار ضجة في الصحافة التابعة للجهات المعارضة لِطَالِبَان. وفي نهاية الاجتماع، وُزعت استمارات تتضمن الاقتراحات والتوصيات. وفي اليوم الرابع أحضرنا تِلْكَ الاستمارات في أكياس ضخمة في ظل وجود الكثير مِنْهَا. وعُينت لجنة لمراجعة المكتوب داخل تِلْكَ الاستمارات. وأتذكر أن من بين أسماء العُلَمَاء الَّذِينَ شاركوا في الاجتماع:

قندهار: شيخ الحديث مَوْلَوِي عبد العلي الديوبندي، قاضي مَوْلَوِي سيد مُحَمَّد (مَوْلَوِي باسني)، شيخ التفسير مَوْلَوِي عبد السَّلام، مَوْلَوِي عبد الودود، ثاني مَوْلَوِي عبيد الله، مَوْلَوِي غلام حيدر، شيخ الحديث مَوْلَوِي عبد الحكيم، شيخ الحديث مَوْلَوِي عبد الغني، مَوْلَوِي عزيز الله، مَوْلَوِي سدوزي.

هلمند: مَوْلَوِي مُحَمَّد خواص، مَوْلَوِي عبد الرؤوف، مَوْلَوِي عبد الواحد، مَوْلَوِي مُحَمَّد، مَوْلَوِي مطيع الله.

زابل: مَوْلَوِي عبد الغفور سناني، مَوْلَوِي عناية الله غبركوي، مَوْلَوِي سيف الرحمن أخوند زاده، مَوْلَوِي مُحَمَّد نعمان وعشرات غيره.

غزنة: مَوْلَوِي مُحَمَّد أبصر، مَوْلَوِي حياة الله (كاكا)، مَوْلَوِي عبد الباري، مَوْلَوِي فيض الله، مَوْلَوِي عبد الستار، مَوْلَوِي رضا خان، مَوْلَوِي عبد البصير (رئيس)، مَوْلَوِي علم جول، مَوْلَوِي مُحَمَّد غيور، المفتي رحمة الله ديوبندي.

ميدان: يوسف خيل أخوند زاده صاحب، مَوْلَوِي رفيع الله مؤذن، مَوْلَوِي مُحَمَّد ملوك.

كابول: شيخ الحديث مَوْلَوِي تره خيل، مَوْلَوِي نور مُحَمَّد ثاقب، مَوْلَوِي أحمد الله، مَوْلَوِي عبد الله جان، مَوْلَوِي عبد القدوس.

بكتيكا: مَوْلَوِي حميد الله فايض، مَوْلَوِي مُحَمَّد فريد محمود، مَوْلَوِي مُحَمَّد يعقوب، مَوْلَوِي مُحَمَّد عُمَر، مَوْلَوِي راز مُحَمَّد.

بكتيا: مَوْلَوِي خليل الله فيروزي، مَوْلَوِي فضل الرحمن، مَوْلَوِي حمد الله نقشبندي، مَوْلَوِي أعظم جول.

خوست: مَوْلَوِي عبيد الله صبري، مَوْلَوِي سيد وسيم، مَوْلَوِي عبد الرحيم بلالي، مَوْلَوِي عاقل مُحَمَّد خنيخيل.

لوجار: مَوْلَوِي موسى جان، مَوْلَوِي فضل أحمد، مَوْلَوِي مُحَمَّد مير، شيخ الحديث مَوْلَوِي مُحَمَّد نعيم، مَوْلَوِي مُحَمَّد صادق، مَوْلَوِي فرقاني، مَوْلَوِي شهاب الدين ديلاوار.

ننجرهار: مَوْلَوِي عبد القادر، مَوْلَوِي قاري محمود شاه قاري، مَوْلَوِي إلهام الدين، مَوْلَوِي عبد الرشيد، مَوْلَوِي عبد الباقي، مَوْلَوِي سيد رسول.

كنر: الشيخ عبد القادر أسعد أبادي، مَوْلَوِي نور جلال.

لغمان: مَوْلَوِي سعيد الرحمن.

هرات: مَوْلَوِي خداي داد، مَوْلَوِي جليل الله مَوْلَوِي زادة، حسن وثيقي (عالم شيعي).

فارياب: مَوْلَوِي عبد الرحمن.

بلخ: مَوْلَوِي عبد الصمد.

فراه: مَوْلَوِي نجيب الله.

قندز: كجرو أخوند زاده صاحب.

بغلان: مَوْلَوِي مُحَمَّد مسلم.

باميان: مَوْلَوِي مُحَمَّد إسلام.

هَـذِهِ هـي الأسـماء الَّتِـي مـا زلـت أتـذكرها. وقـد شـارك في هَـذَا المـؤتمر جميـع العُلَمَـاء الكبـار من كافة أنحاء البلاد.

الصدام مع أنصار حكمتيار في الجَنُوب

في الشـتاء حـدثت معركـة بـين طَالِبَـان وخالـد فـاروقي القائـد التـابع لحكمتيـار في منطقـة أركـون في بكتيكـا حَيْـثُ هُـزم فـاروق خلالهـا. في وقـت لاحـق تعـرض أيضـًا لخسـائر في معركـة مسـلحة مـع مَوْلَـوِي مُحَمَّـد يـونس خـالص قائـد (الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ- جنـاح يـونس خـالص) في منطقـة زدران في بكتيا وهرب، فاستولت طَالِبَان على أسلحته.

وتحـت قيـادة المُـلَّا بورجـان سـيطرت طَالِبَـان علـى مسـتودع أسـلحة وذخيـرة تـابع لسـياف في منطقـة سـبينا زازاي في بكتيـا. وفي منطقـة سـبينا شـاكي سـيطرت طَالِبَـان علـى قاعـدة تابعـة للحـزب الإِسْـلَامِيّ جنـاح حكمتيـار بمـا فِيْهَـا مـن أسـلحة. كمـا اسـتولت طَالِبَـان علـى ماكينـة طباعـة للنقـود موجـودة في تِلْـكَ القاعـدة. إذ سـبق أن أحضـر الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ تِلْـكَ الماكينـة لطباعـة عملـتهم الأَفْغَانِيَّـة، ففـي ذَلِـكَ الوقـت انتشـر نوعـان آخـران مـن العمـلات في أَفْغَانِسْـتَان -أحـدهما طُبـع في روسـيا لحسـاب حكومـة ربـاني والآخـر كـان عملـة "جنبشـي" الَّتِـي طبعهـا دوسـتم. فـأراد حكمتيـار طباعة عملته الخاصة.

كَانَـت اسـتراتيجية المُـلَّا بورجـان للاسـتيلاء علـى كـابول ناجحـة للغايـة حَيْـثُ تـوزع العـدو علـى مسـاحة شاسـعة، واضطـر في النهايـة لقبـول الهزيمـة. بعـد تطهيـر مقاطعـة أورغـون تحـرك المُـلَّا بورجـان بقـوة كبيـرة مـن غـارديز باتجـاه مقـاطعتي ميرزكـه وزازي أحمـد خيـل اللتـان كانتـا تحـت سيطرة قـوات سـياف وحكمتيـار واسـتولى عليهمـا. ثُـمَّ سـيطرت طَالِبَـان علـى زازاي أريـوب وسـبينا شاكي.

كَانَـت المُفَاوَضَـات بـين حكومـة ربـاني وحكمتيـار ناجحـة، وفي 24 مـايو وقعـا اتفاقًـا لتشـكيل حكومـة وحـدة وطنيـة. ولعـب زعـيم الجماعـة الإِسْـلَامِيَّة البَاكِسْـتَانِيَّة قاضـي حسـين أحمـد دور الوسـاطة في هَـذِهِ المُفَاوَضَـات. وبعـد مقتـل الآلاف مـن النـاس، ووجـود حكمتيـار في المعارضـة لمدة أربع سنوات، قرر أخيراً الانضمام إلى الحكومة الأَفَغَانِيَّة تحت قيادة رباني.

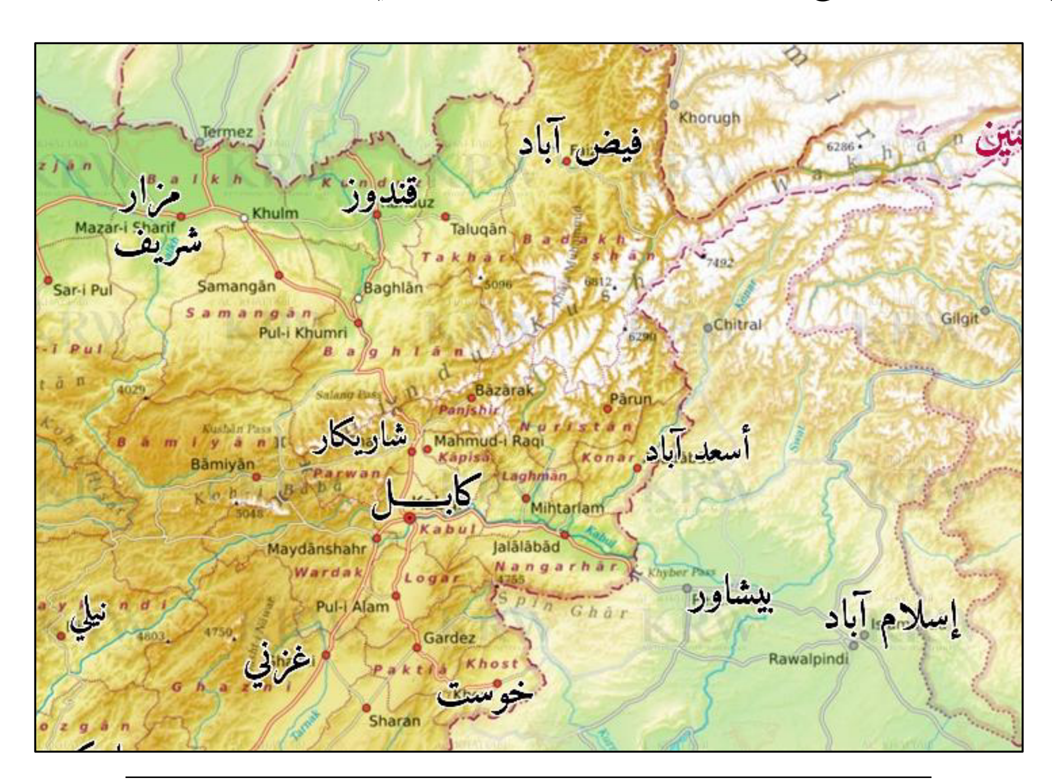
حكمتيار يتقدم نحو كابول وطَالِبَان تتجه نحو ننجرهار

بعـد المُفَاوَضَـات الناجحـة بـين ربـاني وحكمتيـار والتوصـل إلـى اتفـاق بينهمـا لتشـكيل تحـالف ضِـدّ طَالِبَـان في 24 مـايو 1996 ، حصـل حكمتيـار علـى نتيجـة رفضـها في وقـت سـابق. فقـد حـارب قـوات مسـعود لمـا يقـرب مـن ثـلاث سـنوات، وسـقط خـلال القِتَـال مـا يقـرب مـن خمسـين ألـف شخص ثُمَّ في السنة الرابعة قبل حكمتيار برباني رئيسـاً ومسعود وزيراً للدفاع.

في 26 يونيـو، تحـرك حكمتيـار باتجـاه كـابول ضـمن قافلـة ضـخمة. وردد أنصـاره شـعارات النصـر حَتَّـى وصـلوا كـابول. وأقـام ضـيوف قافلـة الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ في الفنـادق الحكوميـة في كـابول لبضـعة أسـابيع. وفي مطلـع يوليـو، عُـين أنصـار حكمتيـار في الـوزارات الـواردة ضـمن الاتفاقية.

جـرت المُفَاوَضَـات في ذَلِـكَ الوقـت بـين حكومـة ربـاني ومجلـس الشُّـورَى الحـاكم لشـرق الـبلاد بقيـادة حـاكم ننجرهـار الحـاج عبـد القـدير للانضـمام إلـى الحكومـة المركزيـة والـدفاع عـن كـابول والمحافظـات المجـاورة ضِـدّ طَالِبَـان. فقـد كـان هنـاك مـدخلان مهمـان تحـت سـيطرة طَالِبَـان يمكـن مـن خلالهمـا دخـول كـابول، وهمـا شارسـياب مـن جهـة لوجـار وميـدان شـهر مـن جهـة ميـدان

وردك، بينما سيطرت الحكومة على الطريق السريع بين كابول وجلال أباد حَتَّى سروبي، ومن سروبي إلى جلال أباد خضع الطريق لسيطرة مجلس الشُّورَى الشرقي.



كابل على الخريطة

تحت قيادة المُلَّا بورجان، وبعد تطهير المناطق الجنوبية ركزت طَالِبَان اهتمامها على شَرْق أَفَغَانِسْتَان. فقد كان طريق جلال أباد - كابول السريع ذا أهمية إستراتيجية في ذَلِكَ الوقت. فقد تواصل عدد قليل من القادة في المنطقة الشرقية مع الحكومة بينما تواصل عدد آخر من القادة الرئيسيين مع طَالِبَان. ولَمْ يكتفوا بالترحيب بِطَالِبَان في ننجرهار فحسب، بل أكدوا لَهَا أيضًا دعمهم لأنهم سئموا من وجود عشرات القادة المتنازعين ووحشيتهم.

من ناحية أخرى خشيت حركة طَالِبَان من التقدم في شَرْق أَفَغَانِسْتَان لمحاصرة كابول، ورأت ذَلِكَ أمرًا صعبًا. وفي لوجار أعدت قوات طَالِبَان بقيادة المُلَّا بورجان لدخول جلال آباد فيما جهز الحاج عبد القدير وأنصاره قوة قوامها ألف رجل في منطقة حصارك لمحاربة قوات طَالِبَان القادمة من مقاطعة أزرا في لوجار.

وقد أجبرت عائلة الحاج قدير مَوْلَوِي مُحَمَّد يونس خالص على استخدام نفوذه ضِدّ طَالِبَان لمنعها من دخول ننجرهار. وأبلغوا مَوْلَوِي خالص أنه إذا دخلت طَالِبَان مدينة جلال آباد، فستحدث عمليات إراقة دماء ضخمة. وفي منتصف سبتمبر، تلقى مكتب المُلَّا عُمَر في قندهار رسالة من مَوْلَوِي خالص تنص على أنه إذا تقدمت طَالِبَان نحو ننجرهار، فسيكون قادتها مسؤولين عن العواقب. لكن المُلَّا عُمَر فهم أن تِلْكَ الرسالة وصلت على حسب رغبة الحاج قدير ودين مُحَمَّد. وفي وقت لاحق، دعا مَوْلَوِي خالص طَالِبَان إلى دخول ننجرهار من خلال اثنين من مساعديه.

تحت قيادة المُلَّا بورجان تحركت قوات طَالِبَان بحذر باتجاه مقاطعة حصارك. وفي اليوم الثاني واجهوا قوة العدو في حصارك، لكن بما أن قائد القُوَات كان على اتصال مع طَالِبَان فقد أعطاهم ممرًا آمنًا. وفي 10 سبتمبر تحركت قافلة سيارات من قادة مجلس الشُّورَى الشرقي باتجاه تورخم. فهاجمها منجي شقيق القائد شمالي خان على الطريق السريع بين جلال أباد – تورخم. واستشهد هَؤُلَاءِ القادة بِشَكلٍ وحشي في الهجوم. وكان من بين هَؤُلَاءِ القادة الشهداء المهندس محمود وسازنور ومعاونيهما ممن كانوا على اتصال بِطَالِبَان. وبعد الهجوم هرب منجي إلى باكستان.

تِلْكَ العمليات الناجحة الَّتِي قادها المُلَّا بورجان كَانَت بتخطيط المُلَّا رباني مثلما حدث في فتح هرات، وتقدمت القُوَات نحو جلال أباد. قاد المُلَّا بورجان العمليات من الجبهة بينما اعتنى المُلَّا رباني بالنظام والإمدادات وخُطط لِكُلِّ هجوم جديد تحت إشرافه.

وفي 11 سبتمبر 1996، دخلت طَالِبَان مدينة جلال آباد. وفي ذَلِكَ الوقت جلب قائد الجمعية الإِسْلَامِيَّة حضرة علي عددًا قليلاً من المسلحين من قوات مسعود إلى مدينة جلال آباد وواجهتهم طَالِبَان في البداية في منطقة دارونتا، ولكنهم هربوا بعد خوض قتال محدود. وخضعت مدينة جلال أباد لسيطرة طَالِبَان دون أي قتال. ثُمَّ تحركت قوات طَالِبَان باتجاه كونار ولغمان وسيطرت عليهما دون مواجهة أي مقاومة.

رحب المواطنون بِطَالِبَان الَّتِي سارعت لإصدار عفو عن كُلّ رجال الميليشيات الَّذِينَ استسلموا بعد نزع سلاحهم. وكَانَت الأسلحة محل اهتمام عناصر طَالِبَان، فعند دخول كونر، وفي قلب مدينة أسد آباد سار القائد مالك زرين بين ولدين بلا لحية وهو يحمل على كتفه سلاح كيرينيكوف روسي (سلاح روسي مشابه لبندقية كلاشينكوف). وقَالَ لشاب من طَالِبَان بأنه صديق وأن هَذَا هو السلاح الَّذِي قد تحبه لكن الشاب لَمْ يتعرف عَلَيْهِ وهاجمه وأطلق النار عَلَيْهِ من بندقية هجومية وفر أطفال القائد وهم في حالة خوف، واشتكى القائد مالك إلى المُلَّا بورجان من شباب طَالِبَان، وطلب المُلَّا بورجان من الطالب إعادة سلاح الكيرينيكوف مقابل أخذه بعض المَال، فرحب الشاب بإعادة السلاح لكنه احتج على أخذ المَال قائلاً إن السلاح غنيمة لَهُ وأنه سيطالب بحقه يوم القيامة.

وفي اليوم التالي غادرت قافلة لِطَالِبَان من لغمان إلى سوروبي فأوقف المُلَّا بورجان القافلة، وانطلق للبحث عن الطالب الَّذِي حذره في اليوم السابق من يوم القيامة. وأخيراً وجد الطالب وقَالَ لَهُ: أنا قلق مِمَّا قلت. قل لي ماذا أفعل من أجلك؟ هل أعطيك نفس البندقية؟ فأحرج الطالب، وقَالَ بما إنك جئت لي فقد سامحتك.

بعد السيطرة على ننجرهار، عُين مَوْلَوِي مُحَمَّد طاهر أنوري (المعروف شعبيًا باسم الحاج مدير) واليًا، لكنه رفض قبول المنصب قائلاً إنه منصب صعب للغاية، وأنه غير مؤهل لَهُ. فغضب المُلَّا عُمَر وقَالَ إنني آمر بِهَذَا كأمير لأن لديك القدرة لشغل ذَلِكَ المنصب، لكنه تنحى عن المنصب.

كان مَوْلَوِي مُحَمَّد طاهر أنوري من سكان مقاطعة زرمت في بكتيا، وهو صديق مقرب لمولوي نصر الله منصور. وعندما شغل مَوْلَوِي نصر الله منصور منصب حاكم ولاية بكتيا عمل أنوري قائداً للحامية العَسْكَرِيَّة. وقبل ذَلِكَ عمل مديرًا لمستودعات الأسلحة، ولذلك اشتهر بلقب مدير صاحب. وكان رجلاً صالحًا يحب الحياة البسيطة. ولَمْ يكن مولعًا بالسلطة، ورغم ذَلِكَ، فبعد الاستيلاء على كابول عينه المُلَّا عُمَر رئيسًا للشؤون التنظيمية. كما شغل منصب وزير المالية ووزير التخطيط خلال حكومة طَالِبَان. وبالإضافة إلى قدراته التعليمية كان ذكيًا جدًا وصاحب خبرة في العمل التنظيمي.

وبعد أن رفض طاهر أنوري العرض، عُين مَوْلَوِي عبد الكبير والي لوجار واليًا لننجرهار، وفي حين شغل مَوْلَوِي عبد الحكيم منصب والي لوجار بدلاً مِنْهُ. كان مَوْلَوِي عبد الكبير أيضًا مسؤولًا عن المنطقة الشرقية في حركة طَالِبَان، وظل في هَذَا المنصب وكذلك ظل واليًا لننجرهار ونائبًا لرئيس مجلس الوزراء حَتَّى نهاية نظام طَالِبَان. لقد وثق المُلَّا عُمَر بهِ كثيرًا، وكان من أقوى مسؤولي طَالِبَان بعد المُلَّا عُمَر.

فتح كابول في ٢٦ سبتمبر

بعد هزيمة قوات التحالف المكونة من الحِزْب الإِسْلَامِيّ ومجلس شورى النظار بقيادة شاه مسعود في منطقة سرخكان، تقدمت حركة طَالِبَان بقيادة المُلَّا بورجان باتجاه ساروبي. وفي بداية العمليات ضِدّ العدو، استشهد المُلَّا بورجان إثر إصابته بقذيفة 82 ملم. وقد أخفت طَالِبَان أنباء وفاته لحين سيطرتها على كابول كي لا ترفع معنويات العدو. وشعر المُلَّا عُمَر بحزن شديد لدرجة أن التقدم نحو كابول لَمْ يكن كافيًا لتهدئة حزنه. فقد كان لاستشهاد قائد كبير ثاني في طَالِبَان بعد المُلَّا مُحَمَّد آخوند أثرًا كبيرًا عَلَيْهِ.

باتت طَالِبَان تشكل تهديدًا لكابول من الجهات الأربعة، وتدهورت معنويات قوات مسعود وحكمتيار. واستعدت طَالِبَان للهجوم من ناحية مدينة ميدان شهر. وبالمثل تحركت قواتها من منطقة أزرا باتجاه بلدة تشارسياب في كابول. وبدأت العملية على جانبي ساروبي، ووصلت قوات طَالِبَان بقيادة المُلَّا فضل من حسيراك في لوجار إلى ساروبي.

أبدت قوات التحالف في ساروبي مقاومة شديدة، وفي 25 سبتمبر أي بعد أربعة عشر يومًا من السيطرة على جلال آباد، سيطرت طَالِبَان على المنطقة حَيْثُ تخلت قوات التحالف عن معظم أسلحتها وهربت. وبعد ذَلِكَ هاجمت طَالِبَان كابول من الاتجاهات الأربعة، وفقدت قوات مسعود معنوياتها بسبب القِتَال الَّذِي استمر شهرًا كاملًا. وعطل هَذَا خطة مسعود التكتيكية ولَمْ يتمكن من وضع إستراتيجية جديدة.

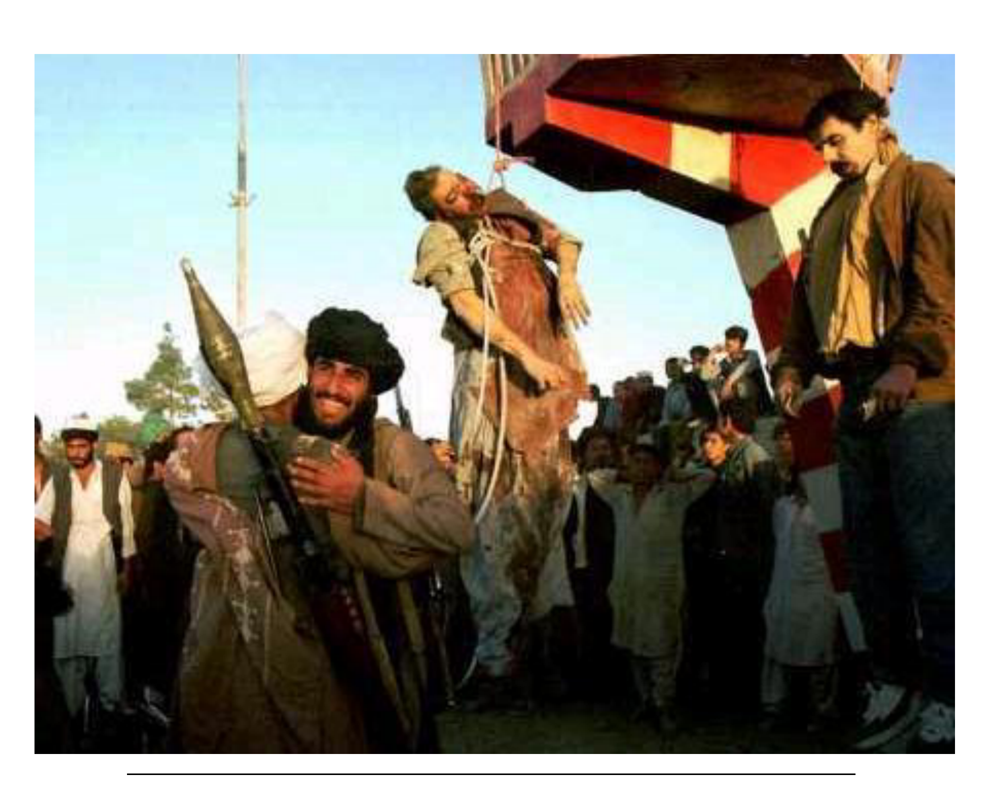
ساهم التقدم الجديد لقوات طَالِبَان وفتح المقاطعات الشرقية دون سفك للدماء في زيادة الثقة في الحَرَكَة. وأدى التأييد الشعبي والترحيب الحار الَّذِي حظيت بِهِ طَالِبَان في كابول إلى تراجع معنويات مسعود وقوات التحالف التابعة لَهُ. وبعد الهجمات المستمرة على كابول الَّتِي بدأت في 25 سبتمبر واستمرت حَتَّى مساء اليوم التالي، لَمْ يتمكن مسعود والقُوَات المساندة لَهُ من المقاومة أكثر. وفي ليلة 26 سبتمبر انسحبت قوات التحالف باتجاه شَمَال كابول.

تعرَّض عدد قليل من السكان المحليين في شَمَال كابول للهاربين إلى بنجشير، وأوقفوهم ونهبوهم هم وعائلاتهم[1]. فيما غادر مسعود وقادته المنطقة في وقت سابق، وبعده هرب سياف وحكمتيار ورباني وتجمعوا في وادي بنجشير. وبعد وصول طَالِبَان إلى الوادي، انتقل رباني وحكمتيار وعدد قليل من المسؤولين الآخرين إلى طاجيكستان.

دخلت طَالِبَان كابول في ليلة 26 سبتمبر. وفي صباح 27 سبتمبر، قُتل الرئيس الشُّيُوعِيّ السابق نجيب الله شنقًا في ساحة أريانة، وشعر سكان كابول بالأمان بعد فترات طويلة من الحرب. ولهذا احتفلوا ورحبوا بِطَالِبَان واستقبلوها بالورود في عدة مناطق من كابول.

أُتخذ قرار إعدام نجيب قبل دخول كابول حَيْثُ اتفق كُلّ من المُلَّا عبد الرزاق والمُلَّا يارانا وعبد السَّلَام روكتي وعدد قليل من القادة الآخرين حول هَذَا الموضوع. إذ رأوا أنه إذا بقي نجيب على قيد الحياة، فسيحظى بالحماية بسبب الضغوط الدولية والإقليمية الَّتِي ستمثل حماية لقاتل كبير بحق الشعب. وقد صفى عناصر طَالِبَان نجيب لأنه قتل عمدًا آلاف المسلمين خلال عمله كرئيس لجهاز المخابرات "خاد" أثناء حقبة الغزو السوفيتي. وبخلاف ذَلِكَ، تجنبت طَالِبَان قتل أسرى الحرب. فإسماعيل خان قتل أكثر من ألف من عناصر طَالِبَان خلال المعارك المباشرة لكن طَالِبَان لَمْ تقتله قط أثناء سجنه، وبقي في السجن لمدة ثلاث سنوات، حَيْثُ كان معارضًا ولَمْ يكن قاتلًا للشعب. وقد كُلف عناصر طَالِبَان بإحضار نجيب من مكتب الأمم المتحدة، وبعد إخراجه من المكتب قُتل بمسدس وشُنق في ميدان أريانة.

[1] بنجشير تعني بالفارسية: الأسود الخمسة، وهي ولاية تقع شمالي كابول يقع ضمنها وادي بنجشير الشهير الَّذِي استعصى على القُوَات السوفييتية طوال الحَرْب، واستعصى أيضًا على قوات طَالِبَان خلال فترة حكمها الأولى من عام 996 إلى 2001.



نجيب الله مشنوقًا سنة 1996

فتح كابول: حكم طَالِبَان ورد الفعل الدولي

بعد يوم من الاستيلاء على كابول، منح المُلَّا عُمَر السلطة في كابول لمجلس شورى مؤلف من ستة أعضاء برئاسة المُلَّا مُحَمَّد رباني وعضوية المُلَّا مُحَمَّد حسن، والمُلَّا عبد الرزاق، والسيد غياث الدين آغا، والملا مُحَمَّد غوث، والمُلَّا عبيد الله.

وقد أعلن زعيم النظام الجديد المُلَّا مُحَمَّد رباني عن سياسة طَالِبَان في أول تصريح إعلامي. واشتمل هَـذَا التصريح على إعلان إقامة نظام إسلامي، وعزل وتغيير السفراء والموظفين المعينين في السفارات والقنصليات من قبل النظام السابق، وإعلان عفو عام عن عناصر المليشيات الَّـذِينَ يستسلمون ويسلمون أسلحتهم، وعودة الحَرَكَة على الطرق السريعة، كما دافع عن قرار طَالِبَان بقتل نجيب وشقيقه، ورحب بالملك السابق ظاهر شاه كمواطن أفغاني، وأعلن عن تدشين محادثات سلام مع دوستم بالإضافة إلى قرارات أخرى.

بعد يومين، أُرسل رؤساء الدوائر التابعة لِطَالِبَان في قندهار إلى كابول للعمل كوزراء بالوكالة. فعُين رئيس دائرة الإعلام والثقافة في قندهار المُلَّا أمير خان متقي وزيرًا للإعلام

والثقافة بالوكالة، ورئيس الشؤون الخارجية في قندهار المُلَّا مُحَمَّد غوث وزيراً للخارجية بالوكالة، والمُلَّا داد الله وزيراً للاتصالات بالوكالة، والمُلَّا عبيد الله وزيرًا للدفاع بالوكالة، والمولوي حمد الله نعماني وزيرًا للتعليم العالي بالوكالة، ورئيس استخبارات قندهار المُلَّا خاكسار وزيرًا لشؤون الأمن (المخابرات) بالوكالة.

ومع مرور الوقت أجريت العَدِيْد من التغييرات، وعُين أشخاص جدد كوزراء ونواب وزراء مثل قاري أحمد الله (من غزنة) وزيراً للداخلية، والمولوي مُحَمَّد طاهر أنوري (من باكتيا) وزيراً للمالية، والقاري دين مُحَمَّد حنيف (من بدخشان) وزيراً للتخطيط، والمولوي عبد الرقيب (من تخار) وزيرًا للاجئين، والمولوي عبد الباقي (من ننجرهار) وزيرًا للشهداء والمعوقين، والمولوي رستم (من لغمان) في وزارة التنمية العمرانية، ومخدوم عبد السَّلَام (من بدخشان) وزيرًا للعمل والشؤون الاجتماعية، والملاكم عبد الشكور مطمئن من (باغمان في كابول) رئيسًا للجنة الأولمبية والأنشطة الرياضية.

في البداية ساد اعتقاد بأن هَـؤُلَاءِ الوزراء هم وزراء مؤقتون بالوكالة، وأنه سيُعين وزراء جدد بعد السيطرة الكاملة على أَفَغَانِسْتَان وفق سياسة إدارية جديدة، وأن ذَلِكَ لن يكون مشروطًا بالانتماء إلى حركة طَالِبَان. لكن فيما بعد قلصت الحروب الداخلية الَّتِي طالت والقضايا الدولية فرص حدوث ذَلِكَ.

عمل المُلَّا مُحَمَّد رباني رئيسًا للوزراء بالوكالة، واقتصرت تشكيلة مجلس الوزراء على حركة طَالِبَان، أما النواب والمستشارون والموظفون الإداريون وغيرهم فقد عُينوا من مسؤولي الحكومة السابقة، وبالتالي لَمْ تواجه طَالِبَان مشاكل إدارية ومهنية.

بعد السيطرة على كابول، استحوذت طَالِبَان على اهتمام المنطقة والعالم. وفيما يلي أسرد بعض الأخبار الرئيسية المتعلقة بردود الفعل الدولية تجاه حركة طَالِبَان:

في اليوم الأول، لفتح كابول أصدرت وزارة الخارجية الروسية بيانًا مفاده أن سقوط كابول زاد من تعقيد قضية أَفَغَانِسْتَان، وأن على الأمم المتحدة إجبار طَالِبَان على تشكيل حكومة من كافة الأطياف.

وفي اليوم الثاني، قَالَ المتحدث باسم الخارجية الأمريكية في مقابلة مع إذاعة صوت أمريكا: إن واشنطن تشعر بالأسف لإعدام نجيب؛ على طَالِبَان أن تسلك طريق المُفَاوَضَات ووقف تهريب المخدرات. يجب عَلَيْهَا التخلي عن مراكز تدريب الإرهابيين، ومن المبكر الحديث عن اعتراف رسمي بِطَالِبَان. ووعدت الولايات المتحدة بتقديم الدعم لإعادة تأهيل أَفْغَانِسْتَان.

وفي نفس اليوم، أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بيانًا يدين مقتل نجيب، ويطلب من كلا الطرفين المتحاربين التفاوض بدلاً من القِتَال، وطالب بعدم تدخل دول أخرى في الشؤون الداخلية لأفغانستان.

في اليوم نفسه أيضًا، نددت منظمة العفو الدولية بإعدام نجيب. فيما أعربت طاجيكستان وأوزبكستان وكازاخستان عن قلقها إزاء حكم طَالِبَان. أما تركمانستان فقد حافظت على موقفها المحايد من طَالِبَان، وخشيت من أن تشكل طَالِبَان خطراً على أمنها. في حين ظلت تركيا محايدة، وعرضت استضافة محادثات سلام بين الأطراف المتقاتلة، فيما أدانت إيران بشدة حكم طَالِبَان.

أما باكستان، فقد أبدت موقفًا إيجابيًا تجاه طَالِبَان، وأعلنت دعمها لعملية السَّلَام بين الجماعات المسلحة. فيما كان رد فعل السعودية ودول الشرق الأوسط مشابهًا. وقد أيدت شخصيات رئيسية من باكستان موقف حكومتها، وطلب مولانا فضل الرحمن (وهو زعيم ديني وسياسي باكستاني) من الحكومة الاعتراف رسميًا بِطَالِبَان، وقَالَ في مقابلة مع صحيفة جانغ: الولايات المتحدة تضع العقبات أمام حكومة طَالِبَان، يجب أن تتحد كُلّ الحركات الإِسْلَامِيَّة حول العالم ضِدّ أمريكا. بينما انتقد زعيمَ الجماعة الإِسْلَامِيَّة البَاكِسْتَانِيَّة (القاضي حسين أحمد) بسبب صداقته مع رباني وحكمتيار.

ورحب مَوْلَوِي مُحَمَّد نبي محمدي ومَوْلَوِي مُحَمَّد يونس خالص بإعدام نجيب، وطالبا الأمة الأَفْغَانِيَّة بدعم حكومة طَالِبَان الإِسْلَامِيَّة. وقَالَ الشريف "سيد أحمد جيلاني" إن إعدام

نجيب قرار سليم، لكنه وجب تنفيذه بعد محاكمة، وأضاف أن طَالِبَان حصلت على السلطة بتأييد شعبي، وعَلَيْهَا الآن وبدعم من الأمم المتحدة أن تنظم مجلس جيرغا[1].

وفي 4 أكتوبر، قَالَ حكمتيار لصوت أمريكا: طَالِبَان عبيد لبريطانيا ورجال أمريكا. لَمْ نحاربهم بِشَكلٍ صحيح في كابول، وسيُطردون من هناك قريبًا.

وفي 10 أكتوبر، أجرى برهان الدين رباني مقابلة مع بي بي سي في مدينة تالقان بولاية تخار، وقَالَ خلالها: طَالِبَان عملاء لباكستان. وزعم أنه لو بقي لبعض الوقت في الحكومة لتمكن من إجراء الانتخابات العامة. وقد قَالَ هَذَا الكلام على الرغم من أنه أقام مجلس شورى وهمي يسمى "أهل الحل والعقد"، ولَمْ يكن لديه أي نية لترك الحكومة بطريقة سلمية.

ردود فعل الأَفغَان المقيمين في الخارج[2]

باستثناء فئة محدودة، رحب معظم الأَفغَان الَّذِينَ يعيشون في الخارج بسيطرة طَالِبَان على كابول. لقد شعر الأَفغَان ممن لديهم عائلات تعيش في أَفغَانِسْتَان بأن الظروف باتت أفضل، وأنها الفرصة الأولى للتخلص من الحرب الأهلية. ولذا شعر جل الأَفغَان بالسعادة. في ذَلِكَ الوقت لَمْ تُعرَّف طَالِبَان على أنها جماعة قائمة بذاتها، وتولدت لدى جميع الأَفغَان رغبة واحدة بأن تصبح أَفغَانِسْتَان دولة آمنة وموحدة.

رحب الأَفغَان في البلدان المجاورة، وفي كُلّ بقعة من بقاع العالم بحركة طَالِبَان، ومال السفراء في السفارات والقنصليات الأَفغَانِيَّة إلى جانب الحَرَكَة. ففي أمريكا وأوروبا عقد العَدِيْد من الأَفغَان اجتماعات وطالبوا بدعم طَالِبَان. وفي 11 أكتوبر، نظم الأَفغَان بقيادة إمام الدين صافي مظاهرة في ألمانيا كان نصف المشاركين فِيْهَا من النساء.

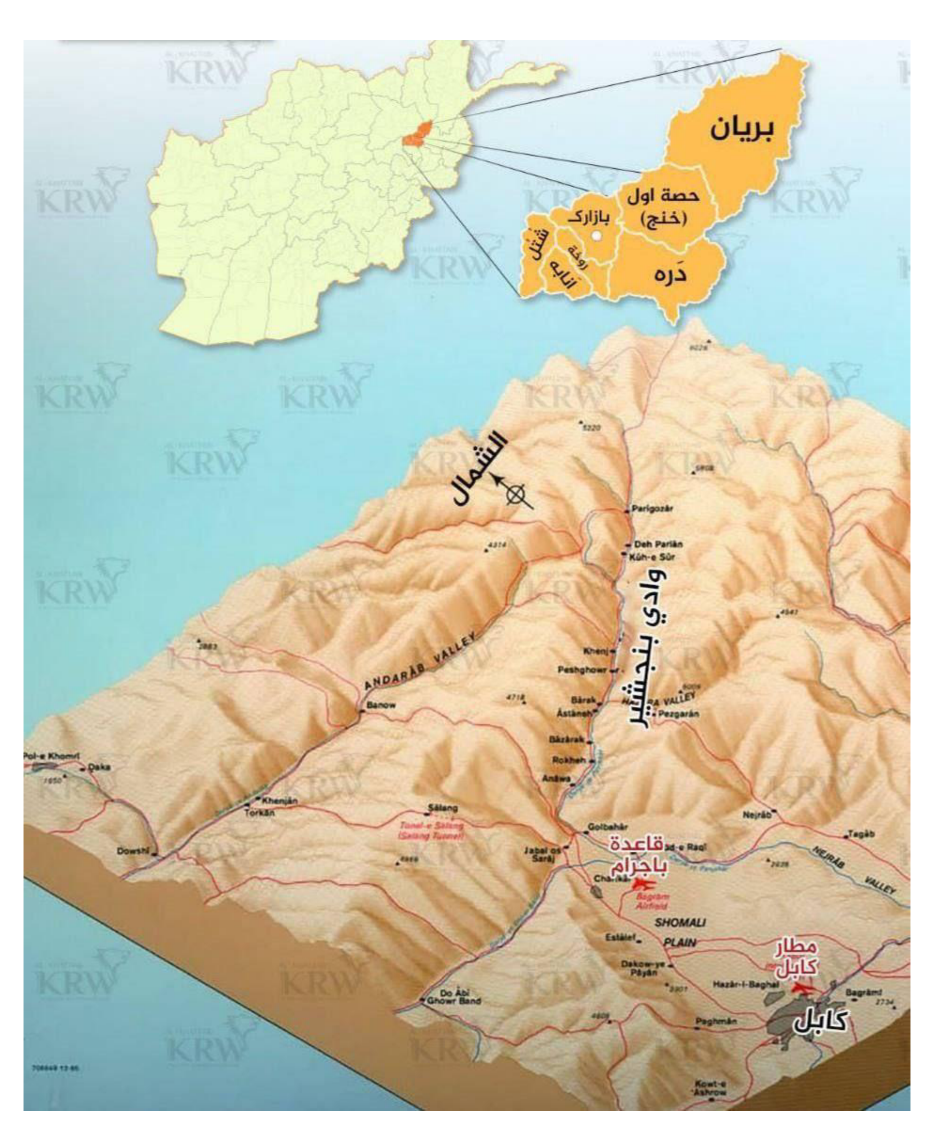
---

1 – اللويا جيرغا مجلس شورى قبلي تقليدي، يتكون بِشَكلٍ أساسي من رؤساء ووجهاء القبائل الأَفغَانِيَّة الَّذِينَ يجتمعون للتشاور فيما بينهم حول القضايا الرئيسية.

2 – وردت هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية فقط.

تقدم سريع لِطَالِبَان نحو الشَّمَال

بعـد يـوم مـن الاسـتيلاء علـى كـابول، واجهـت طَالِبَـان في بـروان قـوات التحـالف الَّتِـي فـرت إلـى بنجشـير بعـد معركـة قصـيرة. في 30 سـبتمبر، سـيطرت طَالِبَـان علـى المنـاطق الممتـدة حَتَّـى نفـق سـالانغ[1]، بمـا في ذَلِـكَ جبـل السـراج. وبعـد الاسـتيلاء علـى سـوق كلبهـار وصـلت الحَرَكَـة إلـى مدخل بنجشير.



1 – ممر جبلي رئيسي يربط شَمَال أَفغَانِسْتَان بجنوبها.

وبـدلاً مـن دخـول بنجشـير، ركـزت طَالِبَـان علـى سـالانغ للمضـي قـدمًا نحـو بغـلان وبلخمـري وقنـدوز وتخـار. في الجانـب الآخـر، كَانَـت سـالانغ تحـت سـيطرة قـوات دوسـتم، فبعثـت طَالِبَـان برسـالة تطلـب مـنهم المـرور الآمـن لكـنهم منعوهـا مـن ذَلِـكَ. ولَـمْ تكـن طَالِبَـان راغبـة في شـن حـرب على قوات دوستم.

لـو واصـلت طَالِبَـان في ذَلِـكَ اليـوم تقـدمها نحـو بنجشـير لمـا تمكنـت قـوات مسـعود المحبطـة مـن المقاومـة لفـترة طويلـة. فبمـرور الوقـت أغلقـت قـوات مسـعود مـدخل وادي بنجشـير بحجـارة ضخمة، ولَمْ يعد من الممكن لعربات طَالِبَان دخول الوادي.

مـن ناحيـة أخـرى خططـت قـوات مسـعود لبـدء حـرب عصـابات شَـمَال كـابول ضِـدّ طَالِبَـان، فهاجمـت قوافـل طَالِبَـان بِشَـكلٍ مفـاجئ مـن المنـازل وحقـول المحاصـيل والبسـاتين. وفي 5 أكتـوبر، دخلـت طَالِبَـان وادي بنجشـير لكـن لَـمْ يكـن مـن الممكـن التقـدم أكثـر حَيْـثُ أغلـق مسـعود المنطقـة، واسـتهدفت قواتـه طَالِبَـان مـن قمـم الـتلال بواسـطة الأسـلحة الثقيلـة. ومـع ذَلِـكَ صـممت طَالِبَان على دخول الوادي.

نتيجـة لتهـاون قـوات طَالِبَـان في جبـل السـراج والمنـاطق المجـاورة، هـاجمتهم مجموعـات مسـعود فجأة في 8 أكتـوبر. لَـمْ تكـن طَالِبَـان علـى درايـة بالمنطقـة كمـا لَـمْ تتوقـع هجومًـا كهَـذَا، ولـذا انقسـمت قواتهـا إلـى قسـمين. ودخلـت قـوات مسـعود المنطقـة واسـتهدفت عناصـر طَالِبَـان مـن بـين البسـاتين ومـن داخـل منـازل المـواطنين. وفي المقابـل لَـمْ تـتمكن طَالِبَـان مـن اسـتهداف المنـازل، فأصيب العَدِيْد من عناصرها وأُسروا على يد قوات مسعود.

مـع مـرور الوقـت اسـتغل أنصـار مسـعود بسـاطة عناصـر طَالِبَـان، وبـدأوا في شـن حملـة دعائيـة للتحشـيد القبلـي. وأمـام مختلـف الحمـلات الدعائيـة انحـاز سـكان هَـذِهِ المنـاطق إلـى مسـعود بـالرغم مـن أنهـم كـانوا ضـده في زمـن الجِهَـاد ضِـدّ السـوفييت حَيْـثُ اتسـم تـأثيره في تِلْـكَ المنطقـة حينهـا بالضـعف الشـديد. وخـلال هـروب قـوات مسـعود مـن كـابول، سـلبهم سـكان تِلْـكَ المنـاطق سـياراتهم وأمـوالهم، حَتَّـى أنهـم أخـذوا مجـوهرات نسـائهم بـالقوة. لكـن في المقابـل لَـمْ تبـذل طَالِبَـان أي جهـود إيجابيـة للتـأثير علـى آراء السـكان. فقـد اعتقـد عناصـر طَالِبَـان أن السـكان سيدعمونهم ويرحبون بهم مثلما حدث في مناطق أخرى من أَفَغَانِسْتَان.

في تِلْكَ المرحلة كان المطلوب من طَالِبَان بذل الجهود لإقناع هَؤُلَاءِ المواطنين بأنها لا تعمل وفق تحيزات عرقية، ولا تعطي أهمية لِهَذِهِ التحيزات. كان عَلَيْهَا أن تقنع مجاهدي المنطقة وعلماءها وتسيطر عليهم.

ازداد الوضع سوءاً فيما بعد، وأدت الهجمات الَّتِي شُنت من بين بساتين السكان ومنازلهم إلى انعدام الثقة لدى طَالِبَان. وفي غضون أشهر قليلة، تبادلت طَالِبَان وقوات مسعود السيطرة على المنطقة عدة مرات. أجبرت نشوة النصر في ساحة المعركة طَالِبَان على حرق البساتين وطرد الناس قسراً من بعض المناطق، وهو الأمر الَّذِي أساء إلى سمعة الحَرَكَة وشجع السكان على تحديها.

خلال فترة الجِهَاد ضِدّ الاتحاد السوفياتي لَمْ يكن ثمة انقسام عرقي بين هَؤُلَاءِ السكان، فقد حاربوا بشجاعة ضِدّ النظام الشُّيُوعِيّ في كابول. وكان العَدِيْد من القادة الجهاديين الطاجيك المشهورين من هَذِهِ المناطق من المنتسبين للحزب الإِسْلَامِيّ والمعارضين لمسعود. ومن بين هَؤُلَاءِ صوفي باينده من سالانج، والأستاذ صبور فريد، والأستاذ فتح مُحَمَّد من بروان، والمهندس طارق من جبل السراج، وألماس من بروان، وكريم من قرباغ، والحاج داوود من كلكان، وصوفي نعيم من كلكان أيضًا، والحاج قادر من مير باشا كوت.

فيما كان العَدِيْد من قادة البشتون منتسبين إلى الجمعية الإِسْلَامِيَّة بقيادة رباني، بمن فيهم أنور دنجر من شكر دارا، وصوفي رسول من منطقة فارزي، وقاري محب من قرباغ، والقائد شاهين من بروان. وقد أدرك أحمد شاه مسعود ضرورة خلق انقسامات عرقية في المنطقة، وبذل جهودًا كبيرة من أجل ذَلِكَ لدفع الأهالي للوقوف في وجه طَالِبَان، وهو ما يغضب الله سبحانه وتعالى والمخلوقين.

تهجير السكان وحرق البساتين

تقدمت حركة طَالِبَان في شَمَال كابول نحو وادي بنجشير عدة مرات لكنها تراجعت بعد أن تكبدت خسائر فادحة بسبب الهجمات والكمائن من بين المنازل والبساتين. وطلب القادة العسكريون ووزير الدفاع من المُلَّا مُحَمَّد عُمَر السماح لهم بإزالة البساتين المستخدمة لشن الهجمات على قواتهم، فأجابهم المُلَّا عُمَر قائلًا: لا أستطيع أن أعطيكم الإذن بِذَلِكَ، لكن إذا سمح العُلَمَاء بِذَلِكَ فلن أمنعكم.

عُرضت القضية على المحكمة العليا وعلماء الشُّورَى فوافقوا حينها على إزالة تِلْكَ البساتين الَّتِي أُستخدمت بالفعل لمهاجمة قوات طَالِبَان، وقد توافرت الأدلة على ذَلِكَ. لكن هَذَا الحكم لَمْ يكن محل إجماع العُلَمَاء، كما عارض ذَلِكَ عدد قليل من القادة العسكريين مثل قائد المنطقة الشرقية ومحافظ ننجرهار المَوْلَوِي عبد الكبير الَّذِي أصبح فيما بعد نائبًا لرئيس مجلس الوزراء. فقد أحضر مَوْلَوِي عبد الكبير ألفي مقاتل من المنطقة الشرقية إلى شَمَال كابول لخوض المعركة لكنه عارض قرار وزارة الدفاع وتوجه إلى قندهار. وسأل مَوْلَوِي عبد الكبير المُلَّا عُمَر عما إذا كان هَذَا القرار قراره، فأجاب المُلَّا عُمَر: لا، أنا سمحت لهم فقط أن يستفتوا العُلَمَاء بِهَذَا الشأن. فَقَالَ المُلَّا عبد الكبير: إذاً فأنا لست ملزماً باتباع هَذَا الرأي، ليرد عَلَيْهِ المُلَّا عُمَر: إذا لَمْ يبدُ لك ذَلِكَ مناسبًا فلا تفعله.

تحول حرق عدد قليل من المنازل والبساتين إلى كارثة على طَالِبَان، فقد أوقفت هَذِهِ الممارسات تقدمها ودعمت دعاية معارضيها، وزادت كراهية الناس لِطَالِبَان نتيجة لِذَلِكَ. كان الوضع سيئًا للغاية فهي المرة الأولى الَّتِي يتكبد فِيْهَا السكان خسائر فادحة من حركة مدعومة من قبل الأهالي كطالبان. وقد سبب إبعاد السكان قسراً من هَذِهِ المنطقة إلى مناطق أخرى صدمة أكبر، فلطالما حرصت طَالِبَان بشدة على عدم المساس بشرف وثقافة الأَفْغَان، وكَانَت حذرة للغاية في مثل هَذِهِ الأمور. وفي التقاليد الأَفْغَانِيَّة يُعد نقل العائلات عملاً مهينًا يتعارض مع الثقافة المحلية. كان هَذَا بِشَكلٍ واضح تصرفًا قاسيًا من قبل حركة إسلامية مِمَّا فتح الباب على مصراعيه للدعاية القائمة على القصص الملفقة، وأثر بشدة على طَالِبَان.

كان هَذَا بِكُلِّ وضوح عملاً غير مشروع، وقد عارضه الكثيرون من داخل الحَرَكَة. كما عارض البعض هَذَا القرار علنًا، باستثناء عدد قليل من القادة العسكريين، فضلًا عن بعض المسؤولين الَّذِينَ اشتكوا إلى المُلَّا عُمَر، كالملا مُحَمَّد رباني، ومَوْلَوِي عبد الكبير، ومَوْلَوِي عبد اللطيف منصور، وملا أمير خان حقاني، وملا أمير خان متقي، وملا مُحَمَّد جول نيازي، ومَوْلَوِي وكيل أحمد متوكل.

إثر ذَلِكَ زار عدد من الوزراء والقادة العسكريين قندهار عدة مرات، وبحثوا القضية مع المُلَّا مُحَمَّد عُمَر، الَّذِي دعا إلى الإصلاح، وبدأت تغييرات إيجابية لكن الوضع هَذِهِ المرة أصبح سيئًا للغاية، بِحَيْثُ استغرق إصلاحه أكثر من عامين أو ثلاثة، ولَمْ يعد من السهل بعد ذَلِكَ كسب ثقة الناس في هَذِهِ المناطق.

بداية الحرب مع دوستم

في 7 أكتوبر، أي بعد عشرة أيام من الاستيلاء على كابول، وبتشجيع من إيران وأوزبكستان وطاجيكستان وروسيا، التقى الرئيس المنفي برهان الدين رباني بالجنرال دوستم بهدف تشكيل تحالف من ثلاث مجموعات متمردة: جماعة شورى النُظار، وحزب الوحدة، وميليشيا دوستم. وبعد ثلاثة أيام من هَذَا الاجتماع، أعلن مسعود وخليلي ودوستم عن تحالف معارض باسم مجلس الشُّورَى والدفاع الأَفْغَانِيّ. وقعت هَذِهِ الجماعات اتفاقية مكتوبة فيما بينها في منطقة خنجان، وأعلن كُلّ من منصور نادري من بلخمري وقائد حكمتيار بشير بغلاني من بغلان عن دعمهما لِهَذَا التحالف. في المقابل، أكد صهر حكمتيار "غيرت بهير" لوسائل الإعلام أنهم ليسوا طرفًا في التحالف لأنهم لَمْ يتلقوا دعوة لحضوره.

في 13 أكتوبر، عقد كُلّ من الجنرال دوستم ورباني اجتماعًا آخر في منطقة سالانج، حضره أيضًا قادة من جماعة سياف والحزب الإِسْلَامِيّ، وأظهروا خلاله نواياهم لمهاجمة كابول. لكن ثلاث قادة من قوات مسعود- القائد عبد القادر ونثار أحمد ومحمد نظير- عارضوا قراره بالانضمام إلى التحالف، وبدلًا من ذَلِكَ انضموا إلى الحكومة المركزية، وقد لقي هَذَا الأمر ترحيبًا حارًا من قبل طَالِبَان.

بعـد أيـام قليلـة أخـذت ميليشـيا دوسـتم مواقعهـا في الشَّـمَال ضِـدّ طَالِبَـان. وفي 26 أكتـوبر قصفت طائرات دوستم الحربية خطوط طَالِبَان على الجبهة ثُمَّ استهدفوا قواعدها العَسْكَرِيَّة في منطقة بالامرغب في بادغيس.

وكممثل عن قوات التحالف حذر مسعود طَالِبَان بضرورة مغادرة كابول وإلا فسيأخذونها بالقوة. وبالمثل وعد الأمم المتحدة بأن كابول ستكون منزوعة السلاح، وستدار حكومتها بِشَكلٍ مشترك بين طَالِبَان وقوات دوستم وحزب الوحدة وشورى النظار. وأكد العَدِيْد من الخبراء أن هَذِهِ خدعة من قبل المليشيات بهدف السيطرة على كابول. فقبل ظهور حركة طَالِبَان خاضت هَذِهِ الجماعات صراعات مسلحة فيما بينها، ولَمْ تستطع تشكيل حكومة وحدة وطنية مبنية على الثقة. كما أنها لَمْ تتمكن من إقامة حكومة ونظام موحدين في البلاد، كما أنهم اضطروا إلى تشكيل تحالف مؤقت ضِدّ طَالِبَان بدعم من دول أخرى. وحَتَّى أثناء الحرب لَمْ يكن هَؤُلَاءِ يثقون ببعضهم البعض ولا برجالهم. وفي حال سيطرتهم على أي مدينة يسارعون لنهب منازل وممتلكات السكان قبل وصول قادتهم. فعلى سبيل المثال؛ عندما استعادت قوات دوستم السيطرة على مدينة مزار شريف بعد هروب الجنرال عبد المالك مِنْهَا نهبت قوات التحالف وميليشيات حزب الوحدة المدينة .

وبالمقابل حشدت طَالِبَان آلاف المقاتلين في جبهة الحرب الشمالية بقيادة مَوْلَوِي جلال الدين حقاني من ولاية باكتيا ومَوْلَوِي عبد الكبير من ولاية ننجرهار بهدف الدفاع عن كابول. ومرة أخرى نقلت طَالِبَان المعركة إلى مناطق جبل السراج وجل بهاره. ولَمْ تكن جبهات الحرب ثابتة فقد تغيرت مع مرور الوقت.

اقتصرت فتوى العُلَمَاء لِطَالِبَان على محاربة رباني وقوات التحالف. ولكن بعد الهجوم الَّذِي شنته قوات دوستم في أكتوبر، أعلن مجلس شورى طَالِبَان وعلماؤها رسميًا الحرب على دوستم.

نشبت الحرب بين طَالِبَان وميليشيا دوستم في المقاطعات الغربية الشرقية بما في ذَلِكَ غور وبادغيس وفارياب. وحاول الجنرال عبد المالك الانقلاب على دوستم، وغادر الأخير حينها البلاد. لكن بعد هزيمة عبد المالك اندلعت معارك دامية مع قوات دوستم. وبعدها زار ممثلو

الهند وإيران مزار الشريف، ووعدوا دوستم بتقديم دعم عسكري وسياسي لَهُ. وفي هَذَا السياق عقد دوستم في 9 نوفمبر اجتماعًا مع نائب وزير الخارجية الإيراني علاء الدين بروجردي ثُمَّ عقد اجتماعًا آخر في 16 نوفمبر مع نائب وزير الخارجية الهندي كونات. وفي يناير 1997 دمر دوستم جزءًا صغيرًا من نفق سالانج من الجانب الشمالي خوفًا من تقدم طَالِبَان.

تحالف طَالِبَان والجنرال عبد المالك لمواجهة دوستم، والحَرْب الدموية

وُلد عبد الرشيد دوستم عام 1954 لراعي غنم يُدعى عبد الرحيم وأم تدعى "انبارشا" في منطقة خواجا كوه في ولاية جوزجان، وينتمي إلى عائلة من القومية الأوزبكية. وفي عهد داوود خان أصبح عبد الرشيد عاملاً في آبار النفط والغاز في شبرغان. وبعد الغزو الروسي قاتل في صف الشيوعيين وقوات الاتحاد السوفياتي من أجل المنافع المالية. وساعدته قدراته القتالية على قيادة كتيبة في البداية قبل أن ينجح في تجنيد مؤيدين جدد ليشكل ميليشيا وحشية.

اعتبر دوستم أي عمل وحشي مباحًا ما دام يخدم القُوَات السوفيتية. واختار لنفسه لقب "دوستم" لأن القُوَات السوفيتية عند دخولها أي قرية كَانَت تستخدم شعارًا مشتركًا- "دوست يا دوشمان" ومعناه "صديق أو عدو"، ثُمَّ يوجهون السلاح إلى رؤوس الرجال والنساء والأطفال ليقولوا "دوست/ دوستم أو دوشمان"، فيجيب العَدِيْد من النساء والرجال والأطفال بـ "دوشمان" في ظل الخوف، مِمَّا يؤدي إلى قتلهم جميعًا، ووقعت معظم هَذِهِ الحوادث في مناطق البشتون.

اختار عبد الرشيد لقب "دوستم" لإظهار المزيد من الولاء للسوفييت، الَّذِينَ بدورهم نعتوه أيضًا بنفس اللقب "دوستم" أي "صديقنا". وعُرفت ميليشيا دوستم أيضًا باسم ميليشيا "كَيلم جَم"، لأن مقاتليه عندما يدخلون أي منطقة بعد انتهاء القِتَال ينهبون قراها ومنازلها.

شغل الجنرال عبد المالك منصب مسؤول الشؤون الخارجية في الحَرَكَة الإِسْلَامِيَّة القومية "جنبش ملي"[1]، قبل أن تبدأ العداوة بينه وبين دوستم عندما قتل الأخير شقيقه "رسول

1 -حزب سياسي أفغاني أسسه عبد الرشيد دوستم عام 1992.

بهلـوان"، المعـروف باسـم "رسـول بـي خـدا"[1] بسـبب وحشـيته. بحـث الجنـرال عبـد المالـك عـن فرصـة للانتقـام، ويقـال أيضًـا أن إيـران تبنـت خطـة لإزاحـة دوسـتم مـن المشـهد واسـتبداله بأحمـد شاه مسعود والجنرال عبد المالك للتصدي لِطَالِبَان وتكبيدها خسائر فادحة.

في الشـهور الأولـى مـن العـام 1997 جـرت مفاوضـات مباشـرة وغيـر مباشـرة بـين الجنـرال دوسـتم وطَالِبَـان عـبر قنـوات مختلفـة. كَانَـت إحـدى هَـذِهِ القنـوات باكسـتان، حَيْـثُ عُقـدت عـدة اجتماعـات في إسـلام أبـاد بـين طَالِبَـان وممثلـي دوسـتم "عبـد البـاقي التركسـتاني" والجنـرال عبـد المالـك مسـؤول الشـؤون الخارجيـة في الحَرَكَـة الإِسْـلَامِيَّة القوميـة بهـدف حـل المشـاكل مـع دوسـتم دون معـارك وقتـال. وفي مـايو 1997، ثـار عـدد قليـل مـن قـادة دوسـتم الأقويـاء ضـده بمـن فـيهم القـادة عبـد المالـك وجـل مُحَمَّـد بهلـوان وغفـار بهلـوان، وأعلنـوا إقالتـه مـن منصـب زعـيم الحَرَكَـة القومية.

وبـدأ ممثلـو الجنـرال عبـد المالـك في إسـلام أبـاد مفاوضـات للتحـالف مـع طَالِبَـان عـبر العقيـد ريـاض وعـدد قليـل مـن العسـكريين والمسـؤولين الحكـوميين. وأخفـى المُـلَّا مُحَمَّـد غـوث المتواجـد ضـمن وفـد طَالِبَـان الكثيـر مـن تفاصـيل الاجتماعـات عـن المُـلَّا عُمَـر. ولاسـتعادة الثقـة مـع طَالِبَـان سـلم الجنـرال عبـد المالـك حـاكم هيـرات السـابق مُحَمَّـد إسـماعيل خـان إلـى طَالِبَـان إثـر عبوره الحدود الإيرانية مؤخرًا لمحاربة طَالِبَان إلى جانب قوات دوستم.

في 16 مـايو 1997، وقـع كُـلّ مـن الجنـرال عبـد المالـك ووالـي هيـرات المُـلَّا عبـد الـرزاق ووزيـر الخارجيـة المُـلَّا مُحَمَّـد غـوث اتفاقيـة بـين الطـرفين. ونـص الاتفـاق علـى أن تلتـزم طَالِبَـان بتسـليم المقاطعـات الشـمالية للجنـرال عبـد المالـك حَيْـثُ كـان للحركـة الإِسْـلَامِيَّة القوميـة نفـوذ قوي، على أن تطبق فِيْهَا أحكام الشريعة الإِسْلَامِيَّة، ويكون لقوات طَالِبَان تواجد فِيْهَا.

بدايـة، شـكل المجتمعـون جبهـة حـرب موحـدة ضِـدّ دوسـتم. لكـن المُـلَّا عُمَـر ووزارة الـدفاع ومديريـة المخـابرات لَـمْ يكونـوا علـى دراية بِهَـذَا الأمـر، وفهـم المُـلَّا عُمَـر أن الجنـرال عبـد المالـك سينضـم إلـى طَالِبَـان دون أي شـروط، وأنـه سيسـلمها كُـلّ أسـلحته. وكـان هَـذَا مخالفـة واضـحة مـن

1 – معناه في العربية "رسول الملحد".

قبل المُلَّا مُحَمَّد غوث والمُلَّا عبد الرزاق لتعليمات المُلَّا عُمَر وقواعد حكومة طَالِبَان. فقد ظن هَؤُلَاءِ أنهم إذا عرضوا الاتفاق على المُلَّا عُمَر فسيرفضه، وأنهم إن طهروا الشَّمَال من قوات دوستم فيمكنهم حينها إقناع المُلَّا عُمَر بالاتفاق. لكن طريقة التفكير هَذِهِ سببت مشاكل كبرى.

لَمْ يوافق المُلَّا عُمَر قط على ترك السكان تحت رحمة القادة السابقين، وبدلاً من ذَلِكَ اشترط أن يسلموا المناطق أولاً لِطَالِبَان، وبعدها يعلنوا موقفهم الرسمي. فهدف طَالِبَان منذ البداية هو القضاء على هَؤُلَاءِ الحكام والقادة المحليين ووضع حد لوحشيتهم لا غض الطرف عنهم.

في 18 مايو، بدأت طَالِبَان وقوات الجنرال عبد المالك عملية مشتركة ضِدّ ميليشيا دوستم. وفي 19 مايو تحدث الجنرال عبد المالك لوسائل الإعلام عن أسباب تمرده ضِدّ دوستم وتوحده مع طَالِبَان، وقَالَ في مقابلة مع هيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي (نزولًا عند رغبة الشعب، أقلنا الجنرال دوستم من منصب قيادة الحَرَكَة القومية الإِسْلَامِيَّة، وكذلك بسبب خيانته لأفغانستان وقتل العَدِيْد من المسلمين، وقد قرر مجلس الشُّورَى الحَرَكَة الانضمام إلى طَالِبَان وتطبيق الشريعة والتمرد على الشيوعيين السابقين). وذكر أن نائب دوستم مجيد روزي، وغفار بهلوان، وجل مُحَمَّد بهلوان، ووالي سمنكان مَوْلَوِي عبد القدوس يؤيدونه في ذَلِكَ. فيما قَالَ غفار بهلوان لوسائل الإعلام إنهم طلبوا عشرة آلاف مقاتل من طَالِبَان، وقد وافقت على طلبهم، وأضاف: العَدِيْد من داعمي طَالِبَان موجودون في فارياب، وقد وصل القليل منهم إلى شبرغان.

في 24 مايو، سقطت شبرغان ومزار شريف، وفر دوستم إلى أوزبكستان. وحينها أرسل المُلَّا عبد الرزاق الآلاف من عناصر طَالِبَان العُزَّل جوًا إلى مزار بنية تسليحهم هناك، وكَانَت هَذِهِ بداية الجولة الأسوأ. وأعلن مَوْلَوِي وكيل أحمد متوكل مساءً- في ظل عدم إلمامه ببنود الاتفاقية وتفاصيلها - تعيين المُلَّا عبد الرزاق حاكمًا لولاية بلخ، والجنرال عبد المالك نائبًا لوزارة الخارجية.

لفت الانتصار في مزار شريف انتباه المنطقة والعالم بأسره نحو طَالِبَان، وأعلن العَدِيْد من الأَفَغَان والدول الإقليمية أن السيطرة على هَذِهِ المقاطعة أمر إيجابي لأفغانستان، وظنوا أنها إشارة لنهاية الحرب في البلاد. وطلبت وزارة الخارجية الأمريكية في بيان لَهَا وقف إطلاق النار، ودعت لمشاركة أوسع في الحكومة. كما أعلن عدد قليل من السفراء والدبلوماسيين الأَفَغَان في الخارج دعمهم لِطَالِبَان، بمن فيهم الدبلوماسيون في السعودية وباكستان وإيطاليا. وأعلن القائم بالأعمال الأَفْغَانِيّ في إيطاليا مُحَمَّد نعيم مسلميار وجميع موظفي السفارة دعمهم لِطَالِبَان. بينما أغلقت الحكومة الأمريكية السفارة الأَفَغَانِيَّة في واشنطن بعد كشف القائم بأعمال السفير سراج كمال عن دعمه لِطَالِبَان وإعلان السكرتير الآخر يار مُحَمَّد دعمه لرباني.

تقدمت طَالِبَان نحو باميان، وتجمعت قافلة كبيرة في شَمَال كابول تضم عددًا قليلاً من وزراء طَالِبَان المهمين لدعم موقف الحَرَكَة في مزار الشريف. وفي سالانج استسلم القائد بصير سالانجي التابع لمسعود لِطَالِبَان، واستولت الحَرَكَة على بعض المناطق في بغلان، واعتقد الجميع أنها ستكون المعركة الأخيرة. ومن ثُمَّ اعترفت باكستان في 25 مايو رسميًا بحكومة طَالِبَان. وفي اليومين التاليين اعترفت بِهَا السعودية والإمارات أيضًا، وبدأت العَدِيْد من الدول الأخرى تدرس الاعتراف بِطَالِبَان رسميًا.

لكن في 28 مايو، هاجمت مليشيات حزب الوحدة والجنرال عبد المالك قوات طَالِبَان، وحوصر الآلاف من عناصر طَالِبَان العزل وهوجموا من كُلّ جانب. لَمْ يكن المُلَّا عبد الرزاق على رأس قيادة مسلحي طَالِبَان فقد اختطفه الجنرال عبد المالك كرهينة، وتفاجأت الحَرَكَة بما يحدث ولَمْ تكن مدركة لحقيقة الوضع. بينما قَالَ الجنرال عبد المالك إن الهجمات نفذتها قوات حزب الوحدة.

في ذَلِكَ الوقت، احتجز الجنرال عبد المالك كرهائن عدداً من القادة الَّذِينَ قدموا من قندهار لضبط المهام الإدارية في الشَّمَال، بمن فيهم المُلَّا مُحَمَّد أختر منصور قائد الدفاع الجوي، والمُلَّا مُحَمَّد صادق عضو مجلس الشُّورَى الأعلى لِطَالِبَان، وقائد القُوَات الجوية الطيار جيلان خان، والحاج فضل مُحَمَّد وآخرون. وبعد معارك دامية انسحبت طَالِبَان من

جوزجان وساريبول وفرياب. وأسرت ميليشيات حزب الوحدة والجنرال عبد المالك عددًا من عناصر طَالِبَان المسلحين، وحوالي ثلاثة إلى أربعة آلاف من غير المسلحين.

خلال المعارك استشهد مَوْلَوِي إحسان الله إحسان، وعاد المُلَّا مُحَمَّد غوث إلى قندهار بعد أسابيع قليلة. وقَالَ حينها إنه اختبأ في مناطق الهزارة وتمكن لَاحِقًا من الوصول إلى كابول حَيْثُ حلق لحيته وارتدى قميصًا مزدوج الصدر مثل سكان المناطق الشمالية، وبفضل عينيه الزرقاوين الصغيرتين ووجهه أحمر الخدين ولباسه بدا وكأنه من الهزارة.

في المقابل، عاد بصير سالانجي مرة أخرى لصف أحمد شاه مسعود وأغلق سالانج. وتقدمت قوات مسعود مجددًا في الشَّمَال مستفيدة بِشَكلٍ كامل من ظروف طَالِبَان الَّتِي لَمْ يبقَ من مقاتليها في الشَّمَال سوى بضع مئات. لكن طَالِبَان استعادت بعض المناطق المحيطة بكابول، وسيطرت مجددًا على الخطوط الأمامية في الشَّمَال. وقاد المعارك في بغلان قائدي طَالِبَان القويين المُلَّا داد الله وأمير خان حقاني اللذان نجحا في السيطرة على بلخمري، لكنهما أُعيدا لَاحِقًا إلى محاور بغلان.

أراد بشير بغلاني بناءً على تعليمات حكمتيار نزع سلاح طَالِبَان وتسليم قادتها إلى مجموعات التحالف. لكن طَالِبَان عززت مواقعها بذكاء شديد، وبعد فترة وجيزة دخلت قواتها قندوز في 19 يونيو بدعم من القادة المحليين، وسيطرت عَلَيْهَا، وتصدت لِكُلِّ الهجمات الَّتِي تعرضت لَهَا المدينة لَاحِقًا. ومنذ ذَلِكَ الحين ذاع صيت المُلَّا داد الله وأمير خان حقاني للمقاومة القوية الَّتِي أظهراها.

في 2 يونيو، أعلن في مدينة مزار عن إنشاء تحالف باسم "جبهة نجاة ميلي[1]"، وتضم الحَرَكَة القومية الإِسْلَامِيَّة وحزب الوحدة وشورى نظار وحركة محسني[2]، وتهدف لقتال طَالِبَان بِشَكلٍ مشترك. وفي 6 يونيو، زار نائب وزير الخارجية الإيراني علاء الدين بروجردي مزار الشريف، وهنأ التحالف الجديد وأكد دعم إيران لَهُ.

1 –الجبهة المتحدة الإِسْلَامِيَّة القومية لتحرير أَفَغَانِسْتَان.

2 – الحَرَكَة الإِسْلَامِيَّة الأَفَغَانِيَّة، حزب شيعي برئاسة آية الله مُحَمَّد آصف محسني.

في 6 يونيـو، هبطـت طـائرة شـحن محملـة بالأسـلحة لـدعم أحمـد شـاه مسـعود في مطـار خواجـة رواش في كـابول. وقـدم الطيـار المقـدم عبـد الصـبور ونائبـه مُحَمَّـد ناصـر الكثيـر مـن الأدلـة الموثقـة علـى تقـديم إيـران وطاجيكسـتان الـدعم وإمـدادات السـلاح لمسـعود وحـزب الوحـدة. وفي اليـوم الثـاني ألقـي القـبض في منطقـة داني أبـاد التابعـة لولايـة فـراه علـى مجموعـة مـن المعارضـين الَّـذِينَ عـبروا مـؤخرًا إلـى أَفَغَانِسْتَان مـن إيـران بأسـلحة ثقيلـة رفقـة عسـكريَيْن إيـرانيين مِمَّـا كشـف بوضـوح الدعم العَسْكَرِيّ الإيراني والطاجيكي ضِدّ طَالِبَان.

سيطرت طَالِبَـان علـى مطـار قنـدوز وأعـادت الاتصـال بكـابول مـن خـلال طـائرة نقـل عسـكرية، وكسـرت الحصـار وأقامـت قاعـدة قويـة في قنـدوز شَـمَال أَفَغَانِسْـتَان كمـا حشـدت المزيـد مـن الرجال والسلاح عبر النقل الجوي، وأرسلت جرحاها إلى كابول.

صحراء دشت ليلي مقبرة للآلاف من الشباب

لَـمْ تُسـجل أسـماء عناصـر طَالِبَـان الَّـذِينَ أرسـلوا مـن هيـرات لكـن عُـرف فقـط أن عـددهم تـراوح بـين ثمانيـة وعشـرة آلاف، معظمهـم مـن طـلاب المَـدَارِس الدِّيْنِيَّـة الجـدد. انضـم هَـؤُلَاءِ إلـى طَالِبَـان علـى أمـل أن تكـون هَـذِهِ هـي الحـرب الأخيـرة، ويعـم السَّـلَام بعـدها في الـبلاد. لَـمْ يكـن هَـؤُلَاءِ مسـلحين، **فقُتـل بعضـهم في المدينـة، وألقـي القـبض علـى الآخـرين أحيـاء، وأخرجـوا لَاحِقًـا مـن السـجون، ونقلـوا في حاويـات الشـاحنات إلـى صـحراء شـبرغان "دشـت- ليلـي" حَيْـثُ قتلـوا وألقوا في آبار الغاز ودفنوا في الأرض كما تُرك بعضهم ليحترقوا تحت أشعة الشمس.**

بعـد أن اسـتعاد الجنـرال دوسـتم سـلطته انتُشـلت بضـعة آلاف مـن الجثـث كمـا زارت بعـض المنظمـات الدوليـة المقـابر الجماعيـة، حَيْـثُ عُثـر علـى آلاف الجثـث لعناصـر مـن طَالِبَـان مقيـدي الأيـدي مـن الخلـف. **أثبتـت بعـض الأدلـة استشـهاد نحـو ثلاثـة عشـر ألـف ومئتـين مـن عناصـر طَالِبَـان، ألـف منهم فقـط مسـلحون بينمـا البـاقون لَـمْ يكونـوا مسـلحين. وقـد دُعـي هَـؤُلَاءِ مـن قبـل الجنرال عبد المالك وكانوا ضيوفه.**

أسر إسماعيل خان وهربه

في 18 مايو 1997 سلم الجنرال عبد المالك إسماعيل خان لِطَالِبَان بموجب اتفاق مع وزير خارجية الحَرَكَة المُلَّا مُحَمَّد غوث. سُلم في البداية إلى قائد المنطقة الغربية ثُمَّ نُقل إلى قندهار، واحتُجز هناك في سجن خاص تابع لمديرية المخابرات الأَفْغَانِيَّة. في اليوم التالي أمر المُلَّا عُمَر أن يُحقق معه أحدهم بالتفصيل ويسجل كلامه. زرت مديرية المباحث مع رئيس دائرة المعلومات والثقافة سيد مُحَمَّد حقاني، وكان المُلَّا عُمَر حينها قد أجرى اتصالات هاتفية مع رئيس مخابرات قندهار قاري حميد جل. جلسنا في غرفة، وبعد فترة أُحضر إسماعيل خان إلينا ورجلاه مقيدتان بالسلاسل، وبدا حزينًا وضعيفًا للغاية.

عندما رأيناه شخصًا مسنًا وضعيفًا شعرنا بالحزن عَلَيْهِ لأن رجلًا كهَذَا لا ينبغي تقييد ساقيه على الأقل أثناء لقائنا، لكن ذَلِكَ حصل على أي حال. قُدمت لنا بعض الفاكهة ثُمَّ بدأت استجوابه، وكان سؤالي الأول لَهُ (ما هو شعورك وأنت في سجن طَالِبَان؟" قَالَ: "يؤسفني أنني اليوم سجين لدى إخوة وطلاب علم، وأنا الَّذِي شاركت في الجِهَاد ضِدّ السوفييت).

فسألته: (كم قتلت من طَالِبَان خلال هَذِهِ الحروب؟ وهل مازلت تريد الحرب؟ هل أنت مُدان فتستحق العقوبة بسبب هَذِهِ الأفعال؟)

فتغير صوته وأجاب (أنا محكوم، ولكن أتمنى أن يرحمني أمير المؤمنين ويغفر لي كُلّ أخطائي).

ويبدو أنه علم أن المُلَّا عُمَر سيسمع هَذَا النقاش. وكنا نعلم أن هناك العَدِيْد من الأشخاص الَّذِينَ خططوا لقتله. وحاولنا طرح الأسئلة الَّتِي بإمكانها أن تسوي وضعه.

بعد ذَلِكَ سألته عن سبب اعتقاله، فَقَالَ إنه اعتقل بسبب مؤامرة من الجنرال عبد المالك. وأضاف (لا تثقوا بالجنرال عبد المالك فهو ماكر جدًا وغير أمين). وأعتقد أن هَذِهِ الأجوبة ساعدت على تسوية الوضع نوعًا ما.

سـألته عـن الخلافـات بينـه وبـين مسـعود، فأجـاب: مسـعود يريـد هيمنـة "شـورى النظـار" علـى التحـالف، وأخـذ السـلطة مـن ربـاني. إن لديـه أيديولوجيـة فاشـية. لقـد كنـت مـن أتبـاع ربـاني المخلصـين، وكـان مسـعود ضِـدّ قـوتي وسـلطتي. كمـا ذكـر بعـض الخلافـات الأخـرى بينـه وبـين مسعود.

سـألته عـن إنجازاتـه الجِهَادِيَّـة السـابقة، فبـدا علـى وجهـه الهـدوء، وروى لـي قصـة مـن أيـام الجِهَـاد عـن حفـر خنـدق طويـل. وبعـدها روى قصـة عـن ابنـه الَّـذِي وُلـد أيـام الجِهَـاد ولَـمْ يـره إلا بعـد سـت سـنوات، عنـدها لَـمْ يكـن الولـد قـادرًا علـى إدراك أن الَّـذِي يـراه هـو والـده حقًـا، كمـا أنـه لَـمْ يتعرف هو أيضًا على ابنه.

بعـد هَـذِهِ القصـة بكـى إسـماعيل، وسـادنا الصـمت أيضًـا لفـترة. ثُـمَّ قَـالَ (يؤسـفني أني واجهـت الكثيـر مـن الشـدائد أثنـاء الجِهَـاد، وأنـا الآن في سـجن الإخـوة المجاهـدين أنتظـر العقـاب. أتمنـى الرحمة من المُلَّا عُمَر، وأن يسامحني فأستغل مهاراتي العَسْكَرِيَّة كقائد في نظام طَالِبَان).

حينهـا سـألته: (كيـف تقنـع المُـلَّا عُمَـر بأنـك لـن تحمـل السـلاح ضِـدّ طَالِبَـان مـرة أخـرى؟" فأجـاب والأمـل يـبرق في عينيـه: "أعـدك أني سـأعطي ضـمانة. أقسـم بـالله أنني لـن أعـارض طَالِبَـان حَتَّـى أنفاسـي الأخيـرة. إذا اسـتخدمت مهـاراتي كمجاهـد مسـلم، فسـأحقق العَدِيْـد مـن الإنجـازات لِطَالِبَان كما في أيام الجِهَاد).

سـألته عشـرات الأسـئلة، وأرسـلت أشـرطة الكاسـيت إلـى المُـلَّا عُمَـر. وبعـد اسـتماعه إِلَيْهَـا بكـى هـو أيضًـا مستشـعرًا معانـاة إسـماعيل خـان خـلال فـترة الجِهَـاد خاصـة عنـد سـماعه قصـة ابنـه. رأى المُـلَّا عُمَـر أن إسـماعيل خـان يجـب أن يبقـى في السـجن حَتَّـى يـزداد نظـام طَالِبَـان قـوة. وعـزم على إطلاق سراحه عندما تصبح الظروف مناسبة أكثر بعد أخذ الوعود والضمانات مِنْهُ.

بعـد خمسـة أشـهر مـن ذَلِـكَ اللقـاء، رأيـت إسـماعيل خـان عنـدما أحضـرت الصـحفي البَاكِسْـتَانِيّ رحـيم الله يوسـف زاي للقائـه. كـان إسـماعيل هَـذِهِ المـرة مرتاحًـا جـدًا، وفي حالـة طبيعيـة. طلـب مني حينهـا أن أسـمح لَـهُ بقلـم وورقـة لكتابـة مذكراتـه، فنقلـت رسـالته إلـى المُـلَّا عُمَر، لكنني لست متأكدًا ما إذا سُمح لَهُ بِذَلِكَ أم لا.

ركزت مقابلته مع رحيم الله يوسف زاي، والَّتِي بثتها هيئة الإذاعة البريطانية يوم 3 أكتوبر خلال برنامج المساء على النقاط التالية: طَالِبَان لَمْ تعاملني بقسوة، كان علينا أن ندعمهم. أبدى تحسره على حمل السلاح ضِدّ طَالِبَان، وقَالَ إن طَالِبَان ستنجح في تطبيق الشريعة في أَفْغَانِسْتَان لأن النجاح يكون لأهل الحق.

ظل إسماعيل خان في سجن طَالِبَان لمدة ثلاث سنوات تحت مراقبة رئيس مخابرات قندهار قاري حميد جل. ولَمْ يكن قاري حميد جل من ذوي الخبرة، ولا مؤهلًا لإدارة الاستخبارات بِشَكلٍ منهجي، وسبق لَهُ أن شارك في العَدِيْد من الأنشطة الَّتِي لَمْ تكن من تخصصه. أثناء الجِهَاد ضِدّ السوفييت عمل كجاسوس مزدوج للمجاهدين في قندهار، ولذا كان جديرًا بثقة قادة طَالِبَان الَّذِينَ عرفوه منذ ذَلِكَ الحين. لكنه حافظ على نفس العادات الَّتِي مارسها خلال الجِهَاد الروسي كركوب الدراجة النارية في مدينة قندهار ومراقبة الأسطح بحثًا عن هوائيات غير معروفة، والتدخل غير الضروري في بعض القضايا. ولَمْ يكن حميد جل على دراية بتوصيفه الوظيفي وصلاحياته، كما كان مستوى علمه الشرعي متواضعًا للغاية، وبالتالي تورط في بعض الممارسات الوحشية. في المقابل شارك حميد جل في نشر دعاية سلبية ضِدّ مدير المخابرات قاري أحمد الله، واتهمه بالسماح للشيوعيين بالدخول إلى مديرية المخابرات، وبمعاملة الناس بلطف مفرط وعدم معاقبة أحد زاعمًا أنه ليس مؤهلًا لمنصبه.

قبل شهر من هروب إسماعيل خان، أبلغ قاري أحمد الله مكتب المُلَّا عُمَر بأن لديه تقريرًا مؤكدًا عن خطة هروب إسماعيل خان، وأنه إذا سُلم إِلَيْهِ فسيحافظ عَلَيْهِ. تفاجأ المُلَّا عُمَر بِذَلِكَ، واعتبر التقرير مبالغًا بِهِ، وأرسل على الفور مسؤولًا مهمًا إلى المُلَّا حميد جل برسالة تقول: "أترك أعمالك الأخرى وركز فقط على حماية إسماعيل خان". زاد هَذَا من حسد حميد جل لقاري أحمد الله، وألقى باللوم على بعض زملاء أحمد الله أيضًا.

في 26 مارس 2000 هرب إسماعيل خان من السجن بمساعدة حراسه، وعلم حميد جل وزملاؤه بهروبه في حوالي الساعة 9 صباحًا. أغلقت جميع الطرق والممرات الرئيسية بناء على تعليمات المُلَّا عُمَر، وفُرضت إجراءات صارمة في كُلّ مكان. لكن إسماعيل خان عبر إلى إيران بعد أيام قليلة من مسيره عبر القرى والصحاري الَّتِي لَمْ تكن طَالِبَان قادرة على السيطرة

عَلَيْهَا. كما انفجر لغم أرضي بسيارته خلال الطريق مِمَّا أدى إلى إصابته. وتأكد لَاحِقًا أن أحد حراسه ساعده في الهروب لقاء مبلغ ضخم من المَال بعد عام من التفاوض مع أسرته. لقد استغرق التخطيط لِهَذَا الهروب فترة طويلة من الزمن.

كان حميد غول شخصًا ذا مؤهلات متواضعة للغاية، ولَمْ يكن أفراده موثوقًا بهم بمن فيهم حارس الأمن الَّذِي اعتبره جديراً بالثقة. وهو المسؤول عما حدث بسبب إهماله، ولذا سُجن للتحقيق معه بينما حاول نائبه الحاج قاهر الفرار إلى إيران لكنه اعتُقل بين هيرات وقندهار.

تقدم طَالِبَان مجدداً نحو الشَّمَال

في سبتمبر 1997، نجحت طَالِبَان مجددًا في الاستيلاء على منطقة تاشقرغان الإستراتيجية في ولاية سمنجان قرب قندوز. وفي 9 من سبتمبر، سيطرت طَالِبَان على مطار مزار الشريف. في تِلْكَ المعارك أمر المُلَّا عُمَر قوات طَالِبَان بعدم القِتَال داخل المدن لتجنب الخسائر بين المدنيين، ودفع المعارضين لإنهاء القِتَال وتسليم المدينة لِطَالِبَان. تقدمت الحَرَكَة باتجاه مناطق أخرى من المدينة، يدعمها عدد قليل من القادة لكنها تعرضت لقصف طائرات يشتبه بأنه من الجانب الطاجيكي، ما دفع طَالِبَان لإلقاء اللوم رسميًا على طاجيكستان إثر استخدام مطاراتها في هَذِهِ المعارك.

وفي 13 سبتمبر، سيطرت طَالِبَان على بلدة حيرتان بالقرب من حدود أوزبكستان، فانسحبت قوات الجنرال عبد المالك والجمعية الإِسْلَامِيَّة من مزار شريف إلى شبرغان، وبقي حزب الوحدة يقاوم وحيدًا، فيما استمر القِتَال لمدة أسبوع. في 4 أكتوبر، عبر دوستم إلى أَفَغَانِسْتَان مجددًا عبر طاجيكستان لينضم إلى أنصاره وحزب الوحدة للقتال ضِدّ طَالِبَان، فاستعاد السيطرة على مناطق شيمتال وتشاربولاك في بلخ بالإضافة إلى مطار مزار الشريف. عادت ميليشيات دوستم إلى المشهد من جديد بعد أربعة أشهر فيما غادرت قوات الجنرال عبد المالك المنطقة.

في 7 أكتوبر، خسرت طَالِبَان السيطرة على ميناء حيرتان، وفي 11 أكتوبر انسحبت من تاشقرغان، واستعاد دوستم مزار الشريف بدلاً من الجنرال عبد المالك. وتعرضت مزار

الشريف للنهب من قبل حزب الوحدة وميليشيات دوستم، وسُرقت المتاجر والمنازل واعتُدي على النساء. وفي 16 أكتوبر، اعترف زعيم حزب الوحدة، مُحَمَّد محقق، بعمليات النهب الَّتِي ارتكبتها قواته، وتذرع بأنه كان مشغولًا بمجريات القِتَال، وأن عددًا قليلًا من عناصره فقط متورطون فيما حدث.

نجحت محادثات السَّلَام بين دوستم والجنرال عبد المالك بعد وساطة إيرانية، وعاد الجنرال عبد المالك إلى مزار في 14 أكتوبر، ووعد باستعادة قندوز من طَالِبَان. وبعد فترة وجيزة اندلع الصراع بين عبد المالك ودوستم من جديد، حَيْثُ بدأ عبد المالك وشقيقه بالتحرك ضِدّ دوستم في فارياب. وفي 22 نوفمبر، سيطر الجنرال دوستم على مواقع الجنرال عبد المالك وشقيقه جول مُحَمَّد بهلوان في مدينتي ميمنه وشيرين تجاب. حينها فر الجنرال عبد المالك إلى إيران، وأطلق سراح خمسة سجناء رفيعي المستوى من طَالِبَان بالقرب من خطوط الجبهة في بادغيس بمن فيهم المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور، والمُلَّا مُحَمَّد صادق، وحجي فضل مُحَمَّد، والمُلَّا عبد الرزاق، والطيار جيلاني خان نورزاي، فوصلوا إلى مواقع طَالِبَان في بادغيس ثُمَّ أرسلوا لَاحِقًا إلى هيرات.

النصر النهائي في المقاطعات الشمالية

لَمْ تمنع الهزائم المتكررة والخسائر الكبيرة، واستشهاد الآلاف من عناصر طَالِبَان في مايو 1997 الحَرَكَة من التقدم مجددًا في شَمَال أَفْغَانِسْتَان. ففي سبتمبر من ذَلِكَ العام عادت طَالِبَان إلى مدينة مزار الشريف لكن قوات دوستم صدتها. فاستعدت الحَرَكَة حَتَّى شهر يوليو 1998 لشن هجوم ضخم على شَمَال أَفْغَانِسْتَان انطلاقًا من قندوز، ونظمت خططها الحربية على طول الخط الأمامي الشمالي الغربي في هيرات وبادغيس.

بعد ظهر يوم 12 يوليو 1998، بينما كنت حينها نائمًا، استيقظت فجأة على أصوات الطائرات المحلقة على ارتفاع منخفض. فمن عادة طياري طَالِبَان أن يحلقوا بطائراتهم على علو منخفض فوق مدينة قندهار عند تحقيق أي نصر مهم ليعطوا بشارة لِلْمُلَّا عُمَر بالنصر. وسمعت صوت " الحاج لالا" على شبكة الاتصالات المركزية يعلن السيطرة على فارياب.

وعلى الفور ذهبت إلى المكتب، وكان لدينا الكثير من المكالمات الهاتفية. إذ طلب ممثلو وسائل الإعلام والمنظمات معلومات حول ما حدث، وبقينا نبلغهم بالمعلومات اللازمة حَتَّى المساء. في صباح اليوم التالي، وبناء على تعليمات المُلَّا عُمَر حذرنا طاجيكستان وأوزبكستان من السماح لطائرات تحالف الشَّمَال بقصف مواقعنا من قواعدها. كما أمر المُلَّا عُمَر بأن يُعامل أسرى الحرب معاملة حسنة.

حررت طَالِبَان العَدِيْد من المناطق المهمة من فارياب، وعينت قائدًا للشرطة ومسؤولين آخرين لمركز الولاية. وفي 18 يوليو، استعادت قوات دوستم وقوات التحالف منطقة "سوق الجمعة" في فارياب. وقصفت طائرات دوستم الحربية مواقعنا بكثافة حَيْثُ بدا أنها تنطلق من بلد مجاور. أرسلت طَالِبَان عددًا قليلاً من خبرائها بصواريخ ستينغر إلى مقربة من خطوط القِتَال. وفي اليوم التالي أُسقطت إحدى طائرات دوستم مِمَّا وضع حدًا للقصف الشديد بعدها، واستعادت طَالِبَان السيطرة على سوق الجمعة وواصلت تقدمها.

في 26 يوليو، استسلمت جماعة معارضة مسلحة قوامها خمسمئة مسلح من منطقة غرني الواقعة بين فارياب وغور لِطَالِبَان. وبعد أربعة أيام سيطرت الحَرَكَة على ما تبقى من فارياب بما في ذَلِكَ دولت آباد وفيض أباد وخواجه موسى.

وفي 2 أغسطس، دخلت طَالِبَان شبرغان، عاصمة إقليم جوزجان بعد معارك دامية. وهرب موظفو المنظمات غير الحكومية الأجانب بالطائرات، وموظفو السفارة الإيرانية يتقدمهم السفير الإيراني مرتضى حدادي. وفي اليوم التالي، بدأت طَالِبَان هجومًا على بلخ انطلاقًا من قندوز وشبرغان. حينها أعلنا بناء على تعليمات المُلَّا عُمَر العفو عن كُلّ من يسلم سلاحه لِطَالِبَان. لكن لسوء الحظ علمنا لَاحِقًا أن عبد المنان نيازي وبعض صغار القادة قتلوا العَدِيْد من أسرى الحرب متجاهلين تعليمات المُلَّا عُمَر، وذَلِكَ انتقامًا لحادثة قتل الأسرى من عناصر طَالِبَان في صحراء دشت ليلى.

في 6 أغسطس، سيطرت قوات طَالِبَان على دولت آباد مركز ولاية بلخ، وواصلت تقدمها في المدينة. وفي 8 أغسطس، دخلت طَالِبَان مدينة مزار الشريف بقيادة المُلَّا برادر والمُلَّا مُحَمَّد فاضل، وبحلول الساعة الثامنة صباحًا أصبحت المنطقة بأكملها تحت سيطرة طَالِبَان.

في 11 أغسطس، دخلت طَالِبَان منطقة تالقان مركز ولاية تخار من جهة قندوز بقيادة المُلَّا مُحَمَّد نعيم. وباتت المقاطعات الرئيسية بما في ذَلِكَ بادغيس وفارياب وسربل وجوزجان وبلخ وسمنجان وبغلان وتخار وقندوز تحت سيطرة طَالِبَان، وبقيت كَذَلِكَ حَتَّى الغزو الأمريكي للبلاد. وفي 13 سبتمبر سيطرت الحَرَكَة بقيادة المُلَّا برادر على وسط باميان، وفي وقت لاحق طُهرت المنطقة المجاورة أيضًا.

هرب بعض قادة الجنرال دوستم من فارياب وجوزجان إلى سربل قبل أن يُقبض على ثلاثة وثلاثين منهم خلال عملية تفتيش في سربل في 10 أغسطس ثُمَّ يسجنوا. وخلال السيطرة على مزار الشريف ليلاً فُقد أحد عشر موظفًا من القنصلية الإيرانية. فطالبت إيران عبر باكستان والأمم المتحدة باستعادة مواطنيها. وبناء على تعليمات المُلَّا عُمَر بدأت عملية البحث والتحقيق. وفي 10 سبتمبر أي بعد أسابيع قليلة، عُثر على جثثهم في حفرة، وسُلموا رسميًا إلى إيران في اليوم التالي. وعلى إثر ذَلِكَ أظهرت إيران عداءً مفتوحًا مع أَفَغَانِسْتَان، وحشدت جيشها على الحدود استعدادًا للحرب.

قلة الكوادر المهنية والمؤهلة مع توسع الانتصارات

بعد فتح مزار الشريف الأخير باتت طَالِبَان تسيطر على 90٪ تقريبًا من أَفَغَانِسْتَان. واحتاجت الحَرَكَة لبضع عشرات من حكام الولايات الجدد ورؤساء الشرطة والقضاة وحكام المقاطعات لضمان توحيد المناطق تحت قيادتها كما جرت العادة دائمًا.

برزت في ذَلِكَ الوقت قضية الكفاءة في الإدارات المختلفة. لَمْ تكن هناك من قبل معايير رئيسية لحكام الولايات ورؤساء الشرطة والقضاة لأن مسؤولي طَالِبَان كانوا قادرين على القيام بِهَذِهِ الوظائف. لكن الحَرَكَة أهملت تعيينات الإدارات المدنية والتقنية. وبدلًا من ذَلِكَ عين حكام الولايات المفتوحة حديثًا أصدقاءهم في الإدارات الفنية، وهمشوا موظفي الحكومات السابقة من ذوي الخبرة. وكَانَت هَذِهِ قضية حوكمة رئيسية.

من جهة أخرى تمسكت قوات طَالِبَان بمقاليد حكم المقاطعات الشمالية الَّتِي سيطرت عَلَيْهَا حديثًا. أما في العاصمة، فقد سيطر عَلَيْهَا بعض قادة طَالِبَان الأذكياء كالمولوي عبد الكبير

ومَوْلَـوِي سـعيد مُحَمَّـد حقـاني ومَوْلَـوِي متوكـل ونائـب وزيـر الصـحة العامـة الـدكتور فضـل ربـاني ونائـب وزيـر الخارجيـة شـير عبـاس سـتانكزي ورئـيس بلديـة كـابول حمـد الله نعمـاني. كـان هَـؤُلَاءِ القـادة علـى درايـة بالعمـل الإداري والتقنـي، وتمكنـوا بفضـل ذكـائهم مـن تطـوير كفـاءاتهم في غضون فترة زمنية قصيرة.

بـرز المَوْلَـوِي عبـد الكبيـر في العمـل الإداري كمـا تمتـع بمسـتوى عـالٍ مـن المبـادرة والـذكاء في عملـه. وقـد سـمعت مـن وكيـل الشـؤون الإداريـة مُحَمَّـد حسـين مستسـعيد أن المـوظفين المحترفـين وجـدوا صـعوبة في تعلـيم المـوظفين الجـدد مهـامهم الحكوميـة الصـعبة. لكـنهم كـانوا خـائفين مـن مَوْلَـوِي عبـد الكبيـر الَّـذِي يتـابع العمـل الإداري بنفسـه، وتمتـع بدرايـة مسـبقة بطبيعـة العمـل. شـغل المَوْلَـوِي عبـد الكبيـر في وقـت سـابق منصـب نائـب مجلـس الـوزراء، وحـاكم ننجرهـار، وحـاكم المنطقـة الشـرقية. وعنـدما أصـيب وزيـر الـدفاع، عيّنـه المُـلَّا عُمَـر وزيـرًا للـدفاع بالوكالـة لفـترة معينـة. حينهـا قَـالَ لِلْمُـلَّا عُمَـر عـبر الهـاتف: "بعـض النـاس أزعجـتهم المهـام الَّتِـي كُلفـتُ بهَـا، فـإذا عينتنـي وزيـرًا للـدفاع، فسـيزداد حسـدهم". فأجابـه المُـلَّا عُمَـر: "مَوْلَـوِي صـاحب! مـا دمـتُ علـى قيد الحياة، فلا تقلق".

كـان المَوْلَـوِي عبـد الكبيـر علـى اتصـال بـالمُلَّا عُمَـر حَتَّـى اختفائـه، وفيمـا بعـد واجـه كافـة الأزمـات بشـجاعة، ويُعتـبر العقـل المـدبر للتنظـيم الإداري والمشـاريع الاقتصـادية كتعبيـد الطرقـات السـريعة وإنشـاء مجـالس شـورى عامـة، ولكـن بعـض العقبـات حالـت بينـه وبـين تنفيـذ خططه الابتكارية.

بـرز قـادة طَالِبَـان الأذكيـاء في الغالـب مـن شـباب الملالـي وخريجـي المَـدَارِس الدِّينِيَّـة. في حـين تلقـى القليـل مـنهم تعليمًـا دينيًـا في دول أخـرى خـارج باكسـتان وأَفَغَانِسْـتَان حَيْـثُ أُسـندت بعـض المناصـب المتدنيـة لـبعض خريجـي المعاهـد الدِّينِيَّـة في السـعودية وجامعـة الأزهـر في مصـر. أُرسـل معظم هَؤُلَاءِ إلى مصر من قبل حركة "الانقلاب الإِسْلَامِيّ" خلال فترة الغزو السوفيتي.

وللأسـف، معظـم الطـلاب الَّـذِينَ حصـلوا علـى مـنح دراسـية في جامعـة الأزهـر درسـوا هنـاك بنـاء علـى انتمـاءاتهم السياسـية، ولَـمْ يتمكنـوا مـن الإفـادة بعلـومهم الدِّينِيَّـة. وأصـبحت هَـذِهِ المجموعـة الأزهريـة عاطلـة عـن العمـل خـلال حكـم طَالِبَـان، وقـد تعلـم أفرادهـا العربيـة العاميـة مـن

شـوارع مصـر، وذهبـوا إلـى الإسـكندرية للسـياحة، واسـتمتعوا بأغـاني أم كلثـوم، ولَـمْ يبحثـوا أبـدًا عـن علـوم الـدين والمجـالس الإيمانيـة. كـان زعـيمهم مُحَمَّـد شـريف نجـل المَوْلَـوِي مُحَمَّـد نبـي مـن الَّـذِينَ عـادوا مـن الأزهـر، وتـزوج مـن مغنيـة أفغانيـة شـهيرة ربطتـه بهَـا صـداقة اسـتمرت لعـدة سـنوات. وكـان صـديقاه في الأزهـر قاسـم حليمـي ورحـيم الله حنفـي علـى اطـلاع علـى أسـراره، وقـد عملـوا كمـدراء في وزارة الخارجيـة في عهـد طَالِبَـان. وفيمـا كَانَـت الإدارات المختلفـة في حكومـة طَالِبَـان تعـاني مـن ضـعف عـام في العمـل الإداري، تميـزت بدرجـة غيـر متوقعـة مـن الشـفافية والمساءلة، مِمَّا يؤكد نزاهة المسؤولين ومسؤوليتهم أمام المُلَّا عُمَر.

الأداء الإداري والقضائي لِطَالِبَان[1]

كمـا ذكرنـا سـابقًا نُفـذت معظـم المهـام الإداريـة بمسـاعدة مـن مـوظفي الحكومـات السـابقة. ومـع مـرور الوقـت تعلـم بعـض مسـؤولي طَالِبَـان طـرق العمـل، وأصـبح بعضـهم خـبراء في هَـذِهِ المهام بفضل ذكائهم.

كـان الموظفـون المحترفـون شـريان الحيـاة في الإدارات ذات الصـلة بالاختصـاص. فعلـى سـبيل المثـال يُعـد وجـود طبيـب أو نائـب أو مستشـار أمـرًا مهمًـا في الإدارة الصـحية للمقاطعـة. وفي قسـم المنـاجم يُعتبر وجـود مهنـدس بـترول كمستشـار أو نائـب أمـرًا مطلوبًـا. لكـن هَـذِهِ الاحتياجـات لَـمْ تؤخـذ بعـين الاعتبـار عمومًـا، وبـدلًا مـن ذَلِـكَ وظـف حكـام الولايـات أصـدقاءهم أو غيـرهم مـن أفراد الحَرَكَة الَّذِينَ يفتقرون إلى المهارات الفنية.

قسـمت طَالِبَـان أَفغَانِسْـتَان إلـى منـاطق تحـت سـيطرة وزارة الداخليـة مـا حـد مـن صـعوبة العمـل فِيْهَـا، فالوصـول إلـى كُـلّ ولايـة علـى حـدة يمكـن أن يسـبب مشـكلة، ويمكـن لِكُـلِّ منطقـة التفاعـل بسـهولة مـع الولايـات القريبـة والمجـاورة. فمثـلًا حُلـت قضـايا نورسـتان بِشَـكلٍ أفضـل انطلاقـًا مـن المنطقة الشرقية لجلال أباد بدلاً من كابول.

وفيمـا اتُّبـع نظـام الـدوائر الحكوميـة بِشَـكلٍ صـحيح في كـابول، لَـمْ تسـر الأعمـال الرسـمية لأميـر المـؤمنين بطريقـة منهجيـة كمـا في الحكومـات السـابقة. فقـد أُنهيـت معظـم المهـام في فـترة قصـيرة

1 – هَذِهِ الفقرة موجودة في النسخة الانجليزية فقط.

وكحالـة طارئـة. لكـن الرسـائل المبعوثـة رسـمياً إلـى دائـرة الـوزراء اتبعـت جميـع الخطـوات المتعـارف عَلَيْهَـا، كمـا أرسـل مكتـب الشـؤون الإداريـة بالمثـل خطابـات رسـمية عـبر القنـاة الصـحيحة، وكـان المكتب منظمـاً بِشَـكلٍ جيـد. لكـن الأوامـر المباشـرة مـن مكتـب المُـلَّا عُمَـر لَـمْ تتبع أي نظام إداري.

ولسـوء الحـظ، لَـمْ يُحـتفظ بسـجل مناسـب للطلبـات الشـائعة والرسـائل الـواردة مـن المؤسسـة العَسْـكَرِيَّة، كمـا لَـمْ تُحفـظ نسـخها لفـترة طويلـة جـدًا. ولـذا أصـبحت عمليـات الاحتيـال محتملـة، وقـد سُـجلت حالتـان مـن هَـذَا النـوع لكـن قُـبض علـى الجنـاة في فـترة وجيـزة، فيمـا نُظمـت هَـذِهِ المهام تدريجيًا وببطء.

كـان لِلْمُـلَّا عُمَـر ثلاثـة أمنـاء سـر مختلفـين في نقـاط مختلفـة. وتمتـع اثنـان مـنهم بصـلاحيات أكبر مـن الثالـث. كـان عبـد السَّـلَام كاتـب أمـين سـر مسـتقل وأكثر موثوقيـة، لكنـه لَـمْ يكـن علـى درايـة بالقضـايا الراهنـة والدوليـة. أمـا متوكـل، فقـد عمـل قبـل تعيينـه في الـوزارة سـكرتيرًا سياسـيًا وإداريًـا معتمـدًا. بينمـا كـان طيـب أغـا سـكرتيرًا مؤدبًـا للغايـة، ولَـمْ يحـب التـدخل شخصـيًا في العمـل الرسـمي، فحـافظ علـى المهـام المنوطـة بـهِ، وسـلم جميـع الرسـائل لِلْمُـلَّا عُمَـر. لَـمْ يكـن لـدى طيـب أغـا أي رغبـة في التـدخل في عمـل الآخـرين. وكـان حلقـة الوصـل بـين المُـلَّا عُمَـر وقيـادة القاعـدة، بسـبب علاقاتـه الوثيقـة معهـا. لقـد كـان شـابًا عاطفيًـا جـدًا في ذَلِـكَ الوقـت، ومـن محبـي أيديولوجيـة القاعدة ولَمْ تكن لديه أي صلة أو معلومات حول السياسة والدبلوماسية العالمية.

عـام 2000، تـرأس طيـب آغـا مجلـة عربيـة تسـمى "الإمـارة" صـدرت مـن قنـدهار بـاللغتين العربيـة والإنجليزيـة. وكـان مـن بـين الكتـاب العـرب أعضـاء في القاعـدة. وفي إحـدى المـرات نعتـوا الملـك السـعودي بـعدو الحـرمين، أمـا طَالِبَـان فقـد سـبق أن خاطبـت الملـك بلقـب "خـادم الحـرمين الشـريفين" وقـد أُرسـلت نسـخ مـن هَـذِهِ المجـلات رسـميًا إلـى القنصـلية الأَفْغَانِيَّـة في جـدة أيضًـا. وعنـدما زار القنصـل العـام في جـدة مَوْلَـوِي بشـير أحمـد مبنـى القِيَـادَة في قنـدهار، جـاء إلـى غرفـة المُـلَّا عُمَـر برفقـة مَوْلَـوِي عبـد الجليـل، وكنـت جالسًـا هنـاك أيضًـا. فَقَـالَ مَوْلَـوِي بشـير لطيـب آغـا: لقـد اسـتخدمت لقـب "عـدو الحـرمين" لوصـف الملـك السـعودي، وأرسـلت هَـذِهِ المجلـة

رسـميًا إلـى السـفارة في السـعودية، وهَـذَا مخـالف للأعـراف الأخلاقيـة والدبلوماسـية. أُعجبـت حينها بتصريح القنصل العقلاني، لكن طيب آغا أجابهم قائلًا أنتم خائفون.

كـان مئـات الأشـخاص يـدخلون إلـى مكتـب المُـلَّا عُمَـر دون الخضـوع لتـدقيق أمنـي، واستُخدم هَـؤُلَاءِ في الأعمـال العامـة مثـل جمـع الطلبـات وقراءتهـا علـى المُـلَّا عُمَـر، والـرد علـى هَذِهِ الرسائل أو الطلبات وفقًا لتعليماته.

نقـل هَـؤُلَاءِ الأشـخاص العَدِيْـد مـن الأخبـار الخارجيـة لمكتـب المُـلَّا عُمَـر، لكـنهم كـانوا في الواقـع مـوظفين لـدى السـكرتير الأول. كمـا أُسـندت إلـيهم مهـام صـغيرة في قنـدهار. فعلـى سـبيل المثـال عينـت مديريـة الإعـلام والثقافـة -في البدايـة- المسـؤولَ الإذاعـي "عبـد الأحـد جهـانجير وال " لجلـب الأخبـار للبـث الإذاعـي مـن مكتـب المُـلَّا عُمَـر. ثُـمَّ زار عبـدُ الأحـد لَاحِقًـا عبـدَ السَّـلَام (أمـينَ سـر المُـلَّا عُمَـر) للقيـام بمهـام مختلفـة. لكـن بعـد انهيـار نظـام طَالِبَـان، واجـه العَدِيْـد مـن القضـايا حَيْـثُ وصـفه الـبعض بأنـه مـرتبط بمكتـب المُـلَّا عُمَـر. كمـا أحـب أن ينـاديه النـاس بـأمين سـر المُـلَّا عُمَـر، وقـد أدى ذَلِـكَ إلـى سـجنه في باكسـتان لمـدة سـت سـنوات، وبعـد الإفـراج عَنْـهُ ذهب إلى قطر حَيْثُ لا يزال مقيمًا حَتَّى الآن.

مـن الناحيـة القضـائية اسـتند النظـام الإداري علـى الإطـار القـانوني لنظـام ظـاهر شـاه وداوود خـان، ولَـمْ يكـن العَدِيْـد مـن القضـاة الجـدد علـى درايـة بتعقيـدات هَـذَا النظـام. وعلـى الـرغم مـن أنهـم حصّـلوا المزيـد مـن الخـبرة التعليميـة، وبـذلوا المزيـد مـن الجهـد إلا أن هَـذِهِ المشـكلات حُلـت في الغالـب عـبر كتبـة الحكومـة السـابقين. وفي بعـض الأحيـان اسـتغل هَـؤُلَاءِ هَـذِهِ الأعمـال وتورطـوا في قضايا فساد. لقد كان من الصعب على القضاة تتبع هَذِهِ التجاوزات بِشَكلٍ تام.

اتسـم تطبيـق القـوانين بالسـرعة الكبيـرة مقارنـة بالحكومـات السـابقة، وذَلِـكَ لأن قضـاة طَالِبَـان رفيعـي المسـتوى ركـزوا بِشَـكلٍ خـاص علـى تنفيـذ القـوانين، وحـل المشـكلات مبكـرًا، والنظـر في المطالبـات، حَيْـثُ تعرضـوا لضـغوط مـن السـلطات العليـا لإنجـاز الأعمـال، كـان قضـاة طَالِبَـان رفيعو المستوى جزءًا من الحَرَكَة، وسعوا إلى التطبيق السليم للشريعة الإِسْلَامِيَّة.

انتشرت دعاية مزيفة وسلبية في العالم ضِدّ طَالِبَان فيما يتعلق بتطبيق قوانين الشريعة. ففي وسائل الإعلام الغربية، صُورت هَذِهِ القوانين الشرعية على أنها محض وحشية من طَالِبَان. لكن وفق ما أعتقد الآن، تُعد هَذِهِ القوانين أكثر شرعية من القوانين الأخرى في العالم، حَيْثُ اتُّخذت القرارات بناءً على قوانين الحكومة والمحاكم القضائية. وطبقت طَالِبَان قوانين الشريعة كي يعتبر الآخرون من ذَلِكَ. ففي معظم البلدان يُعد الإعدام عقوبة القتل، لكن القصاص طُبق هنا بعد إجراءات قانونية مطولة. وبرأيي فإن نعت هَذِهِ القوانين بالوحشية مجرد دعاية سلبية ضِدّ طَالِبَان.

وعلى عكس الإعلام الغربي اتسمت ردود الفعل في العالم الإِسْلَامِيّ بالإيجابية، واُعتبر نظام طَالِبَان العادل مثالًا يحتذى بهِ. وفي بعض الأحيان أعلن مسلمون في الدول الإِسْلَامِيَّة أن عدالة طَالِبَان هي العدالة الشرعية الوحيدة.

عام 2000، جاء شاب من إقليم البنجاب البَاكِسْتَانِيّ إلى قندهار، وذهب إلى مَوْلَوِي ديلاور واعترف لَهُ بأنه زنا منذ فترة، وأنه عاهد الله بأن يقدم نفسه للعقاب وفقًا للشريعة عند إقامة نظام عدالة إسلامية. حاول مَوْلَوِي ديلاور في البداية إقناعه بالتراجع عن طلبه، ولكن بعد أن رفض عوقب وفقًا للشريعة.

لجنة الأمر بالمعروف[1]

"تطبيق الشريعة الإِسْلَامِيَّة" هو الهدف والشعار الرئيسي لحركة طَالِبَان. وقد برزت الحاجة لإنشاء لجنة منفصلة للأمر بالمعروف إلى جانب نظام قضائي آخر. لكن موظفي هَذِهِ اللجنة كانوا بحاجة أيضًا لتدريبات خاصة بعد اختيارهم وفق معايير محددة. وللأسف لَمْ تركز طَالِبَان على هَذِهِ المتطلبات الأساسية، ولَمْ تكن قيادة هَذِهِ اللجنة تتمتع بالحكمة وبعد النظر اللازمين. أما موظفوها الرسميون فَلَمْ يخضعوا لأي تدريبات خاصة كما لَمْ تكن لديهم المعرفة الدِّيْنِيَّة المتعمقة، مِمَّا أدى إلى المبالغة في كثير من المسائل دون داعٍ. وقد علمنا بأساليبهم في العمل وتأثيرها على المجتمع، ولذا انتقدنا بعض أنشطة هَذِهِ اللجنة الَّتِي لَمْ

1 - وردت هَذِهِ الفقرة في نسخة البشتو في مكان آخر.

يتقبلها المسؤولون، وأُلقي اللوم علينا في حوادث مختلفة. ولَمْ يكن المُلَّا عُمَر سعيدًا أيضًا ببعض ممارساتهم، وقد قَالَ ذات يوم: لجنة الأمر بالمعروف مهمة لنظامنا، لكنها الأكثر ضعفًا ونقصًا. وثمة أسباب عديدة منعت المُلَّا عُمَر من اتخاذ خطوات عملية لإصلاحها، لكنني أعرف مِنْهَا أسبابًا ثلاثة:

1. سكوت العُلَمَاء عن تجاوزاتهم.
2. دفاع بعض المقربين من المُلَّا عُمَر والموثوق بهم عن أنشطة هَذِهِ اللجنة.
3. عدم ثقة المُلَّا عُمَر في خصوم اللجنة.

انتقد العَدِيْد من قادة طَالِبَان هَذِهِ اللجنة سرًا، وقد أخبرني أحد أصدقائي بأني لو لَمْ أكن قريبًا من المُلَّا عُمَر في قندهار، لسببت معارضة هَذِهِ اللجنة لي المتاعب. اتسم مستوى العلم الديني لدى رئيس لجنة الأمر بالمعروف، المَوْلَوِي عبد الولي، بالمحدودية الشديدة. فقد كان شابًا حازمًا يحظى بدعم وزير العدل المُلَّا نور الدين ترابي الَّذِي يتسم مستوى معرفته الدِّيْنِيَّة أيضًا بالتواضع، وأدار اللجنة وفقًا لمزاجه. أما نائبه المُلَّا قلم الدين فهو من سكان لوجار، والمسؤول الإداري للجنة في كابول. في فترة الجِهَاد ضِدّ السوفييت عمل المُلَّا قلم الدين مسؤولاً عن أمن المَوْلَوِي مُحَمَّد نبي، ولَمْ يتلق الكثير من التعليم الديني، بل كان هو المسؤول عن التجاوزات والإساءات في مدينة كابول. يقال إن مُلَّا قلم الدين زار كابول مرة خلال حكم طَالِبَان لاسترداد ديون لَهُ من الدائن، وأمضى ليالٍ في مكتب لجنة الأمر بالمعروف. وكان رجلاً طويل القامة وقوي البنية. وعندما وصل إلى كابول للعمل مع اللجنة أحبه زملاؤه لكونه يعاقب الناس ويضربهم، ثُمَّ لفت انتباه الوزير ترابي الَّذِي عينه نائبًا لَهُ.

مناقشة مع المُلَّا عُمَر حول لجنة الأمر بالمعروف[1]

شهد مكتب شورى ولاية قندهار انتقادات مباشرة وسجالات حادة، الأمر الَّذِي أثار حفيظة المسؤولين عن لجنة الأمر بالمعروف. وعام 2000، بدعوة من قسم الألعاب الأولمبية، زار فريق من لاعبي الكريكيت من منطقة شامان البَاكِسْتَانِيَّة مدينة قندهار للعب

1 – وردت هَذِهِ الفقرة في نسخة البشتو في مكان مختلف عن ترتيب ورودها في النسخة الإنجليزية.

مباراة ضِدّ منافسيهم. وبعد المباراة نزل وزير الأمر بالمعروف إلى أرض الملعب وعاقب بعض اللاعبين الضيوف بسبب تسريحة شعرهم الغربية وحلق لحاهم. وكان من المخزي والبعد عن اللباقة إهانة الضيوف المدعوون من قبلنا. تعاملتُ مع هَذَا الموضوع بجدية بالغة، وحظيتُ بدعم البعض لكن بعض الشخصيات المهمة ومسؤولي لجنة الأمر بالمعروف دافعوا عن هَذَا العمل. ورأينا حينها أن هَذِهِ الشكوى وغيرها من الشكاوى المتعلقة بالأمر بالمعروف يجب أن تناقش مباشرة مع المُلَّا عُمَر.

تجهزت لِهَذِهِ الزيارة، وانضم إليّ أيضًا رئيس التربية مَوْلَوِي نك مُحَمَّد، ورئيس مدرسة قندهار الجِهَادِيَّة، وأحد قادة الجبهة الشمالية. وبعد صلاة الظهر ذهبنا إلى المُلَّا عُمَر. بدأ قاري فيض مُحَمَّد النقاش، وقَالَ لِلْمُلَّا عُمَر: هناك شكاوى كثيرة بخصوص لجنة الأمر بالمعروف، ويجب السيطرة عَلَيْهَا. كان قاري فيض مُحَمَّد مقربًا جدًا من المُلَّا عُمَر، لكن المُلَّا اعتقد أن هَذَا الكلام ليس من تدبيره، لذا قَالَ ساخراً: "أنت تهتم بالجميع وتتدخل في كُلّ شيء." فأجابه المَوْلَوِي نك مُحَمَّد- وهو الَّذِي تلقى تعليمه العالي في المَدَارِس الدِّيْنِيَّة-: لدينا جمهورنا، لكن المشاكل والضغط عليهم من كُلّ جانب يتعارض مع المصلحة العامة. فَلَمْ ترق هَذِهِ المعارضة الصريحة لِلْمُلَّا عُمَر، فَقَالَ: "مَوْلَوِي صاحب! هَؤُلَاءِ الناس الَّذِينَ ضلوا الطريق لا يفهمون الأوامر اللفظية أو التعليمات الدِّيْنِيَّة، ويستحيل دفعهم نحو الخير بدون الرقابة الحكومية والدعوة القوية".

قدم مَوْلَوِي نك مُحَمَّد مزيدًا من الأسباب، لكن شخصًا يُدعى المُلَّا رسول قاطعه مرارًا أثناء حديثه. اشتهر المُلَّا رسول بين أصدقائه باسم "لاندي سلام" (السَّلَام القصير)، وهو شقيق المُلَّا غازي أحد أصدقاء المُلَّا عُمَر القدامى، وقد عُرفوا باسم مجموعة "أصدقاء المُلَّا عُمَر". كان بعضهم أهل كرم وحكمة، لكن البعض الآخر كمحمد رسول استخدموا قربهم من المُلَّا عُمَر بِشَكلٍ سلبي، وتدخلوا في أمور لَمْ يفهموها، بل ولا يحق لهم التدخل فِيْهَا.

بعد أن أنهى مَوْلَوِي نك مُحَمَّد كلامه، بدأت كلامي بالاحتجاج على تدخل مُحَمَّد رسول. قلت لِلْمُلَّا عُمَر: جئنا إليك فقط لأننا نتمنى أن تستمع إلينا، وأنت الأمل الوحيد لحل هَذِهِ المشكلة. حينها فهم جملتي الافتتاحية، وتوقف المُلَّا رسول عن التدخل. فدار نقاش

طويل حينها، وقدمت تفاصيل عن بعض ممارسات "لجنة الأمر بالمعروف" وتأثيرها السلبي، واستشهدت بحوادث متفرقة في مدن مختلفة.

ولإصلاح هَذِهِ اللجنة، كان من جملة ما أوصيت بهِ أن يحقق العُلَمَاء، بمن فيهم علماء المحكمة العليا في أول اجتماع لهم في العقوبات الَّتِي يفرضونها على الأشخاص المخالفين وفقًا لقواعد الشريعة. وأكدت على ضرورة تدريب موظفي هَذِهِ اللجنة، وتعديل منهجية التعزير، إذ يجب الحد من استخدام العصي وما شابه، وشاطرني أصدقائي الرأي نفسه.

وعدنا المُلَّا عُمَر بالتحقيق في قضايا التجاوزات مع الناس لكنه رفض اقتراحي الأول، لأن المسؤول عن لجنة الأمر بالمعروف عالم دين، وتقع عَلَيْهِ مسؤولية التحقيق في العقوبات المشبوهة. بعد نقاشنا المطول وافق المُلَّا عُمَر على إجراء بعض التغييرات، كأن يؤخر تطبيق قوانين "الأمر بالمعروف" على الأَفْغَان القادمين من الخارج لبضعة أشهر، واعتمد أن تبدأ اللجنة أيضًا في العمل الدعوي وتعليم الناس.

المُلَّا عُمَر كمسؤول مفوض في النظام الإداري لحكومة طَالِبَان[1]

لا شك بأن حركة طَالِبَان ارتبطت منذ البداية بشخص المُلَّا مُحَمَّد عُمَر الَّذِي أسس الحَرَكَة من الصفر. واتسمت الحَرَكَة في بدايتها بسمة ثورية، لكنها تحولت لَاحِقًا إلى نظام حكم. اختار المُلَّا عُمَر الشريعة الإِسْلَامِيَّة كمعيار لِهَذَا النظام، ولذا التزم بما يقره علماء الشريعة والفقهاء. ولأنه لَمْ يكن عالمًا وفقيهًا كامل الأهلية العلمية، فقد اعتمد على فتاوى العُلَمَاء في المسائل الشرعية.

كان المُلَّا عُمَر بِشَكلٍ عام مسؤولاً عن القضايا الإدارية والعَسْكَرِيَّة، فقد تمتع بخبرة عسكرية كبيرة، ولَمْ تتراجع معنوياته أبدًا حَتَّى أثناء المعارك الشرسة. ولكن في مجال التنفيذ الإداري، فقد أولى عدد قليل من قادة طَالِبَان تقديره، ومنح عدداً من القادة غير المهرة بعض الأهمية. فعلى سبيل المثال؛ بعد أشهر قليلة من حكم المُلَّا مُحَمَّد رباني، أُعيد تعيين المُلَّا مُحَمَّد حسن للمرة الثانية نائبًا لمجلس الوزراء، وأدار مُحَمَّد حسن كافة المهام بعد وفاة المُلَّا

1 - وردت هَذِهِ الفقرة في النسخة الانجليزية فقط

رباني. لكن المُلَّا عُمَر قرر تعيين مَوْلَوِي عبد الكبير نائبًا أولاً، والمُلَّا مُحَمَّد حسن نائبًا ثانيًا. تلقيت خطاب الإخطار بِهَذِهِ الصيغة، وكنت على وشك تعميم القرار لكن أثناء طريقي إلى المكتب فوجئت بإعلان قرار يقتضي المساواة بينهما، وذَلِكَ بفعل الضغوطات المتزايدة على المُلَّا عُمَر.

وبالمثل، حالما تدهورت الأوضاع الأمنية في كابول عيُن القائد الشهير سيف الرحمن منصور قائداً لشرطة كابول نظرًا لنشاطه وصلاحه، ولكون معاونيه من أهل الالتزام وطلاب العلم الشرعي. لكن بعض الناس كانوا يغارون من عائلته، فضغطوا على المُلَّا عُمَر، ودفعوه لتعيين شخص آخر رئيسًا للشرطة. ومن جهة أخرى لَمْ يعاقب المُلَّا عُمَر أي شخص على مخالفته بِشَكلٍ علني، لكن عندما يثبت خطأ أي شخص يتخذ المُلَّا عُمَر إجراءً حاسمًا. ويُعد عزل المُلَّا داد الله مثالًا على ذَلِكَ.

نجل إمام القدس السابق[1]

زار السفير الفلسطيني في إسلام أباد قندهار في صيف السنة الخامسة لحكم طَالِبَان. يرافقه أيضًا جنرال سابق في جَيْش التحرير الفلسطيني كان والده إمامًا للقدس. وفي قندهار التقيا المُلَّا عُمَر، وبعد الاجتماع أخذ المُلَّا عُمَر قيلولة في فناء مكتبه. وسكب الماء على الرداء الخاص بِهِ بسبب الطقس الحار كعادة عامة الناس في قندهار وهلمند.

فلما رآه نجل إمام القدس بكى بمرارة لتأثره كثيرًا مِمَّا رآه. فسأله السفير الفلسطيني عن سبب بكائه، فَقَالَ: لما رأيت المُلَّا عُمَر نائمًا وعَلَيْهِ غطاؤه تذكرت ما قيل لعمر فاروق وهو نائم: حكمت، عدلت، أمنت، فنمت. وكرر العبارة مرارًا وتكرارًا، وامتلأت عيناه بالدموع. كان هَذَا المشهد ممتعًا للغاية ولن أنساه أبدًا، ولحسن الحظ ما زال العَدِيْد من الأصدقاء الَّذِينَ شاهدوا ما حدث على قيد الحياة.

1 – وردت هَذِهِ الفقرة في النسخة البشتونية فقط، وقد وضعتها وفق ترتيب مختلف لمناسبتها لسياق ترتيب الفقرات بدلاً من ترتيب نسخة البشتو الَّذِي يتسم بالتداخل.

نزع سلاح المُلَّا داد الله وإبعاده عن القِيَادَة

بـرز المُـلَّا داد الله كقائـد عسـكري قـوي ومشـهور في طَالِبَـان. وبعـد سـيطرتها علـى كـابول خسـرت الحَرَكَـة قـادة أقويـاء ومعتـدلين، كـالملا بورجـان والمُـلَّا مشـر والمُـلَّا مُحَمَّـد. كـان المُـلَّا فضـل والمُـلَّا داد الله في ذَلِـكَ الوقـت مـن قـادة الحـرب المشـهورين في شَـمَال أَفَغَانِسْـتَان. وعلـى الـرغم مـن وجـود قـادة آخـرين مشـهود لهـم كـالملا نعيـم، المُـلَّا عبـد الـرزاق نافـذ، المُـلَّا بـرادر، المُـلَّا عبيـد الله، أميـر خـان حقـاني، مَوْلَـوِي جـلال الـدين حقـاني، والمُـلَّا سـيف الـرحمن منصـور، وغيـرهم الكثيـر، لكـن شـهرة هـذين القائـدين كَانَـت أكـبر. ورغـم حصـولهم علـى القليـل مـن التعلـيم الـديني إلا أنهمـا كانـا أشـداء في المعـارك. وقـد ضـمت مجموعاتهمـا العَدِيْـد مـن أبنـاء المنـاطق المحليـة فضلاً عن مقاتلي طَالِبَان.

فقـد المُـلَّا داد الله أخونـد العَدِيْـد مـن أصـدقائه خـلال الجِهَـاد، وخـاض سلسـلة مـن المعـارك فاعتـاد علـى أجـواء الحـرب مـا جعلـه قائـدًا ذا فخـر شـديد في المعـارك لا يبـالي بحياتـه. وقـد اشـتهر بِـذَلِكَ، وكـان لوجـوده في صـفوف طَالِبَـان أثـر واضـح، ولـذا اعتـبر نفسـه المنتصـر الوحيـد في الحرب.

تلقـى المُـلَّا عُمَـر شـكاوى عديـدة حـول مخالفـات المُـلَّا داد الله وتجاوزاتـه، ووجهـت إِلَيْـهِ تهـم بمخالفـة قواعـد حركـة طَالِبَـان والقسـوة الشـديدة. وفي ربيـع عـام 1998، ضـرب المُـلَّا داد الله حـاكم مقاطعـة في ولايـة كـابول علـى المُـلَّا، فـأمر المُـلَّا عُمَـر وزارة الـدفاع علـى الفـور بنـزع سـلاحه في غضون ساعات قليلة.

بـدا هَـذَا الأمـر مسـتحيلاً، لكـن وزيـر الـدفاع المُـلَّا عبيـد الله زار خطـوط القِتَـال لرؤيـة المُـلَّا داد الله. كـان الأخيـر جالسًـا علـى قمـة تـل ويقـود المعـارك مـن هنـاك. فَقَـالَ لَـهُ المُـلَّا عبيـد الله ببسـاطة: يـا صـديقي، أعـرف شـجاعتك وجهـادك وكُـلّ مـا بـذلت، لكـن المُـلَّا عُمَـر أمـرني بنـزع سـلاحك، ولـديك القليـل مـن الوقـت كـي يسـلم رجالـك أسـلحتهم، وعليـك العـودة إلـى قنـدهار بـأمر مـن المُـلَّا عُمَـر. وبعـد تفكيـر سـريع في الأمـر أصـدر المُـلَّا داد الله تعليماتـه لمقاتليـه بتسـليم جميـع الأسـلحة والمركبات إلى وزارة الدفاع امتثالًا لأمر المُلَّا عُمَر.

وفي غضـون سـاعة نُـزع سـلاح أتباعـه واحتجـزت مئـات المركبـات. كمـا سـلم المُـلّا داد الله مسدسـه الشخصـي أيضًـا! وفي اليـوم التـالي رأينـا في قنـدهار رتـلًا طـويلًا مـن المركبـات يجلـس في كُـلّ مِنْهَـا سـائق واحـد فقـط، وتُسـلم إلـى مكتـب القِيَـادَة. وبـدا المكـان الَّـذِي تُـركن فِيْـهِ هَـذِهِ المركبـات كمعـرض كبيـر للسـيارات المسـتعملة مـع وجـود سـيارات مسـتعملة كبيـرة وصـغيرة متوقفة هناك.

بعـد سـتة أشـهر زار وفـد مـن العُلَمَـاء يرأسـه مفتـي طَالِبَـان الأول مَوْلَـوِي عبـد العلـي ديوبنـدي المُـلّا عُمَـر، وطلبـوا مِنْهُ العفـو عـن المُـلّا داد الله، فقبـل المُـلّا عُمَـر طلبهم بشـرط ألا يكـرر المُـلّا داد الله هَـذِهِ التجـاوزات في المسـتقبل. وكثيـرًا مـا كـان المُـلّا عُمَـر يقـول لقادتـه (إن الإسـلام لـيس بحاجـة لمـن يكـون متكـبرًا ومتعجرفًـا، كمـا أننـا لا نحتـاج لجهـاد وشـجاعة مـن يتصـف بِهَـذِهِ الصفات).

طَالِبَان والديمقراطية

أطلقـت حركـة طَالِبَـان علـى زعيمهـا لقـب "أميـر المـؤمنين"، وذَلِـكَ عـام 1995 بحضـور علمـاء مـن جميـع أنحـاء الـبلاد بعـد مبـايعتهم لَـهُ. أرادت طَالِبَـان نظامًـا إداريًـا وحكوميًـا إسـلاميًا، وكـان لقادتهـا وعلمائهـا ومنتسـبيها آراء مختلفـة حـول الديمقراطيـة. يكـره عناصـر طَالِبَـان العـاديون والملالـي كلمـة "ديمقراطيـة" لكنـي أنـا وأصـدقائي لَـمْ نسمع شـيئًا مـن هَـذَا القبيـل مـن المُـلّا عُمَـر. أمـا قـادة طَالِبَـان الحـاليون والسـابقون مـن أصـحاب الدرايـة بالقضـايا السياسـية والدوليـة فلـديهم آراء معتدلة حول الديمقراطية.

لـيس لـدى الشخصـيات السياسـية والدِّيْنِيَّـة الحاليـة في طَالِبَـان معرفـة دقيقـة بالأسـس الفعليـة للديمقراطيـة، إنمـا لـديهم بعـض التصـورات الأساسـية والمهمـة. إحـداها أن كُـلّ مـا يحـدث في البلـدان الإِسْـلَامِيَّة المستضـعفة باسـم الديمقراطيـة أمـر خـاطئ. فـالقوى الكـبرى في هَـذِهِ البلـدان تخلـق الفـرص لمصـلحتها الشخصـية. ومـن خـلال الأنشـطة الاقتصـادية والدعايـة والجهـود الاسـتخباراتية يـدعمون أولئـك الَّـذِينَ يحمـون مصـالحهم حَتَّـى لـو كـانوا خونـة لـبلادهم، فـإنهم

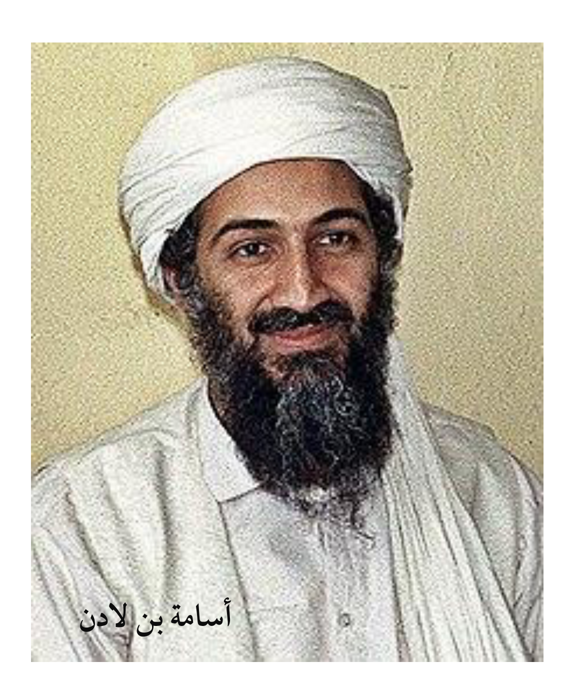
يثبتون سيطرتهم باستخدام الثروة والإعلام والمؤامرات السرية. كما أنهم يحظون بتكريم الدول الاستعمارية الَّتِي تثني عليهم عند وصولهم إلى السلطة.

ثمة انطباع آخر عن الديمقراطية داخل طَالِبَان يتمثل في كون الانتخابات موسمًا للكذب والتزوير والشعارات الفارغة لا لشيء إلا ليدعم كُلّ فريق مرشحه. فالعلمانيون والإسلاميون متشابهون في هَذَا، فكيف يمكن للمرء أن يتوقع إنجازًا إسلاميًا من شخصية دينية متورطة في الأكاذيب ونقض الوعود والنفاق والتباهي. إن تطبيق الإسلام عبر أمثال هَؤُلَاءِ الأشخاص تحايل على الدين. وفرضًا لو أنهم لَمْ يتورطوا في هَذِهِ التصرفات فإن خصومهم سينتصرون عليهم بدعم من القوى المعادية للإسلام الَّتِي توفر لهم المَال والدعاية.

في تِلْكَ البلدان الإِسْلَامِيَّة المستضعفة يحافظ الجَيْش على سطوته وعلى خصومته للفكر الإِسْلَامِيّ، وعندما ينتصر الإسلاميون في الانتخابات تستثمر القوى الاستعمارية في الجَيْش وتعبئه ضِدّ الإسلاميين، كما رأينا في حالتي الجزائر ومصر.

وفي الواقع تكون الحكومة الديمقراطية أفضل بكثير من الأنظمة الديكتاتورية المعادية للإسلام والمسلمين، وهي أفضل من الحكومات الملكية الَّتِي تضطهد الأمة الإِسْلَامِيَّة وفق تعليمات القوى الاستعمارية. أما إذا كان القائد المسلم مخلصًا لدينه وأمته وصاحب سيادة، فسيكون مفيدًا للإسلام والمسلمين. وباختصار لا تولي طَالِبَان أهمية للعملية الانتخابية لكنها تعطي الأولوية لتأثير الفكر والعقيدة الإِسْلَامِيَّة على المجتمع. ولذا لا تحب طَالِبَان إصدار حكمٍ حول العملية الانتخابية.

بداية الصراع مع الولايات المتحدة، وأسامة بن لادن والقاعدة


أسامة بن لادن


عبد الله عزام

اسمه الكامل أسامة بن مُحَمَّد بن عوض بن لادن من عائلة سعودية ذات أصل يمني، وحصل على درجة الماجستير في الاقتصاد من جامعة الملك عبد العزيز بجدة. خلال سنوات الجِهَاد الأَفَغَانِيّ ضِدّ الاتحاد السوفيتي افتتح بن لادن والمفكر الفلسطيني الشهير عبد الله عزام في باكستان مكاتب ومعسكرات تدريب للمجاهدين العرب. في الواقع كان زعيمهم هو عبد الله عزام الَّذِي اغتيل مع ابنيه في بيشاور. وكان أسامة حينها شابًا، وقد شارك في الجِهَاد ضِدّ السوفييت في أَفَغَانِسْتَان. وفي ذَلِكَ الوقت مال المجاهدون الأجانب إلى عبد رب الرسول سياف حَيْثُ كان لَهُ نفوذ عليهم. كما وضعت الاستخبارات السعودية وغيرها من الجهات الداعمة ثقتها بسياف.

وبعد هزيمة الاتحاد السوفيتي عاد أسامة بن لادن إلى السعودية. وفي 2 أغسطس 1990 هاجم صدام حسين الكويت، فطلبت السعودية الدعم من الولايات المتحدة. وتمركزت قوة أمريكية ضخمة قرب الحدود السعودية، فعارض بعض العُلَمَاء السعوديين والأشخاص الكارهين للغرب هَذَا الأمر، واعترضوا على الحكومة السعودية بأن القُوَات الأمريكية تشكل تهديدًا على سيادة المملكة. تأثر هَؤُلَاءِ بأفكار أسامة بن

لادن الَّـذِي عـرض علـى الحكومـة السـعودية إرسـال قـوة مـن المجاهـدين العـرب لحمايـة الـبلاد، ونصـحها بـألا تسـمح للقـوات الأمريكيـة بـالتمركز في المنطقـة لأنهـا سـتبقى فِيْهَـا إلـى الأبـد. وقـد ثبـت فيمـا بعـد صـحة مـا تنبـأ بِـهِ أسـامة لكـن السـعودية طردتـه وسـجنت العَدِيْـد مـن أصـدقائه وعلمـاء الدين.

هـاجر أسـامة بـن لادن إلـى السـودان، وبـدأ بمشـاريع اقتصـادية في الـبلاد للنهـوض بالاقتصـاد السـوداني الضـعيف، وتضـمنت هَـذِهِ المشـاريع إنشـاء طـرق سـريعة. ومـع ازديـاد الضـغط الأمريكـي والسـعودي علـى السـودان هـاجر أسـامة إلـى أَفَغَانِسْـتَان. وفي ربيـع عـام 1996 سـافر بعـض القـادة مـن ننجرهـار في زيـارة إلـى السـودان للمشـاركة في مـؤتمر، وكـان مـنهم القائـد سـازنور التـابع للأسـتاذ سـياف، وقائـد الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ فضـل حـق مجاهـد، والقائـد التـابع لمولـوي خـالص المهنـدس محمود، وصفة الله قانت المترجم الخاص لفضل حق.

التقـى الوفـد مـع أسـامة بـن لادن في السـودان، ودعـاه سـازنور نيابـة عـن سـياف إلـى أَفَغَانِسْـتَان في حـال طُـرد مـن السـودان. وفي وقـت لاحـق، وبقـرار مـن سـياف وربـاني، أُرسـلت طـائرة عائـدة مـن الهنـد إلـى السـودان. ونقلـت هَـذِهِ الطـائرة أسـامة بـن لادن ومعاونيـه وعـائلاتهم إلـى جـلال آبـاد، فاسـتقبلهم سـازنور في المطـار، لكـن مسـؤولية حمـايتهم ودعمهـم أُسـندت فيمـا بعـد لقـادة مَوْلَـوِي يونس خالص.

أشـارت الأخبـار المتداولـة بـين المقـربين مـن أسـامة إلـى أن سـياف بعـث إِلَيْـهِ برسـالة مفادهـا: طلـب منـا الأمريكيـون اعتقالـك أو قتلـك، ونحـن لـن نفعـل هَـذَا ولكـن عليـك أن تعطينـا مبلغًـا ضـخمًا مـن المَـال لحمايتـك وإقنـاع شـركائنا في الحكومـة بِـذَلِكَ. فأجـابهم أسـامة (أنـا لَـمْ أعـد غنيـًا كمـا كنـت في السـابق، فـلا أملـك مـالًا، وأنـا الآن مهـاجر فقيـر، ولا أسـتطيع أن أدفـع شـيئًا). لكنـه عنـدما علـم بـردة فعـل ربـاني وسـياف الغاضـبة، قَـالَ: سـأحاول تـدبير بعـض المَـال، فقـط أمهلـوني بعض الوقت.

في ذَلِـكَ الوقـت ظهـرت بعـض الأدلـة الإضـافية عـن محاولـة وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة CIA الوصـول إلـى أسـامة عبـر دولـة أخـرى أو مـن خـلال نظـام ربـاني إمـا للقـبض عَلَيْـهِ حيـًا أو قتلـه. ولـذا ركـز بعـض قـادة مَوْلَـوِي خـالص كالمهنـدس محمـود ومعلـم أوّل غـول بِشَـكلٍ خـاص علـى

حمايتـه، وبقـي مكـان إقامتـه سـراً. وبعـد بضـعة أشـهر مـن وصـول أسـامة اسـتولت طَالِبَـان علـى ننجرهار وفشلت خطط اعتقاله أو قتله.

بعـد السيطرة علـى ننجرهـار التقـى عـدد مـن قـادة طَالِبَـان بأسـامة، وأكـدوا لَـهُ أنـه لـن يواجـه أي مشـاكل مـن جهـتهم. وكـان بعـض النـاس قـد حـاولوا قبـل ذَلِـكَ تخويفـه مـن طَالِبَـان، حَيْـثُ زعـم أحـد قـادة الحِـزْب الإِسْـلَامِيّ بـأن حركـة طَالِبَـان عميلـة للأميـركيين، ولهـذا شـك أسـامة في البدايـة بِطَالِبَان.

لَـمْ تطلـب طَالِبَـان معلومـات مفصـلة عـن أسـامة، واكتفـت بأنـه عربـي مغـترب، ومجاهـد سـابق ضِـدّ السـوفييت. ولَـمْ يسـبق أن دخـل أسـامة قنـدهار قـط، ولا أيًـا مـن المنـاطق المجـاورة الَّتِـي انطلقـت مِنْهَـا حركـة طَالِبَـان. كـان هنـاك مجاهـدون عـرب في مجموعـات مجاهـدي قنـدهار في سـنوات الجِهَـاد، وقـد خـبر القنـدهاريون شـجاعتهم وبسـالتهم في الحـرب، ولـذا أحبـوهم وجمعـت فيمـا بيـنهم رابطـة الـدين. مـن جهـة أخـرى عمـل القـادة الجهـاديون مـن جماعـة مَوْلَـوِي يـونس خـالص مع طَالِبَـان، وقـد أُسـندت إلـيهم مسـؤوليات رئيسـية، وكـانوا علـى اتصـال بمولـوي خـالص، ولذا لَمْ يكن لدى الحَرَكَة تصورات سلبية عن أسامة.

في فبرايـر 1997، دعـا المُـلَّا عُمَـر أسـامة بـن لادن إلـى قنـدهار، وأكـد لَـهُ دعمـه لبقائـه في أَفْغَانِسْـتَان، وقَـالَ لَـهُ: إن بـلادك ودولاً أخـرى لا تسـمح لـك بـالعيش فِيْهَـا لكنـك أخونـا المسـلم وهَـذَا بلـدك. وخـلال هَـذِهِ الزيـارة أقنعـه بعـض قـادة الإمـارة بعـدم الإدلاء بـأي تصـريح ضِـدّ السـعودية مـن شـأنه أن يغضـبها، ويبـدو أن أسـامة وافـق علـى ذَلِـكَ. في ذَلِـكَ الوقـت كـان الصـراع بـين الولايـات المتحـدة وأسـامة بـن لادن عرضـيًا لدرجـة أنـه لَـمْ يظـن أحـد في طَالِبَـان أنـه سـيؤدي إلى مشكلة كبيرة.

بعـد أيـام قليلـة مـن عـودة أسـامة بـن لادن إلـى ننجرهـار أرسـل إلـى المُـلَّا عُمَـر يخبـره بهواجسـه الأمنيـة. وظـن المُـلَّا عُمَـر بأنـه يمكـن لشـخص مـا إيـذاء أسـامة بـن لادن في جـلال آبـاد، وهـو مـا سيكون عـارًا علـى طَالِبَـان. ولـذا دعـاه إلـى قنـدهار وعـرض عَلَيْـهِ العـيش تحـت حمايـة بعـض القـادة. سُـرَّ بـن لادن ومـن معـه بِهَـذَا القـرار وتشـجعوا لَـهُ، وفي بدايـة شـهر مـارس انتقـل هـو ومـن معـه مـن المقربين مِنْهُ وعائلاتهم إلى منطقة هادئة في قندهار.

في 22 مارس، نشرت صحيفة إندبندنت في لندن مقابلة مع أسامة بن لادن هدد فِيْهَا السعودية والولايات المتحدة، وقد أُجريت هَذِهِ المقابلة في جلال آباد قبل انتقاله إلى قندهار. على إثر ذَلِكَ دعاه المُلَّا عُمَر للحضور لديه في 25 مارس، وقَالَ لَهُ (إننا نواجه الكثير من المشاكل، ومن الصعب علينا الدخول في صراع مع السعودية. لذا لا تزعج السعودية بتوجيه التهديدات، فهَذَا لا يفيدك، ولا تقل أي شيء آخر ضِدّ السعودية). ويبدو حينها أن بن لادن وافق على هَذَا الطلب مجددًا. لَمْ يُطلب مِنْهُ التوقف عن التحريض ضِدّ الولايات المتحدة، لأنه حينها لَمْ يكن قادرًا على اتخاذ أي خطوة عملية ضدها، ولَمْ يكن أحد في طَالِبَان يتوقع أن يُقدم على فعل أي شيء من هَذَا القبيل.

في 26 مارس، أجرى مسؤول مكتب الإمارة مَوْلَوِي وكيل أحمد متوكل مقابلة مع "بي بي سي" تمحورت حول أسامة بن لادن، ودارت حول نقاط رئيسية، مفادها: (طلبنا من أسامة ألا يستخدم أرضنا ضِدّ أحد، وألا يدلي بتصريحات ضِدّ السعودية. وصدام حسين لَمْ يعد يمثل تهديدًا للسعودية، لذا يجب على القُوَات الأمريكية مغادرة أراضي المملكة). وبعدها سُمح لابن لادن بتغيير موقعه، وزيادة عدد عناصر حمايته كما عُين بعض القادة الكبار كالملا عبد الجليل كمسؤولين اتصال وارتباط معه.

في مايو اعترفت كُلّ من باكستان والإمارات والسعودية رسميًا بحكومة طَالِبَان. طالبت السعودية طَالِبَان بوقف أنشطة أسامة ضدها، ورضيت بتطمينات الحَرَكَة والتزاماتها. لكن القضية تفاقمت تدريجيًا؛ فمن جهة ضغطت الولايات المتحدة على السعودية لتأليب طَالِبَان على أسامة، ومن جهة أخرى اكتشفت السعودية بعض أنشطة بن لادن معادية لَهَا.

أرسل أسامة بن لادن تهديدات إلى أفراد الأسرة الحاكمة في السعودية عبر هاتف يعمل بالأقمار الصناعية، واشتكت الحكومة السعودية رسميًا عبر قنوات دبلوماسية وطرق أخرى. وانتقد أعضاء مجلس وزراء طَالِبَان وبعض كبار القادة في الحَرَكَة ما يقوم بهِ أسامة لكن الأمر لَمْ يؤخذ على محمل الجد.

في فبراير 1998، أرسل بن لادن رسائل إلى وسائل الإعلام تحتوي على تصريحات شديدة اللهجة ضِدّ أمريكا. وبعدها زار المبعوث الأمريكي الخاص ريتشاردسون كابول،


تركي الفيصل

وأجرى مناقشات مطولة مع رئيس مجلس الوزراء المُلَّا مُحَمَّد رباني ومسؤولين آخرين في طَالِبَان. صنف ريتشاردسون قضية أسامة على أنها ثانوية، وأعطى الأولوية للقضايا المتعلقة بمحادثات السَّلَام بين طَالِبَان وخصومها وتشكيل حكومة الوحدة. وفي نهاية الزيارة قَالَ لِلْمُلَّا رباني: إن أسامة لا يفيد كلانا، فاطرده من بلدك.

في غضون ذَلِكَ أشارت بعض المؤشرات إلى أن وكالة الاستخبارات المركزية CIA حاولت قتل بن لادن عبر عملاء أفغان، ولكن لَمْ تتوفر معلومات استخباراتية دقيقة حول هوية المجموعة. وفي 26 مايو نظم بن لادن وأصدقاؤه بدعم من قادة سابقين وبعض قادة طَالِبَان لقاءً سريًا مع وسائل الإعلام في خوست دُعي إِلَيْهِ ممثلون عن CNN وغيرها من وسائل الإعلام الدولية. ولَمْ يُبلغ المُلَّا عُمَر بالحدث، وقد أثار الحدث ردود فعل عالمية شديدة. غضب قادة طَالِبَان إزاء ما حصل لكن بن لادن تذرع بأن المُلَّا عُمَر منعه من التحدث علانية ضِدّ السعودية وحسب، وليس ضِدّ أمريكا.

وكممثل للحكومة الأَفْغَانِيَّة، قَالَ مَوْلَوِي وكيل أحمد متوكل لوسائل الإعلام إن المُلَّا عُمَر لَمْ يكن على علم بِهَذَا الاجتماع، وأن الحكومة الأَفْغَانِيَّة تعارض تصريحات بن لادن، وأنه لن يُسمح لَهُ بعقد مثل هَذِهِ اللقاءات في المستقبل.

أوصى قادة طَالِبَان بالسيطرة على نشاطات بن لادن، كي لا يشارك مستقبلًا في أنشطة سياسية وإعلامية، وألا يتحدث أيضًا مع السكان المحليين أو الأجانب دون إذن طَالِبَان. أثار هَذَا الموضوع نقاشات داخل أوساط الحَرَكَة. وفيما دعم بعض المنتسبين إلى الحَرَكَة نشاط بن لادن بشدة، فقد عارض قادة الحَرَكَة أنشطته رغم أنهم أحبوه. وقد أكد الجميع على أنهم يحترمونه كلاجئ مسلم لكن عَلَيْهِ ألا يهدد العالم انطلاقًا من أرض أَفْغَانِسْتَان لأن الدولة ليست قوية بما فِيْهِ الكفاية، وقدراتهم تكفي فقط للسيطرة على البلاد وإقامة حكم إسلامي.

وفي يونيو زار رئيس الاستخبارات السعودية تركي الفيصل قندهار ليناقش قضية أسامة بن لادن. حينها أبلغه مسؤولون في طَالِبَان أنه سيُعقد اجتماع علمائي لحل هَذِهِ القضية وفق ضوابط الشريعة الإِسْلَامِيَّة، وستجري لجنة مشتركة من علماء المسلمين السعوديين والأَفْغَان مناقشات حول هَذَا الأمر لكن كُلّ هَذَا لَمْ يُنفذ إطلاقًا.

استمر بن لادن في تهديد الأمريكيين لإخافتهم لكن طَالِبَان أخبرته بوضوح أنه لا يُسمح لَهُ على أرضها بالقيام سوى بالأنشطة الَّتِي توافق عَلَيْهَا.

قدم تركي الفيصل خلال زيارته دعمًا بملايين الدولارات لأفغانستان لكن الإمارة أكدت أن طرد بن لادن مقابل المَال أمر مخزي للغاية، وقد أثبت هَذَا عدم صحة الفكرة القائلة بأن الحَرَكَة حمته لأنه دعمها ماليـًا. فالحقيقة أن بن لادن حين جاء إلى طَالِبَان لَمْ يكن غنيًا بما يكفي لدعم الحَرَكَة أو الحكومة، فقد واجه حينها أزمة مالية بل إن الحكومة الأَفْغَانِيَّة قدمت الوقود لعدد محدود من مركبات القاعدة آنذاك، وأنا شاهد على بعض الوثائق الَّتِي ذكرت بأن كمية معينة من الوقود أُعطيت للمجاهدين العرب.

قصف أَفْغَانِسْتَان بصواريخ كروز في أغسطس 1998

في 7 أغسطس 1998، تعرضت سفارتا الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا لعمليتي تفجير، ووصلتنا هَذِهِ الأخبار بعد أسبوع. حينها لَمْ يبد الأمر مهمًا بالنسبة لنا، ولَمْ نفكر في أن أسامة بن لادن لَهُ يد فيما حدث. كَانَت القِيَادَة مشغولة للغاية في السيطرة على المناطق الشمالية، وبعد يوم واحد من هَذِهِ التفجيرات سيطرنا على عاصمة ولاية بلخ آخر معاقل دوستم. ولَمْ تكن الولايات المتحدة قد أشارت بعد إلى علاقة أسامة بن لادن وأتباعه بِهَذِهِ الهجمات، كما لَمْ تشارك أي دليل أو خبر يتعلق بِذَلِكَ مع حكومة الإمارة الإِسْلَامِيَّة.

وبعد أقل من أسبوعين، وبالتحديد في 20 أغسطس الساعة 10 مساء تعرض معسكر زوار في ولاية خوست لهجوم صاروخي أمريكي. لَمْ يكن أسامة بن لادن حينها هناك، ولَمْ يُقتل أي عربي في الهجوم فيما قُتل عدد قليل من الباكستانيين الَّذِينَ عاشوا هناك منذ أيام الجِهَاد ضِدّ الاتحاد السوفيتي. كما أخطأت بضعة صواريخ أهدافها، فأصاب أحدها حي "معروف" في

قندهار لكنه لَمْ ينفجر ونُقل إلى مستودع الأسلحة في قندهار، وسقط بعضها الآخر في الأراضي البَاكِسْتَانِيَّة.

كما استهدفت عشرة صواريخ أخرى مصنعًا للأدوية في العاصمة السودانية الخرطوم، ادعى الأمريكيون أنه مصنع للكيماويات لكنهم لَمْ يُثبتوا هَذَا الادعاء مثلما حدث مع أسلحة صدام النووية، حَتَّى أن مجلس الأمن لَمْ يوافق على توصية الحكومة السودانية بإرسال وفد دولي للتحقيق في قضية المصنع ومعرفة ما إذا كان مصنعًا للمواد الكيميائية أم الأدوية فحسب.

وبلا أدنى شك لَمْ تكن هجمات خوست مرتبطة بهجمات كينيا وتنزانيا، وقد خُطط لَهَا قبل أشهر من التنفيذ. وألقت الولايات المتحدة رسميًا في نوفمبر باللوم على أسامة بن لادن في الهجوم الَّذِي وقع، أي بعد شهرين من هجمات تنزانيا وكينيا.

أظهرت هَذِهِ الهجمات جدية الولايات المتحدة، ومن ناحية أخرى تركت داخل طَالِبَان شعورًا من الكراهية تجاه أمريكا، وكَانَت بمثابة رسالة إلى طَالِبَان مفادها أن الولايات المتحدة هي عدونا المباشر. عقّدت هَذِهِ الهجمات التحركات الإيجابية في قضية أسامة بن لادن، وأعلنت طَالِبَان أن أعداء الولايات المتحدة أصدقاؤها، وخلق هَذَا صورة عَنْهَا في أذهانهم كقوة غازية. كما شجع الأمريكيون بخطوتهم هَذِهِ أعداء طَالِبَان في وقت أصبحت العلاقة فِيْهِ مع إيران أكثر توتراً بعد مقتل أحد عشر دبلوماسياً من موظفيها.

كان رد فعل طَالِبَان حاداً، ووصفت ما حدث بالهجوم المتعجرف على البلاد. وخرجت احتجاجات شعبية حاشدة في قندهار وننجرهار وكابول ومزار الشريف ومدن أخرى. وطلبت وزارة خارجية طَالِبَان من الولايات المتحدة تقديم دليل على تورط أسامة بن لادن في هجمات كينيا وتنزانيا. في ذَلِكَ الوقت أصبحت وجهة نظر المُلَّا عُمَر أكثر تصلبًا، وأظهر ردة فعل صارمة ضِدّ الهجوم والضغط الأمريكي، وكان هَذَا أحد أسباب التوتر بينه وبين تركي الفيصل في لقاء جمعهما في سبتمبر من العام نفسه.

لقاء ممثل السعودية الأمير تركي الفيصل مع المُلَّا عُمَر بقندهار في سبتمبر 1998

في سبتمبر 1998، أبلغ سلمان العمري القائم بالأعمال السعودي في أَفْغَانِسْتَان المقيم في إسلام أباد سفارتنا في باكستان بأن وفدًا سعوديًا رفيع المستوى سيزور قندهار. ولَمْ يخبر السفارة بتاريخ الزيارة إلا قبل يوم واحد من وصول الوفد أي في 18 سبتمبر. حينها جاء سلمان العمري إلى قندهار، واستقبله نائب وزير الخارجية المُلَّا عبد الجليل ومسؤولون آخرون في دار الضيافة بقندهار. ونصب العمري هوائي خاص بالقمر الصناعي في باحة دار الضيافة لإجراء مكالمة هاتفية خاصة. وفي التاسعة من صباح 19 سبتمبر، هبطت طائرة خاصة في مطار قندهار تُقل وفدًا برئاسة رئيس الاستخبارات السعودية آنذاك الأمير تركي الفيصل، وقيل إنهم أحضروا معهم أيضًا قفصًا لنقل مجرم.

جُهزت غرفة كبيرة في مقر حاكم قندهار بالسجاد والبُسط والوسائد ضمن طريق يؤدي نحو مكتب القِيَادَة السابق. وكان في المبنى غرفتان منفصلتان للاجتماعات الخاصة ولتقديم الطعام. كنت مشغولاً حينها بتجهيز الطعام والفاكهة الطازجة. وحين وصل الضيوف كان الطعام جاهزًا والشاي والفاكهة الطازجة في مكانهما. وتواجد أمير المؤمنين أيضًا للترحيب بالضيوف. كنت في عجلة من أمري فقد انتهت أحاديث الترحيب بالضيوف وبدأت المناقشات الفعلية.

كما وصل وفد ثالث من باكستان برئاسة تسنيم رانا. وترجم الرائد جول القنصل البَاكِسْتَانِيّ السابق في قندهار تصريحات المُلَّا عُمَر للوفد باللغة الإنجليزية وتصريحاتهم لِلْمُلَّا عُمَر بالبشتو. ولَمْ تنقضِ خمس دقائق حَتَّى رفع المُلَّا عُمَر صوته. نظرت في الداخل، وكنا على دراية بطباع المُلَّا، ففهمت أن هناك خطأ ما. قَالَ المُلَّا عُمَر للرائد جول غاضبًا (يجب عليك أن تترجم بدقة كُلّ كلمة سأقولها حينما أتحدث مهما كَانَت) فأصيب الأخير بالذعر والارتباك.

طلب المُلَّا عُمَر من طيب أغا أحد مسؤولي طَالِبَان الَّذِينَ يجيدون اللغة الإنجليزية إبلاغه فيما لو ترجم الرائد جول كلامًا ما بِشَكلٍ خاطئ أو بطريقة ناقصة. وسمعت المُلَّا عُمَر يقول

للوفد (إنكم حكام العالم الإِسْلَامِيّ، وأسلافكم أعطوا للعالم أجمع دروسًا في الشرف والكرامة الإِسْلَامِيَّة. لكنكم تريدون اليوم أن تأسروا مسلمًا مظلومًا لكي تُسعدوا الكفار. الحادث وقع في أفريقيا، وهو عدو لأمريكا، فأي حق لكم في هَذَا؟).

انتهى الاجتماع بِشَكلٍ مؤسف. وغادر تركي الفيصل الغرفة بغضب كما غادر المُلَّا عُمَر الغرفة وتوجه نحو المكتب مع حراسه. وبحسب إفادات شهود عيان بما في ذَلِكَ تصريحات موظفي مكتب المُلَّا عُمَر ونائب وزير الخارجية المُلَّا عبد الجليل، فإن ملخص النقاش دار على النحو التالي:

عندما بدأ الاجتماع رحب المُلَّا عُمَر بالوفد ترحيبًا حارًا ثُمَّ بادر تركي الفيصل بالحديث بلهجة حادة، وقَالَ لِلْمُلَّا عُمَر (إننا جئنا لكي تفي بوعدك وتسلم مجرمنا إلينا ويداه مقيدتان، وسنأخذه معنا في الطائرة). وتضافرت لهجته الحادة مع خطأين كبيرين، الأول أنه لَمْ يقدم التعازي للحركة في وفاة مقاتليها أو يقدم أي تمنيات طيبة أو ودية لَهَا، والخطأ الثاني هو سوء تفاهم حدث، فالمُلَّا عُمَر لَمْ يعدهم قط بأي شيء من هَذَا القبيل، وكان المُلَّا يكره الكذب والإخلاف بالوعد كرهًا شديدًا.

في ذَلِكَ الوقت كذب أحد الأطراف، وفي الجانب الآخر أُلقي اللوم على المُلَّا عُمَر ظلمًا بزعم تراجعه عن وعده. كما أن المُلَّا لَمْ يكن يفكر بفعل أي شيء يضر بالشيخ أسامة بن لادن، ولَمْ يفكر قط بأن الوفد سيطلب مثل هَذَا الطلب. ولذا انفعل بِشَكلٍ مفاجئ، ورد على الطلب الجريء بجواب مماثل، وسخر أيضًا من تركي الفيصل حَيْثُ قَالَ المُلَّا عُمَر حينها: (أولاً، لا تنعتني بالكذب، لَمْ أعد بمثل هَذَا، ولَمْ أُعطِ الإذن لأي شخص يمثلني لتقديم مثل هَذِهِ الوعود. ثانيًا لقد وعدناكم بعقد جلسة مشتركة للعلماء للتفكير في هَذِهِ المسألة، ولكننا لَمْ نعد أبداً بتسليم الشيخ أسامة بن لادن. أنتم حكام عاصمة الإسلام. المسلمون المضطهدون ينتظرون العون والتعازي منكم. لكن على العكس من ذَلِكَ، أنت تسلم المسلمين إلى الأعداء، وأتيت إلى هنا بناء على أوامرهم. أما الحادث فقد وقع في أفريقيا، وزعمت أمريكا أن أسامة بن لادن هو الفاعل، فأي حق لك في هَذَا؟).

في وقت سابق أكد مسؤولو الإمارة الإِسْلَامِيَّة للحكومة السعودية أن أسامة بن لادن لن يقدم على أي عمل ضِدّ المملكة، ووافق الجانب السعودي على هَذَا، لِذَلِكَ قَالَ المُلَّا لتركي الفيصل بأنه لا حق لَهُ في ذَلِكَ. وبعد ساعات قليلة من انتهاء الاجتماع، وصل تركي الفيصل إلى الرياض. وفي اليوم الثاني أرسل السعوديون خطابًا رسميًا إلى السفارة الأَفْغَانِيَّة مفاده أن على السفير الأَفْغَانِيّ مغادرة أراضي المملكة، فطُرد السفير وتولى السكرتير الأول المهام الإدارية في قنصلية جدة. كان ذَلِكَ اليوم بمثابة بداية توتر العلاقة بين الإمارة الإِسْلَامِيَّة والسعودية.

غضب المُلَّا عُمَر غير المقصود خلال لقائه بتركي الفيصل

أود التعليق بعض الشيء على ما حدث خلال هَذَا الاجتماع المتشنج. أولاً: إن السبب لما حصل كان سوء تفاهم كبير منذ البداية، حَيْثُ أن ممثلي المُلَّا عُمَر بالغوا دون داع في إعطاء صورة مرضية عن المُلَّا للجانب السعودي. فقد صوروا للسعوديين موقف المُلَّا من قضية بن لادن على أنه مرن للغاية، واعتقد السعوديون أن هَذَا نوع من الوعد، وأن المُلَّا عُمَر لن يرفض عرضهم عبر اتخاذ قرار طائش من وجهة نظرهم، وتوقعوا بالتالي ردًا إيجابيًا على عرضهم.

ثانيًا: بعد احتلال مزار شريف عاصمة ولاية بلخ، دفع مقتل دبلوماسيين إيرانيين طهران للتهديد بمهاجمة أَفْغَانِسْتَان. فقبل أيام قليلة من هَذَا الاجتماع عثرت طَالِبَان على جثث الدبلوماسيين الإيرانيين، وكان رد فعل إيران شديدًا. كَانَت الكلمات القاسية لتركي الفيصل في هَذَا الوقت الحساس أشبه بعقاب لِلْمُلَّا عُمَر، وبدا أن الفيصل يستغل الوضع الحالي دون مبرر، ولذلك رد عَلَيْهِ المُلَّا عُمَر بطريقة هجومية.

ثالثًا: استخدم تركي الفيصل نبرة متكبرة أثناء حديثه مع المُلَّا عُمَر وخاطبه باعتباره مرؤوسًا. قد لا يكون هَذَا جديدًا بالنسبة للسعوديين فقد استخدموا اللغة نفسها مع قادة الدول الإِسْلَامِيَّة الفقيرة مثلنا والَّتِي كَانَت بحاجة إلى دعم مالي من المملكة. لكن المُلَّا عُمَر شخص مختلف تمامًا، وكان على الوفد مخاطبته باحترام وتقدير.

وفي هَـذَا المقـام، أذكـر أن وزيـرا الخارجيـة والداخليـة الباكسـتانيين ووزيـر خارجيـة أوزبكسـتان وممثـل الأمـم المتحـدة الأخضـر الإبراهيمـي ومستشـار ونائـب رئـيس تركمانسـتان جميعهم خـاطبوا المُـلَّا عُمَـر بنبرة عاديـة، فـالمُلَّا لَـمْ يكـن شخصًـا متكبرًا أو عنيـدًا بـل كـان متواضعًا جدًا، لكنه لَمْ يقبل أبدًا أن يُعامل بعناد أو كبر بِشَكلٍ غير لائق.

نظرة المُلَّا عُمَر للعلماء السعوديين

احـترم المُـلَّا عُمَـر الشـعب السـعودي وعلمـاء الشـريعة والـدين في المملكـة. ففـي رمضـان كـان يسـتمع أحيانـًا إلـى الـبرامج الدِّيْنِيَّـة الَّتِـي تبثهـا الإذاعـة السـعودية. واقـترح متابعـة السـعودية في إعـلان دخـول شـهر رمضـان أو العيـد لأنهـم برأيـه يتخـذون الترتيبـات اللازمـة والمؤسسـات المعنيـة بِذَلِكَ تحتكم إلى فتاوى العُلَمَاء.

ورأى أن حكـام السـعودية جـادون للغايـة في إدارة وحمايـة الحـرمين الشـريفين، فهـم ينظمـون المواسـم بِشَـكلٍ جيـد للغايـة، وأفضـل بكثيـر مـن أي جهـة أخـرى. ورفضـت طَالِبَـان كُـلّ أنـواع الفوضـى في المملكـة، واسـتخدمت لقـب "خـادم الحـرمين" عنـد ذكـر ملـك السـعودية في البـث الإذاعـي الرسـمي. ومـع ذَلِـكَ خـالف بعـض مسـؤولي طَالِبَـان المقـربين مـن القاعـدة هَـذِهِ السياسـة في بعض الأحيان.

رفـض المُـلَّا عُمَـر أي تصـريح رسـمي ضِـدّ السـعودية، ولكـن عنـدما سُـلط الضـوء علـى قضـية أسـامة بـن لادن وتركـي الفيصـل في وسـائل الإعـلام تبنـت طَالِبَـان موقفًـا مخالفًـا للسـعودية مِمَّـا سـبب لَهَـا بعـض المشـاكل. أراد جميـع مسـؤولي الحَرَكَـة علاقـات طبيعيـة مـع السـعودية لكـن قضـية أسامة بن لادن كَانَت شديدة الحساسية، ولذا أصبح الأمر مستحيلًا تمامًا في ذَلِكَ الوقت.

كَـذَلِكَ أراد المُـلَّا عُمَـر علاقـات إيجابيـة مـع قطـر والسـودان وتركمانسـتان وتركيـا وقيرغيزسـتان والصـين. وأراد إقامـة علاقـة مـع ليبيـا بـالرغم مـن أن القـذافي وقـف ضِـدّ نظـام طَالِبَـان إلا أن لـديهم موقفًـا مشـتركًا مـع طَالِبَـان مـن العـالم الغربـي. ولَـمْ يعـارض مسـؤولونا أبـدًا إقامـة علاقـة جيـدة مـع إيـران، وكَانَـت سياسـتنا حـذرة للغايـة لكـن الحَرَكَـة تشـككت في جهـود الصـداقة

الإيرانية. ورأى قادة الحَرَكَة المقربون من المُلَّا عُمَر أهمية العلاقة مع إيران، ولَمْ يكن المُلَّا ضِدّ ذَلِكَ عمومًا.

أتذكر عندما قُتل أحد عشر موظفًا إيرانيًا في القنصلية الإيرانية يوم الاستيلاء على مزار الشريف، فحينها غضب المُلَّا عُمَر كثيراً أثناء التحقيق. وذات يوم قَالَ عبر الراديو (إني لو وجدت المتورطين في هَذِهِ الحادثة، فسأعدمهم دون إجراءات قانونية) كَانَت تِلْكَ هي المرة الأولى الَّتِي أسمع فِيْهَا مثل هَذَا التصريح من المُلَّا عُمَر، وفهمت في ذَلِكَ اليوم أن ما حدث لَمْ يكن من تخطيط طَالِبَان.

كَانَت العلاقات مع باكستان والإمارات شريان الحياة بالنسبة لنا، فهما سبيلنا الوحيد للتواصل مع العالم. وتعرضت أسرة الشيخ زايد لضغط دولي تجاوب معه نظراً لالتزاماته الداخلية لكنه تعاطف مع طَالِبَان حَتَّى النهاية، وكان المُلَّا عُمَر متعاطفًا معهم سراً. وفي ظل الحظر الاقتصادي المفروض علينا ظلت الإمارات الدولة الوحيدة الَّتِي يمكن أن نستخدمها في النقل الجوي.

محاكمة بن لادن في المحكمة الشرعية

في 4 نوفمبر اتهمت الحكومة الأمريكية أسامة بن لادن مئتين وثمانية وأربعين من أتباعه بالتورط في هجمات أغسطس في أفريقيا. وأعلنت عن مكافأة قدرها خمسة ملايين دولار مقابل القبض عليهم أو قتلهم. كان من المدهش أن يتهم الأمريكان بن لادن بِهَذَا العمل في نوفمبر، وقد أرادوا قتله قبل شهرين في الهجمات الصاروخية الَّتِي نجا مِنْهَا. وفي وقت لاحق أظهرت وثائق وكالة الاستخبارات المركزية أنها عملت على خطة لاغتياله في نهاية عام 1996 في جلال آباد، وكذلك مطلع عام 1997 في قندهار.

طلبت طَالِبَان من المسؤولين الأمريكيين تقديم أدلة قاطعة على تورط أسامة بن لادن في هجمات أفريقيا. وبتعليمات من القِيَادَة أخبرنا وسائل الإعلام أن تسليم أسامة بن لادن إثر هَذِهِ القضية أمر غير مبرر، فقد حاولت الولايات المتحدة قتله حَتَّى قبل هَذِهِ الأحداث. وإذا سلمناه إلى السعودية أو إلى أي دولة أخرى فسيعتقله الأمريكان بلا شك، وسيحاكمونه محاكمة

سياسـية. والطريقـة الوحيـدة هـي محاكمتـه في محكمـة أفغانيـة تتخـذ قرارهـا دون أي تـدخل خارجي وتستند في ذَلِكَ إلى الأدلة.

وبنـاء علـى أوامـر المُـلَّا عُمَـر أعلنـت المحكمـة العليـا الأَفَغَانِيَّـة عـن محكمـة خاصـة لمـدة عشـرين يومًـا، وطلبـت أدلـة ضِـدّ المتهمـين. لكـن الولايـات المتحـدة لَـمْ تُعـطِ أي أهميـة لإعلاننـا. وبـدلًا مـن ذَلِـكَ كثفـت جهودهـا لقتـل بـن لادن. وفي الأيـام القليلـة الأخيـرة مـن المحاكمـة أرسـلت السفارة الأمريكية في إسلام أباد شريطًا مصورًا كدليل على تورط أسامة بن لادن في الهجمات.

في ذَلِـكَ الوقـت لَـمْ يكـن يُسـمح لأي مكتـب تـابع لِطَالِبَـان باسـتثناء مكتـب وزارة الخارجيـة باقتنـاء تلفـاز أو جهـاز فيـديو. فالمكـان الوحيـد لمشـاهدة هَـذَا الشـريط المصـور يوجـد في قنـدهار حَيْثُ مبنـى الإذاعـة والتلفزيـون. جـاء مَوْلَـوِي متوكـل في المسـاء ومعـه الشـريط إلـى المبنـى، وازداد اهتمـامي بمشـاهدة هَـذَا الـدليل ضِـدّ بـن لادن. فاتصـلنا بالمـدير الفنـي وطلبنـا مِنْـهُ فـتح غرفـة التلفزيـون المقفلـة لمشـاهدة مقطـع مصـور واحـد فتفاجـأ وابتسـم متسـائلاً: مـا الفـيلم الَّـذِي سيشاهدونه بمفردهم في غرفة مظلمة؟!

كـان المـدير التقنـي للتلفزيـون أثنـاء حكـم طَالِبَـان شخصًـا تقيًـا ملتحيًـا. وكَانَـت هَـذِهِ هـي المـرة الأولـى الَّتِـي يسـمع فِيْهَـا منـا أننـا سنشـاهد فيلمًـا في غرفـة مظلمـة. اسـتغرق الأمـر مِنْـهُ وقتًـا للعثـور علـى المفـاتيح ثُـمَّ جـاء لَاحِقَـا حـاملاً مجموعـة مـن المفـاتيح الصـدئة خـلال بحثـه عـن المفتـاح المحـدد. فُتحـت الغرفـة المليئـة بالغبـار فجلسـنا أنـا واثنـان أو ثلاثـة مـن الأصـدقاء علـى الكراسـي. لَـمْ يعـرف أي منـا كيفيـة تشـغيل جهـاز العـرض VCR وطلبنـا مـن المـدير تشـغيله لنـا، فسـلم مَوْلَـوِي متوكـل الشـريط للمـدير. أظهـر الفـيلم منـازل لأتبـاع أسـامة بـن لادن في السـودان وأطفـالًا يلعبـون في مكـان مفتـوح، ووفقًـا لبيانـاتهم الصـحفية الَّتِـي سـمعها الجميـع لَـمْ تكـن هنـاك أخبـار أخـرى لكننـا شـاهدنا الشـريط حَتَّـى النهايـة للحصـول علـى مزيـد مـن المعلومـات. كـان هَـذَا تقريـرًا قـديمًا لشـبكة سـي إن إن عـن أسـامة بـن لادن وأتباعـه، وأُرسـلت نُسـخة مِنْـهُ إلينـا كـدليل. في نهايـة الشـريط وقـف متوكل بغضب وقَالَ إنهم يسخرون منا!

في اليوم التالي قَالَ متوكل لوسائل الإعلام إن المسؤولين الأمريكيين أرسلوا إلينا نسخة من تقرير سي إن إن كدليل لا علاقة لَهُ بأحداث إفريقيا. لا علاقة لِهَذَا التقرير بالحادث، لذا لا يوجد دليل على ادعاء الولايات المتحدة ووقت محاكمة أسامة قد انتهى.

الولايات المتحدة: حَتَّى لو غادر بن لادن أَفَغَانِسْتَان فلن نترك طَالِبَان

مع هجمات فبراير 1999 على نيروبي ودار السَّلَام كررت الولايات المتحدة اتهاماتها، وزادت من المكافأة المرصودة مقابل اعتقال أو قتل بن لادن، وضغطت على أَفَغَانِسْتَان من جميع الجهات. في ذَلِكَ الوقت خطط أسامة بن لادن وأتباعه لمغادرة أَفَغَانِسْتَان، وقد أخبروا المُلَّا عُمَر بفكرتهم عبر طيب أغا، فَقَالَ (كيف لنا أن نعرف أنهم وصلوا إلى وجهتهم بأمان؟) وطلب من مجموعة من الحرس الخاص مرافقة أسامة بن لادن إلى وجهته وإبلاغه حال وصولهم بسلام، فإن عجزوا عن الوصول، فسيقوم الحراس بحمايتهم أثناء عودتهم.

اختفى الشيخ أسامة بن لادن مع أتباعه ووصلت الأخبار إلى وسائل الإعلام، وأكدت طَالِبَان ذَلِكَ أيضًا وقالت إنها لا تعرف مكان وجودهم الحالي. وفي تِلْكَ الأثناء نشر بعض المغرضين أخبارًا تفيد بأن الحَرَكَة أبرمت صفقة مع بن لادن أو أنه قُتل هو ومن معه. وفي 14 فبراير أجرت بي بي سي مقابلة مع المُلَّا عُمَر حول هَذَا الموضوع، واشتملت المقابلة على ما يلي:

(لا نعرف مكان أسامة بن لادن، لقد قدمنا لَهُ عشرة حراس أمن للحماية، وقلنا لهم لو أراد مغادرة أَفَغَانِسْتَان فبلغوه مأمنه. ولا نعرف الآن ما إذا كان في أَفَغَانِسْتَان أو غادر إلى بلد آخر. لا يمكننا إجباره على المغادرة أو تسليم نفسه لأي شخص).

عندما نشرت وسائل الإعلام الأخبار المؤكدة عن رحيل أسامة بن لادن من أَفَغَانِسْتَان، واعتقد العالم أيضًا أنه غادر فعلًا، قَالَ المتحدث باسم الخارجية الأمريكية جيمس روبين في بيان رسمي (حَتَّى لو غادر أسامة بن لادن أَفَغَانِسْتَان، فلن تتغير استراتيجيتنا تجاه طَالِبَان).

كـان بيـان واشـنطن الرسـمي في 14 فبرايـر بمثابـة إشـارة جديـدة لِطَالِبَـان بـأن الولايـات المتحـدة لـن تتركهـا حَتَّـى بعـد رحيـل أسـامة بـن لادن. وحَتَّـى ذَلِـكَ الحـين اعتُـبر بـن لادن هـدف أمريكـا الوحيـد. أمـا الآن فقـد اعتقـدت طَالِبَـان بـأن نظامهـا بأكملـه مسـتهدف مـن الولايـات المتحـدة. ومهمـا كَانَـت غايـة الولايـات المتحـدة مـن هَـذَا البيـان الرسـمي فقـد أسـكت قـادة طَالِبَـان الَّـذِينَ اعتقـدوا أن بـن لادن هـو السـبب الرئيسـي للصـراع بـين الحَرَكَـة وواشـنطن، فظهـرت عقليـة جديـدة مفادها أن أمريكا هي العدو الحقيقي للحكومة والسيادة الإِسْلَامِيَّة.

لقـد عـززت هَـذِهِ المواقـف دعايـة القاعـدة بـين الشـباب بـأن أمريكـا عـدو دولـي للإسـلام والمسـلمين، ولا ينبغـي للمـرء أن يتوقـع صـداقة مـن هَـذِهِ الدولـة. أتـذكر أنـني كنـت ذات مـرة جالسًـا في اجتمـاع كبيـر لِطَالِبَـان عنـدما قَـالَ مسـؤول متواضـع المسـتوى للآخـر (هـل سـمعت؟ بحـق الله! لـن يتركونـا، يجـب ألا نُغضـب الشـيخ مـن أجلهـم. لمـاذا نسـود وجوهنـا في الـدنيا والآخـرة؟ مـن الأفضل أن نجتمع جميعًا أي طَالِبَان والقاعدة على عداوة أمريكا).

وقـد صـدرت مثـل هَـذِهِ التصـريحات الأمريكيـة عـبر وسـائل الإعـلام مـراراً وتكـراراً مِمَّـا أثـار الكراهيـة لأمريكـا داخـل صـفوف حركـة طَالِبَـان، وعـزز مـن دعايـة القاعـدة ومنطقهـا. وبعـد أشـهر قليلـة فهـم المُـلَّا عُمَـر أن أسـامة بـن لادن لَـمْ يغـادر أَفَغَانِسْـتَان، فسـأل مَوْلَـوِي متوكـل عمـا يجـب قولـه لوسـائل الإعـلام فيمـا يخـص مكـان تواجـده، فَقَـالَ المُـلَّا عُمَـر (لا نسـتطيع أن نكـذب، فقـد بـات معلومًـا الآن أنـه لَـمْ يغـادر، يمكنـك فقـط أن تقـول إنـه في أَفَغَانِسْـتَان لكننـا لا نعـرف مكانـه). وفي 7 يوليـو صـرح متوكـل بِهَـذَا الكـلام، فاعتقـد العَدِيْـد مـن المشـاهدين أن الصـحفي انتـزع مِنْـهُ هَذَا الخبر.

العقوبات الاقتصادية على أَفَغَانِسْتَان

في 5 يوليو 1999، أعلنت الولايات المتحدة فرض عقوبات اقتصادية على أَفَغَانِسْتَان. وفي 15 أكتوبر، مُنعت شركة الطيران الأَفَغَانِيَّة الوحيدة (أريانا) من الرحلات الجوية الدولية. ورحب التحالف الَّذِي يقوده رباني بالعقوبات الاقتصادية، وكذلك إيران. وطالبت الهند بفرض عقوبات اقتصادية على طَالِبَان وكذلك باكستان. وزيدت هَذِهِ العقوبات تدريجيًا. وفي 6 أكتوبر، اقترحت الولايات المتحدة أن يفرض مجلس الأمن الدولي عقوبات على أَفَغَانِسْتَان. وفي 14 نوفمبر، استجاب مجلس الأمن للمقترح الأمريكي وفرض عقوبات على طَالِبَان.

قَالَ المُلَّا عُمَر في بيان لَهُ حول العقوبات (أسامة مجرد ذريعة للولايات المتحدة إنها كقوة عظمى ترغب في فعل أي شيء تريده. وكما يقول المثل البشتوني: ماء الأقوياء يتدفق إلى أعلى. فالجميع اليوم يدعمون الأقوياء، ونحن ندرك هَذِهِ الحقيقة، والعالم كله يعرف ظلم الولايات المتحدة).

في 4 نوفمبر، نُظمت احتجاجات شعبية في المدن الكبرى بما فِيْهَا العاصمة كابول ضِدّ العقوبات المفروضة على أَفَغَانِسْتَان. وهاجم المتظاهرون مكتب الأمم المتحدة في كابول وحطموا نوافذه. كما أُحرقت أعلام الولايات المتحدة وتماثيل للرئيس كلينتون.

كَانَت هَذِهِ الاحتجاجات شديدة للغاية، وخشينا من خروجها عن نطاق السيطرة. ونظرًا لعدم وجود تغطية إعلامية لَمْ تجد هَذِهِ التحركات صداها في الخارج. وبعد استمرار الاحتجاجات طلب المُلَّا عُمَر من المتظاهرين التوقف، وقَالَ (بيل كلينتون وأصدقاؤه لا يستطيعون إطعامنا، ولا يمكنهم إيقاف الرزق الَّذِي يرزقنا الله إياه، فعلى الأَفَغَان إيقاف هَذِهِ الاحتجاجات).

وحَتَّى بعد توقيع بيل كلينتون على العقوبات، لَمْ يكن العالم يعلم ما إذا تواجد أسامة في أَفَغَانِسْتَان أم غادر بالفعل. وبعد سبعة أيام اعترف مَوْلَوِي متوكل بوجوده. لقد كشفت تحركات كلينتون السريعة إزاء هَذَا الملف أن قضية أسامة لَمْ تعد مهمة لهم حينها، وهو ما أثار

استياء طَالِبَان الَّتِي أدركت أن قضية أسامة ليست المشكلة الفعلية بين الولايات المتحدة وأَفَغَانِسْتَان.

اجتماعي الأول والأخير مع أسامة بن لادن

طلب مني أصدقاء عدة مرات مقابلة أسامة بن لادن لكنني لا أدري لماذا لَمْ يكن لدي هَذَا الاهتمام الكبير لمقابلته رغم أني لَمْ أكن ضِدّ أيديولوجيته ووجهة نظره. وقد التقيت بِهِ بالصدفة لمرة واحدة فقط وصافحته حينها. ففي 15 أبريل 2001 عندما توفي رئيس الوزراء المُلَّا مُحَمَّد رباني أقمنا في منزل المُلَّا مُحَمَّد عُمَر مجلس عزاء لَهُ خاص بالضيوف والمسؤولين، وتوافد الناس للتعزية، وفي الظهيرة اصطحبت بعض الضيوف إلى منزل المُلَّا، وأثناء وقوفي في فناء المنزل وصلت سيارتان نزل من أحدهما رجل نحيل الجسم طويل القامة يرتدي ثوبا أفغانيا طويلاً ومنديلًا عربيًا منقوشًا باللون الأحمر محاطًا بشباب عرب. كَانَت بشرته سمراء ذو شخصية جذابة ووجه كريما وبدا مُتعَبًا خلال المشي والحديث. حينها قدمني لَهُ شخص قصير المرفقين أعرفه باسم أبو حفص الصغير.

ابتسم الشيخ وعانقني ورافقته إلى المُلَّا عُمَر كمضيف. كان المُلَّا عُمَر يجلس في غرفة منفصلة مع مَوْلَوِي مُحَمَّد نبي محمدي فيما جلس المُلَّا عبيد الله بجانب المُلَّا عُمَر. فدخلت الغرفة مع أسامة بن لادن ورفاقه وابنه الصغير. فاستقبلهم المُلَّا عُمَر، ولَمْ يكن يريد دخول ضيوف آخرين إلى الغرفة إلا الشيخ ورجاله ومَوْلَوِي محمدي. وطلب مني إغلاق الباب ففعلت. في البداية قدم الشيخ ومن معه التعازي بِشَكلٍ مشترك، وبعدها قَالَ المُلَّا عُمَر لمحمدي (هَذَا الشخص الجالس إلى جانبي هو المُلَّا عبيد الله أخوند وزير الدفاع وصديقنا الأكبر). ففهمت من هَذَا الكلام أن المُلَّا عبيد الله سيعيَّن مكان المُلَّا رباني لكن تصوري لَمْ يكن صحيحًا حَيْثُ قام المُلَّا عبد الكبير بمهام المُلَّا رباني الرسمية وانضم إِلَيْهِ لَاحِقًا المُلَّا مُحَمَّد حسن كنائب ثان.

نظر المُلَّا عُمَر إلى الشيخ أسامة بن لادن وقَالَ (تعرفه؟ فنظر إِلَيْهِ مُحَمَّد بلطف وقَالَ لَهُ باللغة العربية "خادم المسلمين" و"المجاهد الكبير"، ليظهر لَهُ تعاطفه معه. فابتسم الشيخ قائلاً جزاكم الله خيرًا).

في هَذِهِ الأثناء تذكرت رسالة عمرها ثلاث سنوات أرسلها محمدي إلى المُلَّا عُمَر عبر مستشاره مُحَمَّد سعيد هاشمي بشأن تسليم أسامة بن لادن، قرأتها بِشَكلٍ غير متوقع عندما كان هاشمي مرة ضيفًا في دار الضيافة في قندهار. حينها ذهبت إلى الغرفة لمقابلته لكنه كان في الحمام فوقعت عيني على ثلاثة أوراق ملقاة على الفراش، وفي الصفحة الأولى كتب محمدي لِلْمُلَّا عُمَر (الحكومة السعودية عزيزة على الخالق ومخلوقاته، ويجب معاقبة أي شخص موجود في أَفَغَانِسْتَان متورط في أنشطة ضِدّ المملكة العربية السعودية وتسليمه إِلَيْهَا). وفي الصفحة الثانية كتب ترجمة عربية لكلامه في الصفحة الأولى، وفي الصفحة الثالثة قرأت بالعربية خطابًا من محمدي إلى الملك السعودي يطلب مِنْهُ مساعدة مالية قائلا: نحن أي آل محمدي نواجه مشاكل مالية. ويبدو أنه أرسل الرسالة الأصلية إلى مكتب المُلَّا عُمَر أما هَذِهِ فكَانَت نسخًا سيأخذها معه لإرسالها إلى المسؤولين السعوديين.

غادرت الغرفة قبل أن يخرج هاشمي من الحمام ولَمْ يعلم بوجودي هناك ولا أني قرأت الرسالة. وبعد أيام قليلة حدثت صديقي مُحَمَّد حسين مستعد بما حصل، فسألني لماذا لَمْ آخذ هَذِهِ النسخ معي؟ لكني رأيت أنها لو أوراق سرية فلن أقرأها أبدًا، ولو أخذتها فسأكون قد تجاوزت حدودي.

خط أنابيب الغاز من تركمانستان والشركات العالمية

بعد هزيمة الاتحاد السوفياتي وانسحابه من أَفَغَانِسْتَان حصلت بعض جمهوريات آسيا الوسطى الَّتِي كَانَت جزءًا من الاتحاد السوفيتي السابق على استقلالها. وخططت دول المنطقة والشركات الغربية الكبرى مسبقًا للتجارة مع هَذِهِ الجمهوريات وتصدير مواردها الطبيعية عبر المحيط الهندي. وهكذا بعد تفكك الاتحاد السوفياتي عام 1991 ظل مشروع تصدير الغاز

التركمـاني قيـد التخطـيط. فيمـا لَـمْ يرغـب الـروس أبـدًا في انفـراد الشـركات الغربيـة بِهَـذَا المشـروع دون حضورهم. ومن جهة أخرى كَانَت إيران منافسًا جيدًا.

في 14 أبريـل 1992، سـقطت حكومـة نجيـب وقُسـمت الـبلاد، وكـان حكـام هيـرات وقنـدهار إسـماعيل خـان وجـل آغـا شـيرزاي، متعاقـدين مـع باكسـتان علـى اسـتيراد وتصـدير البضـائع عـبر ولايتيهمـا إلـى تورغـوندي. لكـن هَـذِهِ القوافـل لَـمْ تصـل حَتَّـى إلـى مدينـة قنـدهار بسـبب الأوضـاع الأمنيـة المتـدهورة في المنطقـة. وعجـز كلاهمـا عـن ضـبط صـغار القـادة الَّـذِينَ سـرقوا القوافـل باستمرار.

لكـن بعـد سـيطرة طَالِبَـان علـى منـاطق الجَنُـوب الغربـي أصـيبت دول المنطقـة بخيبـة أمـل وتوقفـت حركـة التجـارة تمامًـا. وبعـد بضـعة أشـهر مـن سـيطرة طَالِبَـان علـى كـابول عُقـدت اجتماعـات ثلاثيـة حـول هَـذَا المشـروع. طـور المجتمعـون في تركمانسـتان وباكسـتان وأمريكـا الشـمالية والجنوبيـة الخطـط الفنيـة والماليـة للمشـروع، ولكـن دون أي اتفـاق موثـق حَتَّـى تِلْـكَ اللحظـة. وبـدأت شـركة بريـداس الأرجنتينيـة حينهـا بقليـل مـن التصـدير وبـبعض الأنشـطة الاستكشـافية. وأشـار المسـح الفضـائي والفنـي للمنطقـة بمـا فِيْهَـا أَفَغَانِسْـتَان إلـى وجـود مـوارد طبيعيـة مـن الـنفط والغـاز خاصـة. وكـان هَـذَا سـبب وصـول صـراعات الـدول الكـبرى إلـى تِلْـكَ المنطقة، ولذا بذلوا جهودًا سريعة لتحقيق أهدافهم.

مـن ناحيـة أخـرى أرادت دولـة تركمانسـتان المسـتقلة حـديثًا اسـتخدام مواردهـا الطبيعيـة بِشَـكلٍ مسـتقل بعيـدًا عـن النفـوذ الروسـي فبحثـت عـن سـوق دوليـة لِهَـذِهِ المـوارد. لكـن روسـيا أرادت اسـتخدام خطـوط الأنابيـب الموجـودة بـالقرب مـن داغسـتان والشيشـان لنقـل غـاز تركمانسـتان بِحَيْـثُ يُنقـل الغـاز إلـى أوروبـا عـبر روسـيا مِمَّـا يجعـل مِنْهَـا طريـق عبـور للغـاز التركماني.

وفي مطلـع التسـعينيات نجـح كـارلوس بـولغيروني رئـيس شـركة بريـداس الأرجنتينيـة في إبـرام اتفـاق مـع رئـيس تركمانسـتان مـراد نيـازوف للتنقيـب عـن الـنفط والغـاز، وبـدأ عملـه. لكـن الشـركة لَـمْ تكـن قويـة ماليـًا بمـا فِيْـهِ الكفايـة، ولـذا أُدرج السـعوديون كشـركاء. احتاجـت الشـركة إلـى دعـم مـالي مـن السـعوديين لكنهـا لَـمْ توقـع أي اتفـاق بشـأن خـط أنابيـب الغـاز فيمـا ظلـت المُفَاوَضَـات

جارية. وأكد رئيس المخابرات السعودية تركي الفيصل لتركمانستان وبريداس أنه سيستخدم نفوذه لدى حكومتي أَفَغَانِسْتَان وباكستان لتمديد خط الأنابيب.

في عهد حكومة المجاهدين بذلت باكستان والسعودية جهودًا في هَذَا الإطار لكن الحرب الأهلية المستعرة وظروف العمل لَمْ تسمح بالتخطيط لتمديد خط الأنابيب. وفي نهاية عام 1994 ظهرت طَالِبَان في الجَنُوب، وفي العام التالي استولت على العَدِيْد من المناطق. كان لبريداس تواصل مع طَالِبَان ورباني ودوستم. وفي الوقت نفسه بدأت شركة يونكال الأمريكية (يونيون أويل أوف كاليفورنيا) مفاوضات مع تركمانستان.

في منتصف عام 1995، زار مارتي ميلر رئيس يونكال تركمانستان والتقى بالرئيس نيازوف بمساعدة السفارة الأمريكية في عشق أباد وأقنعه بإلغاء الاتفاقية مع بريداس. مثلت هَذِهِ الاتفاقية وفقًا لميلر خسارة لتركمانستان حَيْثُ ستحصل شركة بريداس على 75٪ من الأرباح فيما ستدفع 25٪ مِنْهَا فقط إلى تركمانستان. تشبه تِلْكَ الاتفاقية ما سبق أن وقعته الولايات المتحدة مع السعودية خلال النصف الأول من القرن العشرين بخصوص صادرات النفط. وقد نصح ميللر الرئيس نيازوف برفع دعوى ضِدّ بريداس في محكمة نزاعات الموارد الطبيعية في تكساس إذا لَمْ تتراجع عن الاتفاقية فالقضاة هناك موظفون أمريكيون وسيتخذون قرارًا لصالحه على أن تسدد (يونكال) نفقات بريداس إذا ما طالبت بهَا.

من جهة أخرى أقنعت يونكال باكستان بدعمها عبر تقديم حصة أكبر من الأرباح. ففي نهاية عام 1996، وبعد سيطرة طَالِبَان على كابول عُقدت مفاوضات مباشرة معها حول هَذَا الموضوع، وأكدت طَالِبَان أنها كدولة عبور ستدعم كُلّ من يعطي أَفَغَانِسْتَان نسبة جيدة من الأرباح خاصة وأن تركمانستان ودولًا مهمة موافقة على ذَلِكَ.

وفي 4 مايو 1997، توصل رئيس بريداس إلى اتفاق مع حكومة طَالِبَان حول استيراد غاز تركمانستان عبر أَفَغَانِسْتَان يقضي بأن يُمد خط أنابيب للغاز الطبيعي من تركمانستان بقيمة 2.5 مليون دولار بطول 1200 كيلومتر لكن الاتفاقية لَمْ توقع حينها حَيْثُ تنافست شركتا "دلتا" السعودية ويونكال الأمريكية مع بريداس حول هَذَا المشروع.

بعد عشرة أيام عقد اجتماع في 14 مايو لدول منظمة التعاون الاقتصادي شمل الدول الأعضاء: تركمانستان وكازاخستان وأوزبكستان وتركيا وإيران وباكستان وقيرغيزستان وطاجيكستان وأذربيجان وأَفَغَانِسْتَان. وأعلن خلال الاجتماع عن خمس عشرة نقطة متفق عَلَيْهَا بما في ذَلِكَ خط القطار والسكك الحديدية بين الدول الأعضاء وتعبيد الطرق وخط أنابيب الغاز والنفط من عشق أباد إلى إيران وباكستان، واستيراد الكهرباء والتبادل التجاري بين الدول الأعضاء.

ذكرت وسائل الإعلام الأمريكية في 15 مايو أن باكستان وتركمانستان وقعتا اتفاقية خط أنابيب غاز مع دلتا ويونكال. وبموجب الاتفاقية ستصدر تركمانستان 20 مليار متر مكعب من الغاز إلى باكستان لتصل إلى 40 مليار متر مكعب بحلول عام 2002. وقد عرضت الولايات المتحدة على طَالِبَان عبر باكستان تسليم مشروع خط أنابيب الغاز إلى يونكال.

تصاعدت المنافسة بين الدول والشركات الأخرى. وفي 22 يوليو التقى ممثلو يونكال ودلتا بممثلين عن تحالف الشَّمَال في مزار الشريف لكسب دعمهم على طول طريق خط الأنابيب عبر الشَّمَال، فأعلنوا دعمهم للمشروع ورحبوا بحرارة بممثلي الشركات الَّذِينَ استقبلتهم فتيات يضعن مستحضرات تجميل. وبعدها بيوم عُقد اجتماع بين ممثلين عن باكستان وأَفَغَانِسْتَان وتركمانستان بشأن مسار خط أنابيب الغاز، وكان من بين المشاركين وزير المناجم المُلَّا أحمد جان ووزير النقل البَاكِسْتَانِيّ ووزير النفط والغاز التركمانستاني. وفي 28 أغسطس قالت الحكومة الأَفَغَانِيَّة إنها ستوقع قريبًا اتفاقية مع شركة بريداس لمشروع خط أنابيب الغاز في تركمانستان.

في ذَلِكَ الوقت سافر المُلَّا أحمد جان إلى الأرجنتين ومن هناك إلى السعودية، وخلال اجتماعه مع مسؤولين سعوديين أشار عَلَيْهِ مسؤول رفيع المستوى في المخابرات السعودية بأن يوقع الاتفاقية مع شركة بريداس لأن يونكال أرادت تأخير العمل على عكس بريداس. كما أخبره بأن أمريكا قوة عظمى، وإذا وقعت طَالِبَان على اتفاقية مع يونكال فستجبرها على القبول بِكُلِّ الشروط، ولن تكون شريكًا مستقلًا. واستشهد المسؤول حينها بالسعودية كمثال حَيْثُ أنها لا تستطيع التصرف فيما يتعلق باتفاقيات النفط دون موافقة أمريكا.

وزار قـادة طَالِبَـان تركمانسـتان وباكسـتان وعقـدوا اجتماعـات مـع شـركات أجنبيـة. وكَانَـت المنافسـة بـين بريـداس ويونكـال عائقًـا أمـام بـدء العمـل. أرادت تركمانسـتان العمـل مـع يونكـال علـى غـرار باكسـتان فيمـا لَـمْ تكـن أَفْغَانِسْـتَان قـادرة علـى فعـل أي شـيء دون موافقـة هَـذِهِ الـدول لأنها كَانَت فقط شريكًا في هَذَا المشروع.

يقـول المُـلَّا أحمـد جـان إن مـا قالـه المسـؤول السـعودي بـأن يونكـال أرادت تـأخير العمـل كـان صـحيحًا. ووفقًـا لَـهُ كَانَـت يونكـال أكثـر مـن مشـروع اسـتخباراتي فقـد أرادت أن تصـبح مـوارد الـنفط والغـاز الطبيعـي في تركمانسـتان تحـت النفـوذ الأمريكـي، ومـن ناحيـة أخـرى أرادت إيقـاف تمديـد خـط الأنابيـب خـلال حكـم طَالِبَـان، لـذا اسـتمرت يونكـال بالمنافسـة حَتَّـى أخرجـت بريـداس مـن المشروع وأغلقت مكاتبها في أَفْغَانِسْتَان.

عنـدما تقـدمت يونكـال كعضـو في تحـالف دعمتهـا تركمانسـتان، وفـازت تركمانسـتان حينهـا بقضـيتها ضِـدّ شـركة بريـداس في تكسـاس بـدعم مـن يونكـال وأبعـدتها مـن المنافسـة. حَتَّـى أن تأشيرات تركمانستان الممنوحة لممثلي بريداس أوقفت لبعض الوقت.

في 23 أكتـوبر 1997، توجـه وزيـر الصـناعة والمنـاجم المُـلَّا أحمـد جـان إلـى عشـق أبـاد في تركمانسـتان بطـائرة مروحيـة عـبر حـدود هيـرات برفقـة وزيـر خارجيـة تركمانسـتان الشـيخ مـرادوف، ودعـا الحكومـة الأَفْغَانِيَّـة للعمـل مـع هَـذَا التحـالف الجديـد، ووافقـت الحكومـة علـى ذَلِـكَ إذ لَـمْ يكن لديها خيار آخر.

وأعلنـت تركمانسـتان في 25 أكتـوبر عـن اتفاقيـة مـع هَـذَا التحـالف الَّـذِي ضـم شـركات يونكـال الأمريكيـة وهيونـداي الكوريـة الجنوبيـة وهونـدا اليابانيـة ودلتـا السـعودية بالإضـافة إلـى حصـة 10٪ لشـركة غـازبروم الروسـية، لكـن الـروس نفـوا أن يكونـوا جـزءًا مـن الاتفاقيـة. ونصـت البنـود علـى أن يمـر خـط أنابيـب الغـاز أولاً عـبر مدينـة ملتـان البَاكِسْـتَانِيَّة ثُـمَّ إلـى الهنـد، وقـد وافقـت الولايـات المتحدة وباكستان أيضًا على هَذَا الاتفاق الجديد.

في ديسـمبر مـن ذَلِـكَ العـام زار المُـلَّا أحمـد جـان هيوسـتن أكـبر مـدن ولايـة تكسـاس الأمريكيـة بنـاءً علـى دعـوة مـن رئـيس يونكـال. وبعـد اجتمـاع طويـل ذهبـا معًـا إلـى فرنسـا حَيْـثُ أجريـا مناقشـات

حـول المشـروع مـع شـركة توتـال الفرنسـية الَّتِـي لَـمْ تظهـر أي اهتمـام بالتنـافس مـع يونكـال وبريداس.

لـو وُقّعـت تِلْـكَ الاتفاقيـة لأفـادت أَفَغَانِسْـتَان بِشَـكلٍ كبيـر. وبحسـب مصـادر في وزارة المنـاجم والصناعة نصت بعض بنود الاتفاقية على التالي:

1. يكـون جميـع عمـال هَـذَا المشـروع الكبيـر مـن الأَفَغَـان باسـتثناء الطـاقم المخـتص، وسيؤمن فرص عمل لنحو ستين ألف شخص.

2. سـيكون خـط أنابيـب الغـاز ملكًـا للشـركة المنفـذة لمـدة ثلاثـين عامًـا، وستتقاضـى أَفَغَانِسْتَان رسوم عبور لِكُلِّ متر مكعب بنحو ثلاثمئة وخمسون مليون دولار سنويًا.

3. يمكـن لأفغانسـتان تصـدير غازهـا عـبر هَـذَا الخـط، وسـيكون الخـط ملكـًا لأفغانسـتان بعـد ثلاثين عامًا.

4. سـيُوفَّر الغـاز لجميـع القـرى الواقعـة ضـمن نطـاق دائـرة قطرهـا ثلاثـون كيلـومترًا مـن خـط الأنابيب، وستُركب توربينات لتوليد الطاقة عند اللزوم مع توفيرها للمناطق المجاورة.

5. سيوصـل خـط أنابيـب شـبرغان بخـط الأنابيـب الرئيسـي، وسيصـل الغـاز الـداخل لخـط الأنابيب الفرعي إلى أطراف قندهار ليُوزع إلى مدن أخرى.

6. ستسـاعد أطـراف العقـد أَفَغَانِسْـتَان علـى إعـادة تأهيـل وتنظيـف آبـار البـترول والـنفط وإصلاح مصفاة الغاز في شبرغان، وفي تدشين عشرات المشاريع التنموية العامة المماثلة.

قبـل توقيـع الاتفاقيـة مـع أَفَغَانِسْـتَان افتتحـت يونكـال مكاتـب لَهَـا في قنـدهار وكـابول مطلـع عـام 1998، وبدأت في التخطيط لتنفيذ المشروع.

لكـن دعـم الحكومـة الأَفَغَانِيَّـة ليونكـال تراجـع مـع بدايـة الصـراع مـع الولايـات المتحـدة حـول أسـامة بـن لادن. كـان لِهَـذِهِ الشـركة بـلا شـك الكثيـر مـن العمـلاء الأَفَغَـان المنتسـبين إلـى وكالـة المخـابرات المركزيـة CIA مـن الَّـذِينَ عُينـوا في مناصـب رئيسـية بعـد الغـزو الأمريكـي لأفغانسـتان بمـن فـيهم رئـيس المحكمـة العليـا السـابق عبـد السَّـلَام عظيمـي وزلمـاي خليـل زاد وحامـد كـرزاي

ووزير المناجم في نظام كرزاي المهندس مُحَمَّد صديق. عمل هَؤُلَاءِ الأَفغان كموظفين رسميين في شركتي عظيمي وصديق، فيما عمل آخرون كمستشارين.

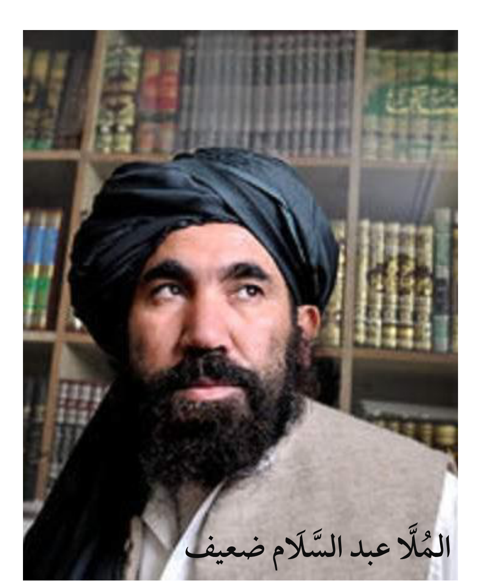
تكشف وثائق الـ CIA أن موظفي يونكال قدموا لَهَا عام 1997 معلومات عن أسامة بن لادن في قندهار. ومن ثُمَّ فإن أهداف وغايات هَذِهِ الشركة تجعلها أكثر ريبة[1]. وأخيرًا في أغسطس 1998 عندما قصفت أمريكا أَفَغَانِسْتَان بصواريخ كروز أعلنت يونكال رسميًا تأخير تمديد خط الأنابيب، وبعد إعلان الولايات المتحدة فرض عقوبات على أَفَغَانِسْتَان أغلقت يونكال مكاتبها في البلاد.

اضطرت الأطراف المعنية حينها للاتصال ببريداس مرة أخرى بعد أن رفعت دعوى ضِدّ يونكال في المحكمة الدولية، لكنها أدينت قبل ذَلِكَ في محكمة أخرى في تكساس لصالح يونكال الَّتِي عملت عبر تركمانستان.

في أبريل 1999، عُقد اجتماع في إسلام أباد بين المُلَّا أحمد جان ووزير النفط والموارد الطبيعية البَاكِسْتَانِيّ شودري نزار علي خان ونائب الرئيس التركمانستاني حَيْثُ ناقش المجتمعون اتفاقية خط أنابيب الغاز منذ بدايتها. وفي سبتمبر 1999 علم المُلَّا أحمد جان بعقد محتمل بين باكستان وتركمانستان مع شركة صينية ستتولى المشروع بدلاً من بريداس ويونكال. وجرت مناقشات مماثلة مع شركة بتروناس الماليزية لكن كُلّ شيء توقف في نوفمبر إثر العقوبات الَّتِي فرضها مجلس الأمن الدولي.

يعتقد المُلَّا عبد السَّلَام ضعيف نائب وزير الصناعة والمناجم أن الاتفاق مع يونكال لَمْ يكن السبب الرئيسي لعقوبات الأمم المتحدة. ففي مقال كتبه عام 2016 عن مشروع نقل الغاز قَالَ:

1 - المؤلف: بحسب ما ورد في كتاب "حروب الأشباح" لستيف كول.


المُلّا عبد السَّلَام ضعيف

(عنـدما كنـت نائبـًا لـوزير الصــناعة والمنــاجم عــام 1999 عقـدنا اجتماعًـا حـول هَـذَا المشـروع في عشـق أبـاد. التقينـا علـى مـدى ثلاثـة أيـام بممثلـي الـدول والشـركات المهتمـة. كمـا سـافرت مـن أجـل هَـذَا المشـروع في وقـت سـابق أيضًـا، وسـافر العَدِيْـد مـن الأشـخاص الآخـرين وأجـروا مباحثـات مماثلـة. وكـان الاجتمـاع الأخيـر عـام 1999، ففـي اليـوم الثـاني تباحثنـا كثيـراً حـول دور يونكـال. وأصـرت باكسـتان علـى أن تقـوم الشـركة بتنفيـذ المشـروع، فيمـا لَـمْ تهـتم تركمانسـتان وفضـلت بريـداس عَلَيْهَـا. في البدايـة أيـدنا وجهـة نظـر باكسـتان. وفي المسـاء دعانـا نيـازوف إلـى العشـاء خصيصًـا، وذكّرنـا بإحسـان الأَفْغَـان وأخبرنـا بثلاثـة نقـاط رئيسـية أوضـح أنـه لَـمْ يكـن قـادرًا علـى البـوح بهَـا في الاجتماع، فَقَالَ:

1. نحـن مـدينون باسـتقلال بلـدنا للشـعب الأَفْغَـانِيّ، ولـن نسـتطيع سـداد هَـذَا الـدين، لكنـي سأهدي الأَفْغَان هديتين: أولًا، سنزود بعض المناطق الأَفْغَانِيَّة بالكهرباء.

2. ثانيـا: بغض النظـر عـن المـدة الَّتِي سـيتأخر فِيْهَـا مشـروع خـط الغـاز إلا أنـه في نهايـة المطـاف سينُفذ عبر أَفْغَانِسْتَان، وإن لَمْ ترغب بعض الدول في ذَلِك.

3. سـواء أدركـت حساسـية موقفنـا أم لا لكننـا نـدرك تمامًـا أننـا دولـة صـغيرة لا حـول لَهَـا ولا قـوة ومـا زلنـا تحـت تـأثير الـروس، وهـم لا يريـدون أبـدًا دخـول الأمـريكيين إلـى هَـذِهِ المنطقـة. فـإذا فضـلت يونكـال كمـا فعلـت باكسـتان فمـن المفيـد لنـا أن يتـأخر هَـذَا المشـروع قلـيلًا، فالبقـاء والأمـن هما أولويتنا الوطنية.

في اليـوم التـالي أكـدنا علـى توصـية تركمانسـتان، ووقعنـا مـذكرة تفـاهم مـع بريـداس مِمَّـا أثـار غضب الأمريكيين.

انحـازت الولايـات المتحـدة لصـالح شـركة واحـدة، مـا يُعتـبر برأيـي تفكيـرًا سـطحيًا ومحـدودًا للغايـة. لا شـك بـأن المـوارد الطبيعيـة الَّتِـي تختزنهـا آسـيا الوسـطى كَانَـت ولا تـزال هـدفًا للولايـات المتحـدة، بالإضـافة إلـى أهـداف أخـرى لَهَـا في المنطقـة بينمـا مثلـت حكومـة طَالِبَـان ونظامهـا وهيكلهـا الـديني الصـارم عائقًـا أمامهـا. واعتـبرت الولايـات المتحـدة انتصـار المجاهـدين في أَفَغَانِسْـتَان انتصـارًا لَهَـا، وهزيمـة كـبرى للـروس. وقـد سـهّل الصـراع الَّـذِي دار بـين المجاهـدين الأمـور علـى الولايـات المتحـدة لكـن الـدور الكبيـر الَّـذِي لعبتـه طَالِبَـان، وكراهيتهـا للولايـات المتحـدة وتجاهلهـا للغـرب أصـبح كابوسًـا لا يطـاق بالنسـبة لهـم بـالرغم مـن أن طَالِبَـان لَـمْ تكـن لديها نية للعداء مع الولايات المتحدة لكنها لَمْ توافق أبدًا على الاستسلام.

العلاقاتُ الثنائيةُ والصراعاتُ مع دولِ الجوارِ والمنطقةِ

الصراع والدبلوماسية مع إيران[1]

ارتابت إيران من ظهور حركة طَالِبَان منذ البداية، ومع اندلاع الاشتباكات في مدينة غزنة بين ميليشيات حزب الوحدة المدعومة من إيران وقوات طَالِبَان، وبعد مقتل زعيم حزب الوحدة عبد العلي مزاري، اعتبرت إيران طَالِبَان عدواً لَهَا.

دعمت إيران حكمتيار وقوات التحالف الشمالي علانية ضِدّ طَالِبَان، وقدمت دعمًا سياسيًا وماليًا وعسكريًا لمسعود ودوستم وحزب الوحدة. وبعد سيطرة طَالِبَان على كابول طلب حكمتيار وأفراد أسرته اللجوء في إيران، وأخذوا يطلقون الفتاوى والاتهامات عبر الإذاعات الإيرانية ضِدّ الحَرَكَة.

وبعد السيطرة على هرات، أرسلت طَالِبَان العَدِيْد من الوفود إلى إيران لكنها لَمْ تستطع إقامة علاقة معها بالرغم من اتفاقهما على بعض النقاط. أرادت طَالِبَان علاقة جيدة مع إيران لكن الأخيرة نظرت بِشَكلٍ سلبي للحركة، فدعمت ميليشيات الهزارة ضدها. وبالرغم من أنها لَمْ تعترف بحكومة طَالِبَان إلا أنها لَمْ تغلق قنصلياتها في هيرات وننجرهار ومزار الشريف.

لا زالت حادثة مقتل موظفي القنصلية الإيرانية الأحد عشر الَّذِينَ عُثر على جثثهم مرمية بحفرة في 10 سبتمبر تشكل لغزًا لِطَالِبَان حَتَّى يومنا هَذَا. كان الحدث خطيرًا بالنسبة لِلْمُلَّا عُمَر. وبعد عدة تحقيقات لَمْ يثبت تورط طَالِبَان في ذَلِكَ. وقد يكون المتورطون خافوا بسبب حساسية الموضوع. وتقول بعض المصادر إن الأمر مخطط لَهُ من قبل إيران. وباختصار لا يمكن تأكيد أو استبعاد أي احتمال متعلق بِهَذَا الحادث. وفي كلمة لَهُ بُثت عبر الإذاعة هدد المُلَّا عُمَر المتورطين بالحادث تهديدًا شديدًا. وعلمت حينها أنه صُدم لمجرد سماعه بالخبر، وأكد أنه لن يسامح المتورطين إذا قُبض عليهم، وكان جادًا فيما قاله.

1 – وردت هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية فقط.

لَمْ تهدد إيران بشن هجوم عسكري على طَالِبَان فحسب بل حشدت جيشها أيضًا على حدود نيمروز وهرات. ودخلت مقاتلاتها ومروحياتها الحربية مجالنا الجوي عدة مرات ولكن بسبب حساسية الموقف لَمْ يسمح المُلَّا عُمَر بمهاجمتها. ومع ذَلِكَ أصدر أوامره بالتصدي لأي هجوم يستهدف أراضينا. كما قدمت بعض المنظمات الأمريكية معلومات تفيد بأن إيران تنوي مهاجمتنا، فأرسلت طَالِبَان قواتها إلى الحدود مزودة بأسلحة ثقيلة ودبابات مدرعة.

أرادت إيران كغيرها إيقاف تقدم طَالِبَان نحو قوات حزب الوحدة المهزومة والتخفيف من ضغطها العَسْكَرِيّ عَلَيْهِ وعلى قوات مسعود من خلال الاشتباك مع الحَرَكَة على عدة جبهات. إزاء ذَلِكَ طلب المُلَّا عُمَر عبر وزارة الخارجية تدخل الأمم المتحدة. ولرفع الروح المعنوية لقوات الحَرَكَة وتوجيه رسالة إلى إيران أدلى بتصريحات قاسية نشرتها وسائل الإعلام. خاطب المُلَّا عُمَر إيران في تصريحاته قائلًا (إن الإخوة الإيرانيين لا يعاملوننا كمسلمين، وإذا هاجمت إيران قواتنا فسندخل بعمق ثلاثين كيلومترًا داخل الأراضي الإيرانية). وبناء على طلب رسمي من طَالِبَان زار المبعوث الخاص للأمم المتحدة الأخضر الإبراهيمي إيران ثُمَّ أَفْغَانِسْتَان، وحضرت لقائه مع المُلَّا عُمَر.

دور الأمم المتحدة في الحرب المحتملة بين إيران وطَالِبَان

في يوم 4 أكتوبر الساعة 9 صباحًا جاء الأخضر الإبراهيمي ورئيس منظمة المؤتمر الإِسْلَامِيّ إلى قندهار على متن طائرة تابعة للأمم المتحدة وبرفقتهم بعض الأجانب. في البداية نُقل الوفد برئاسة الإبراهيمي إلى مقبرة لآلاف من عناصر طَالِبَان الَّذِينَ قتلوا على يد الجنرال عبد المالك قبل أن ينتقل الوفد إلى مدينة قندهار. كان الإبراهيمي شديد الدقة والمهارة فبدأ النقاش بذكاء مع مراعاة مزاج المُلَّا عُمَر. تحدث بداية عن ثقافة أَفْغَانِسْتَان وتقاليدها، وبعد الحديث عن قضايا المخدرات وصل إلى الموضوع الرئيسي المتعلق بالتوتر بيننا وبين إيران.

سارت الاجتماعات على ما يرام، وظل ممثل منظمة المؤتمر الإِسْلَامِيّ إبراهيم بكر[1] جالسًا بهدوء حَتَّى النهاية. عندما دخل المُلَّا عُمَر قاعة الاجتماعات بدأ بكر يرتجف، فاعتقدت أنه ظن أن المُلَّا عُمَر سيخاطبه بقسوة كما حصل مع تركي الفيصل. وسبب هَذَا الظن أن الفيصل كان يقول (إن المُلَّا عُمَر لا يحب الحكام العرب). وهَذَا غير صحيح، فقضية تركي الفيصل كَانَت حساسة ومختلفة جدًا. وبعد الظهر عاد الإبراهيمي وبكر إلى إسلام آباد، وأعلنا في مؤتمر صحفي أن اللقاء مع المُلَّا عُمَر كان إيجابيًا ومفيدًا. وقَالَ البكر في المؤتمر الصحفي للبي بي سي (أنا ممتن لِلْمُلَّا عُمَر على كرم الضيافة. كان لقائي الأول معه جيدًا وناجحًا. وقطعنا شوطًا في تقليص الخلاف بين أَفَغَانِسْتَان وإيران. كما زرت للمرة الأولى المقبرة الَّتِي دُفن فِيْهَا مقاتلو طَالِبَان الَّذِينَ قتلوا في مزار الشريف، وما زال دفنهم جاريًا حَتَّى الآن، ولن أنسى ما رأيته هناك. هَذِهِ الملاحظات تحفزنا على بذل الجهود لإنهاء الحروب في هَذَا البلد، لبناء صداقة وتعاون بين جميع من يعيشون في المنطقة).

تطبيع العلاقات مع إيران

بحلول نهاية عام 1998 أصبحت العلاقة مع إيران تتسم بالعداء خاصة بعد سيطرتنا على مزار الشريف ومقتل 11 إيرانيًا فِيْهَا مِمَّا أدى إلى حشد متبادل للقوات على حدود البلدين. أثناء السيطرة على باميان ومزار استولت طَالِبَان من حزب الوحدة على أسلحة إيرانية قدمتها طهران دعمًا لَهُ.

وبعد السيطرة على باميان انضم بعض قادة الهزارة بمن فيهم أكبري إلى صفوف طَالِبَان. وكُلفوا رسميًا بوظائف في باميان ومناطق أخرى. شجعت المواقف الأمريكية الأخيرة إيران على الوثوق أكثر بطَالِبَان في مواجهة الولايات المتحدة كما فهموا أن قتل المواطنين الإيرانيين في هرات لَمْ يكن متعمدًا ولا مخططًا لَهُ من قبل قيادة طَالِبَان.

1 – ابراهيم بكر هو دبلوماسي سعودي شغل منصب الأمين العام المساعد للشؤون السياسية والأقليات المسلمة بمنظمة التعاون الإِسْلَامِيّ منذ عام 1994 حَتَّى وفاته عام 2014

خـلال فـترة العقوبـات علـى حكومـة طَالِبَـان فتحـت إيـران حـدودها أمـام المـواد الغذائيـة والسـلع المهمـة الأخـرى. وعنـدما عُـين مَوْلَـوِي وكيـل أحمـد متوكـل وزيـراً للخارجيـة ركـز علـى تحسـين هَـذِهِ العلاقـات بـالرغم مـن وجـود معارضـين لَهَـا في صـفوف الحَرَكَـة. وتبـادل الطرفـان الوفـود لبحـث قضـية نهـر هلمنـد كمـا أنجـزت هَـذِهِ الزيـارات الدبلوماسـية بعـض الاتفاقيـات الاستخباراتية. وظلت هَذِهِ العلاقات الطيبة مع إيران سارية حَتَّى سقوط حكومة طَالِبَان.

تفجير دموي قرب منزل المُلَّا عُمَر

بعـد ظهـر يـوم 24 أغسـطس 1999، وأثنـاء وقـوفي بـالقرب مـن البـاب الرئيسـي لشـقتي رأيـت المسـؤول الأمنـي للمنطقـة السادسـة بخـت مُحَمَّـد في سـيارته، وأردت أن أسـأله بعـض الأسـئلة. فسـألته عـن وجهتـه، فأجـاب بـأن حـراس المُـلَّا عُمَـر أبلغـوه للتـو أن شخصًـا أوقـف سـيارة علـى الطريـق العـام قـرب منـزل المُـلَّا وتركهـا خاليـة مـن الركـاب، وأنـه ذاهـب لتفقـدها ومتابعـة الأمـر عـن قرب.

في مسـاء ذَلِـكَ اليـوم أثنـاء ذهـابي إلـى بيـت الضـيافة الإقليمـي بجـوار منـزل المُـلَّا عُمَـر أي علـى بعـد حـوالي كيلـومتر واحـد مـن المكتـب، هـز انفجـار المدينـة بأكملهـا. وعلـى الفـور تـذكرت العقوبـات الأمريكيـة وظننتـه قصـفًا أمريكيًـا بصـواريخ كـروز يسـتهدف المُـلَّا عُمَـر أو غـارة جويـة. وفي اليـوم نفسـه شـوهدت طـائرات مجهولـة تحلـق علـى الحـدود الأَفَغَانِيَّـة البَاكِسْـتَانِيَّة. وتبـادر الأمـر أيضـا لأذهـان بعـض المسـؤولين لكـن الأخبـار الأهـم كَانَـت تتعلـق بحيـاة المُـلَّا عُمَـر ووفاتـه فنسـينا كُـلّ شـيء، وانتظـرت بضـع دقـائق لأتأكـد مـا إذا كـان الهـدف مـن المفخخـة أو الصـاروخ منـزل المُـلَّا عُمَـر أو هـدف آخـر. وصـاح الجميـع علـى موجـة الاتصـال اللاسـلكي يسـألون عـن حيـاة المُـلَّا عُمَـر. وفجـأة صـاح المُـلَّا إننـي علـى قيـد الحيـاة، لكـن بعـض الأصـدقاء وأفـراد الأسـرة الآخرين دُفنوا تحت الأنقاض.

بعـد أن صـليت ركعتـي شـكر لله عـز وجـل اتجهنـا جميعًـا نحـو مكـان التفجيـر. فنقلنـا أفـراد الأسـرة إلـى مكـان آمـن. وبقيـت أنظارنـا تراقـب السـماء إذ لَـمْ يكـن لـدينا بعـد أي فكـرة عمـا إذا كـان هجومًـا جويـا أم غيـر ذَلِـكَ. أسـفر التفجيـر عـن مقتـل وجـرح العَدِيْـد مـن الأشـخاص ولَـمْ يـنجُ أحـد

ممن كانوا قرب الباب الرئيسي الأمر الَّذِي أعطى على الفور فكرة عن طبيعة الانفجار. استشهد أكثر من عشرة من رفاق المُلَّا عُمَر المقربين مِنْهُ منذ أيام الجِهَاد وشقيقاه المُلَّا عبد الخالق وعبد السَّلَام وأصيبت إحدى زوجاته بجروح خطيرة. فيما لَمْ تتأثر غرفة جلوسه كثيرًا بالتفجير لوجود الجدران، ونجا معظم أفراد عائلته، لكن وفاة رفاقه المقربين أحزنته كثيرًا لدرجة أنه لَمْ يستطع نسيان هَذِهِ الحادثة.

عند وصولنا إلى المكان رأيت رئيس الاستخبارات واقفًا هناك ومعاونوه يبحثون عن الإخوة الشهداء. وقَالَ قاري حميد جول إن السيارة نفسها كَانَت مليئة بالمتفجرات. قبل التفجير أراد رجال بخت مُحَمَّد والمُلَّا عُمَر سحب السيارة ونقلها إلى مكان آخر لكن شخصًا ما فجرها بجهاز للتحكم عن بُعد. قضت الخطة بتفجير السيارة عند دخول المُلَّا عُمَر منزله. لكن الهجوم وقع يوم الخميس، وقد اعتاد المُلَّا عُمَر في مثل هَذَا اليوم مغادرة مكتبه في وقت مبكر فعاد إلى منزله في غير توقيته المعتاد.

كان هَذَا الحدث الأمني الأبرز منذ وصول طَالِبَان إلى الحكم. كان لأمن قندهار مكانة خاصة لدى نظام طَالِبَان. ولَمْ يعتقد أحد أن مثل هَذَا الحادث الكبير يمكن أن يحدث. قبل ذَلِكَ لَمْ تهتم الحَرَكَة أبدًا بأمن أفرادها الشخصي واقتصرت تدابيرها على حماية الأماكن العامة لكن بعد الَّذِي حدث ركز كبار المسؤولين على اتخاذ تدابير أمنية في مؤسساتهم.

في اليوم التالي أدانت وزارة الخارجية الأمريكية الحادث، وأعربت عن تعاطفها مع المتضررين. وقَالَ مَوْلَوِي متوكل لوسائل الإعلام: بحسب التحقيق الأولي فالولايات المتحدة ليست متورطة في الهجوم. وأجرى المُلَّا عُمَر مقابلة مع إذاعة صوت أمريكا وقَالَ خلالها (إن هناك تورطًا أجنبيًا في الهجوم، لكن أمريكا لَمْ تشارك. ولدينا أعداء كثر لكننا لَمْ نصل إلى المتورطين بعد). ولَمْ يُتوصل إلى هوية الجناة أبدًا لكن بعض الشكوك والشائعات دارت حول بعض قادة هلمند الَّذِينَ حصلوا على دعم من إيران كَذَلِكَ اتهم البعض إيران ومن تدعمهم كحكمتيار وحامد كرزاي، ورأوا إن إيران هي المكان الَّذِي خُطط فِيْهِ للعملية.

بداية العلاقة مع باكستان[1]

بعـد السـيطرة علـى قنـدهار، زار وفـد باكسـتاني المدينـة لاسـتلام البضـائع المتبقيـة مـن قافلـة تجارية نهبتها الميليشيات المحلية على الطريق السريع وذَلِكَ قبل وصول طَالِبَان إلى السلطة.

توجهـت هَـذِهِ القافلـة مـن باكسـتان إلـى تورغنـدي عـبر قنـدهار وهـرات بعـد اتفـاق بـين حـاكم قنـدهار غـول آغـا شـيرزاي ووزارة الداخليـة البَاكِسْـتَانِيَّة. كـان شـيرزاي حاكمًـا بالاسـم فقـط غيـر قـادر علـى تـأمين الطـرق السـريعة كمـا يفعـل إسـماعيل خـان. فتعرضـت القافلـة للنهـب، وعثـرت طَالِبَـان علـى مـا تبقـى مـن هَـذِهِ البضـائع بعـد سـيطرتها علـى قنـدهار. إثـر ذَلِـكَ زار وفـد باكسـتاني المنطقـة، وضـم الوفـد مـوظفين منخفضـي الرتبـة مـن وزارة الداخليـة والاسـتخبارات البَاكِسْـتَانِيَّة ISI. تعاملـت الحَرَكَـة مـع الوفـد بحـذر شـديد، وسـلمت مـا تبقـى مـن البضـائع بعـد أن قـدم الوفـد أدلة موثقة على ملكيتهم لَهَا.

التقـى المُـلَّا مُحَمَّـد عبـاس عضـو مجلـس الشُّـورَى الأعلـى بالوفـد الَّـذِي أخـبره أن باكسـتان تريـد دعـم طَالِبَـان وتعتـزم إقامـة علاقـة جيـدة معهـا لكـن المُـلَّا عبـاس قَـالَ بِشَـكلٍ فـظ (لقـد سـئمنا صـداقتكم ودعمكـم، لا تسـببوا المزيـد مـن المشـاكل بـين الأَفْغَـان). ملمحًـا إلـى الصـراع الَّـذِي دار بـين ربـاني وحكمتيـار خـلال حكـم طَالِبَـان. وقـد روى مسـؤول باكسـتاني هَـذِهِ القصـة للسـفير الأَفْغَـانِيّ شـهاب الـدين ديـلاوار، وكيـف أن طَالِبَـان ردت علـيهم في البدايـة بطريقـة فظـة وغيـر لائقـة. وقَـالَ (لكننـا كنـا نعلـم أن طَالِبَـان لا تعـرف شـيئًا عـن مـوازين القـوى وشـدة الحـرب، وفي النهاية سيحتاجون إلى الدعم من طرف ما).

كَانَـت العلاقـة البـاردة بـين باكسـتان وطَالِبَـان مفيـدة لمعارضـي الحَرَكَـة لكـن عناصـر طَالِبَـان مـن اللاجئـين الأَفْغَـان المقيمـين في باكسـتان ومجموعـات الشـباب الداعمـة لَهَـا زاروا أَفْغَانِسْـتَان بحريـة فيمـا نُقـل العشـرات مـن مسـلحي طَالِبَـان المصـابين مـن أَفْغَانِسْـتَان إلـى المستشـفيات البَاكِسْـتَانِيَّة كُـلّ يـوم، ولـذا اعتُـبرت باكسـتان دولـة داعمـة. وبـالرغم مـن المسـاعدة الَّتِـي قـدمتها

1 – وردت هَذِهِ الفقرة في مكان متقدم من الكتاب في النسخة البشتونية.

باكستان للجرحى الأَفَغَان أثناء الجِهَاد ومعالجة جرحى الأحزاب المتحاربة في الحرب الأهلية إلا أن معارضي طَالِبَان اعتبروا سلوك باكستان المذكور علامة على دعمها الدائم للحركة.

لماذا فضلت باكستان طَالِبَان؟

بعد يوم من السيطرة على هرات هاجم أنصار برهان الدين رباني السفارة البَاكِسْتَانِيَّة في كابول وأشعلوا فِيْهَا النيران. وقُتل في الهجوم أحد موظفي السفارة وأصيب آخرون بجروح خطيرة. وردًا على ذَلِكَ أغلقت باكستان سفارتها وقطعت العلاقات الدبلوماسية مع أَفَغَانِسْتَان. أثر ذَلِكَ سلبًا على حكومة رباني حَيْثُ قطعت دولة مجاورة رئيسية العلاقات مع حكومته وعززت موقف خصومه.

تمتعت باكستان بصلات استخباراتية قوية بقادة جهاديين في كابول، وعرفت أن الاحتجاجات نظمتها حكومة رباني، وأن كُلّ شيء جرى بِشَكلٍ متعمد. اعتقد أنصار رباني ومسعود أن هَذَا أفضل رد للضغط على باكستان بعد مقتل العَدِيْد من الشباب البنجشيري في معركة هرات، لكن حَتَّى ذَلِكَ الحين لَمْ تكن باكستان قد دعمت طَالِبَان، واقتصر الدعم والتعاطف على الشعب البَاكِسْتَانِيّ.

من ناحية أخرى شككت باكستان أيضًا في دور إيران في الهجوم على سفارتها حَيْثُ أثار سقوط هرات قلق إيران من أن يضعف دورها في أَفَغَانِسْتَان وأرادت من باكستان أن تغلق سفارتها فأثارت بوجهها المزيد من المشاكل. كما شكت باكستان في وجود دور للهند فيما حصل.

يعتقد البعض أن مقتل أحد عشر إيرانيًا بِشَكلٍ غامض عام 1998 بعد استعادة طَالِبَان للسيطرة على مزار الشريف حدث بتدبير من باكستان انتقاما للهجوم الَّذِي تعرضت لَهُ سفارتها في كابول، لكن لا دليل على تِلْكَ الادعاءات.

سبَّب هَذَا الحادث خيبة أمل لباكستان، ودفعها لبناء علاقة جيدة مع طَالِبَان. وأبدت رغبتها في فتح سفارة لَهَا في جلال أباد، وأقامت علاقة مع مجلس الشُّورَى بشرق أَفَغَانِسْتَان

بقيادة الحاج قدير بدلاً من حكومة رباني، وكان من المخطط أن تستأنف مهام سفارتها في كابول من قنصلية جلال آباد.

تأسست أحزاب المجاهدين السبعة في باكستان، ونفذت نشاطها السياسي والعَسْكَرِيّ انطلاقًا من هناك حَتَّى سقوط حكومة نجيب. كما وصل برهان الدين رباني إلى كابول بدعم باكستاني. فبعد حكومة مجددي نجح في انتخابات الحكومة الديمقراطية في بيشاور بدعم من باكستان. كما اتُّهمت إسلام أباد بدعم حكمتيار خلال الحرب بينه وبين مليشيات رباني.

مع ظهور طَالِبَان في قندهار، رحب بهم رباني في البداية وأطلق عليهم اسم "ملائكة السَّلَام"، لكن عندما قاتلت الحَرَكَة قوات إسماعيل خان في الجَنُوب ومسعود في العاصمة اتهمها رباني وأنصاره بتلقي الدعم من باكستان. حينها كَانَت علاقة باكستان الرسمية والدبلوماسية مع حكومة رباني ودية، ونظرت إِلَيْهَا على أنها حكومة موالية لَهَا في أَفْغَانِسْتَان.

مع توتر العلاقة بين حكومة رباني وقوات التحالف من جهة وباكستان من جهة أخرى، قرروا تعزيز علاقاتهم بالهند، ما أدى إلى أحداث السفارة البَاكِسْتَانِيَّة في كابول. وأعقب ذَلِكَ جهود لبعض الجماعات والشخصيات السياسية والدِّيْنِيَّة لإقامة علاقات مع طَالِبَان. حرصت باكستان أيضًا على إقامة علاقات سياسية وعسكرية مهمة مع طَالِبَان بسبب نجاحاتها وانتصاراتها. وكَانَت لَهَا في البداية قنصليات فخرية في هرات ومزار وجلال أباد وقندهار بينما ظل النفوذ الفعلي لسفارتها في كابول. لكنها بعد الهجوم على السفارة منحت قنصليتها في قندهار صلاحياتٍ أوسع وفتحت قنصلية أخرى في هرات لتقيم علاقة رسمية مع طَالِبَان، وبُنيت علاقات رسمية مهمة وضرورية بين الحكومتين في عهد نظام طَالِبَان.

إثر تدهور علاقاتها مع المجتمع الدولي، أُجبرت حركة طَالِبَان على إقامة علاقات دبلوماسية وسياسية مع باكستان، لكن الأخيرة نظرت دائمًا إلى هَذِهِ العلاقات وفقًا لمصالحها، ولَمْ يكن لديها أبداً أي دوافع دينية أو شراكات إستراتيجية مع الحَرَكَة. وقد مثّل التضامن العام وعلاقات طَالِبَان مع الشريحة الدِّيْنِيَّة في المجتمع دافعًا لبناء هَذِهِ العلاقة بِشَكلٍ تدريجي.

تحديات العلاقة مع باكستان، وانقلاب مشرف

عندما فرضت الولايات المتحدة في يوليو 1999 عقوبات من جانب واحد على أَفَغَانِسْتَان، انتقد رئيس الوزراء البَاكِسْتَانِيّ نواز شريف طَالِبَان بشدة، وزعم أن الحَرَكَة تؤوي بعض المتطرفين الباكستانيين المطلوبين للقضاء. ولَمْ يكن سراً أن الجهاديين الباكستانيين موجودون أيضًا في قواعد طَالِبَان وعلى خطوطها الأمامية إلى جانب بعض الأوزبك والطاجيك والشيشان كما قاتل هَؤُلَاءِ في صفوف الحَرَكَة، وكان معظمهم من المنظمات الكشميرية، ولَمْ تكن لباكستان حينها أي مشكلة معهم.

كما وُجد العَدِيْد من المجاهدين المتطوعين من الجماعات الكشميرية مثلهم مثل المجاهدين العرب في مراكز التدريب خلال الجِهَاد ضِدّ الاتحاد السوفياتي أيضًا. وتعرف حينها مجاهدو خوست وباكتيا وننجرهار وولايات أخرى على حزب المجاهدين وجماعة البدر وحركة المجاهدين وغيرهم من المتطوعين في الجِهَاد.

لَمْ يتلقَّ هَؤُلَاءِ المتطوعون دعوة من طَالِبَان، كما لَمْ ترسلهم باكستان بِشَكلٍ رسمي. إنما دعموا طَالِبَان بسبب إخلاصهم للجهاد. ولَمْ تستطع الحَرَكَة التفريق بين السيء والمحسن حَتَّى مع مطالبات باكستان. فمهما ارتكبوا من تجاوزات في باكستان إلا أنهم عاشوا بيننا كمجاهدين مهاجرين وإخوة مسلمين.

لَمْ يكن المُلَّا عُمَر مهتمًا بمنهج جماعة "جَيْش الصحابة" البَاكِسْتَانِيَّة[1] وسياستها، فالقليل منهم موجود في أَفَغَانِسْتَان مع جهاديين كشميريين آخرين. وعندما قُتل العالم المسلم الشهير مولانا مُحَمَّد يوسف لوديانفي في كراتشي عام 2000، سمعت المُلَّا عُمَر عبر اللاسلكي يأمر طيب آغا أن يقول لجماعة جَيْش الصحابة (أدعو الله أن يزيدكم فقراً، فبسبب أفعالكم يستشهد علماء على مستوى الأمة كلها).

1– جماعة باكستانية نفذت هجمات عديدة ضِدّ الشيعة.

اعتقدت طَالِبَان أن تصريحات نواز شريف الحادة لا تعود لوجود هَذِهِ الجماعات في أَفَغَانِسْتَان بل لأنه سعى لإرضاء أمريكا والغرب. أرادت الحكومة البَاكِسْتَانِيَّة عبر تصريحاتها الوقوف في وجه حركة طَالِبَان بدعم غربي وشعبي. كما أطلق نواز شريف تصريحاته بحضور حكام سعوديين وإماراتيين. وفي النهاية وجه شقيقه شهباز شريف كلمات قاسية لِطَالِبَان وأَفَغَانِسْتَان عموماً. لَمْ تكن الحالة الأَفَغَانِيَّة مناسبة لرئيس وزراء إقليم البنجاب، وبدا أكثر تعاطفاً مع الغرب ودعماً لَهُ من أخيه نواز. وهدد شهباز بإغلاق الحدود مع أَفَغَانِسْتَان، وشكلت التصريحات من هَذَا النوع مصدر قلق كبير لنا في الوقت الَّذِي كنا فِيْهِ تحت ضغط عالمي هائل.

نواز شريف

سعدنا عندما استولى الجَيْش البَاكِسْتَانِيّ على الحكومة بانقلاب عسكري في 12 أكتوبر 1999، وذَلِكَ ظنّاً منا أن الحكم الجديد أفضل لنا من مواقف حكومة نواز المتشددة تجاهنا. حينها طلب مني المُلَّا عُمَر تحضير بيان حول الحدث، فكتبته بلغة يُفهم مِنْهَا الترحيب بالانقلاب والتنديد بسياسة الحكومة السابقة. وعندما قرأته لَهُ عبر الهاتف، رفض الصيغة المستخدمة، وقَالَ إنه لا ينبغي التنديد بالحكومة السابقة ولا الترحيب بالعهد الجديد، وطلب أن يقتصر الأمر على التمنيات الطيبة، وأكد لي أن الدعم الثنائي والأخوة الإِسْلَامِيَّة هي الرسالة الَّتِي يجب أن يحملها البيان. وقَالَ (يجب أن تكون سياستنا واضحة بما يتعلق بعدم التدخل في الشأن الداخلي لباكستان). فأعدت كتابة البيان، وذكرت فِيْهِ أن الانقلاب جاء ردّاً على سياسة الحكومة السابقة. فقرأته لِلْمُلَّا عُمَر مرة ثانية، فوافق عَلَيْهِ، وأرسلته إلى وكالات الأنباء. تناول البيان النقاط الرئيسية التالية:

إن حكومة أَفَغَانِسْتَان وشعبها يريدان السَّلَام وإقامة حكومة قوية في باكستان. والانقلاب العَسْكَرِيّ يوم أمس شأن باكستاني داخلي. وهو رد فعل على السياسة الخارجية للحكومة السابقة الَّتِي تتعارض مع سيادة باكستان وشعبها وجيشها وحكومتها البرلمانية.

نصيحة المُلّا عُمَر لمشرف بتطبيق الشريعة الإِسْلَامِيَّة

في الفترة الَّتِي أعقبت الانقلاب عين برويز مشرف نفسه رئيسًا لباكستان، فأرسل لَهُ المُلَّا عُمَر رسالة رسمية كُتبت في مكتبه، وذكر فِيْهَا النقطة الرئيسية التالية (باكستان بلد مسلم، وشعبها يريد تطبيق الشريعة الإِسْلَامِيَّة. لذا فهَذِهِ فرصتك لأن لديك السلطة الحكومية والعَسْكَرِيَّة، ولا يمكن لأحد أن يقف في وجهك. يمكنك بسهولة إعلان تطبيق الشريعة الإِسْلَامِيَّة باعتبارها الدستور الرسمي لباكستان، وتطبيقها في المحاكم العليا).


برويز مشرف

لا أعرف إن كان برويز قد رد على هَذِهِ الرسالة أم لا، لكنه ربما فضل الصمت، وربما اعتذر أو قدم مبررات أخرى.

في ذَلِكَ الوقت، أيد العُلَمَاء والطبقة الدِّيْنِيَّة في باكستان حركة طَالِبَان بشدة، واعتقد المُلَّا عُمَر أنه قادر على دعم مشرف في هَذَا المسار لكن طَالِبَان علمت فيما بعد بخلفية مشرف، وأدركت أنه لا يهتم بالإسلام ولا بالمسلمين. فقد تعاون مع الغزو الأمريكي لبلادنا كما عرّض سيادة باكستان للخطر مِمَّا أدى إلى دخول هَذَا البلد في حالة اضطراب دائم، ودنس شرفه، وأهان العُلَمَاء النوويين الباكستانيين إرضاء لآخرين.

حافظت الحكومات البَاكِسْتَانِيَّة على علاقاتها مع طَالِبَان لحاجات سياسية وتقنية، وشعر العالم باضطرارهم لِذَلِكَ. لكن الشعب البَاكِسْتَانِيّ وطبقته الدِّيْنِيَّة كان لديهم ارتباط ديني وثيق وصادق بطَالِبَان. ولَمْ يرغب المُلَّا عُمَر قط في التدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة بما في ذَلِكَ باكستان. لكنه اعتبر العلاقات مع المتدينين في باكستان كالعلاقة مع شعبه الأَفَغَانِيّ. ورغم أنه لا يتوافق مع أفعال الجماعات الدِّيْنِيَّة البَاكِسْتَانِيَّة وسياساتها، ولا مع دورها السياسي في النظام الديمقراطي الحالي، إلا أنه احترم علماء الدين الباكستانيين واعتبرهم أصدقاء لَهُ.

اختطاف الطائرة الهندية في 22 ديسمبر 1999

بعـد يـوم عمـل حافـل غـادرت المكتـب ثُـمَّ اسـتدعيت مـن قبـل رئـيس قسـم الاتصـالات الخاصـة، وعلمـت أن مكتـب المُـلَّا عُمَـر في قنـدهار تلقـى معلومـات مـن وزارة الطيـران المـدني تفيـد أن طـائرة مخطوفـة طلبـت الإذن بـالهبوط في مطـار كـابول، ولكـن لَـمْ يُسـمح لَهَـا بِـذَلِكَ. وقالـت الـوزارة إن الطـائرة موجـودة حاليـًا قـرب قنـدهار. وكـان مـن المهـم جـداً بالنسـبة لـي أن أراقـب هَـذَا الحـادث حَتَّـى أتمكـن مـن التواصـل مـع وسـائل الإعـلام بِشَـكلٍ صـحيح بخصـوص مثل تِلْـكَ الحوادث.

أبلـغ مسـؤولون باكسـتانيون وزارة الخارجيـة ومسـؤولين مهمـين آخـرين أنهـا طـائرة هنديـة، وأوصـوا بعـدم السـماح لَهَـا بـالهبوط. اعتقـد الباكسـتانيون أن هبـوط الطـائرة في أَفَغَانِسْـتَان في وضـع حرج كهَذَا، قد يكون لَهُ أثر سلبي على الإمارة الإِسْلَامِيَّة وعلى باكستان.

بعـد تـأخير بسـيط، سـمع المُـلَّا عُمَـر بـالأمر، وأبلـغ مسـؤولي المطـار عـبر الراديـو بالسـماح للطـائرة بـالهبوط، وسـمع جميـع المسـؤولين المهمـين هَـذِهِ الرسـالة علـى الـتردد اللاسـلكي. في ذَلِـكَ الوقـت عـبرت الطـائرة حـدود قنـدهار في طريقهـا نحـو الإمـارات عـبر إيـران. وزال قلـق المسـؤولين الحكوميـون الَّـذِينَ عارضـوا هبوطهـا بعـد أن غـادرت المجـال الجـوي الأَفَغَـانِيّ. لكـن بعـد بضـع سـاعات أبلغنـا الحـاج فريـد عـبر الهـاتف، وهـو المسـؤول عـن شـركة "أريانـا للطيـران" في دبـي، أن الطـائرة المخطوفـة هبطـت في مطـار المنهـاد العَسْـكَرِيّ بـدبي للتـزود بـالوقود والطعـام، وأنهـا سـتقلع مـرة أخـرى. أكـد وزيـر الخارجيـة مَوْلَـوِي وكيـل أحمـد متوكـل وبعـض المسـؤولين الآخرين أنه من غير الممكن القيام بأي شيء حيال ذَلِكَ.

في سـاعات متـأخرة مـن الليـل تحـدث مسـؤول عسـكري باكسـتاني رفيـع المسـتوى يُـدعى العميـد سـلطان مـع المُـلَّا عُمَـر عـبر الهـاتف، وأخـبره بنصـائح حكومتـه وأسـبابها. وقَـالَ لَـهُ (أنـت تحـت ضـغط دولـي، وهنـاك عقوبـات اقتصـادية مفروضـة علـيكم، ومـن ناحيـة أخـرى تشـير الهنـد إلـى باكسـتان عنـد كُـلّ حـدث. فـإذا سـمحت للطـائرة بـالهبوط فسـتجلب الضـرر لأفغانسـتان

وباكستان معـًا، فعلاقاتنـا مـع الهنـد معقـدة للغايـة). فأجابـه المُـلَّا عُمَـر قـائلاً: (هَـذَا قرارنـا، ولـدينا أهدافنا الخاصة من خلاله).

أخبرنـا المُـلَّا بوضـوح عـن هَـذِهِ الأهـداف عـبر اللاسـلكي، حَيْـثُ قَـالَ (إن كـان الخـاطفون مسـلمين، فسـندعمهم وفقـًا لتعـاليم الشـريعة، ولكـن إن كـانوا هندوسـًا فسنسـلمهم للحكومـة الهنديـة لإقامـة علاقـات معهـا). وسـمع جميـع الموجـودين علـى تـردد اللاسـلكي الخـاص هَـذَا الكـلام، ولحسـن الحـظ معظمهـم مـا زالـوا علـى قيـد الحيـاة. ومـن المحتمـل أن يكـون رئـيس شـركة "أريانا" الجوية في مطار المنهاد بدبي قد أبلغ الخاطفين بإمكانية هبوط الطائرة في مطار قندهار.

وصـلت الطـائرة الـى قنـدهار بعـد إخـلاء جثتـي رجـل وامـرأة، و33 امـرأة وطفـل في مطـار دبـي. في ذَلِـكَ الوقـت لَـمْ يكـن أحـد علـى علـم بهويـة الخـاطفين أو أهـدافهم. واتضـح لَاحِقَـًا أن الطـائرة أقلعـت مـن مطـار كاتمانـدو في نيبـال متجهـة إلـى العاصـمة الهنديـة نيـودلهي. أقلـت الطـائرة 213 راكبـًا بيـنهم 11 مـن أفـراد الطـاقم وبعـض الدبلوماسـيين. وفجـأة غيـرت مسـارها لتتجـه نحـو مدينـة أمريتسـار الهنديـة، وغادرتهـا مـرة أخـرى بعـد التـزود بـالوقود. علـم المسـؤولون الهنـود أن الطـائرة قد اختُطفت، وأنها هبطت لَاحِقَا في مدينة لاهور البَاكِسْتَانِيَّة ثُمَّ غادرت إلى كابول.

في صـباح اليـوم التـالي هبطـت الطـائرة في قنـدهار، فتوجهـت إلـى بـرج المراقبـة في المطـار حَيْـثُ يجلس وزيـر الخارجيـة وكيـل أحمـد متوكـل. تحـدث مسـؤولو البـرج إلـى الخـاطفين باللغـة الإنجليزيـة، وسـألوهم أولاً عـن نـوع الطعـام الَّـذِي يرغـب الركـاب في تناولـه، فقـالوا: نريـد "كـابلي بلـو"[1]. كـان معـي في المكتـب شـخص يُـدعى ظـاهر، والدتـه هنديـة، وقـد نشـأ في الهنـد ويتحـدث الهنديـة بطلاقـة. فبعثنـاه إلـى بـرج المراقبـة ليتحـدث مـع الخـاطفين ويسـألهم عـن مطـالبهم، ولكـن بعد التواصل معهم اتضح أنهم باكستانيون، ويتحدثون اللغة الأوردية.

طالـب الخـاطفون بـالإفراج عـن خمسـة وثلاثـين مناضـلاً كشـميريًا معتقلـين في السـجون الهنديـة، مـن بيـنهم مولانـا مسـعود أظهـر، بالإضـافة إلـى مبلـغ ضـخم مـن المَـال. ولَاحِقَـا بنـاءً علـى طلـب مـن الإمـارة الإِسْـلَامِيَّة تراجعـوا عـن طلـبهم المَـال. لَـمْ يكـن لِهَـذَا المطلـب أي أصـل أخلاقـي

1- كابلي بلو عبارة عن وجبة أفغانية شهيرة تتكون من الأرز واللحم والمكسرات، وتعادل الكبسة في العالم العربي.

ولا إنساني بل أظهر أنهم يفعلون ذَلِكَ من أجل المَال فقط، ولذا لَمْ تدعمهم الإمارة في هَذَا المطلب، لكنها دعمت مطلبهم بالإفراج عن الأسرى.

تعرضت الهند لضغوط هائلة من الدول الَّتِي لَهَا رعايا على متن الطائرة، وتواصل الصليب الأحمر والأمم المتحدة مع الحكومة الهندية لبحث المسألة. قبل هبوط الطائرة في قندهار وافقت الحكومة الهندية على أن تسمح الحكومة الأَفغَانِيَّة للطائرة بالهبوط للتزود بالوقود والطعام.

تواصل وكيل أحمد متوكل مع الخاطفين، فقالوا (هَذَا آخر هبوط لنا، ولا يمكننا الذهاب إلى أي مكان آخر، وإذا تعرضنا للتضييق، فلن تكون هناك طائرة ولا ركاب). كان موقف المُلَّا عُمَر مِمَّا يحدث واضحاً لكن هَذَا الرد من الخاطفين ساعد متوكل في جهوده الدبلوماسية وتعامله مع وسائل الإعلام.

قَالَ متوكل لوسائل الإعلام: بإذن من الحكومة الهندية سمحنا للطائرة بالهبوط للتزود بالوقود والطعام لكن الخاطفين يرفضون الآن الطيران مرة أخرى، ويهددون بقتل أنفسهم والركاب، وهَذَا الأمر خطير، فعلى الهند اتخاذ خطوات إيجابية لحل المشكلة.

حظيت هَذِهِ القضية باهتمام كبير من وسائل الإعلام الإقليمية والدولية والبعثات الدبلوماسية. واعتبر بعض المحللين والمتابعين أن أي أمر سلبي في القضية سيزيد من العداء العالمي لِطَالِبَان. وطلبت الحكومة الهندية دعماً دوليّاً لحل المشكلة.

اقترحت الحكومة الروسية الدعوة إلى اجتماع طارئ لمجلس الأمن الدولي. وأعلن وزير خارجية الولايات المتحدة أن هَذَا عمل إرهابي وضد الإنسانية، وقَالَ: يجب على الهند ودول المنطقة أن تبذل جهوداً مع الحكومة الأَفغَانِيَّة للإفراج عن الرهائن. وقصد بدول المنطقة باكستان تحديداً الَّتِي وقعت مع الحكومة الأَفغَانِيَّة تحت الضغط الدولي، وأثبتت تصريحات العميد سلطان صحتها.

أنشـأت الإمـارة مجموعـة أمنيـة دائمـة مسـؤولة عـن أمـن الطـائرة يرتـدي أفرادهـا زيّـًا خاصّـًا ومـزودون بالسـلاح. فشـكلوا طوقـًا حـول الطـائرة كـي لا يقـترب مِنْهَـا أي شـخص يرتـدي زيّـًا آخـر، وكي لا يتصرف الخاطفون بطريقة غير محسوبة.

شـهدت قنـدهار في تِلْـكَ الأيـام حضـور العَدِيْـد مـن وسـائل الإعـلام البَاكِسْـتَانِيَّة والعالميـة، وتوليـت رعايـة شـؤونهم فيمـا أطلعهـم مَوْلَـوِي متوكـل علـى سـير عمليـة التفـاوض أولاً بـأول. أثـارت المراقبـة المنظمـة والإجـراءات الأمنيـة الصـارمة لمطـار قنـدهار والدبلوماسـية الدقيقـة لمولـوي متوكـل إعجـاب العَدِيْـد مـن المـراقبين الـدوليين. وقَـالَ رئـيس لجنـة حقـوق الإنسـان في الأمـم المتحـدة إريـك دي مـول لوسـائل الإعـلام: نحـن ممتنـون لِطَالِبَـان لاهتمامهـا بالرهـائن، ومواصـلة جهودهـا بنجـاح بـالرغم مـن تعرضـها لضـغوط دوليـة هائلـة إلا أنهـا قريبـة جـداً مـن حـل المشكلة بِشَكلٍ إيجابي.

في 27 ديسـمبر، وصـلت مجموعـة مـن خمسـين شخصـًا مـن بيـنهم الفريـق الفنـي المخـتص بالطـائرة مـن الهنـد إلـى قنـدهار علـى مـتن طـائرة تابعـة للأمـم المتحـدة. ومكثـوا في دار الضـيافة في مطـار قنـدهار. وبعـد أسـبوع مـن المحادثـات المسـتمرة والمناقشـات المطولـة مـع مَوْلَـوِي متوكـل، جـاء وزيـر الخارجيـة الهنـدي جاسـوانت سـينغ ومعـه ثلاثـة سـجناء هـم: مولانـا مسـعود أظهـر، مشـتاق عُمَـر وسـيد عُمَـر شـيخ، فوصـلوا قنـدهار علـى مـتن طـائرة تابعـة للأمـم المتحـدة. ونُقـل الخاطفون والسجناء الثلاثة المفرج عنهم إلى فيلق قندهار.

وقبـل مغادرتـه، عقـد سـينغ ومتوكـل مـؤتمراً صـحفيًا مشـتركًا في دار الضـيافة بمطـار قنـدهار، وحضـره العشـرات مـن الصـحفيين الإقليميـين والـدوليين. شـكر متوكـل جاسـوانت سـينغ علـى أدائـه دوراً رئيسـيًا في حـل المشـكلة. وفي المقابـل لَـمْ يكتـفِ سـينغ بشـكر متوكـل وحسـب، بـل دعـاه أيضـًا رسـميًا لزيـارة الهنـد. وبعـد مغـادرتهم في طـائرة الأمـم المتحـدة غـادرت الطـائرة المخطوفـة أيضـًا، عـدنا بسياراتنا إلـى مدينـة قنـدهار. وأثنـاء الطريـق نـادى المُـلَّا عُمَـر قائـد فيلـق قنـدهار مَوْلَـوِي أخـتر مُحَمَّـد عثمـاني عـبر اللاسـلكي قـائلا (انتبهـوا، ولا تغـتروا أننـا حللنـا هَـذِهِ المسـألة. فقـد كـان هَذَا اختباراً كبيراً بالنسبة لنا ولَمْ ينته إلا بعون خفي من الله).

كنت سعيداً جداً، ففي ظل الضغط الدولي الَّذِي نعيشه والعقوبات الاقتصادية المفروضة علينا، سيزور مَوْلَوِي متوكل الهند، وسيكون هَذَا إنجازاً دبلوماسياً ضخماً. لكن بعد أسبوع اتهمت وسائل الإعلام الغربية والهندية الاستخبارات البَاكِسْتَانِيَّة بالضلوع في هَذِهِ القضية مِمَّا تسبب في حالة من التوتر. كما تجاهلت السلطات الهندية الدعوة الَّتِي وجهها وزير الخارجية الهندي لحركة طَالِبَان. من ناحية أخرى أثارت الزيارة المحتملة لمولوي متوكل إلى الهند قلق الجانب البَاكِسْتَانِيّ الَّذِي اعتبرها رسالة سلبية حال إتمامها.

رأى مَوْلَوِي متوكل أنه يجب تسليم الخاطفين للصليب الأحمر لكن المُلَّا عُمَر قَالَ (لقد وعدتهم بالإفراج عنهم بسلام، وهم أحرار في الذهاب إلى المكان الَّذِي يريدونه). نشرت وسائل الإعلام الغربية والهندية خبراً نقلاً عني مفاده أن الخاطفين ذهبوا إلى باكستان لكنني في الحقيقة لَمْ أدلِ بمثل هَذَا التصريح. فالأسرى والخاطفون لا زالوا في قندهار، وفوجئت كيف تنسب لي وسائل الإعلام هَذِهِ الأخبار المكذوبة.

في مساء اليوم التالي استضافت القنصلية البَاكِسْتَانِيَّة بعض مسؤولي الإمارة الإِسْلَامِيَّة على مائدة العشاء بمن فيهم مَوْلَوِي وكيل أحمد متوكل، وقائد فيلق قندهار مَوْلَوِي أختر مُحَمَّد عثماني، وأمين سر المُلَّا عُمَر سيد مُحَمَّد طيب آغا، ووزير الخارجية السابق المُلَّا مُحَمَّد غوث، وآخرين بمن فيهم أنا. كان الملحق العَسْكَرِيّ "زاهد" مضيفنا الفعلي، فمنصب القنصل العام منصب فخري، وتعين وزارة الخارجية البَاكِسْتَانِيَّة القنصل أما الصلاحيات الفعلية فبيد الملحق العَسْكَرِيّ الَّذِي تعينه الاستخبارات البَاكِسْتَانِيَّة.

بدأ زاهد حديثه معنا حول الهند بطريقة أشبه بمن يعلم طلاب الصف الأول حَيْثُ قَالَ (لا يمكن أن يصادق الهندوس المسلمين، فقد أساؤوا معاملة المسلمين على مر التاريخ)، وأشياء أخرى من هَذَا القبيل. ففهمنا مقصده والمهمة الَّتِي كلفته بِهَا حكومته.

وأثنى "زاهد" خلال حديثه على أختر مُحَمَّد عثماني لتأمينه سلامة الطائرة والمطار وأمنهما. وعثماني شخص مرح بطبعه، وقد شارك في الحديث بدعابته المعهودة، فَقَالَ (إننا نتفهم أن موظفيك كانوا بالقرب من المطار يشرفون على الوضع برمته عن كثب، من مركبتين متوقفتين في المباني المدمرة). كَانَت المركبات البَاكِسْتَانِيَّة متوقفة هناك بإذن من الإمارة، لأن

الباكسـتانيين اعتـبروا أنفسـهم معنيـين بالحـدث بِشَـكلٍ مباشـر. في نهايـة الاجتمـاع طـرح المُـلَّا مُحَمَّـد غـوث أخونـد بعـض الأسـئلة بطريقـة تـوحي أنـه لَـمْ يكـن علـى درايـة كاملـة بـالموقف. كـان فقـط يحـاول الحصـول علـى معلومـات مـن السـلطات البَاكِسْـتَانِيَّة ومعرفـة وجهـة نظـرهم بشـأن الحادث.

العلاقات السياسية والاقتصادية مع الصين

زارت بعـض الوفـود الصـينية أَفَغَانِسْـتَان في عهـد نظـام طَالِبَـان بمـا في ذَلِـكَ مسـؤولون مـن وزارة الخارجيـة ومسـؤولون اسـتخباراتيون وممثلـون عـن الشـركات الصـينية الَّتِـي أرادت الاسـتثمار في أَفَغَانِسْتَان. كما التقى هَؤُلَاءِ المسؤولون بالمُلَّا عُمَر ومسؤولين آخرين في طَالِبَان.

اهـتم الصـينيون بملـف التنميـة الاقتصـادية، وأرادوا إنشـاء طـرق سـريعة وشـبكة اتصـالات وإعـادة تأهيـل مصـانع الأسـمنت. وكـادت طَالِبَـان أن توقـع معهـم بعـض الاتفاقيـات الجـاهزة، لكـن العمل عُلّق بسبب العقوبات الاقتصادية.

وخـلال الهجـوم الصـاروخي الأمريكـي في أغسـطس 1998، سـقط صـاروخ في مقاطعـة معـروف بقنـدهار دون أن ينفجـر. وعثـر عَلَيْـهِ المسـؤولون الأمنيـون في 2 سـبتمبر، فنُقِـل إلـى قنـدهار. وطلبـت الاسـتخبارات الصـينية عـبر سـفارتها في إسـلام أبـاد معاينـة الصـاروخ سـراً. وبعـد بضـعة أيـام زار وفـد صـيني يضـم مهندسـين وبعـض المسـؤولين في الاسـتخبارات الصـينية قنـدهار سراً وعاينوا الصاروخ عن قرب.

علـم المفتـي معصـوم أفغـاني بـأمر الزيـارة، وكـان حينهـا سـفيراً لحكومـة طَالِبَـان في إسـلام أبـاد لكنـه عـاد في ذَلِـكَ الوقـت إلـى منزلـه إثـر مرضـه. وكتـب المفتـي معصـوم أخبـاراً عـن ذَلِـكَ مـن قنـدهار لجريـدة "درب المـؤمن" البَاكِسْـتَانِيَّة حَيْـثُ أنـه مـن أتبـاع المفتـي رشـيد أحمـد لوديـانفي مؤسـس الجريـدة، وكشـف حينهـا عـن هَـذَا الخـبر السـري دون أن يستشـير أحـداً أو يأخـذ إذنـاً. أثـار نشـر الخـبر غضـب الصـينيين، واعتـبروا أن طَالِبَـان أخفقـت في إخفـاء أسـرارها. ومـن جهـة أخـرى اسـتنكرت الولايـات المتحـدة سـرقة الصـين للتقنيـة الخاصـة بهَـا، والأهـم مـن ذَلِـكَ أنهـا تنبهـت لموضوع العلاقات بين طَالِبَان والصين.

في ظـل الضـغوط الأمريكيـة والروسـية المسـتمرة أمـر المُـلَّا عُمَـر رسـميًا وزارة الخارجيـة بتعزيـز العلاقـات مع الصـين باعتبـاره خيـاراً جيـداً في مواجهـة قـوتين كبيـرتين، فبكـين ليسـت لـديها أي نوايا أو سياسات استعمارية تستهدف أَفَغَانِسْتَان، وهي جارة مهمة لنا.

وفي 26 مـايو 1999، وقعـت شـركة صـينية اتفاقيـة مـع وزارة المعـادن والصـناعات لإنشـاء مصـانع أسـمنت في مـدن قنـدهار وبلخمـري وهـرات. كمـا جـرت مباحثـات حـول التجـارة العامـة ومشـاريع البنـاء. وبحسـب مَوْلَـوِي أحمـد جـان فقـد أخـبره مسـؤول صـيني رفيـع المسـتوى أنـه بالإمكـان الاسـتفادة مـن هَـذِهِ العقوبـات. وقَـالَ لَـهُ: عـاش الصـينيون أيامـًا لَـمْ يكـن لـديهم فِيْهَـا التجهيـزات اللازمـة لاسـتلام الطعـام الَّـذِي توزعـه الجمعيـات الخيريـة الغربيـة والمنظمـات الحقوقيـة غيـر الحكوميـة. وعنـدما فُرضـت علينـا العقوبـات، طـردت دولتنـا جميـع المنظمـات غيـر الحكوميـة مـن الصـين، واعتمـد الصـينيون علـى التعلـيم والصـناعة. وبعـد عشـرين عامـًا أصـبحت الصـين قـوة نوويـة. وأضـاف (إن البلـد الَّـذِي توجـد فِيْـهِ منظمـات غربيـة غيـر حكوميـة، لـن يـتخلص أبـداً مـن الفقـر والعبوديـة). وتبـادل الطرفـان الوفـود علـى مسـتوى وزارة الخارجيـة، لكـن جميـع هَذِهِ التحركات كَانَت في الغالب بعيداً عن وسائل الإعلام.

لَاحِقـًا بعـد سـقوط حكومـة طَالِبَـان، لَـمْ يتوقـع أحـد نشـاطـًا سياسـيًا للحركـة، خاصـة وأن المقاومـة اتسـمت في البدايـة بالضـعف ثُـمَّ بعـد عـام 2006 بـدأت الحَرَكَـة جهـوداً لتعزيـز العلاقـات مـع الصـين، ولكـن اكتشـفت دولـة مجـاورة هَـذَا النشـاط، وهـو مـا عـرّض حيـاة العـاملين في هَـذَا الإطـار مـن مسـؤولي طَالِبَـان للخطـر. ثُـمَّ بعـد افتتـاح مكتـب الحَرَكَـة في قطـر عـادت العلاقـة مـع الصـين مجـدداً. وتبـع ذَلِـكَ مقابلـة وفـود مـن الـدول المجـاورة، واعـترف الصـينيون علانيـة بعلاقـتهم مع طَالِبَان.

زار زعـيم طَالِبَـان المُـلَّا أخـتر مُحَمَّـد منصـور الصـين وروسـيا عـبر باكسـتان وقطـر. ولَـمْ تكـن هَـذِهِ الزيـارات بعيـدة عـن أعـين وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة الأمريكيـة، واعتقـد الـبعض أنهـا مجـرد زيـارات رمزيـة، ولـذا لَـمْ تُعـط تِلْـكَ الـدول تِلْـكَ الزيـارات الثقـة الكاملـة، ولَـمْ تتنـاول خلالهـا أي قضـايا إسـتراتيجية. ولـذلك أرسـل المُـلَّا منصـور وفـوداً سـرية أخـرى مـن باكسـتان وقطـر لكـن بعد استشهاده توقف هَذَا النشاط بقرار من مسؤولي مكتب طَالِبَان في قطر.

العلاقات مع تركمانستان

من بين الدول المجاورة لأفغانستان، دعمت إيران وطاجيكستان أعداء طَالِبَان بقوة. شكلت طاجيكستان مركزاً هاماً ومعبراً لتوريد المعدات والدعم لتحالف الشَّمَال. ولعبت القومية الطاجيكية دورها في العلاقة الودية بين رباني ومسعود وحكومة طاجيكستان. كما عارضت أوزبكستان حكم طَالِبَان لوجود الحَرَكَة الإِسْلَامِيَّة الأوزبكية في مناطق سيطرتها، ولذا دعمت دوستم. بقي هَؤُلَاءِ المقاتلون الأوزبك في أَفَغَانِسْتَان بعد انتصار المجاهدين كغيرهم من أعضاء الجماعات الإِسْلَامِيَّة الأخرى. فيما أجبرت حكومة المجاهدين برئاسة رباني المعارضين الطاجيك بقيادة عبد الله نوري على إجراء مفاوضات سلام مع الحكومة الطاجيكية. وبقي المعارضون الأوزبك هناك إلى أن سيطرت طَالِبَان على الحكم ووفرت لهم الملاذ الآمن. وبالمثل استضافت الحكومة الأوزبكية مفاوضات بين ممثلي طَالِبَان ومعارضيها.

أما تركمانستان فكَانَت دولة صديقة لِطَالِبَان، وليس بينها وبين الحَرَكَة مشاكل كبيرة. كما أرادت قيرغيزستان بناء علاقات وثيقة مع طَالِبَان لكن المساعي المتقدمة أخفقت. شكلت تركمانستان طريقاً تجارياً مهماً لأفغانستان، وبدأت العلاقات الوثيقة معها إثر بدء مشروع خط أنابيب الغاز.

زار مسؤولون تركمان أَفَغَانِسْتَان خلال حكم طَالِبَان. وبالمقابل زار قادة الحَرَكَة أيضاً تركمانستان. وشددوا على أهمية العلاقات المتبادلة بين البلدين. ورأت حكومة تركمانستان أن السبيل لإقامة علاقات ودية مع طَالِبَان سيتشكل من خلال التزام الحياد بين القوى الإقليمية والكبرى. ومن جهة أخرى لَمْ تكن تخشى من متمردين أو مجموعات مقاتلة يمكن أن تستخدم أرضنا ضدها.

الاعتراف الرسمي بالشيشان

بعد الاستيلاء على كابول زار وفد من الشيشان أَفَغَانِسْتَان برئاسة نائب وزير الخارجية الشيشاني عبد الله ياراجي مُحَمَّد ويج. ونظراً للظروف الحساسة وتجنباً للانتقادات الدولية، عمل المُلَّا عُمَر على ضمان الدعم السري لهم دون الاعتراف بحكومتهم في ذَلِكَ الحين.

أصيبت طَالِبَان بخيبة أمل بعد فرض العقوبات الدولية عَلَيْهَا عام 1999، ولَمْ تكن تتوقع التفاوض مع الولايات المتحدة والقوى الرئيسية الأخرى. وفي ذَلِكَ الوقت هاجمت روسيا الشيشان، وطالب المُلَّا عُمَر العالم الإِسْلَامِيّ عبر وسائل الإعلام بدعم الشيشان حَتَّى أنه دعا جماعات المعارضة المحلية لوضع الخلافات جانباً ومساعدة المسلمين الشيشان.

في أوائل عام 2000، زار الرئيس الشيشاني السابق سليم خان يندربابييف ووزير خارجيته أدوغوف كابول وقندهار، فرحب بهم المُلَّا عُمَر ترحيباً حاراً، واعترف رسمياً بالحكومة الشيشانية. وعرض الوفد على المُلَّا عُمَر الوثائق الموقعة من الرئيس السابق والَّتِي تظهر قبول روسيا باستقلال الشيشان.

في 26 يناير 2000، وقع وزير الخارجية الأَفَغَانِيّ مَوْلَوِي وكيل أحمد متوكل وممثل الرئيس الشيشاني سليم خان على اتفاقية اعتراف متبادل كُتبت باللغات الروسية والدارية والبشتونية. وبعد يومين نشرت وسائل الإعلام هَذَا الخبر. وبعدها بأسبوعين، خُصص مبنى للسفارة الشيشانية في منطقة مجمع مدينة قندهار بجوار دار ضيافة وزارة الخارجية لكن بعد اندلاع الحرب الشرسة في الشيشان لَمْ يتمكن ممثلوهم من الحضور.

قرارات المُلَّا عُمَر الثورية البارزة

اختلفت حكومة طَالِبَان في أَفْغَانِسْتَان بِشَكلٍ أساسي عن الحكومات الَّتِي سبقتها حَيْثُ كان رئيس الحَرَكَة ونظامها أكثر قوة، وامتلك نفوذاً أقوى من مجلس الوزراء ورئاسة الحكومة. ولا يمكن ملاحظة نظام مماثل في المنطقة إلا في إيران، فمرشد الثورة الإيرانية يتمتع بنفوذ أقوى من الرئيس، وحافظ على نفوذه بِحَيْثُ لا يمكن المساس بمركزه طوال حياته.

في خطوة ارتجالية منح العُلَمَاء في أَفْغَانِسْتَان لقب أمير المؤمنين لِلْمُلَّا مُحَمَّد عُمَر في اجتماع بقندهار. فازدادت قوته وتوسع نفوذه، لكن قادة الحَرَكَة لَمْ يعتبروا اللقب بمعنى "خليفة المسلمين" إنما لقب يعبر عن زعيم لمجموعة من المسلمين في منطقة صغيرة أو دولة.

ونظراً لِهَذَا الاختلاف الجوهري عن الحكومات السابقة، مهد هَذَا الطريق لتغيير اسم النظام والحكومة. فاقترح البعض، وعلى رأسهم المُلَّا عبد السَّلَام كاتب أمين سر المُلَّا عُمَر خطة لتغيير اسم النظام معتقدين أنه في ظل قيادة أمير المؤمنين من المناسب استخدام مصطلح إمارة بدلاً من دولة. وهذه المصطلحات في الواقع كلمات من أصل عربي، والانطباع السائد أن السلطنة يقودها سلطان، والحكومة الديمقراطية يقودها رئيس، وأن قائد أي إمارة يمكن أن يسمى أميراً أو أمير المؤمنين. لكن هَذَا الاسم الجديد أثار انتقادات وتساؤلات لدى بعض الأَفْغَان.

بعد عام من السيطرة على كابول وافق المُلَّا عُمَر على هَذِهِ الخطة. وفي 26 أكتوبر 1997 تبدل اسم "الحكومة الإِسْلَامِيَّة" إلى "الإمارة الإِسْلَامِيَّة" ببيان رسمي، وأطلق على مجلس الوزراء اسم "مجلس الشُّورَى"، واستخدم اسم "رئيس الوزراء" للرئيس الإداري للحكومة. واستخدمت عبارة "شورى وزيرانو مراستيال" للإشارة إلى نواب مجلس شورى الوزراء. لكن بعد وفاة رئيس الوزراء المُلَّا رباني، أعلن المُلَّا عُمَر تعيين نواب لَهُ وإلغاء منصب رئيس الوزراء.

إن إطلاق اسم "الإمارة" على حكومة طَالِبَان كان برأيي مجرد شعار رمزي إذ لَمْ تحدث تغييرات جوهرية في مجلس الوزراء والنظام الإداري. وراجت العَدِيْد من التفسيرات غير

الصحيحة في البلدان الأخرى لاسم "الإمارة". فَقَالَ البعض إنها تعني حكومة لجميع المسلمين في العالم، والحقيقة أنه يمكن استخدام نفس الاسم أيضاً لدولة أو حكومة شبه مستقلة. فدولة الإمارات العربية المتحدة مثلاً تتكون من سبع إمارات، وكُلّ إمارة تشكل جزءاً من حكومة واحدة.

الحظر المفاجئ لزراعة الخشخاش

منذ وصول طَالِبَان إلى الحكم وصولاً إلى عام 1999، اتفقنا مع المنظمات الدولية غير الحكومية على اعتماد سياسة للحد من زراعة الخشخاش بِشَكلٍ تدريجي سنوياً. قضت الخطة في البداية بالحد من زراعتها بمقدار الثلث ثُمَّ النصف ثُمَّ الثلثين، وصولاً في النهاية إلى الحظر التام كي لا يتسبب الحظر المفاجئ بخسارة مادية للمزارعين.

وقف العُلَمَاء الَّذِينَ وثق بهم المُلَّا عُمَر ضِدّ زراعة الخشخاش، لكنهم قبلوا استراتيجية المنع التدريجي. وخلال السنة الثانية من هَذِهِ الخطة بين عامي 1998 و1999، ظهرت نتائج ذَلِكَ. وفي ذَلِكَ الوقت اتخذ المُلَّا عُمَر الإجراءات الصحيحة للقضاء على المنكرات دون الالتفات إلى العقوبات والضغوط الدولية. وشمل ذَلِكَ تدمير الأصنام، وفرض قواعد على لباس غير المسلمين، وبعض التعليمات الأخرى، فصدر حظر زراعة الخشخاش من منطلق ديني بحت.

في بداية حكم طَالِبَان، قدم العُلَمَاء في المنطقة أسباباً لجواز زراعة الخشخاش، لكن المُلَّا عُمَر لَمْ يحبذها أبداً، واقتنع بحظره على مراحل لتجنب رد فعل شعبي قوي. وبموجب الاتفاقية التزمت المنظمات الدولية بدفع أجور للمزارعين مقابل التوقف عن هَذِهِ الزراعة لكن هَذِهِ الخطة المرحلية لَمْ تنجح في الحد مِنْهَا، مِمَّا جعل المُلَّا عُمَر يشك في نجاحها.

بدأت زراعة الخشخاش أثناء الغزو الروسي في بعض مناطق ولاية هلمند الجنوبية. وبعد انتصار المجاهدين أصبح الأمر شائعاً في الأجزاء الرئيسية من هلمند بالإضافة إلى بعض مناطق قندهار، ومناطق أخرى في الشرق. بُنيت مصانع الأفيون في هلمند وننجرهار وبدخشان، فالتهريب إلى باكستان وطاجيكستان أسهل مِنْهُ إلى إيران، ولذا فضل المهربون المناطق

المحاذيـة لِهَـذِهِ الـدول. اسـتمر هَـذَا الحـال خـلال حكـم طَالِبَـان، وبعـد مناقشـات وتوافـق مـع العُلَمَاء قرر المُلَّا عُمَر حظرها بالكامل بدلاً من اتباع استراتيجية التدرج.

بعـد ظهـر يـوم 26 يوليـو 2000، كنـت في مكتبـي عنـدما وصـل فجـأة المهنـدس فضـل مُحَمَّـد الموظـف المحلـي في برنـامج الأغذيـة العـالمي. فنـاداني المُـلَّا عُمَـر عـبر اللاسـلكي قـائلاً (عـبرت! عـبرت!) كـان هَـذَا الاسـم الخـاص بـي علـى الـتردد، فأجبتـه "نعـم"، قَـالَ: (خـذ ورقـة وقلمـًا)، ففهمـت أنـه يريـد نشـر بيـان عاجـل ومهـم. ثُـمَّ قَـالَ المُـلَّا (اكتـب أنـه مـن اليـوم فصـاعداً، تُحظـر زراعـة الخشـخاش، وسـتطبق عقوبـة صـارمة بحـق المخـالفين). فسـألته عمـا إذا كـان مفروضـًا مـن قبـل جهـة خارجيـة، وعـن طلـب الـدعم مـن المنظمـات الدوليـة بـديلاً، فَقَـالَ (لا يوجـد فـرض مـن أحـد، إنمـا أحرمـه انطلاقـًا مـن مسـؤوليتي الدِّيْنِيَّـة. إننـا لا نحظرهـا لأجـل المجتمـع الـدولي، ولا نحتـاج لـدعم مـن أي منظمـة، مـن أراد مسـاعدة المـزارعين فلـه ذَلِـكَ ومـن لا يريـد فـلا نلزمـه، لكننـا نفعـل ذَلِكَ وفقًا لمسؤوليتنا الشرعية، والله يغفر لنا ما تبقى).

سـمع المهنـدس فضـل هَـذِهِ الكلمـات، وبانـت علـى وجهـه علامـات الدهشـة والسـرور. ثُـمَّ انتهيـت مـن كتابـة البيـان، وأجريـت بعـض التصـحيحات، وأصـابني بعـض الـذهول. فقضـية كهَـذِهِ علـى مسـتوى دولـي، تنتقـدها وسـائل الإعـلام كُـلّ يـوم. لـذا كـان حظرهـا دون أي شـروط مسـبقة حـدثًا رائعـًا فعـلاً. وأرسـلت البيـان إلـى وسـائل الإعـلان عـبر الفـاكس والهـاتف، وأجريـت مقابلات مع العَدِيْد من القنوات الإذاعية بخصوصه أيضـًا.

حَتَّـى ذَلِـكَ الحـين، لَـمْ يعلـم المسـؤولون في العاصـمة بِـذَلِكَ مطلقـًا. وفي وقـت متـأخر مـن الليـل تلقيـت العَدِيْـد مـن المكالمـات الهاتفيـة مـن مسـؤولين بالعاصـمة، وفي اليـوم التـالي نُشـر الخـبر في وسـائل الإعـلام في كـابول. للأسـف بعـد أيـام قليلـة، فسـرت وسـائل الإعـلام الغربيـة هَـذِهِ الخطـوة الرئيسـية للحكومـة الأَفَغَانِيَّـة بِشَـكلٍ سـلبي للغايـة. لَـمْ يهـتم المُـلَّا عُمَـر بـدعايتهم لأنـه لَـمْ يأخـذها بعـين الاعتبـار عنـد اتخـاذ قـراره أصـلاً. لكـن قسـم النشـر في الإمـارة أصـيب بخيبـة أمـل كبيـرة إثـر هَـذِهِ الدعاية السلبية.

زعم البعض أن المُلَّا عُمَر فرض الحظر بعد أن صادر كمية ضخمة من الأفيون، وذَلِكَ بهدف رفع الأسعار. لكن الجميع كان على دراية بشخصية المُلَّا عُمَر، وفي غضون بضعة أشهر، توقفت زراعة الخشخاش تماماً.

استمرت زراعة الخشخاش في بعض المناطق الواقعة تحت سيطرة مليشيات مسعود، والَّتِي لا تشكل سوى حوالي 5٪ من مساحة البلاد. وتوجه مهربو المخدرات وعصاباتها من جميع أنحاء أَفْغَانِسْتَان إلى تِلْكَ المناطق.

ألقى تقرير لبرنامج الأغذية العالمي حول تهريب الأفيون من هَذِهِ المناطق باللوم على بعض أعضاء الجماعات المعارضة وقادتها. وذكر التقرير أن زوجة برهان الدين رباني نفسها متهمة بتهريب المخدرات. ولسوء الحظ بعد الغزو الأمريكي وإنشاء الحكومة الجديدة، استؤنفت زراعة الخشخاش بل زادت أضعافًا، ولا يزال هَذَا الحال مستمراً.

إلغاء الرتب والألقاب الفخرية بمرسوم

خلال حكم طَالِبَان حاول البعض الحصول بِشَكلٍ غير قانوني على ألقاب أكاديمية وعسكرية فخرية من جامعة كابول. فمثلا استعان هَؤُلَاءِ بوثائق من زمن النظام الشُّيُوعِيّ ونظام رباني تُظهر أن المدعو "سليمان لائق" حصل على لقب أكاديمي فخري، كما حصلوا على ألقاب أساتذة وجنرالات. لَمْ يكن المُلَّا عُمَر على علم بما يحدث، ووقع على العَدِيْد من الشهادات الأكاديمية. حَتَّى أن رئيس اللجنة الأولمبية عبد الشكور مطمئن أحد سكان بغمان حصل على ميداليات عدة خلال عدد محدود من البطولات، فقد حاول هو الآخر الحصول على درجة "الأستاذ" الفخرية. ولأجل هَذَا زار قندهار، ودار جدل كبير في مكتبي بينه وبين رئيس المجمع التربوي مُحَمَّد حسين مستسعد حَيْثُ أخبره مستسعد أنه يمكنك أن تكون بطلاً رياضيًا لكن الأستاذ لقب أكاديمي، وإن جهودك للحصول على هَذَا تشوه سمعة النظام والمؤسسات التعليمية. وبالمثل حصل رئيس إذاعة الشريعة مُحَمَّد إسحاق نظامي بطريقة ملتوية على لقب "أستاذ" من منظمة أخرى، وكان أحيانًا يُلحق اسمه بِهَذَا اللقب أثناء البث.

عـام 2000، تلقـى المُـلَّا عُمَـر العَدِيْـد مـن الشـكاوى في هَـذَا الشـأن، وبعـد التشـاور مـع مـوظفي المؤسسـات التعليميـة، أُلغيـت جميـع الـدرجات والألقـاب الفخريـة بمرسـوم رسـمي. وبعـدها لَـمْ يحاول أحد الحصول على ألقاب فخرية أبداً.

الأمر بنسف أصنام بوذا، وزيارة العُلَمَاء العرب إلى قندهار

مـع وصـول طَالِبَـان إلـى الحكـم، سُـلط الضـوء علـى قضـية تماثيـل باميـان، وذَلِـكَ عـام 1997. ففـي 17 أبريـل مـن ذَلِـكَ العـام، صـرح المُـلَّا عبـد الواحـد القائـد العَسْـكَرِيّ لحركـة طَالِبَـان في منطقتـي غوربنـد وشـيبر تنجـي لوسـائل الإعـلام أنهـم سـيدمرون تماثيـل بـوذا إذا مـا سـيطروا علـى باميان.

كما بثت إذاعة كابول نشيداً ورد فِيْهِ:

سأحطم عدو هَذِهِ الأرض الأَفَغَانِيَّة المقدسة، أنا من أمة النبي إبراهيم محطم الأصنام.

وعنـدما أثـار الملالـي وقـادة طَالِبَـان قضـية التمثـالين، حُـول الملـف إلـى القضـاء في أوائـل عـام 2001 ثُـمَّ نـوقش مـع المُـلَّا عُمَـر في قنـدهار. وطلـب المُـلَّا مُحَمَّـد عُمَـر رأي العُلَمَـاء في هَـذِهِ التماثيـل، فـأمروا بهـدمها. وعلـى الفـور أمـر المُـلَّا عُمَـر بنسـف التماثيـل. كَانَـت أَفَغَانِسْـتَان في ذَلِـكَ الوقـت تواجـه بالفعـل عقوبـات وضـغوطًا أمريكيـة ودوليـة. وقـد أثـارت وسـائل الإعـلام الدوليـة والدوائر السياسية هَذِهِ القضية باعتبارها جريمة حرب.

أرسـلت باكسـتان وزيـر داخليتهـا معـين حيـدر إلـى قنـدهار، فـأعرب عـن مخـاوف حكومتـه. وربمـا حاولـت باكسـتان منـع الحكومـة الأَفَغَانِيَّـة مـن اتخـاذ خطـوة كهَـذِهِ بسـبب العـروض المقدمـة مـن الـدول الغربيـة. فـالتقى معـين بـالمُلَّا عُمَـر، وقـدم لَـهُ توصـية مـن الحكومـة البَاكِسْـتَانِيَّة بعـدم نسـف تماثيـل بـوذا، وتحـدث بعنايـة عـن الضـغط الـدولي والدعايـة السـلبية. فـأخبره المُـلَّا عُمَـر بإيجـاز أن قانوننـا هـو الشـريعة الإِسْـلَامِيَّة، وهنـاك أمـر في الشـريعة بتـدمير التماثيـل، وأننـا ملزمـون بتنفيـذ الأوامـر الشـرعية. فأجابـه وزيـر الداخليـة (جميـع الحكـام المسـلمين الَّـذِينَ حكمـوا هَـذِهِ الـبلاد مـن قبـل مثـل محمـود الغزنـوي وأبـدالي غونـدي نـور، لَـمْ يحطمـوا هَـذِهِ التماثيـل). فأجابـه

المُـلَّا عُمَـر (إذا تـركتهم فسأُسأل عـنهم يـوم القيامـة). تعمـد وزيـر الداخلية إساءة تفسير بعـض كـلام المُـلَّا عُمَـر أمـام رؤسـائه والمسـؤولين الأجانـب، خاصـة أنـه شـيعي يكـن العـداء الأيـديولوجي لِطَالِبَان.

بعـد أيـام قليلـة، أُرسـلت المتفجـرات إلـى باميـان لنسـف التماثيـل. وانتهـت عمليـة التفكيـك في منتصـف الطريـق عنـدما زار وفـد مـن العُلَمَـاء المشـهورين قنـدهار بنـاءً علـى طلـب منظمـة اليونسـكو والحكومـة القطريـة. تـرأس هَـذَا الوفـد وزيـر الدولـة القطـري للشـؤون الخارجيـة الشـيخ أحمـد عبـد الله زيـد آل محمـود، ورافقـه العـالم المسـلم الشـهير الشـيخ يوسـف القرضـاوي، ومفتـي مصـر الشـيخ نصـر فريـد واصـل، ورئـيس محكمـة الاسـتئناف القطريـة الشـيخ عبـد القـادر العمـاري، وعالمـان عربيـان مـن مصـر، ومستشـار وحـدة حمايـة البيئـة بمنظمـة الصـحة العالميـة مُحَمَّـد هيـثم الخيـاط [1]، وعضـو مجمـع البحـوث الإِسْـلَامِيَّة في مصـر الشـيخ مُحَمَّـد الـراوي، والكاتـب المصري فهمي هويدي، وأعضاء من وزارة الخارجية القطرية.

في ظـل العقوبـات علـى أَفَغَانِسْـتَان أعطـى مجلـس الأمـن الـدولي الوفـد إذنـًا لمـدة 48 سـاعة لتنفيـذ زيـارتهم إلـى قنـدهار، وفي 11 مـارس 2001 هبطـت طـائرة قطريـة في مطـار قنـدهار، وأقيمـت المراسـم المناسـبة لاسـتقبال الوفـد. وكـان عـدد مـن المسـؤولين العسـكريين حاضـرين للترحيـب بهـم، واسـتقبلهم نائـب وزيـر الخارجيـة في دار الضـيافة بالمطـار، ومعـه بعـض السـيارات مـن نـوع مرسـيدس سـوداء اللـون. واصـطُحب الضـيوف إلـى دار ضـيافة آمنـة تابعـة لـوزارة الخارجيـة في منطقـة المجمـع الواقعـة بـين مدينـة قنـدهار والمطـار. كَانَـت دار الضـيافة تِلْـكَ مجهـزة بالكامـل، وبهـا كُلّ المرافق الأساسية.

كنـت أنـا وعبـد المتـين إبـراهيم خيـل في خـدمتهم، وجلسـنا معهـم حَتَّـى سـاعات متـأخرة مـن الليـل. فعبـد المتـين يجيـد اللغـة العربيـة، ولـذا أجرينـا بعـض الحـوارات الجيـدة. ونـاقش الشـيخ القرضاوي ورفاقه الوضع الحالي في أَفَغَانِسْتَان ونظام طَالِبَان بالتفصيل.

1 – مُحَمَّـد هيـثم الخيـاط طبيـب سـوري، عمـل في منصـب كبيـر مستشـاري المـدير الإقليمـي لمكتـب منظمـة الصـحة العالميـة الإقليمي لشرق البحر المتوسط

استقبلتهم طَالِبَان باحترام كبير لأن بينهم علماء مسلمين على مستوى دولي. واعتقدوا أن طَالِبَان لَمْ تنفذ عملياً خطتها لهدم التماثيل، ولذا أرادوا مقابلة العُلَمَاء الأَفْغَان العاملين في المحكمة العليا. فأُبلغ رئيس المحكمة العليا برغبتهم في مقابلته، وبما أنهم سيمكثون في قندهار لفترة قصيرة ولن يتمكنوا من زيارة كابول، فعليه القدوم إلى قندهار بنفسه. بدأ رئيس المحكمة العليا قاضي القضاة مَوْلَوِي نور مُحَمَّد ثاقب ومسؤولون مهمون آخرون رحلتهم البرية في المساء، ووصلوا إلى قندهار بعد ظهر اليوم التالي. ولَمْ يتبقَّ سوى بضع ساعات قبل أن يعود الضيوف إلى طائرتهم، فقد أرادوا المغادرة قبل المساء. أخذنا الضيوف إلى دار ضيافة ولاية قندهار، وبدأ اللقاء بينهم وبين وفد المحكمة العليا. وتكلم الشيخ يوسف القرضاوي نيابة عن الضيوف، فيما تحدث المَوْلَوِي نور مُحَمَّد ثاقب نيابة عن وفد المحكمة، وجلس المفتي عبد العلي الديوبندي بجانبه أيضاً.

رحب مَوْلَوِي نور مُحَمَّد ثاقب بالضيوف ثُمَّ قدم الشيخ القرضاوي موجزاً عن سبب زيارتهم، وقَالَ (لسنا هنا لمناقشة موضوع التماثيل إنما لنقدم لكم نصيحة صادقة، فنحن نتعاطف معكم. لا ينبغي لِطَالِبَان أن تتورط في المزيد من القضايا لأنها تواجه بالفعل عداء وضغطًا دوليّا).

فأجابه مَوْلَوِي ثاقب (نحن موظفون بالمحكمة الشرعية، فهل يجب هدم التماثيل وفق أحكام الشريعة أم يُشرع تركها؟) فَقَالَ الشيخ القرضاوي (أنا أيضاً حنفي مثلك، وأقر أيضاً أن الأمر الفعلي يقتضي هدم التماثيل. لكنك في الوقت الحالي ووضعك الراهن لديك رخصة شرعية، فالأولوية يجب أن تكون للإصلاحات الأخرى). هنا أدرك المفتي عبد العلي الديوبندي أنه لا جدال في مسألة تدمير التماثيل، فغادر الاجتماع.

استمر النقاش بين الطرفين، واستندت أقوال القرضاوي إلى أدلة علمية، لكن مَوْلَوِي ثاقب قَالَ (لقد انتظرنا هَذَا الأمر طويلاً، وسواء قمنا بِهَذِهِ الخطوة أم لا، فلن يغير العالم من سياسته تجاهنا فكُلّ شيء يسير ضدنا. ولا نرى فائدة إذا امتنعنا عن القيام بِذَلِكَ. لذا من الأفضل تنفيذ الأوامر الشرعية. ونحن موظفون في السلطة القضائية، ومن واجب وزارة الخارجية والمسؤولين الآخرين معالجة قضايانا السياسية. أما إذا كان هناك شيء بخصوص

أوامر الشريعة، فلدينا أدلة واضحة على ذَلِكَ). كما قدم لهم مَوْلَوِي ثاقب عدة مراجع حول هَذَا الأمر، واقتبس لهم من كلام الإمام ابن القيم الجوزية.

انتهى الاجتماع بعد الظهر، ولَمْ يتبق سوى القليل من الوقت لمغادرة الوفد الزائر، ولذا لَمْ يكن اللقاء مع المُلَّا عُمَر ممكناً. كما سُمح للشيخ أسامة بن لادن بلقاء قصير مع الضيوف، لكنه كان لا يزال في طريقه إلى المطار عندما غادرت الطائرة.

أدرك المُلَّا عُمَر والعُلَمَاء من حوله والطالبان عموماً أن هَذِهِ التماثيل لَمْ تعد تُعبد في بلاد المسلمين، ولا يمكن أن تشكل تهديداً فكريّاً على الإسلام والمسلمين. لكنهم رأوا المسألة من جانب مختلف. فالبوذية كَانَت الدين السائد في هَذِهِ المنطقة وسط أَفَغَانِسْتَان قبل الإسلام. والكثير من محبي الثقافة والحضارات يفتخرون بشعارات الكفر والجاهلية، ويحبون الرموز الَّتِي كَانَت تُعبد قبل الإسلام، ويعتبرونها آثاراً تاريخية، وهَذَا الأمر محرم في الشريعة الإِسْلَامِيَّة.

ولو أنه يُسمح ببقاء هَذَا النوع من الآثار، لكان النبي مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وسلم قد ترك أصنام مكة للغاية نفسها. وفي بعض البلدان الإِسْلَامِيَّة يحب البعض هَذَا النوع من الثقافة والحضارة، ويعتبرون الجاهلية قبل الإسلام أكثر قيمة وأهمية من الحضارة الإِسْلَامِيَّة. ففي مصر يحترم البعض الفراعنة، وفي إيران لا يزال البعض يحترم الزرادشتية ويعتبرونها مقدسة. وحَتَّى في أَفَغَانِسْتَان، هناك من يعشق زرادشت. وقد حظرت طَالِبَان الاحتفال بعيد النيروز لأنه عيد الزرادشتيين وليس لدينا سوى عيدين في الإسلام.

تصحيح الثقافة المسيئة للمرأة[1]

تعد ظاهرة القتل المنتشرة في المجتمع البشتوني والأَفْغَانِيّ بسبب التنافس والعداوة القبلية أمراً مؤسفاً للغاية. وقد حاول شيوخ القبائل دائماً إيقاف هَذِهِ الظاهرة من خلال مجلس الجيرغا التقليدي، فكَانَت أيسر طريقة للمصالحة بين طرفين هي زواج أحد أفراد الأسرة المتضررة من ابنة أسرة القاتل أو أخته.

صحيح أن هَذِهِ الطريقة تنهي العداء بين الطرفين، ولكنها من ناحية أخرى تمثل استغلالاً لإنسان بريء مضطهد، فهَؤُلَاءِ النساء يُمنحن سلعةً للتعويض لا غير أما إذا طُبقت أحكام الشريعة، فلا داعي لمثل هَذِهِ الإجراءات غير اللائقة. وخلال حكم طَالِبَان قضت الحَرَكَة على معظم هَذِهِ النزاعات الشخصية بفضل نعمة تطبيق الشريعة الإِسْلَامِيَّة. فلو أراد شخص قتل شخص آخر، فسيطبق عَلَيْهِ حد القصاص بقرار من المحكمة الشرعية. وإن سامحته أسرة الضحية طوعاً، فسيُترك على قيد الحياة.

وبالمثل، في المجتمع البشتوني والأَفْغَانِيّ ثمة ثقافة غير لائقة تتعلق بالأرامل، حَيْثُ لا يُسمح لهن في العَدِيْد من العائلات باتخاذ قرارات بشأن حياتهن المستقبلية. فأسرة الأرملة هي الَّتِي تتخذ القرار بتزويجها من عدمه بغض النظر عن موافقتها. فإما أن تتزوج من ولد أو رجل كبير في السن أو تظل ممنوعة من الزواج. وفي 11 سبتمبر 1998 أصدر المُلَّا مُحَمَّد عُمَر مرسوماً خاصّاً يقضي بعدم جواز إجبار المرأة على الزواج بقرار من الأسرة أو الجيرغا. وفي المقابل يمكن للمرأة أن تتزوج من أي شخص تحبه، وإذا لَمْ ترغب في الزواج فلا يمكن لأي فرد من أفراد الأسرة إجبارها. بالإضافة إلى ذَلِكَ سُمح للفتيات البالغات بالزواج بمحض إرادتهن بناءً على الفقه الحنفي. فأثار ذَلِكَ غضب الطبقة المثقفة ضِدّ طَالِبَان، ووقعت العَدِيْد من الحوادث لفتيات قمن بزيارة المحاكم سراً وتزوجن من رجال من اختيارهن دون موافقة أسرهن. وأبلغت مراكز الشرطة هَذِهِ العائلات رسمياً عن هَذِهِ الزيجات ودعتهم إلى قبول هَذَا القرار.

---

1 – لَمْ نعثر على هَذِهِ الفقرة في النسخة البشتونية.

ذات مرة جاء رجل من منطقة لويا ويالا في قندهار بدراجته إلى مركز الشرطة مع فتاة أحبها دون أن يبلغا أسرتيهما. فيما كَانَت أسرة الفتاة تلتقي مع رجل آخر لتزويجها مِنْهُ، ولإيقاف ذَلِكَ هرب الزوجان إلى مركز الشرطة، واتصلا بالمحكمة وأعلنا زواجهما في اليوم التالي. ووقعت مئات الحوادث المماثلة.

اعتماد التقويم القمري[1]

من المتعارف عَلَيْهِ في أَفْغَانِسْتَان وإيران وطاجيكستان استخدام التقويم الشمسي رسمياً، وتنظم كافة الأعمال الحكومية وفقاً لِهَذَا التقويم. فالتقويم الشمسي وضعه منذ مئات السنين حكام خراسان، والحكام الناطقون بالفارسية. ويُعرف اليوم الأول من هَذَا التقويم باسم النيروز، وهو يوم عيد في هَذِهِ البلاد يعود تاريخه إلى عهد الزرادشتيين القدماء، ويعظمه عباد الشمس لأنه يُعرف بالعام الجديد للسنة الشمسية أما التقويم القمري فتحدده معايير إسلامية، لأنه يبدأ بيوم هجرة الرسول ﷺ.

يبدأ التقويم القمري مع صعود القمر، وتبلغ بعض شهوره 29 يوماً وبعضها الآخر 30 يوماً. أما في التقويم الشمسي فكُلّ الشهور 30 يوماً. وفي 5 مارس 1998 صدر مرسوم من المُلَّا عُمَر ينص على اعتماد التقويم الهجري القمري في تنظيم كافة الشؤون الرسمية، فصار هَذَا التقويم رسمياً في كافة الإدارات.

بعد هَذَا المرسوم، أعلنت حركة طَالِبَان حظر الاحتفال بعيد النيروز لأنه عيد غير إسلامي. كما أعلن مفتي طَالِبَان الشيخ عبد العلي الديوبندي عبر الإذاعة أن الاحتفال بعيد النيروز مخالف للإسلام. وبالمثل لا صحة للمقام المزعوم في مدينة مزار الشريف والمنسوب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁، فقبره موجود في مدينة الكوفة العراقية وليس في مدينة مزار. وزادت هَذِهِ التصريحات من انتقادات بعض الجماعات الثقافية والليبرالية لِطَالِبَان.

1 – لَمْ نعثر على هَذِهِ الفقرة في النسخة البشتونية.

تخصيص لباس مميز لغير المسلمين

وفقـًا للفقـه الشـرعي، يجـب أن يتميـز المشـركون عـن المسـلمين بلبـاس خـاص بهـم كـي يسـهل التعـرف علـيهم وتمييـزهم عـن المسـلمين. وحَتَّـى عـام 2001، لَـمْ يتواجـد في أَفَغَانِسْـتَان سـوى القليـل مـن السـيخ والهنـدوس الَّـذِينَ عاشـوا كمـواطنين غيـر مسـلمين. واحتاجـت الشـرطة الدِّيْنِيَّـة لتحديـد هويـة غيـر المسـلمين لإعفـائهم مـن القواعـد الدِّيْنِيَّـة الَّتِـي تُفـرض علـى المسـلمين، لكـن هَذِهِ القواعد واجهت انتقاداً دوليّـًا رغم أن الحكومة أعلنت عَنْهَا لكنها لَمْ تطبقها عمليّـًا.

السقوط

التحالف الأمريكي والروسي ضِدّ طَالِبَان والمجاهدين المهاجرين

بعد فرض العقوبات الدولية على أَفَغَانِسْتَان اتخذت طَالِبَان خطوات نحو تحقيق السيادة القانونية والوطنية. وأيقن المُلَّا عُمَر أن الولايات المتحدة وحلفاءها لن يسمحوا لحكومة طَالِبَان بتحقيق الأمن والاستقرار مهما كلف الأمر. وعام 2000، بدأت وكالة الاستخبارات المركزية CIA مع روسيا وفرنسا وإيران أيضاً بدعم أحمد شاه مسعود وتحالفه. وشجع هَذَا التحالف وزاد من عداء الولايات المتحدة لِطَالِبَان.

كَانَت باكستان في موقف ضعيف أيضاً، فيما دعمت السعودية السياسة الأمريكية، وأقسم وزير الاستخبارات السعودي تركي الفيصل في اجتماع حضره أنه سيبذل قصارى جهده لإسقاط حكومة طَالِبَان، لأن المُلَّا عُمَر أهانه.

عام 2000، تخلت طَالِبَان عن الالتزام الَّذِي قطعته للمجتمع الدولي بالسيطرة على نشاط القاعدة، فخففت من القيود المفروضة عَلَيْهَا، وكادت سياسة الضبط تِلْكَ تنتهي مِمَّا دفع العَدِيْد من عناصر القاعدة في الدول العربية للقدوم إلى أَفَغَانِسْتَان مع أُسرهم. كما أعيد فتح المعسكرات التدريبية حَيْثُ أُنشدت الأناشيد وقُدمت المأكولات والمشروبات العربية.

أيقن المُلَّا عُمَر أن الضغط الدولي لن يتراجع، وأن الأوضاع لن تعود إلى طبيعتها، ولذا رحب بالمجاهدين المهاجرين، ووفر الفرص للمجاهدين الأوزبك والعرب. كما رحب بجماعة جمعة نمنجاني[1]، لكنه كان حذراً بشأن مقاتلي الأيغور. فقد كان عددهم أقل من مئة، ولَمْ يُسمح لهم إلا بالعيش هنا، لكن الصين كَانَت لا تزال قلقة بشأن الأيغور عموماً. ولَمْ يتمكن العَدِيْد من المسؤولين من التعرف عليهم فاعتبروهم جزءاً من المجموعة الأوزبكية نظراً لعدم وجود مجموعة منفصلة لهم أو معسكر تدريب.

---

1 – مؤسس وقائد جماعة "حركة أوزبكستان الإِسْلَامِيَّة".

كـان الاعـتراف بالشيشـان أيضـًا جـزءاً مـن السياسـة الجديـدة. وفي مطلـع عـام 2001، وبعـد الجهـود الَّتِـي بـذلها مَوْلَـوِي متوكـل، قـام رحمـة الله هاشـمي بزيـارة الولايـات المتحـدة موفـداً مـن وزارة الخارجيـة. ولمـا عـاد حمـل رسـالة مـن الأمـريكيين إلـى المُـلَّا عُمَـر، يطلبـون مِنْـهُ فِيْهَـا السـيطرة علـى أسـامة بـن لادن. وعنـدها غضـب المُـلَّا عُمَـر، وقَـالَ (الأمريكـان مشـغولون بتكـوين تحـالف سياسـي وعسـكري ضـدنا. وقـد فرضـوا علينـا حصـاراً بريّـًا وجويّـًا، ويخططـون للقضـاء علينـا، ولا زالـوا رغـم هَـذَا يطلبـون منـا المزيـد، فمـا الإجـراءات الإيجابيـة الَّتِـي يجـب أن نسـاعدهم مـن خلالها؟).

عـام 2001، زار مسـعود أوروبـا، وانكشـف دعـم وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة الأمريكيـة لميليشـيات التحـالف. واجتمـع القـادة المناهضـون لِطَالِبَـان في دبـي وباكسـتان، واسـتمرت الاجتماعـات فيمـا بيـنهم. وعمـل حامـد كـرزاي في بيشـاور علـى تنظـيم قـادة المنطقـة الشـرقية بقيـادة عبد الحق، وعلمت طَالِبَان بِكُلِّ هَذِهِ الخطط.

في ذَلِـكَ الوقـت، شـنت الولايـات المتحـدة حربـًا خفيـة علـى طَالِبَـان، حَيْـثُ دعمـت قـادة المعارضـة بالمَـال والتقنيـة والسـلاح. فـاعتبر المجاهـدون العـرب وتنظـيم القاعـدة أحمـد شـاه مسـعود حليفـًا رئيسـيًا للغـزاة. وبنـاء علـى ذَلِـكَ أعـدوا خطـة لاغتيالـه ونفـذوها بينمـا كَانَـت طَالِبَـان تجهل الأمر.

جهود لتشكيل تحالف أفغاني ضِدّ طَالِبَان

منـذ بدايـة عـام 2001، رتبـت وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة (CIA) اجتماعـات في دبـي وباكسـتان وطاجيكسـتان ودول غربيـة بـين قـادة أفغـان سـابقين وبعـض المغتربـين في الخـارج وآخـرين معارضـين لِطَالِبَـان. وتسـارعت الجهـود المبذولـة لإنشـاء تحـالف عسـكري في الـداخل ضِـدّ طَالِبَـان، فـإن انتصـروا فسـتبرز هَـذِهِ الجماعـات علـى أنهـا كيانـات وطنيـة بِحَيْـثُ لا يكـون التدخل الأمريكي واضحـًا.

في شـهري يوليـو وأغسـطس، جمـع القائـد عبـد الحـق في دبـي قـادة وشخصـيات شـهيرة مـن المنـاطق الشـرقية والوسـطى. وشـجعهم علـى الانضـمام إلـى هَـذَا التحـالف بوعـود وترغيـب بالمَـال والمناصـب في حكومـة جديـدة، وقَـالَ لهـم: إن لـدى أمريكـا نوايـا جـادة لإسـقاط حكومـة طَالِبَـان، لذا يجب أن نستغل هَذِهِ الفرصة.

رتـب عبـد الحق سفر هَـؤُلَاءِ القـادة، وقـدم لهـم بعـض المَـال هديـة. لكـن قائـداً مـن كـابول لَـمْ يكـن علـى علـم بالغايـة الفعليـة مـن الاجتمـاع، فلمـا علـم اختلـف مـع عبـد الحـق ورفـض أخـذ المَـال مِنْهُ. وبعد عودته من دبي، أخبر موظفي القنصلية الأَفَغَانِيَّة في بيشاور بما حدث.

في كويتـا، التقـى حامـد كـرزاي وغـول آغـا شـيرزي بقـادة قنـدهار وهلمنـد وأوروزجـان، ووزعـوا الأَمْوَال علـيهم. عمـل الحـاج عبـد القـدير شـقيق عبـد الحـق علـى التنسـيق مـع مسـعود بينمـا عمـل شـقيقه الآخـر الحـاج ديـن مُحَمَّـد علـى التنسـيق مـع الملالـي والمجاهـدين السـابقين مـن أجـل هَذَا التحالف.

تطلـع أحمـد شـاه مسـعود ودوسـتم وإسـماعيل خـان بعـد حصـولهم علـى دعـم سياسـي وعسـكري مـن روسـيا وإيـران ودول أخـرى تقـع شَـمَال أَفَغَانِسْـتَان للانتصـار علـى طَالِبَـان، بجـوار الـدعم العَسْـكَرِيّ والمـالي الهائـل لـذي حصـلوا عَلَيْـهِ مـن وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة منـذ العـام الماضـي. فعلاقـتهم مـع وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة كَانَـت لا تـزال حديثـة العهـد. عـين المُـلَّا عُمَـر مَوْلَـوِي متوكـل وزيـراً للخارجيـة بعـد فـرض العقوبـات الأمريكيـة علـى أَفَغَانِسْـتَان، وكلفـه بالحـد مـن التـوترات مـع الـدول الغربيـة. وفي سـعيه للقيـام بِـذَلِكَ، أرسـل وفـداً إلـى أمريكـا، لكنـه لَـمْ يعد بنتيجة إيجابية.

مـن جهـة أخـرى، بـدأت طَالِبَـان تسـتعد لمواجهـة هَـذَا التحـالف الأمريكـي – الـداخلي بِشَـكلٍ جـاد. وشـكل المجاهـدون العـرب والعجـم عامـل دعـم كبيـر للحركـة، وكـان هَـذَا الـدعم مطلوبـاً بشـدة. وعلـم بعـض أعضـاء القاعـدة البـارزين بـأمر هَـذَا التحـالف، وأمـل بعضـهم في اجتماعـاتهم الخاصة بشن هجوم استباقي على الولايات المتحدة.

اغتيال أحمد شاه مسعود

في يوليو 2001، وصل إلى قندهار ثلاثة شبان عرب قالوا إنهم صحفيون بلجيكيون من أصل تونسي. أقاموا في دار ضيافة للعرب تُسمى "دار السَّلَام"، وطلبوا إجراء مقابلة مع مَوْلَوِي متوكل. أثناء اقتيادهم إلى هناك، أُوقفوا بالقرب من مديرية الأمر بالمعروف في قندهار بمنطقة ساحة "مدت"، وأُخرجوا من السيارة كونهم حليقي اللحى ويرتدون سراويل.

هناك، قدموا أنفسهم على أنهم عرب، لكن عناصر الأمر بالمعروف لَمْ يروا من قبل عرباً حليقي اللحى في قندهار. وأثارت كاميرا التلفزيون الموجودة في صندوق السيارة ريبة عناصر طَالِبَان، لكن بما أنهم كانوا في طريقهم لمقابلة مَوْلَوِي متوكل، فَلَمْ يشكل ذَلِكَ مشكلة كبيرة.

دائماً ما تلقى الضيوف الاستثنائيون من هَذَا النوع رسالة من وزارة الخارجية لتجنب المشاكل مع لجنة الأمر بالمعروف والمسؤولين الأمنيين لكن هَؤُلَاءِ لَمْ تكن بحوزتهم أية رسائل، ورغم ذَلِكَ أُطلق سراحهم في النهاية لكونهم ضيوفاً عند مَوْلَوِي متوكل.

لما جلسوا مع متوكل، قدموا أنفسهم قائلين: أنا عابد وهَذَا زميلي كريم. نحن بلجيكيان من أصل تونسي، ونعمل في بلجيكا مع وكالة المرصد الإِسْلَامِيّ للإعلام. وكان زميلهم الثالث أبو هانئ مصرياً، واسمه الحقيقي مهند شبانة[1]. خلال الجِهَاد ضِدّ الاتحاد السوفياتي، كان مهند مسؤولاً عن مجلة "البنيان المرصوص" التابعة لعبد رب الرسول سياف، لذا فهو على معرفة وثيقة بالمجاهدين السابقين، وخاصة سياف.

بعد ذَلِكَ توجهوا إلى كابول، وحصلوا على تصريح من نائب وزير الخارجية عبد الرحمن زاهد للعبور من مناطق طَالِبَان إلى بنجشير، وهو ما دفع أنصار مسعود لَاحِقَاً إلى إيلاء اهتمام وثيق بنائب وزير الخارجية، فعندما أراد زاهد إرسال قاسم حليمي الرئيس السابق لأمانة وزارة الخارجية إلى كابول عام 2002 لتبرئة نفسه والقيام بأعمال أخرى، أُحضر إلى الحكومة واعتقلته الاستخبارات الأَفَغَانِيَّة وضربته ثُمَّ سلمته إلى الأمريكيين، وعندما أُطلق سراح قاسم

1 – ليس هو مهند شبانة، فهو غادر أَفَغَانِسْتَان منذ عام 1994، وهوية الأشخاص المنخرطين في الحادث منشورة.

أخبر زاهد بما حدث لَهُ من تنكيل شمل الإجبار على الانبطاح على الأرض وتمريغ الأنف في التراب والضرب على الرأس والجسد حَتَّى اخضرَّ لونه.

في الشَّمَال، قدم أبو هانئ هذين الشابين إلى سياف، فأجريا معه بداية عدة مقابلات ثُمَّ توجها إلى منطقة خواجة بهاء الدين في ولاية تخار لإجراء مقابلة مع مسعود، وما إن بدأت المقابلة حَتَّى فجرا العبوات الناسفة المزروعة في الكاميرا، وقُتل مسعود على الفور.

في 9 سبتمبر، نشرت وكالة أنباء إنترفاكس الروسية نبأ التفجير الَّذِي استهدف مسعود، لكننا سبق وسمعنا مراراً عن موت مسعود حَتَّى أثناء الحرب بين حكمتيار ومسعود، حَيْثُ سبق أن نشر متحدثون باسم الحِزْب الإِسْلَامِيّ تقارير عن مقتله عدة مرات. لذا كان من الصعب تصديق هَذِهِ الأخبار مباشرة. في اليوم التالي تأكد خبر الهجوم، لكن المتحدث باسم مسعود عبد الله نفى خبر مقتله، وفي مقابلة لَهُ مع بي بي سي أدلى بتصريح غريب للغاية، حَيْثُ قَالَ: إن مسعود على قيد الحياة، لكننا لن ننشر أي تسجيلات صوتية لَهُ.

تلقت وكالة الاستخبارات المركزية والاستخبارات الروسية هَذِهِ المعلومات على الفور. كان مسعود قد كلف أمر الله صالح تحديداً بمهمة التواصل مع السي آي إيه، فاتصل بهم وأبلغهم بنبأ مقتل مسعود، وطلب توصيتهم لتعيين قائد بديل.

لَمْ يكن المُلَّا عُمَر والمسؤولون الآخرون على علم بحقيقة الوضع. وتلقيت مكالمات من صحفيين، وطلبت من المُلَّا عُمَر أن يحدد لي ما ينبغي أن أقوله، فَقَالَ (لسنا على علم بالحادثة، ولسنا متورطين في هَذَا العمل، وليس لدينا أدنى فكرة عن القتلة. كما أننا لا نظهر فرحنا بما حدث). فأرسلت هَذِهِ التصريحات لوسائل الإعلام.

كان المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور آنذاك قائد القُوَات الجوية، وتلقى معلومات عن موعد جنازة مسعود، وأمر القُوَات الجوية بالاستعداد للإغارة على الجنازة، وطلب إذن المُلَّا عُمَر بِذَلِكَ، فالقادة الرئيسيون مثل سياف ورباني ومحمد فهيم سيحضرون الجنازة. لكن المُلَّا عُمَر رفض الأمر وقَالَ: (ألا تتركهم حَتَّى في هَذِهِ الحالة). وبناء على ذَلِكَ أصدر المُلَّا منصور تعليماته بإلغاء العملية.

هجمات 11 سبتمبر على الولايات المتحدة

كنت في المكتب بعد الظهر عندما اتصل بي صديق من ألمانيا، ليسألني عما إذا كنت على علم بالهجمات الَّتِي وقعت في نيويورك. فسألته عن نوع الهجمات، فَقَالَ (إنني لَمْ أفهم بعد، لكن طائرة اصطدمت بمبنى كبير عن طريق الخطأ أو العمد، والقنوات التلفزيونية العالمية تعرض حريقاً في مبنى ضخم، والناس قلقون ويركضون في كُلّ مكان).

انتشر هَذَا الخبر في جميع وسائل الإعلام، ولَمْ يكن لدينا في أَفَغَانِسْتَان سوى قنوات إذاعية غربية فقط، فيما وسائل الإعلام المحلية تبث الأخبار من وقت لآخر. ولَمْ تكن أية محطة إذاعية تبث أخباراً في ذَلِكَ الوقت، وتأخر بث إذاعتي البي بي سي وصوت أمريكا.

لَمْ يكن لدينا في المكتب المركزي للإمارة سوى شبكة الانترنت، بينما لا توجد معدات لتشغيل القنوات الفضائية هناك. تلقينا مكالمات هاتفية من عدة جهات، وسمعنا أنباء تتحدث عن تعرض البنتاغون ومركز التجارة العالمي لهجوم.

أبلغت المُلَّا عُمَر عبر اللاسلكي بالأمر، لكن وزارة الخارجية كَانَت قد أبلغته بالفعل، وقَالَ لي (بلغني الخبر، ولا أدري ما الَّذِي يجري، أدعو الله أن يرحمنا). فذهبت إلى مكتبه، ووجدت طيب آغا وإخوة آخرين يتابعون الأخبار عبر الإنترنت. وفي وقت لاحق زرت مكتب سي إن إن، وشاهدت الحادثة بأكملها عبر البث الفضائي لقناتي سي إن إن والجزيرة.

وعلى الفور، سارعنا لإدانة الحادث، وشجبناه عبر وسائل الإعلام. وبعث المُلَّا عُمَر برسالة إلى أسامة بن لادن يعلن فِيْهَا تبرؤه من الحادث، وبالمثل أعلن أسامة أن لا علاقة لَهُ بما حصل لكنه أضاف أنه سعيد للغاية. فرفض المُلَّا هَذَا الكلام، وأثار قلقه.

قَالَ مَوْلَوِي متوكل لوسائل الإعلام العالمية (إننا ندين هَذَا الحادث ونطالب الولايات المتحدة بالتروي حَتَّى تعثر على أدلة تكشف هوية الفاعلين). لكن عندما اتهمت الولايات المتحدة أسامة بالوقوف خلف الهجمات، تغيرت الظروف. فواجهت طَالِبَان أزمات كبيرة، ولَمْ يكن لدى المُلَّا عُمَر والمسؤولين الآخرين أي حلول.

أبلغنا بعض خبراء القاعدة والأساتذة الأَفَغَان المقيمون خارج البلاد عن تزايد الأقمار التجسسية فوق قندهار. ولَمْ يكن هَذَا أمراً جديداً بالنسبة لنا لكننا رصدنا قمراً تجسسياً يشبه النجوم المتوهجة في المساء يتوقف حيناً ويتحرك أحياناً، وله ضوء مصطنع وليس ثابتاً كضوء النجوم، بل كان يختفي أحياناً. وناقشنا هَذَا الأمر لكننا لَمْ نقتنع بهِ تماماً، ومن غير الممكن أيضاً تجاهله بسبب الهجوم الأمريكي المتوقع.

اجتماع العُلَمَاء في كابول لبحث قضية بن لادن

طلب الرئيس الأمريكي جورج بوش من الحكومة الأَفَغَانِيَّة بصراحة تسليم أسامة بن لادن، وإلا فسيهاجم أَفَغَانِسْتَان. واختلفت الآراء المتداولة بين المسؤولين، وقَالَ المُلَّا عُمَر (لن أقبل بشيء كهَذَا، سواء متنا أو عشنا، فسنجد حلاً شرعيّاً لِهَذَا). ثُمَّ قرر أن يحول هَذِهِ المسألة إلى العُلَمَاء، ويسمع رأيهم. فعقد اجتماعاً كبيراً في كابول، حضره العُلَمَاء على مستوى أَفَغَانِسْتَان كلها. وبعد مناقشات استمرت ليومين، توصلوا إلى قرار يقضي بضرورة مغادرة أسامة بن لادن أَفَغَانِسْتَان طوعاً، مع التأكيد أن طرده بالقوة أو تسليمه للآخرين مخالف للشريعة الإِسْلَامِيَّة. كما قالوا: إذا هاجمت أمريكا أَفَغَانِسْتَان، فيجب علينا الجِهَاد ضدها.

لكن من ناحية أخرى رفض الأمريكيون هَذَا الحل، وقالوا إنه إذا غادر أسامة أَفَغَانِسْتَان، فستكون الحكومة الأَفَغَانِيَّة مسؤولة أمام الولايات المتحدة، فأسامة في مناطق سيطرتهم، وعليهم أن يسلموه مكبل اليدين مع أتباعه. وقَالَ المُلَّا عُمَر (إن الأمريكيين لن يكتفوا حَتَّى لو غادر أسامة أَفَغَانِسْتَان، لكننا إذا قاومنا غزوهم لبلادنا، وثبتنا على موقفنا فسيكون هَذَا أفضل من الاستسلام لهم. لن نطلب من أسامة أن يغادر ولا أن يسلم نفسه. ولن نقدم أي تنازلات للأمريكان. فالإسلام وعزة الأَفَغَان يأبيان علينا أن نلبي مطالبهم).

زيارة وفد باكستاني إلى قندهار

قبل شهر من بدء القصف الأمريكي على أَفْغَانِسْتَان طلب قائد الجَيْش البَاكِسْتَانِيّ الجنرال برويز مشرف من طَالِبَان تسليم أسامة بن لادن أو انتظار سقوط حكومة طَالِبَان. وزار رئيس الاستخبارات البَاكِسْتَانِيَّة الجنرال محمود قندهار، والتقى بالمُلَّا مُحَمَّد عُمَر في المبنى الجديد للإمارة. وعمل عبد الغفور أفغاني المسؤول بوزارة الخارجية مترجمًا فوريًا بينهما. بدا الجنرال محمود مشابهًا لصور العلامة إقبال. كان رجلاً ذكيًا وقدم أسبابًا وجيهة، وأشار في كلامه إلى القضايا الدولية والتاريخية. كما أظهر اشمئزازاً من الغرب وقدراً كبيراً من الاحترام لِلْمُلَّا عُمَر، واستمع باهتمام لكلامه.

خلال اللقاء قَالَ الجنرال محمود (إن أمريكا قوة عسكرية واقتصادية كبيرة للغاية، وتبحث عن أي فرصة لدخول هَـذِهِ المنطقة. ولا ينبغي لنا أن نعطيها هَـذِهِ الفرصة). وقَالَ (إن الولايات المتحدة تستعد لشن هجوم كبير ردّاً على هجمات 11 سبتمبر، ولديها الآن العذر المناسب). ثُمَّ ضرب مثالاً بالذئب والجاموس حَيْثُ كان الجاموس يشرب الماء من المصب لكن الذئب يبحث عن عذر للهجوم، فَقَالَ للجاموس: لماذا قمت بتلويث الماء؟ وضرب لِلْمُلَّا مثلاً آخر بالثور حين يغضب، فتكون أفضل طريقة ليحمي الراعي بهَا نفسه أن يترك الثور يركض في أرض فلاة كبيرة حَتَّى يتعب، لِـذَلِكَ إذا كَانَت الولايات المتحدة مشغولة لفترة من الوقت فربما يكون تركها تركض في الفلاة أفضل قليلاً.

فَقَالَ لَـهُ المُـلَّا عُمَـر (إن الولايات المتحدة تنوي القضاء علينا منذ بضع سنوات. والهجمات الصاروخية على خوست عام 1998 والعقوبات الاقتصادية على أَفْغَانِسْتَان كَانَت بمثابة البداية. فلا يمكن للولايات المتحدة أن تتسامح مع وجودنا ونظامنا. وقد بحثنا عن حلول وحاولنا إيجاد حل وسط لكن أمريكا لا تتحدث إلا عن استخدام القوة. فإذا قبلنا بمطالبها غير القانونية، فمن غير المؤكد أنهم سيتركوننا وشأننا. إننا ندرك أن بإمكانها أن تلحق بنا ضرراً كبيراً، لكن مطالبها أكثر تدميراً لديننا وإيماننا، وهَـذَا انحراف عن أهدافنا وغاياتنا. فلا يمكنني التراجع ولو قليلاً عن مسؤولياتي الشرعية حَتَّى لو فقدت حياتي وهَـذَا النظام. لا

أستطيع أن أقبل أي شيء تحرمه الشريعة. ومع ذَلِكَ فنحن مستعدون لإجراء مفاوضات ثنائية، ولكن إذا غزت الولايات المتحدة بلادنا فسنقاتلها حَتَّى النهاية).

بعد مناقشة مطولة عاد الجنرال محمود إلى باكستان. ثُمَّ بعد بضعة أيام عاد الجنرال محمود ومعه وفد باكستاني ضم العميد سلطان والرائد جول وجنرال آخر رفقة علماء ذائعي الصيت لهم تأثير فكري وتوجيهي على طَالِبَان. من بينهم رئيس مجلس وفاق المَدَارِس (مجلس المَدَارِس الدِّيْنِيَّة) مولانا سليم الله خان، وشيخ الحديث مولانا حسن جان، ومولانا المفتي مُحَمَّد تقي عثماني، ومولانا شير علي شاه. عُقِد الاجتماع مع العُلَمَاء في غرفة منفصلة، ولَمْ يشارك فِيْهِ أي من المسؤولين الباكستانيين. وحضرت الاجتماع مع السيد طيب آغا وبعض الإخوة. لَمْ يكن تقي عثماني ولا مولانا سليم الله يفهمان لغة البشتو فساعدهما شيخ الحديث شير علي شاه وترجم لهما.

بداية رحب المُلَّا مُحَمَّد عُمَر بالعُلَمَاءِ، ثُمَّ بدؤوا هم بمناقشته. فأعطى المفتي تقي عثماني أسباباً قوية لضرورة بقاء النظام الإِسْلَامِيّ، وأكد صعوبة الوضع الحالي، وقَالَ (إن هَذَا نظام إسلامي، والأعداء يحاولون إسقاطه، لذا يجب البحث عن كُلّ السبل لمنع ذَلِكَ). وأضاف (إن هَذَا الغزو سينعكس على كُلّ المسلمين، لذا يجب أن نجد حلاً مناسباً لقضية أسامة بن لادن). وتحدث مولانا سليم الله خان بتعاطف مع المُلَّا عُمَر، وناقش سبل تجنب الغزو الأمريكي.

كَانَت وجهات نظر هَؤُلَاءِ العُلَمَاء وآراؤهم مهمة للغاية، واستندت إلى الواقع وفقاً لملاحظاتي. لكنهم عجزوا عن الكلام بعد الرد القصير من المُلَّا عُمَر، الَّذِي تحدث معهم بطريقة محترمة للغاية، وقَالَ لهم (إن كُلّ أعمالي مبنية على مشورة العُلَمَاء. وأنتم أكثر دراية مني بشرائع الإسلام، ونحن بين يديكم كطلابكم. لكن جميع أنبياء الله كانوا ملزمين بدين الله. وبالمثل أنا وكُلّ زعيم مسلم ملزم بِذَلِكَ، وسأتبع ما يبيحه الإسلام. فكيف أجيب الله عن هَذَا يوم القيامة؟ لقد وهبني الله ثلاثين مجاهداً في ذَلِكَ الوقت (في إشارة إلى بداية حركة طَالِبَان)، فأيقنت بوعد الله واتبعت أوامره، فكيف بي اليوم وأنا حاكم للبلاد، كيف يمكنني أن أدير ظهري لمسؤوليتي الشرعية؟ هل لبقاء حكومتي وحسب؟ هل سيقبل الأمريكان الآن بأي

شـيء يخـص قضـية أسـامة. ولـيس لـدينا سـوى خيـارين: إمـا أن أسـلمه أو سـوف يغزوننـا. ولكـن حَتَّـى لـو سـلمنا أسـامة فلـيس هنـاك مـا يضـمن تراجـع الولايـات المتحـدة عـن الغـزو. فهـل يمكنـك أن تعطينـي الآن الحكـم الشـرعي لتسـليمه). فَقَـالَ الجميـع: لا يمكننـا الإفتـاء بِهَـذَا. فَقَـالَ لهـم المُـلَّا عُمَـر (فلـيس هنـاك حـل آخـر. إن تسـليمه إلـى السـعودية كتسـليمه إلـى أمريكـا حَيْـثُ أنهـم سيسـلمونه أيضـاً لَهَـا بنـاءً علـى أوامـر أمريكيـة. وبمـا أن العُلَمَـاء الأَفَغَـان لا يبيحـون هَـذَا لـي، فـلا يمكـنكم أنـتم ولا علمـاء العـالم كلـه أن تبيحـوه لـي لأنـه غيـر مشـروع في ديننـا. لـذا أنـا مضـطر لتقـديم كافـة التضحيات، ولا أهتم بحياتي ولا ببقاء نظامي، وسأواصل الجِهَاد ضِدّ الغزاة حَتَّى نهاية حياتي).

بعـد هَـذَا الـرد سـكت جميـع العُلَمَـاء، وبكـى مولانـا سـليم الله خـان وقَـالَ لِلْمُـلَّا عُمَـر (أدعـو الله أن يشـرح صـدركم ويـوفقكم ويرزقنـا وإيـاكم الشـهادة). وعنـد انتهـاء الاجتمـاع طلـب الجنـرال محمـود أن يجلـس علـى انفـراد مـع المُـلَّا عُمَـر، فالتقيـا في غرفـة منفصـلة. يقـول المـترجم - الَّـذِي لا يـزال علـى قيـد الحيـاة - جلـس الجنـرال محمـود أمـام المُـلَّا عُمَـر، وطلـب مقابلـة أسـامة بـن لادن لأنـه اعتقـد أن لقـاءه سـيحل الكثيـر مـن المشـاكل. لكـن هَـذَا لَـمْ يعجـب المُـلَّا عُمَـر بـل أثـار ريبتـه، ورفـض ذَلِـكَ بذريعـة أن الظـروف غيـر مواتيـة لِـذَلِكَ. وأثنـاء مغادرتـه عـانق الجنـرال محمـود المُـلَّا عُمَـر بقـوة، وقَـالَ لَـهُ (مـا دمـت في منصـبي فلـن يكـون هنـاك غـزو، وإلا فسـأترك هَـذَا المنصـب). وعندما أعلن مشرف دعمه للغزو الأمريكي، استقال الجنرال محمود.

بعـد لقائـه الوفـد البَاكِسْـتَانِيّ قَـالَ مَوْلَـوِي متوكـل لِلْمُـلَّا عُمَـر مجـدداً إن الحـل الأفضـل هـو تسـليم أسـامة بـن لادن، وظـن أن وفـد العُلَمَـاء الباكسـتانيين سـيجد حـلاً. ولكـن عنـدما أصـيب بخيبـة أمـل، نصـح المُـلَّا عُمَـر بِـذَلِكَ شخصـياً. فَقَـالَ لَـهُ المُـلَّا عُمَـر مبتسـماً: لا، ولَـمْ يقبـل هَـذِهِ الخطة.

أثنـاء عودتنـا إلـى المكتـب الإعلامـي الخـاص بـالمُلَّا عُمَـر غضـب صـديقه المُـلَّا غـازي الَّـذِي كـان خبيـراً في اسـتخدام صـواريخ سـتينغر أثنـاء حديثـه عـن سـبب عجـز هَـذِهِ الصـواريخ عـن ضـرب الطـائرات الأمريكيـة. كَانَـت معلوماتنـا تفيـد أن صـواريخ سـتينغر لا تسـتطيع ضـرب الطـائرات الأمريكيـة، لكـن المُـلَّا غـازي أنكـر ذَلِـكَ، وقَـالَ لصـديقه أحمـد جـان أحمـدي (صـديقي، سنسـقط عشر طائرات أمريكية في اليوم الأول).

الغزو الأمريكي

بعد أيام قليلة من زيارة الوفد البَاكِسْتَانِيّ ذهبت إلى قريتي لقضاء عطلة. وفي 7 أكتوبر أعددت نفسي للعودة، فغادرت المنزل في الصباح الباكر، ولما اقتربت من منطقة "سبيدا تشود" سمعت هدير الطائرات الكثيف، ورأيت الناس ينظرون نحو السماء، فظننت أن طائرة ما تحطمت. ضغطت بقدمي على دواسة الوقود دون أخذ استراحة على الطريق وركضت إلى المكتب الرئيسي في حوالي الساعة 8 صباحاً فَلَمْ أجد أحداً، ولاحظت تحطم النوافذ الزجاجية، ووجدت رائحة القذائف تملأ الأجواء.

قبل النزول من السيارة، اتصلت بطيب آغا على اللاسلكي، وناديته برمزه "أحمد! أحمد!" فأجاب بنبرة خافتة: "عبرت، أسمعك، أين أنت؟" فقلت: "أنا أمام المكتب". فأجاب بسرعة "اخرج من المكتب، فالقصف ما زال مستمراً". فعلمت أن المكتب قصف فعلاً، وقد يُقصف من جديد، فغادرت المكان على الفور.

لَاحِقًا أخبرني طيب آغا بمكانه حَيْثُ أُنشئ مكتب مؤقت في مبنى قرب ملعب قندهار الرياضي. فذهبت إلى هناك، وبعد تبادل التحيات سألت أولاً عن المُلَّا عُمَر. فَقَالَ طيب آغا إنه بخير، ولَمْ يستشهد إلا عمه. وقد نقل أسرته خارج المدينة إلى أرغنداب. أما هو فَلَمْ يرد المغادرة بل قَالَ سأموت حَيْثُ قدر الله لي أن أموت لكنه ترك المبنى بعد إصرار الإخوة من حوله. استهدف القصف الجوي الطرقات بشدة لكنه نجا.

لَمْ تستطع صواريخ ستينغر إصابة الطائرات الأمريكية، وشعر المُلَّا غازي بالحزن، وراح ينظر بخوف إلى السماء. كان قصف القُوَات الأمريكية شديداً، وقبضنا في كُلّ مدينة على جواسيس بحوزتهم هواتف متصلة بالأقمار الصناعية. فيما بعض زعماء القبائل والقادة السابقين الَّذِينَ يتلقون رواتبهم من الولايات المتحدة ينتظرون انتهاء القصف لكي يتحركوا شيئًا فشيئًا. ووصلت هَذِهِ التقارير كلها لِلْمُلَّا عُمَر.

وكما هو الحال في أجزاء أخرى من البلاد، سيطرت موجة دعائية أمريكية على التردد الإذاعي في قندهار. لَمْ يكن المتحدثون من البشتون بل كان بعضهم من الأمريكيين الناطقين

بالبشتو حَيْثُ أطلقوا التهديدات بلغة بشتونية ركيكة وخاطئة. واستخدموا ألفاظاً مسيئة لِلْمُلّا عُمَر. فالأمريكيون ومؤيدوهم خبراء في الدعاية ضِدّ خصومهم العسكريين والسياسيين. وقد روجوا الكثير من الأكاذيب ضِدّ القذافي وصدام حسين وعمر البشير وهوجو شافيز والقادة الصينيين والملالي الإيرانيين. وهم الآن يروجون الأكاذيب ضِدّ الزعيم التركي رجب طيب أردوغان لكن دعايتهم عن المُلّا عُمَر لَمْ تلقَ صدى داخل المجتمع الأَفْغَانِيّ بل كَانَت مضحكة. فعلى سبيل المثال تردد في أحد الإعلانات أن المُلّا عُمَر يستمتع مع زوجاته، وهَذَا لا يعتبر خطأ يُعاب الرجل عَلَيْهِ في المجتمع الإِسْلَامِيّ والأَفْغَانِيّ.

القبض على القائد عبد الحق وقتله

في 4 أبريل 2001، زار أحمد شاه مسعود أوروبا بناءً على طلب من البرلمان الأوروبي. وشارك علانية في اجتماعات مختلفة وعقد اجتماعات سرية مع الاستخبارات الأمريكية والأوروبية وقدم العَدِيْد من التعهدات. وعلمت قيادة طَالِبَان أن الولايات المتحدة وحلفاءها الأوروبيين يريدون تشكيل قوة تحالف فعالة تضم ميليشيات معارضة وقادة سابقين ضِدّ طَالِبَان على أن يحظى هَذَا التحالف بمزيد من الدعم المالي والعَسْكَرِيّ إضافة إلى دعم ميداني من القُوَات الخاصة والطائرات الأمريكية.

في غضون ذَلِكَ واجهت طَالِبَان عقوبات اقتصادية أمريكية، ودعاية معادية وعزلة دبلوماسية. ومن ناحية أخرى تعرضت لِهَذَا التهديد الخطير فركزت على أمر هَذَا التحالف، وبدأت جهوداً لرصد أنشطة الجماعات أو الجهات الفاعلة الأخرى في البلاد وخططها. وشمل ذَلِكَ حامد كرزاي في المناطق الجنوبية، وأحمد شاه مسعود ودوستم في الشَّمَال، والقائد عبد الحق في الولايات الوسطى والشرقية، فهم قد شاركوا علانية في مثل هَذِهِ الأنشطة.

لَمْ يكن عبد الحق وكرزاي أعداء لِطَالِبَان بِشَكلٍ سافر لكنهما بعد المشروع الأمريكي الجديد جهزا نفسيهما بسرعة. وعقدا اجتماعات في باكستان وإيران والإمارات، ووزعا الأَمْوَال على أمراء الحرب وشيوخ القبائل لزيادة حجم مجموعاتهما. ورتب القائد عبد الحق اجتماعاً سريّاً لقادة أقوياء مهمين في فندق "حياة ريجنسي" في دبي. ورتبوا إجراءات السفر

مقدماً، فعبدالحق وشقيقه الحاج قدير لديهم مكاتب وشركات في مختلف البلاد بما في ذَلِكَ دبي، ولذا كان من السهل عليهما ترتيب هَذِهِ الإجراءات.

دُعي بعض القادة -دون أن يعلموا بحقيقة الأمر- إلى هَذَا الاجتماع السري. وكان منهم أحد أبرز القادة في كابول، والَّذِي كشف أمر هَذَا الاجتماع لِطَالِبَان حَيْثُ لَمْ يوافق على المشروع بعد أن علم بهِ. ولذا وقفت طَالِبَان ضِدّ عبد الحق منذ البداية. وعندما غزت الولايات المتحدة أَفْغَانِسْتَان في 7 أكتوبر 2001 أي بعد بضعة أشهر، دخل عبد الحق أَفْغَانِسْتَان عبر منطقة باراتشينار البَاكِسْتَانِيَّة كما هو مخطط لَهُ. وفي البداية دخل منطقة "تري منجل" وانتقل إلى منطقة أريوب زازي، ومن هناك ذهب إلى مديرية أزري وحصارك في ولاية لوجار، فشجع أبناء عشائره وزعماء القبائل وقادته على محاربة طَالِبَان، وأغراهم بالمَال.

تابعت الحَرَكَة تحركات عبد الحق عبر قناتين رئيسيتين، وكَانَت إحداهما فعالة للغاية حَيْثُ راقبت عبد الحق من بيشاور حَتَّى منطقة أزري لكن الحَرَكَة فقدت أثره بعد ذَلِكَ. أما القناة الثانية فهي شرطة لوغار واستخباراتها الَّتِي ألقت القبض عَلَيْهِ على الفور.

القناة الأولى المخطط لَهَا

عندما ركزت حركة طَالِبَان على عبد الحق بعد اجتماع دبي، بدأت جهودها لرصده. وقبل الغزو الأمريكي بوقت قصير سارع عبد الحق في توزيع الأَمْوَال الَّتِي قدمتها لَهُ وكالة الاستخبارات المركزية لتنظيم قادته وأنصاره في بيشاور. كلفت طَالِبَان رسمياً حاكم مديرية حصارك بولاية ننجرهار بالانضمام إِلَيْهِ ومراقبة أنشطته الروتينية. فحضر في اجتماعات عبد الحق في بيشاور وراقبها بعناية، وأبلغ استخبارات ننجرهار مساء بما يحدث. وعلمت الحَرَكَة من خلاله أن اثنين من مسؤوليها العاديين يلتقيان بعبد الحق ويخفيان الأمر عن المُلَّا عُمَر.

كان أحد الأشخاص مجاهداً سابقاً لدى القائد عبد الحق، ويعمل في مزرعة للنحل في هرى بور بمنطقة خيبر باختونخوا، وبدعم من قائد سابق في الحِزْب الإِسْلَامِيّ اقتنع بالانضمام إلى عبد الحق وتقديم المعلومات بانتظام إلى طَالِبَان. فأبلغ طَالِبَان عن أنشطة عبد الحق من بيشاور إلى أزري، وظل على اتصال بمديرية استخبارات ننجرهار. أراد عبد الحق كغيره من

القـادة الآخـرين أن يـدعم القُـوَات الأمريكيـة في محـيط كـابول ولوجـار وننجرهـار. فاختـار منطقـة أزري في لوجـار وحصـارك في ننجرهـار. كـان منـذ البدايـة خائفـًا مـن مسـؤولي ننجرهـار واسـتخباراتها، ولـذا فضـل دخـول أَفغَانِسْـتَان عـبر باراتشـينار بـدلاً مـن ننجرهـار وكونـار. بعـد وصـوله إلـى أزري راقبتـه طَالِبَـان بعنايـة شـديدة كـي لا يـتمكن مـن الهـروب حيـًا. وفي تِلْـكَ الأثنـاء علمـت اسـتخبارات ننجرهـار بوصـوله. ووصـلت قـوات طَالِبَـان الخاصـة إلـى بعـض منـاطق حصارك لمراقبته.

قناة عرضية

في 4 أكتـوبر 2001، بينمـا انشـغلت اسـتخبارات ننجرهـار بـالقبض علـى عبـد الحـق في حصـارك، اسـتدعى والـي لوجـار مَوْلَـوِي ضـياء الـرحمن مـدني قائـد شـرطته مَوْلَـوِي بـاز مُحَمَّـد، وأخـبره أن المروحيـات الأمريكيـة هبطـت في أزري وأنزلـت قـوات بريـة، وكَانَـت الحَرَكَـة حريصـة على قتال الجَيْش الأمريكي على الأرض، لكن القُوَات الأمريكية لَمْ تبدأ أي عمل بري بعد.

علـى وجـه السـرعة رتـب قائـد الشـرطة كتيبـة قتاليـة وتوجـه إلـى مديريـة الاسـتخبارات، وطلـب مـن رئـيس اسـتخبارات لوجـار "مُحَمَّـد أنشـا مخبـت" بعـض الرشاشـات الثقيلـة وعنـدما سـأله عـن السـبب أخـبره عـن أمـر المروحيـات الأمريكيـة، وقَـالَ: إذا نزلـت القُـوَات الأمريكيـة إلـى أرض الميـدان، فكيـف لـي أن أجلـس هنـا؟ سـأذهب بالتأكيـد. فجهـزوا بضـع عربـات للمقـاتلين وتحركـوا نحـو أزري. ومـا إن وصـلوا إلـى منطقـة دوبنـدي بولايـة لوجـار حَتَّـى وصـل أنصـارهم إلـى متوكـوري، وأرسـلوا إلـيهم رسـالة يخـبرونهم أنـه لا توجـد مروحيـات أمريكيـة في المنطقـة إنمـا القائد عبد الحق يقوم بزيارة السكان ويجيشهم ضِدّ طَالِبَان عبر توزيع المَال عليهم.

وصـل رئـيس الشـرطة والاسـتخبارات إلـى قريـة الحـاج زرغـون، فـذبح لهمـا الأغنـام فرحـًا بهمـا. وقبـل هَـذَا بيـوم واحـد زار عبـد الحـق قريـة الحـاج زرغـون، وطلـب الـدعم ضِـدّ طَالِبَـان لقـاء مبلغ ضخم من المَال، لكن زرغون وصفه بالجنون والخيانة.

في صـباح اليـوم التـالي، دخلـت مجموعـة مـن طَالِبَـان إلـى قريـة مانغـالو في منطقـة دالكـري، وهـي منطقـة جبليـة حدوديـة بـين مقـاطعتي أزري وزاريـا. في هَـذِهِ الأثنـاء مـرت سـيارة مـن نـوع

داتسون ففتشها عناصر المجموعة تفتيشًا روتينيًّا. فارتبك الرجل الجالس في المقعد الأمامي ارتباكًا شديداً واصفرَّ لونه كما لو اعتقد أن طَالِبَان تبحث عَنْهُ. كان رجلاً أربعينيًا طويل القامة بشرته سمراء بلون قمحي، ويتأبط مسدسًا، فاعتقد عناصر طَالِبَان أنه ارتبك لاقتنائه المسدس، فحمل السلاح ممنوع في ظل حكم طَالِبَان. فطمأنه قائد المجموعة، وأخبره أنهم لن يتسببوا لَهُ بمشاكل، ثُمَّ تركوه وذهب.

عندما وصلت المجموعة إلى قرية مانغالو، أخبرهم القرويون أن هَـذَا الرجل الطويل هو الحاج زمان غمشريك قائد ننجرهار الشهير. بعد ذَلِكَ طلب رئيس استخبارات لوجار ممن معه أن يتوضؤوا أولاً كي يذهبوا لزيارة الآثار الشريفة - عمامة وقميص منسوبين للنبي مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وسلم - الموجودة في دار ضيافة الحاج فضل الرحمن ثُمَّ أمرهم بالصلاة والدعاء بصدق لنجاح هَذِهِ العملية.

اسمحوا لي أولاً أن أقدم لمحة موجزة عن تِلْكَ المنطقة. فمن المحتمل أن تكون الآثار الدِّيْنِيَّة والتاريخية في منطقة أزرا بوادي مانغال هي الأقدم في البلاد منذ عهد الأمير حبيب الله عندما تعرضت مدينة كابول للنهب. فقد عُثر على قميص وعمامة في صندوق قديم مكتوب بِهِ آيات من القرآن الكريم بترتيب النزول من أوله إلى آخره، وكُتب عَلَيْهِ أن تاريخ الكتابة يعود إلى السنة الهجرية الخامسة. وكَانَت الكتابة قديمة فيما صُنعت العمامة من وبر الإبل. ويُعتقد أنه في القرون الأولى للإسلام، ربما جلب الفاتحون المسلمون هَـذِهِ الآثار المقدسة معهم للتبرك بِهَا.

خلال حكم طَالِبَان نقل أحد المسؤولين الخبر إلى زعيم طَالِبَان المُلَّا مُحَمَّد عُمَر، وأفاد أن محتويات الأضرحة ستباع لإيران. فأرسل المُلَّا مُحَمَّد عُمَر مروحية خاصة ونقل محتويات الأضرحة إلى قندهار مِمَّا أثار استياء سكان وادي مانغال وغضبهم لأنهم اعتبروا هَـذِهِ الأضرحة مصدر فخر وبركة لقريتهم.

وقد دعا المُلَّا مُحَمَّد عُمَر عدداً من العُلَمَاء لدراسة القطع الأثرية، فَقَالَ العُلَمَاء بما أن الآيات الموجودة على القميص فقط هي المكتوبة بترتيب النزول حَتَّى العام الخامس للهجرة كما أن تاريخ الكتابة أيضًا هو العام الخامس من الهجرة، فلا شك أن القميص قديم قدم تاريخ

الكتابة كما أن من المحتمل بقوة أن يكون هَذَا القميص ملكًا للنبي مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وسلم لأنه في ذَلِكَ الوقت كان على قيد الحياة. لَمْ يحب المسلمون أي شخص آخر بما يكفي لكتابة آيات قرآنية على قمصانهم. هَذَا النوع من القمصان يخص النبي فقط، لِذَلِكَ لا يمكن رفض ادّعاء هَؤُلَاءِ الناس أن هَذَا القميص والعمامة منسوبان إلى نبي الإسلام.

تحرك سكان وادي مانغال بقوة لاستعادة القطع الأثرية، واشتكوا إلى العَدِيْد من كبار المسؤولين الَّذِينَ نقلوا شكواهم إلى المُلَّا مُحَمَّد عُمَر وقدموا لَهُ توصيات لكن لَمْ تتم إعادة الآثار. أخيراً أبلغ "مُحَمَّد أنشا مخبات" مدير استخبارات لوغار مكتب الاتصالات المركزية لِلْمُلَّا مُحَمَّد عُمَر "نصرت" أن أهالي مانغال يرسلون لِلْمُلَّا عُمَر (إذا لَمْ تُعاد عهدتنا المقدسة إلينا، فنحن جميعًا بما فِيْهِ شيوخ القرية والشباب والنساء سنخرج إلى الصحراء حفاة القدمين وسندعو الله عليك وعلى طَالِبَان لمدة ثلاثة أيام). ورداً على ذَلِكَ، قَالَ المُلَّا مُحَمَّد عُمَر لمسؤولي لوجار إنه سيرسل مروحية لجلب اثنين من شيوخ القرية كي يتحدث معهما، وإذا لَمْ تكن لديهم نية لبيع هَذِهِ القطع الأثرية، فسأعيدها لهم. وهكذا نُقل اثنان من كبار السن بطائرة هليكوبتر إلى قندهار، ورحب بهما المُلَّا عُمَر ترحيبًا حارّاً، ومنحهما بعض الهدايا كما أعاد لهما الآثار، ودفع نحو أربعة آلاف دولار مقابل الحفاظ على القطع الأثرية. واستحوذ بِذَلِكَ "مُحَمَّد أنشا" مدير الاستخبارات على قلوب أهالي المنطقة وعقولهم، ولهذا ساعدوه في بحثه عن عبد الحق[1].

التحرك نحو مركز المقاطعة

بعد زيارة الآثار الشريفة توجهت المجموعة نحو أزري، ووصلنا بحلول الساعة 12 ظهراً. نصح حاكم المقاطعة بدعوة جميع زعماء القبائل المهمين لتناول طعام الغداء. وبالفعل حضر معظم المشايخ وزعماء القبائل بمن فيهم الحاج باسم الله، والحاج بادام والحاج فضل الرحمن إلى مركز المقاطعة. وتلقت طَالِبَان معلومة مهمة تفيد أن الجميع تلقوا أموالاً من عبد

1- وردت هَذِهِ الفقرة في النسخة البشتونية فقط.

الحـق باسـتثناء الحـاج زرغـون وفضـل الـرحمن وبعـض الآخـرين، وأكـدوا لَـهُ دعمهـم لإسـقاط أزري وحصارك.

بعـد تنـاول طعـام الغـداء، وبمشـورة مـن رئـيس الاسـتخبارات وقائـد الشـرطة قَـالَ حـاكم المنطقـة لشـيوخ القبائـل وزعمـائهم (إن والـي لوجـار مَوْلَـوِي ضـياء الـرحمن مـدني دعـاكم جميعـاً إلـى مركـز المقاطعـة للتشـاور). وعلـم مَوْلَـوِي ضـياء الـرحمن بوصـول الجميـع إلـى مركـز المقاطعـة فـأمر عـبر اللاسـلكي بإبقـائهم مشـغولين حَتَّـى اكتمـال البحـث عـن عبـد الحـق. وتلقـى مَوْلَـوِي بـاز مُحَمَّـد ومحمـد أنشـا معلومـات تفيـد أن كتيبـة خاصـة مـن ننجرهـار قـد وصـلت إلـى حصـارك لمراقبة عبد الحق.

عنـدها قَـالَ مُحَمَّـد أنشـا لصـديقه مَوْلَـوِي بـاز مُحَمَّـد إنـه ذاهـب إلـى قمـة تـل "علـي شـير كنـدو" للاتصـال بالكتيبـة الَّتِـي جـاءت إلـى حصـارك. فِي هَـذِهِ الأثنـاء أكـدت الكتيبـة الخاصـة وصـول عبـد الحـق. فبحسـب معلومـاتهم، يقـيم عبـد الحـق فِي المنطقـة الواقعـة بـين سـبين جمعـة وقريـة الحـاج زرغـون. وصـل مُحَمَّـد أنشـا إلـى قمـة "تـل علـي شـير كنـدو"، وأثنـاء وجـوده هنـاك رأى رجـلاً تابعـاً لفضـل الـرحمن متجهـاً مـن حصـارك نحـو أزري. لَـمْ يتعـرف عَلَيْـهِ فِي البدايـة، فطلـب مِنْـهُ أن يدلـه علـى مكـان عبـد الحـق. فتحيـر الرجـل وقَـالَ (لا تـؤذني، وسـأخبرك بِكُـلِّ شـيء. يقـيم عبـد الحـق بـالقرب مـن حصـارك فِي قريـة غـوجيزي بمنـزل الحـاج دوران. تعرفـه بعمامتـه البنيـة ويرتـدي ملابـس بيضـاء. وقـد اشـترى سـيارة داتسـون مـن شـخص مـا مقـرب مـن الحـاج داود فِي مدينـة جـلال أبـاد. كمـا أنـه يعـرف أن مقـاتلي طَالِبَـان يلاحقونـه مـن جـلال آبـاد. ولـذا طلـب للتـو مـن الحـاج دوران أن يعطيه حصاناً ويساعده على الهروب عبر طريق غزنة الجبلي لأن طَالِبَان تلاحقه).

قَـالَ مُحَمَّـد أنشـا: بـدا أن عبـد الحـق كـان علـى علـم بوصـولنا، فبعـد عبورنـا أخـبره الحـاج زمـان غمشـريك عـبر هـاتف متصـل بالأقمـار الصـناعية بتحركنـا، ولـذا بـات يـرى أنـه تحـت الحصـار. ووفقـاً لمحمـد أنشـا فالشـخص الَّـذِي قابلـه مسـتعد لمسـاعدتنا ودلنـا علـى منـزل الحـاج دوران. وبعـد الظهـر تواصـل مُحَمَّـد أنشـا مـع صـديقه بـاز مُحَمَّـد لينضـم إِلَيْـهِ مـع بـاقي المجموعـة لكنـه لَـمْ يـرد فِي الوقـت المناسـب. وفِي النهايـة اتخـذ مُحَمَّـد أنشـا وأربعـة مـن رجالـه مواقـع لهـم بـالقرب مـن منـزل الحـاج دوران الَّـذِي يمثـل طريـق الهـروب المتوقـع لعبـد الحـق. وبقـوا هنـاك حَتَّـى السـاعة الواحـدة

صباحاً. سمع الجميع هديراً كثيفاً للمروحيات الأمريكية وطائرات الاستطلاع، وظنوا أنهم جاؤوا لإنقاذ عبد الحق. وعند حوالي الساعة 1:30 صباحاً جاء قائد الشرطة باز مُحَمَّد مع بقية مسلحيه وتمركزوا هناك. وعند حوالي الساعة الثالثة صباحاً قبض مسلحو طَالِبَان على عبد الحق أثناء محاولته الهروب على حصان من منزل دوران. لقد أراد الذهاب إلى مكان وجود المروحيات الأمريكية للهروب معهم لأنه كان على اتصال بالأمريكيين في ذَلِكَ الوقت. وقُبض على بعض الأشخاص إلى جانبه بينما هرب الباقون بمن فيهم الحاج دوران.

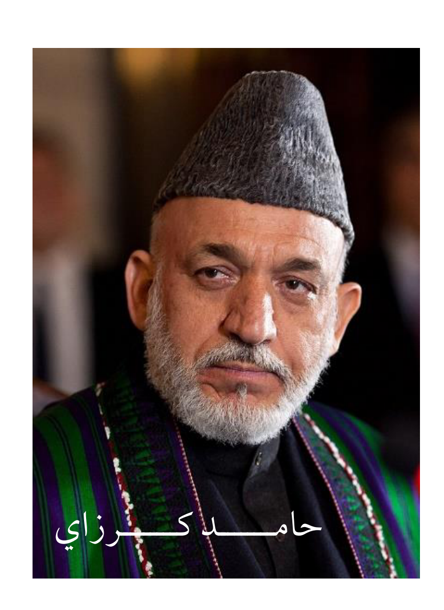
قبل دقائق قليلة من القبض على عبد الحق، خرجت عربتان من طراز داتسون من منزل دوران، وكان باز مُحَمَّد يتوقع رؤية عبد الحق فأوقف السيارتين لكنه رأى أحد قادة طَالِبَان المدعو عبد الرحمن في إحدى السيارات، وأمين وردك الموظف في دائرة استخبارات كابول في السيارة الأخرى. هنا أدرك باز مُحَمَّد على الفور أن لهما علاقة بعبد الحق فشتمهما وأهانهما ثُمَّ أطلق سراحهما.

ومن بين الأشخاص الَّذِينَ اعتقلوا مع عبد الحق نائبه العقيد حامد المسؤول العَسْكَرِيّ السابق في حكومة نجيب، ومسؤول الشؤون العَسْكَرِيَّة لدى عبد الحق القائد شاولي، وسائق عبد الحق الشخصي عزة الله. كان بحوزتهم هاتف يعمل بالأقمار الصناعية ومؤشر ليزر لتوجيه الطائرات أيضاً. صادرت طَالِبَان الأجهزة الإلكترونية منهم فيما سُمع ضجيج المروحيات والطائرات الأمريكية في الجو، لكنهم لَمْ يتمكنوا من معرفة حقيقة الوضع على الأرض. لقد ظنوا أن عبد الحق اعتقل أو حاصرته كتيبة طَالِبَان القادمة من جلال آباد فقصفوا مركبات الكتيبة، وأصيبت إحدى السيارات مِمَّا أدى إلى إصابة عدد من الأشخاص وأُنقذ البقية. وأخذ قائد الشرطة على الفور عبد الحق في سيارته باتجاه لوجار. ومكث مُحَمَّد أنشا في منزل الحاج دوران لتفتيشه، وبعد تلقيه رسالة عبر اللاسلكي من والي لوجار تبع باز مُحَمَّد. وفي طريقهم نحو لوجار طلب عبد الحق مراراً أن يؤخذ إلى كابول. يقول مُحَمَّد أنشا وباز مُحَمَّد: لا يملك عبد الحق أية أدلة تثبت علاقته بحركة طَالِبَان. من المؤسف أن بعض القصص الَّتِي اشتهر بهَا عبد الحق تشير إلى علاقته بطَالِبَان لكنها مجرد دعاية.

في صباح اليوم التالي، قبضت مجموعة أخرى من طَالِبَان على نجل شقيق عبد الحق عزة الله نجل الحاج دين مُحَمَّد في قرية مجاورة، وعثرت معه على مؤشر ليزر لتوجيه الطائرات. وجدير بالذكر هنا أن سائق عبد الحق ونجل دين مُحَمَّد كانا يحملان نفس الاسم "عزة الله". لما وصلت المجموعة منطقة خوارور في لوجار قتلوا نجل دين مُحَمَّد دون أن يستشيروا أحداً. أما عبد الحق، فبعد أن نُقل إلى لوجار، أمرت وزارة الداخلية بنقله إلى كابول فاقتاده قائد الشرطة باز مُحَمَّد إلى هناك مع شاولي والعقيد حامد والسائق عزة الله. وفي وقت الظهيرة ما إن اقتربوا من مدينة كابول على الطريق السريع حَتَّى مرت بهم سيارة بيك آب يقودها المُلَّا ظاهر المسؤول بوزارة الداخلية فأظهر لهم مرسوماً خطياً من المُلَّا عُمَر يأمر فِيْهِ بقتل هَذَا الخائن قبل دخول كابول لكيلا تُلوث مدينة كابول بدمه.

تراجعت المركبات وبدأت في السير على طريق سانغ نوشتي الرئيسي باتجاه ريشخور. كان عبد الحق والعقيد حامد يجلسان في السيارات معصوبي الأعين، فتوقف المُلَّا ظاهر بجانب الطريق الرئيسي وأخرجهما من السيارة لقتلهما، فبدأ عبد الحق بالصراخ بصوت عال لكن المُلَّا ظاهر قتلهما على الفور. وعندما عاد إلى السيارة، صوب سلاحه نحو السائق عزة الله والقائد شاولي يريد قتلهما. فأوقفه قائد الشرطة باز مُحَمَّد على الفور، وقَالَ لَهُ (إن كان المُلَّا عُمَر أمرنا بقتل عبد الحق فقط، فلماذا تقتل الآخرين؟). فبقي السائق عزة الله وشاولي في سجن لوجار، وأفرج عنهما بعد سقوط حكومة طَالِبَان. وفي المساء بثت إذاعة "صوت أمريكا" نبأ فشل المروحيات الأمريكية في إنقاذ مسؤول أفغاني كبير تابع لوكالة الاستخبارات المركزية يُدعى عبد الحق.

حامد كرزاي: الهدف التالي بعد عبد الحق


حامــد كــرزاي

حامد كرزاي هو نجل عبد الأحد خان كرزاي الَّذِي قُتل على يد مسلحين مجهولين في 14 يوليو 1999 بالقرب من مسجد في منطقة كويتا بباكستان بعد عودته من الولايات المتحدة. كان عبد الأحد زعيماً قبلياً شهيراً في مجلس النواب أثناء حكم ظاهر شاه، وكان من أشد المؤيدين لَهُ. استقر بعض أفراد أسرته بعد الغزو الروسي في الولايات المتحدة وحصلوا على الجنسية الأمريكية. وعملوا لصالح الاستخبارات الأمريكية في أَفْغَانِسْتَان، وتدرب معظم أبناء الأسرة لدى الاستخبارات بمن فيهم حامد كرزاي الَّذِي وثق علاقته مع وكالة الاستخبارات المركزية خلال الجِهَاد الأَفْغَانِيّ، وعمل مع المجاهدين عن قرب في الحرب ضِدّ السوفييت. وعُرف أيضاً أنه المتحكم في توزيع صواريخ ستينغر قبل أن يُصبح زعيم قبيلته بعد وفاة والده.

يقول بعض أصدقاء حامد أنه بالإضافة إلى ولعه بالسياسة كان مولعاً أيضاً بالسهر إلى ساعات متأخرة من الليل. ويقولون إنه تعاطى أنواعاً من المخدرات كالحبوب والماريجوان، ولَمْ يتزوج حَتَّى بلغ سن الأربعين. وفي وقت لَمْ أكن أعرف فِيْهِ كرزاي، أخبرني رئيس إذاعة صوت أمريكا باللغة البشتونية سبورمي ميوندي أن حامد كرزاي عضو نشط في وكالة الاستخبارات المركزية. وأن سيارته هو و"زلماي خليل زاد" لا تقف وتنتظر عند مدخل مراكز الاستخبارات إنما تدخل مباشرة. ووفقاً للعديد من مراقبي الغزو الأمريكي لأفغانستان، كان عبد الحق رجل الولايات المتحدة الأول قبل أن يُقتل ويحل محله كرزاي. فلو لَمْ يُقتل عبد الحق لأصبح هو رئيس الحكومة المؤقتة الأولى.

تمتع كرزاي ووالده بعلاقة وثيقة بقادة طَالِبَان قبل اندلاع الصراع بينها وبين الحكومة الأمريكية. وشغل كرزاي منصب نائب وزير الخارجية في حكومة رباني قبل أن يهرب إلى جلال آباد إثر تعرضه للضرب من رجال أحمد شاه مسعود، ولعل هَذَا سبب بغضه لمسعود.

عندما بدأت وكالة الاستخبارات المركزية دعم مسعود صدرت تعليمات لكرزاي بالعمل معه عن قرب فَلَمْ يستطع مخالفة التعليمات.

بعد أن استولت طَالِبَان على كابول أراد كرزاي العمل مع طَالِبَان، وشوهد والده في دار ضيافة طَالِبَان في قندهار عدة مرات. وجمعته علاقات وثيقة بوالي قندهار المُلَّا مُحَمَّد حسن ووالي هرات مُلَّا يار مُحَمَّد، والمتحدث الأول باسم طَالِبَان المُلَّا خير الله خيرخوا، ومَوْلَوِي إحسان الله إحسان، ووزير خارجية طَالِبَان الأول المُلَّا مُحَمَّد غوث.

عندما اعترفت ثلاث دول رسمياً بحكومة طَالِبَان، بحثت الحَرَكَة عن فرصة لتوسيع علاقاتها الدبلوماسية، وتطلب هَذَا ممثلاً لَهَا في الأمم المتحدة، فقدم حامد كرزاي نفسه لِهَذِهِ المهمة، لكن الحَرَكَة أدركت أنها خطة من وكالة CIA. واقترح مسؤولو الاستخبارات السعودية أمام أحد وفودنا اختيار كرزاي ممثلاً عن الحَرَكَة لدى الأمم المتحدة، ولعل الأمريكيين أوعزوا إليهم بِذَلِكَ. وسألت المُلَّا عبد الجليل آنذاك عن الشخصية الَّتِي ستمثلنا في الخارج، فَقَالَ: اقتُرح علينا أنا والمُلَّا غوث أن نختار حامد كرزاي ممثلاً عنا لدى الأمم المتحدة لكن المُلَّا غوث قَالَ ببساطة: كرزاي من الجالية الأمريكية، فكيف سيمثلنا؟

اختير عبد الحق قائداً رئيسياً ضِدّ طَالِبَان في مناطق ننجرهار ووسط كابول ولوجار. وكان من المقرر أن يقوم بدورٍ رئيسيٍّ في قيادة القُوَات البرية بدعم جوي أمريكي للسيطرة على ننجرهار وكونار ولغمان أيضاً، بينما كُلف كرزاي بالسيطرة على قندهار وأوروزجان وهلمند. وكان العَدِيْد من القادة كجان مُحَمَّد خان، وجول آغا شيرزاي، وعائلة غفار أخوندزاده من هلمند على اتصال مع كرزاي للحصول على دعم مِنْهُ.

بعد أحداث 11 سبتمبر، انهمك حامد كرزاي بالتخطيط للحرب ضِدّ طَالِبَان بالتنسيق مع مركز CIA في باكستان. وبعد أيام قليلة من الغزو تلقى أوامر بدخول البلاد، فدخل أَفْغَانِسْتَان بدعم من سلاح الجو الأمريكي وCIA، وبدأ من كويتا لأنه على يقين من قدرة الأمريكان على إنقاذه هناك عند حدوث أي طارئ. وقد شوهد لأول مرة في صحراء سرمرغاب بالقرب من وسط أورزجان فتبعته شرطة الولاية واستخباراتها.

في 2 نـوفمبر، خـلال وجـود كـرزاي مـع "لعـل مُحَمَّـد" نجـل أحـد أعيـان منطقـة درمـان شـاه البـارزين في مقاطعـة درجـي غـره وسـط أورزجـان، هاجمتـه قـوات طَالِبَـان واشـتبكت مـع مقاتليـه. وخـلال الهجـوم اسـتولت قواتنـا علـى سـتمئة قطعـة سـلاح ألقتهـا الطـائرات الأمريكيـة دعمـاً لَـهُ. ونجا كرزاي من هَذَا الهجوم لكن طَالِبَان واصلت ملاحقته.

في 4 نـوفمبر، نقلـت مروحيـات أمريكيـة كـرزاي ومجموعـة مـن أنصـاره إلـى قاعـدة جيكـب آبـاد في باكسـتان، وبقـي هنـاك لـدى CIA مـدة أسـبوعين، وأخـبر أتباعـه عـبر هـاتف يعمـل عـبر الأقمـار الصـناعية أنـه موجـود في أورزجـان. وبعـد أسـبوعين أقلتـه المروحيـات الأمريكيـة إلـى منطقـة دهـراوت في أوروزغـان رفقـة قـوات خاصـة تابعـة للاسـتخبارات الأمريكيـة، وتوجـه إلـى تـلال دهجـوز. كَانَـت طَالِبَـان حينهـا قـد فقـدت السـيطرة علـى كـابول ومـزار الشـريف، وأصـبح موقفها العَسْكَرِيّ صعباً للغاية.

دعـم سـكان مدينـة تيرينكـوت كـرزاي، وكـان مـن هَـؤُلَاءِ روزي خـان مـن منطقـة جرمـاو منـده، وخيـرو جـان مـن منطقـة ديـك، ومحمـد جـان أخونـدزاده مـن سـجاول، ومحمـد هاشـم خـان مـن سـجاول، ومَوْلَـوِي لعـل مُحَمَّـد مـن بـاي نـوى، والمعلـم رحمـة الله مـن خـانقي، وخطيـب أخونـدزاده مـن كوتـوال والمعلـم عبـد القـادر. ويُعـد روزي خـان القائـد العَسْكَرِيّ لكـرزاي، فيمـا كـان المُـلَّا تـور أيضـاً أحـد مسـؤوليه العسـكريين لكنـه لَـمْ يكـن متحمسـاً للقتـال واكتفـى بحمايـة نفسه من قوات طَالِبَان.

بعـد سـقوط مدينـة تيرينكـوت انطلقـت مجموعـة تابعـة لِطَالِبَـان مـن قنـدهار للقـبض علـى كـرزاي، لكنهـا تعرضـت لخسـائر فادحـة إثـر قصـف أمريكـي ولَـمْ تـنجح في المهمـة. ثُـمَّ جـاء كـرزاي إلـى منطقـة شـاه والـي كـوت في قنـدهار، وظـل هنـاك حَتَّـى سـقوط قنـدهار، حَيْـثُ التقـى بـهِ وفـد مـن الحَرَكَـة ووافـق علـى تسـليم المدينـة لِلْمُـلَّا النقيـب. وعنـدما سـقطت قنـدهار اختيـر حامـد كـرزاي رئيسـاً للحكومـة المؤقتـة وفقـاً لقـرار مـؤتمر بـون، ونقلتـه القُـوَات الخاصـة التابعـة للاسـتخبارات الأمريكية إلى كابول بمروحيتها.

القتل الجماعي للآلاف من أسرى طَالِبَان على يد دوستم والأمريكان

عندما فقدت طَالِبَان سيطرتها على هرات وخسرت مواقعها على جبهة كابول؛ عجزت عن إعادة فتح طريق باميان لتوفير ممر آمن لحوالي عشرة آلاف من مقاتليها المحاصرين في الشَّمَال وقندوز. واجه هَؤُلَاءِ قصفاً شديداً بينما أُغلقت المنافذ من حولهم، وقدم مقاتلو تحالف الشَّمَال الإحداثيات للطائرات الأمريكية الَّتِي استهدفت مواقع طَالِبَان بدقة. وبعد القصف الشديد سُحقت مواقع طَالِبَان وتقدمت قوات التحالف.

نسق دوستم وقوات التحالف مع القائد داوود، وأعطوا العهود بالحفاظ على حياة كُلّ من يسلم نفسه إليهم. وأراد المُلَّا عُمَر الحفاظ على حياة مقاتلينا المحاصرين هناك. واعتقدت طَالِبَان أن العدو لن يقتل من يسلم نفسه إليهم، وذَلِكَ لوجود قوانين دولية ومنظمات حقوقية فضلاً عن المراقبة الأمريكية لمسار المعارك في الميدان. وأُبلغت المنظمات الدولية في إسلام أباد بحيثيات الوضع.

دارت نقاشات في قندهار حول جواز الاستسلام أو حرمته. فَقَالَ المفتي الكبير مَوْلَوِي عبد العلي إن استسلام الإخوة المحاصرين جائز إذا ضمنوا الحفاظ على سلامتهم وحياتهم، لكن العَدِيْد من القادة المحاصرين اعتبروا هَذَا خطأ، وبحثوا المسألة مع المَوْلَوِي عبد العلي عبر هاتف يعمل بالأقمار الصناعية، ووافقوا في وقت لاحق على الاستسلام. لكن بعضهم رفض ذَلِكَ، كالملا داد الله الَّذِي اختبأ في منزل في بلخ بمساعدة أنصاره بينما قَالَ لبي بي سي في مقابلة إنه وصل لتوه إلى قندهار.

أيقن دوستم وقوات حزب الوحدة أن داد الله قد غادر المنطقة، ولذلك أوقفوا البحث عَنْهُ. كَانَت هَذِهِ خطة ناجحة من المُلَّا داد الله. عندما سقطت حكومة طَالِبَان بالكامل وصل داد الله إلى خوست بمساعدة مهرّب لَمْ يتعرف عَلَيْهِ ثُمَّ ذهب من هناك إلى وزيرستان.

توزع أسرى طَالِبَان المستسلمون بين قوات دوستم والاستخبارات الأجنبية. وسُلم القادة العسكريون الكبار مثل المُلَّا مُحَمَّد فضل، وحاكم بلخ المُلَّا نور الله نوري، وبعض القادة

العسكريين الآخرين إلى الأمريكان، واستمر اعتقالهم في غوانتنامو إلى أن أُفرج عنهم في صفقة لتبادل الأسرى.

أما الآخرون فقد قتلوا على مراحل. فخلال التحقيقات سُلم قادة آخرون إلى القُوَات الأمريكية، وقُتل من تبقى من الأسرى بمن فيهم أولئك الَّذِينَ احتجزوا في سجن قلعة جانجي. وفي المرحلة الثانية حُمل الآلاف من الأسرى في حاويات وأغلقت عليهم الأبواب حَتَّى بدأ بعضهم يصرخ من العطش ونقص الأوكسجين، فأطلقوا النار عليهم داخل الحاويات. قَالَ بعض الناجين: إن الكثيرين ماتوا اختناقًا وفقد آخرون وعيهم بسبب العطش فألقوهم في الصحراء وأطلقوا النار على رؤوسهم. وبعد مرور زمن على الحادثة أثارت بعض المنظمات الدولية هَذِهِ القضية ونشرت تقارير حولها. لقد كَانَت ممارسات مقاتلي دوستم الموالين للغزاة أكثر وحشية. وبعد أشهر قليلة من حكم كرزاي زار وفد مدينة مزار، وضم الوفد مستشار كرزاي مَوْلَوِي صديق الله الَّذِي كان حاضراً في المُفَاوَضَات وعلم بتفاصيل ما حدث هناك. وإزاء ذَلِكَ دعا الأديب عبد الباري جهاني لإخفاء هَذِهِ الحادثة كونها ستضر بوضع حامد كرزاي السياسي.

مصير قادة القاعدة في تور بورا

بعد سقوط كابول خرج الوضع في ننجرهار والولايات المجاورة عن السيطرة. أقام والي ننجرهار ونائب رئيس شورى الوزراء الَّذِي كان أيضًا رئيس المنطقة الشرقية ثلاثة خطوط دفاعية بين كابول ولغمان. الأول بين ساروبي ولغمان في منطقة ورخمين تنجي، والثاني بين لغمان وسرخكانو، والثالث على الطريق السريع بين كابول وجلال آباد. غادر القادة العسكريون ننجرهار وبقي في جلال آباد مقر أمني واحد وبعض قادة الفرق المحلية ووحدة صغيرة من المقاتلين إلى جانب مَوْلَوِي عبد الكبير.

تشاور مَوْلَوِي عبد الكبير مع عضو مجلس الشُّورَى المُلَّا مُحَمَّد حسن حول جدوى المقاومة في ننجرهار بعد سقوط كابول، فالقتال ضِدّ قوات قادة مجلس الشُّورَى الشرقي في ظل القصف الجوي الأمريكي غير ممكن، وستتكبد خسائر فادحة دون تحقيق أي نتائج.

فأرسل المَوْلَوِي عبد الكبير رسالة إلى المُلَّا مُحَمَّد عُمَر يخبره فِيْهَا عن صعوبة الاتصال بهِ بِشَكلٍ مباشر، وطلب مِنْهُ الإذن بمغادرة المدينة ثُمَّ دعا قائده المحلي الَّذِي يثق بهِ المعلم أول جول الَّذِي تربطه علاقة وثيقة بمولوي مُحَمَّد يونس خالص تعود إلى أيام الجِهَاد، وتقرر أن يُرشَّح مَوْلَوِي خالص لرئاسة المنطقة الشرقية، ويتولى المعلم أول جول إدارة جلال آباد، وتنسحب طَالِبَان من هناك، ويكون لإدارة المنطقة كلها اسم منفصل عن الحَرَكَة.

أرسل المَوْلَوِي عبد الكبير رسالة إلى الشيخين أسامة بن لادن وأيمن الظواهري عبر المهندس الراحل محمود يخبرهما فِيْهَا بصعوبة بقائهما في المنطقة، ويطلب منهما الذهاب معه إلى خوست وبكتيا عبر منطقة أزري، لكنهما أصرا على البقاء في تورا بورا. فرد عليهما المَوْلَوِي عبد الكبير: تعالا معنا أولاً، ثُمَّ إذا أردتما انتقلا إلى منطقة وزير تنجا في خوجياني فهي أفضل من تورا بورا، فلها طريق يؤدي إلى منطقتي حصارك وأزري، وطريق آخر نحو بكتيا عبر منطقة زازيو، ومن هناك يمكنكما أيضًا العبور إلى باكستان، لكنهما أصرا على البقاء في تورا بورا.

في ذَلِكَ الحين تلقى المَوْلَوِي عبد الكبير تعليمات من وزير الدفاع المُلَّا عبيد الله الَّذِي كان في لوجار، بضرورة مغادرة المدينة في أقرب وقت ممكن وتوخي الحذر. ونبهه لعدم الذهاب إلى لوجار من طريق حصارك لأنه تحت سيطرة العدو ويخضع للمراقبة بالفعل.

سافر المَوْلَوِي عبد الكبير ومجموعة من إخوانه لمدة يومين على طريق غزنة بالقرب من الحدود البَاكِسْتَانِيَّة، ووصلوا إلى خوست ثُمَّ ذهب رفقة بعض الإخوة إلى منطقة زدران في بكتيا. وبعد يومين دخلت قوات مجلس الشُّورَى الشرقي إلى ننجرهار بقيادة الحاج قدير وعينوا حاكمًا منهم عَلَيْهَا، كما أصبحت ولايات كونار ولغمان المجاورة تحت سيطرة القادة الإقليميين.

التقى الحاج قدير بمولوي مُحَمَّد يونس خالص الَّذِي كان لكبر سنه أضعف من أن يتكلم في ذَلِكَ الوقت، وطلب مِنْهُ إظهار دعمه أيضًا. لكن بعد أن مكث مَوْلَوِي خالص في جلال أباد لفترة قصيرة هاجر مع ابنه وأعلن الجِهَاد ضِدّ الغزاة الأمريكيين. وظل المعلم أول جول قائد

اللـواء الرابـع والمـتحكم بمسـتودعات السـلاح في عملـه بنـاء علـى توجيهـات مسـؤولي طَالِبَـان ومَوْلَوِي يونس خالص، ولَمْ يستبدله مجلس الشُّورَى الشرقي بسبب الروابط القديمة معه.

أثنـاء القصـف الأمريكـي لتـورا بـورا أمـر الأمريكـان قـادتهم المحليـين بشـن عمليـة بريـة علـى المنطقـة، فأرسـل المعلـم أول جـول رسـالة إلـى الشـيخ أسـامة يحـذره مـن الهجـوم. وأخَّـر نفسـه في الجبـال المحيطـة ليعطـي الشـيخ أسـامة فرصـة لمغـادرة المنطقـة قبـل وصـول القـادة الآخـرين الموالين لأمريكا. ووافق أسامة على هَذِهِ الخطة لكن بعض إخوانه ظلوا حذرين.

ذهـب المعلـم أول جـول وفقـاً للخطـة لإجـلاء العـائلات العربيـة المهـاجرة مـن المنطقـة بـدعم مـن عناصـر آخـرين يثـق بهـم. وتحـول منـزل المَوْلَـوِي خـالص لملجـأ للنسـاء والأطفـال العـرب. فسـاعدتهم أسـرته حَتَّـى النهايـة، وأجلـوهم بأمـان إلـى حَيْـثُ يريـدون. ونقـل الحـاج عبـد الأحـد الشـيخين أسـامة والظـواهري مـن تـورا بـورا إلـى منطقـة وزيـر، وبالكـاد نجـا مـن المسـلحين المحليين ثُمَّ نقلهما المعلم أول جول من وزير إلى مدينة ننجرهار.

بحـث المخـبرون الأَفْغَـان والأجانـب عـن أسـامة بـن لادن. وشـك بعـض القـادة الرئيسـيين في مجلـس الشُّـورَى الشـرقي كحضـرة علـي وزمـان غمشـريك بـأمر المعلـم أول جـول. وقبـل أن يخلـي المعلـم أول الـزعيمين العـربيين بأمـان، زاره حضـرة علـي وأخـبره أنهـم يعرفـون أن أسـامة والظـواهري لديـه وأن الأمريكـان يريـدونهما بـأي ثمـن، ونصـحه بتسـليمهما. لكـن المعلـم أول نفـى وجودهمـا في الوقـت الَّـذِي كـان فِيْـهِ الشـيخان أسـامة والظـواهري في سـيارته الداتسـون. في ذَلِـكَ الوقـت قـام أحـد مقـاتلي حضـرة علـي بتفقـد السـيارات، وقـرر المعلـم أول أن يهـاجم حضـرت علـي فيمـا لـو اقـترب مـن سـيارته، لكـن الأخيـر ذهـب مـن المكـان قبـل أن يكمـل تفقـد السـيارات. وعلـى الفـور أخـذ المعلـم أول جـول الشـيخين عـبر جسـر بهسـود باتجـاه كونـار. ومـن هنـاك رافقهـم بعـض معاونيه المخلصين إلى منطقة جبلية آمنة وأنقذوهما من العدو.

الانهيار الكامل لحكومة طالبان

إخلاء المُلَّا عُمَر بعد سقوط قندهار

لَـمْ يستخدم المُـلَّا عُمَـر في تِلْـكَ الأثنـاء أجهـزة الاتصـال امتثـالاً لاقـتراح بعـض المسـؤولين الرئيسـيين والمقـربين مـن طَالِبَـان. لكـن عنـدما فقـدت طَالِبَـان سيطرتها علـى مناطق الشَّـمَال، طلب المُـلَّا عُمَـر مـن جنـود طَالِبَـان في رسالة عـبر اللاسلكي أن يقـاوموا حَتَّـى الرمـق الأخيـر. كـان يعطـي التعليمـات لقواتـه في جميـع أنحـاء الـبلاد عـبر موجـة الاتصـال المركـزي، وأرسـل المزيـد مـن القُـوَات لمواصـلة الـدفاع في كافـة المحـاور. وفي النهايـة أخلـت طَالِبَـان مدينـة كـابول، وعـين المُـلَّا عُمَـر بضـعة قـادة للـدفاع عـن قنـدهار. لكـن القـادة الَّـذِينَ فقـدوا المئـات مـن مقـاتليهم في القصـف الأمريكـي حـدثوه عـن تجـاربهم، وقـالوا إن السـيطرة علـى المـدن والـدفاع عَنْهَـا أصـبحت الآن مستحيلة في ظل قصف الطائرات الَّتِي تستطيع بسهولة استهداف القواعد والمقرات المعروفة.

أثنـاء النقـاش اقتنـع المُـلَّا عُمَـر بـرأي القـادة حَيْـثُ فضـل بعضـهم اتبـاع أسـلوب جديـد يقضـي بـإخلاء المـدن والمقاومـة خارجهـا. ومـن ناحيـة أخـرى ارتفعـت الـروح المعنويـة للميليشـيات المعاديـة، وانهـارت كـابول ومنـاطق الشَّـمَال وهـرات بالفعـل، وشـجع القصـف الأمريكـي الشـديد أنصار الميليشيات الضعفاء على محاربة طَالِبَان.

هَـذَا الموقـف المضـطرب بـين القـادة واتصـال قـادة آخـرين بالعـدو دفـع المُـلَّا عُمَـر ليقـول (يمكـن لأي أحـد أن يختـار مـا يناسـبه، وأنـا علـى اسـتعداد لتسـليم سـلطتي، ولكـن علـى الَّـذِينَ يريـدون القِتَـال في المدينـة أن يبقـوا معـي حَتَّـى النهايـة. سـأقاتل حَتَّـى آخـر نفـس، فأنـا لا أرى أي عذر لمغادرة ساحة المعركة).

قبـل سـقوط قنـدهار عُقـد اجتمـاع بـين قـادة طَالِبَـان وشـيوخ القبائـل في المنطقـة، ووفقـاً لِلْمُـلَّا جـول آغـا الَّـذِي كـان شـاهد عيـان ومشـاركاً في اللقـاء، وهـو صـديق مقـرب لِلْمُـلَّا عُمَـر والمسـؤول عـن الشـؤون الماليـة، فقبـل سـقوط قنـدهار، عقـد المُـلَّا عُمَـر اجتماعـاً في المكـان الخـاص بفيلـق

قندهار. وشارك في الاجتماع من مسؤولي الإمارة الإِسْلَامِيَّة كُلّ من: المُلَّا عبيد الله أخوند، المُلَّا برادر أخوند، عبد الرزاق نافذ، عبد السَّلَام روكتي، أمير خان حقاني، المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور، المُلَّا عبد الرؤوف أخوند، المُلَّا عبد الرزاق أخوند وزير الداخلية، رئيس باغران السيد عبد الواحد، المُلَّا عبد الباري أخوند والي هلمند، قاري أحمد الله رئيس الاستخبارات العامة، وبعض الأصدقاء الآخرين. وقد نسيت بعض الأسماء الأخرى.

كان أغلب الحاضرين من قادة القبائل والقادة السابقين المدعوين إلى اجتماع القِيَادَة. فكان من زعماء القبائل المُلَّا نقيب، وأمير مُحَمَّد آغا، والمُلَّا مُحَمَّد كريم من شهر صفا، والمولوي عطا مُحَمَّد من باغرام، وغيرهم ممن نسيت أسماءهم. ألقى المُلَّا النقيب خطاباً عاطفيّاً للغاية، وقَالَ (لا يمكننا أن نرى ألم شعبنا وحزنه. والأمريكان يقصفون بعنف، لذا يجب نقل الحكومة إلى زعماء القبائل والمجاهدين القدامى). فوافق معظم الحاضرين على ذَلِكَ، بمن فيهم بعض زملائنا الَّذِينَ التزموا الصمت في إقرار منهم لكلامه، ولكن المُلَّا عُمَر أصر بشدة على أننا سنواصل نضالنا وجهادنا، وسنعارض أي نوع من الاستسلام، وقَالَ: (إذا أُجبرنا على مغادرة المدينة والمناطق المأهولة بالسكان فسننتقل إلى الجبال والصحاري كي نجهز أنفسنا).

اقترح الحاضرون خطة لاختيار بعض المتعاطفين لتولي شؤون بعض المجالات المهمة كي يتمكنوا من دعمنا في المستقبل، فعلى سبيل المثال اقترح المُلَّا روكيتي المُلَّا كريم في زابل، ومَوْلَوِي عطا مُحَمَّد أوروزجان، والمُلَّا النقيب لقندهار. لكن المُلَّا عُمَر رفض هَذَا الاقتراح، وقَالَ (لا يمكننا السماح لشعبنا بالعمل مع الأمريكيين. الأفضل أن تعين أمريكا عملاءها ليبدأ الشعب بالجهاد ضدهم. أما إذا قدمنا رجالنا إليهم، فسيكون هَذَا بمثابة دعم للغزاة الأمريكيين).

لقد كان اجتماعاً شديد التوتر والحساسية، فقد أراد المشاركون اتخاذ قرارات سريعة، فجميع الأماكن معرضة لقصف مكثف. ولأن المُلَّا عُمَر لا يزال مصمماً على مواصلة المقاومة والجِهَاد، فقد أمر بتوزيع الأَمْوَال على مسؤولي طَالِبَان لمواصلة القِتَال، فوزع 2.5

مليـون دولار في هَـذَا الاجتمـاع. حصـل الـبعض علـى مئـة ألـف دولار، وحصـل الـبعض الآخـر علـى خمسين ألف دولار. وأُرسلت الأَمْوَال أيضـاً إلى بعض الَّذِينَ لَمْ يحضروا الاجتماع.

استاء المُـلَّا عُمَـر مـن تصـريحات الحضـور لا سـيما تصـريحات المُـلَّا نقيـب الَّتِي كَانَـت قاسـية جـداً. فغـادر الاجتمـاع وأخـبر إخوانـه أن علـيهم البحـث عـن حـل مناسـب لحمايـة أنفسـهم ومواصلة جهادهم بِهَذِهِ الأَمْوَال إلى أن يجتمعوا مرة أخرى[1].

قـرر المُـلَّا عبـد الـرزاق نافـذ القائـد العَسْـكَرِيّ الشـهير للجبهـات الشـمالية مـع قـادة آخـرين البقـاء مـع المُـلَّا عُمَـر للقتـال في المدينـة. لقـد كـان صـادقاً ومتواضـعاً وطيـب القلـب، وقائـداً عسـكريّاً فـذّاً قـام بـدور رئيسـي في انتصـارات تخـار ومـزار الشـريف، وشـديد الحـرص في اسـتخدام أمـوال الإمـارة، فبعـد أن غـادر قنـدهار حصـل علـى مبلـغ ضـخم مـن المَـال للاسـتخدام الشخصـي ولبـدء حـرب العصـابات لكنـه لَـمْ يسـتخدم أيـاً مِنْهَـا لشخصـه بـالرغم مـن أنـه لَـمْ يكـن لديـه مـا يأكلـه في المنـزل حَتَّـى أن بعـض شـيوخ قريتـه جمعـوا بعـض المَـال وأعطـوه لوالـده لتغطيـة نفقاتـه الشخصية.

عـانى المُـلَّا عبـد الـرزاق مـن بعـض المشـاكل بسـبب شـدة التـوتر والأرق والصـعوبات الَّتِـي واجههـا خـلال الحـروب. وبعـد سـقوط حكومـة طَالِبَـان زار سـراً كراتشـي لتلقـي العـلاج. وهنـاك تـابع وزيـر الماليـة السـابق آغـا جـان معتصـم علاجـه. طلـب مِنْـهُ الأطبـاء أن يسـتريح لبضـعة أسـابيع. وذات يـوم أخـذه معتصـم إلـى مطعـم لتنـاول طعـام بـاهظ الـثمن. فلمـا رأى تِلْـكَ النفقـات غضـب وتـرك العـلاج وعـاد إلـى أوروزجـان واسـتأنف جهـاده ضِـدّ المحتلـين. وبعـد أشـهر قليلـة مـن القِتَـال استشهد بقصف للطائرات الأمريكية.

أثنـاء سـقوط قنـدهار، تخـوف المُـلَّا عبـد الـرزاق نافـذ وبعـض القـادة الآخـرين مـن انسـحاب بعـض المجاهـدين مـن محـاور القِتَـال في المدينـة، وخشـي مـن وضـع أمريكـا خطـة لاعتقـال المُـلَّا عُمَـر حيّـاً قبـل أي مقاومـة. فَقَـالَ المُـلَّا عُمَـر (لَـمْ يعـد القِتَـال ممكنـاً في المدينـة، لـذا يجـب أن نتجـه نحـو "محلـه جـات" جنـوب المدينـة لنبـدأ حربنـا الأخيـرة). فَقَـالَ نافـذ: يـا مُـلَّا عُمَـر، كيـف يكـون

1 – وردت هَذِهِ الفقرة في النسخة الانجليزية فقط من الكتاب.

قتالنا مشروعاً إذا كان موتنا مؤكداً؟ ثُمَّ إن وجودكم هو شريان المقاومة المستقبلية. فما الحاجة للتضحية بأرواحنا في هَذِهِ المعركة الخاسرة هنا؟ لماذا لا نخطط لتأمين حمايتك ومغادرة المدينة؟ وهكذا نجمع المزيد من المقاتلين وننظم عملنا بإستراتيجية جديدة. أما هنا فلا يمكننا فعل أي شيء، فَقَالَ المُلَّا عُمَر: على العدو أن يأتي إلى باب هَذِهِ الغرفة وسأتمكن حينها من مهاجمته، فرد عَلَيْهِ نافذ: من المحتمل ألا تكون لديك أي فرصة للهجوم.

وفي نهاية المطاف، وافق المُلَّا عُمَر على اقتراحات المُلَّا عبد الرزاق وإخوانه، وبعث برسالة إلى وزير الدفاع الجوي المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور بنقل رسالة إلى المجاهدين العرب قرب المطار مفادها (سنقوم بإخلاء المدينة، ولا نريد أن نترككم بمفردكم، لذا نطلب منكم مغادرة المدينة). وقبل أسبوع من ذَلِكَ أمر المُلَّا عُمَر بإجلاء أسر المجاهدين العرب وأطفالهم من مدينة قندهار. وبعد خروج أسرهم بقي هَؤُلَاءِ المجاهدون العرب في المدينة وضحوا بأرواحهم للقتال حَتَّى آخر نفس، وكان منهم الاستشهاديون. في ذَلِكَ الوقت، وتحت قيادة وزير الدفاع المُلَّا عبيد الله التقى سيد طيب آغا والحاج أمير مُحَمَّد آغا بكرزاي في شاولي كوت، واتفقا معه على تسليم المدينة لِلْمُلَّا نقيب الله لكن الأمريكان لَاحِقًا لَمْ يسمحوا بِذَلِكَ، وسلموا المدينة لغول شيرزاي وميليشياته.

وصل المُلَّا عُمَر والمُلَّا عبد الرزاق مع قادة آخرين من طَالِبَان إلى آخر قاعدة لهم في منطقة "كرشك أدي" قرب مدينة قندهار، فنجح المُلَّا عبد الرزاق بإقناع المُلَّا عُمَر بالذهاب إلى زابل. وقبل سقوط قندهار بيوم ذهب المُلَّا عُمَر ومعه عدد من المجاهدين إلى زابل، ودعوا إلى هناك بعض قادة طَالِبَان الرئيسيين في منطقة سرخغانو، وناقشوا معاً كيفية استئناف المعركة وإستراتيجية القِتَال الجديدة. لَاحِقًا قُتل معظم قادة طَالِبَان الَّذِينَ شاركوا في هَذَا الاجتماع كالملا عبد الرزاق نافذ والمُلَّا روزي خان والمُلَّا مُحَمَّد جول نيازي. وأعطى المُلَّا عُمَر تعليماته للجميع ثُمَّ ذهب إلى منطقتي سيوري اوشينكي. وسعى الأمريكيون لقتل كُلّ قادة طَالِبَان أو اعتقالهم، وحَتَّى سفير طَالِبَان في إسلام آباد لَمْ يتركوه بل سجنوه كأنه قائد عسكري.

اعتقال المُلَّا عبد السَّلَام ضعيف وتسليمه للأمريكان

بعد سقوط قندهار قَالَ البعض لِلْمُلَّا عبد السَّلَام ضعيف في باكستان (أنت دبلوماسي ولا خطر عليك، فيمكنك العيش بسلام هنا). لكن المُلَّا ضعيف بقي في المنطقة الحدودية وقطع اتصاله بالجميع قبل أن يلتقي بِهِ أحد أصدقائه الموثوق بهم، يُدعى أحمد راتب وأقنعه بالعودة إلى منزله في إسلام آباد، وأخبره أنه تحدث إلى دولة أجنبية وبعض منظمات حقوق الإنسان لتأمين لجوء لَهُ، فعاد المُلَّا ضعيف إلى إسلام أباد وفقاً للخطة الَّتِي أعدتها CIA لاعتقاله.

اسم هَذَا الشخص هو أحمد راتب«[1]»، وهو على علاقة بحامد كرزاي، وهو عميل سري لحساب CIA، ولكنه من خلال العلاقات التجارية والسياسية اقترب من المُلَّا ضعيف على أنه صديق مخلص. يقول مَوْلَوِي أحمد جان وزير المناجم والصناعة (لقد رأيت أميركيًا في كابول يرتدي ملابس أفغانية مع أحمد راتب عدة مرات، وقد قدم نفسه للمسؤولين على أنه مهندس اتصالات، ولكن اتضح لي الآن أنه كان عميلاً لحساب CIA).

بحسب تعليمات برويز مشرف سُلم المُلَّا ضعيف إلى CIA في بيشاور، وقد ذكر المُلَّا ضعيف القصة كاملة في كتابه. ومهما حدث مع ضعيف فهي أسوأ جريمة موصوفة لمنظمة حكومية، أما بالنسبة لباكستان فهي حادثة مخزية، فكيف لدولة نووية أن تنبطح إلى هَذَا الحد؟!

يرى بعض قادة طَالِبَان أن أحمد راتب هَذَا هو السبب في الكشف عن علاقات طَالِبَان مع الصين وإفشالها. فبعد زيادة الضغط الأمريكي أرادت قيادة طَالِبَان إرسال رسالة موقعة من المُلَّا عُمَر إلى الرئيس الصيني بواسطة المُلَّا ضعيف عبر قنوات سرية مع المسؤولين الصينيين. ويقال إن المُلَّا ضعيف أعطى هَذِهِ الرسالة إلى أحمد راتب، الَّذِي بدوره أبلغ CIA بهَا مِمَّا أدى إلى تراجع الصينيين فجأة. عندما أُطلق سراح المُلَّا ضعيف استقبله أحمد راتب في مطار كابول للترحيب بِهِ مع بعض السيارات الفاخرة. ولعله اشترى هَذِهِ السيارات بأموال CIA. يعرف المُلَّا ضعيف حقيقة راتب لكنه لا يستطيع فضحه علانية.

---

1 – المترجم الإنجليزي أخفى اسم الشخص لكنه مذكور في نسخة البشتو.

مـن ناحيـة أخـرى، أخـبر راتـب أحـد الأشـخاص أنـه لَـمْ يكـن يقصـد تسـليم المُـلَّا ضـعيف ليأخـذه الأمريكـان بِهَـذِهِ الطريقـة إلـى غوانتانـامو، ويـزعم أنـه أراد تبرئتـه بعـد فـترة سـجن قصـيرة ليبدأ العمل معه في كابول ويواصل حياته كالمعتاد. وهَذَا العذر شبيه بما قاله خالد بشتون حول مَوْلَـوِي متوكـل. فقـد عـاش متوكـل وضـعيف العـذاب في السـجون لفـترات طويلـة. لكـن بعـد أن أُطلـق سـراحهما بـات وجودهمـا في كـابول مقبـولاً لـدى CIA لأنهمـا لا يشـكلان خطـراً بعـد الآن، فهمـا مجـرد رمـزين. كمـا هـدفت CIA إلـى أن يتحـول مسـؤولو طَالِبَـان السـابقون مـن هَـذَا النـوع إلـى وسيلة لجذب الملالي وغيرهم من الطلبة للعمل مع الحكومة والقُوَات الأجنبية.

بداية المقاومة بعد سقوط حكومة طَالِبَان

عنـدما انحـازت طَالِبَـان مـن كافـة المنـاطق في الـبلاد كَانَـت المقاومـة ضِـدّ الاحـتلال شـبه معدومـة. وفي مـارس 2002 أي بعـد ثلاثـة شـهور بـدأ الأمريكيـون عمليـة عسـكرية ضِـدّ قاعـدة تضـم تجمعـاً ضـخماً لِطَالِبَـان في زرمـت بمنطقـة شـاهي كـوت التابعـة لولايـة بكتيـا. كَانَـت هَـذِهِ القاعـدة الجِهَادِيَّـة تابعـة لِلْمُـلَّا سـيف الـرحمن منصـور الَّـذِي كُلـف ببـدء الجِهَـاد ضِـدّ الغـزاة الأمريكيين.

المُـلَّا سـيف الـرحمن منصـور هـو الابـن الثـاني للمولـوي نصـر الله منصـور المجاهـد الشـهير الَّـذِي استشـهد في هجـوم إرهـابي عـام 1992 . وهنـا أود أن أقـدم معلومـات مهمـة عـن شخصـية المَوْلَوِي منصور واستشهاده.

مَوْلَـوِي منصـور مـن سـكان منطقـة زرمـت في بكتيـا، ونجـل الـوزير الحـاج غـلام مُحَمَّـد خـان، واشـتهر بـين القـادة المجاهـدين البـارزين، وقـام بـدور مهـم في الحـد مـن النزاعـات بـين حكمتيـار وربـاني، وقـد أختـاره مَوْلَـوِي مُحَمَّـد نبـي محمـدي قائـد حركـة الانقـلاب الإِسْلَامِيّ نائبـاً لَـهُ. ومـع انفصـال ربـاني وحكمتيـار وعـودة سـياف إلـى كـابول، أنشـأ مَوْلَـوِي يـونس خـالص جماعـة جديـدة، وكـان مَوْلَـوِي منصـور لا يـزال نائبـاً للمولـوي محمـدي. ولكـن بعـد أن ازداد ضـعف جماعتهمـا نتيجـة كادرهـا السـيء وأفعـالهم المشـينة وقلـة أمـانتهم وضـعف القِيَـادَة، وتـدخل أبنـاء المَوْلَـوِي محمـدي في شـؤونها، انشـق مَوْلَـوِي منصـور عَنْهَـا مـع مؤيديـه. لكـن جماعتـه الجديـدة لَـمْ تُعامـل

على أنها جماعة معترف بهَا رسمياً لاستحواذ الجماعات الكبرى الأخرى على اهتمام المسؤولين في باكستان ودعمهم. فتقلصت إلى مجموعة صغيرة، واضطر المَوْلَوِي منصور لطلب الدعم من إيران. وفي ذَلِكَ الوقت دعمت إيران الجِهَاد الأَفْغَانِيّ، لكن دعمها للفصائل السنية كان محدوداً للغاية.

أدار المَوْلَوِي منصور مجموعته ومكاتبه ومدارسه وإصداراته وبرامجه التدريبية بطريقة نشطة للغاية بالرغم من افتقاره إلى المَال الكافي، لكنه تميز بقدرته على توظيف الشباب في العمل. وعمل مَوْلَوِي منصور مع آخرين على تدريب أبنائه على الجِهَاد. فَلَمْ يرسلهم أبداً إلى جامعات أجنبية لإنهاء التعليم العالي بل عندما جاءته مثل هَذِهِ الفرص أكد لأبنائه أنهم سيكملون تعليمهم في المَدَارِس الَّتِي يتعلم فِيْهَا الأَفْغَان لا المَدَارِس الأجنبية.

أذكر خلال طفولتي أيام الجِهَاد ضِدّ السوفييت أني رأيت منزله ومكاتبه ومدرسته. فقد عاش في منزل يؤجره بثلاثمئة روبية باكستانية، ومدخل البيت مغطى بستارة. وإذا خرج من منزله لبس ثياباً أنيقة. فقد عاش حياة شخصية منظمة وعمل بجد. لقد شغل وقته في بيشاور بالتعليم والتدريب والعمل الرسمي فإذا عاد إلى أَفْغَانِسْتَان خاض المعارك واصطحب أبناءه معه إلى ساحة المعركة.

بعد فتح كابول ودخول المجاهدين إِلَيْهَا تقاسمت الأحزاب الستة مقاعد الحكومة باستثناء حزب حكمتيار. ثُمَّ أنشأ القادة من مختلف المنظمات والقبائل مجلس الشُّورَى، فعُرض على المَوْلَوِي منصور أن يكون نائباً في المحكمة العليا لكنه فضل أن يكون والياً على بكتيا باعتبارها ساحة معاركه، وقام بدورٍ كبيرٍ في قهر الأعداء فِيْهَا. ولعل وجوده في منصب الوالي هو السبب في أن غنائم بكتيا الحربية -بما في ذَلِكَ الدبابات المدرعة- خضعت للصيانة وجُهزت بِشَكلٍ كامل بدلاً من بيعها. في تِلْكَ الأثناء عين سيف الرحمن منصور قائداً لكتيبة الدبابات لخبرته في هَذَا المجال، ودرب العَدِيْد من زملائه على قيادتها. ومع وصول طَالِبَان للحكم عُين سيف الرحمن مسؤولاً عن تشغيل المدافع والدبابات المدرعة.

خلال عهد رباني، حصل المَوْلَوِي منصور من الحكومة على نصيب وافر من المَال، فوزع مبالغ كبيرة على قادة اللصوص المتسببين بالفوضى في الولاية، وذَلِكَ بهدف ضبطهم ونشر

الأمن. ويقول إخوانه المقربون مِنْهُ إنه لَمْ ينفق هَـذِهِ الأَمْوَال على نفسه أو أسرته حَتَّى السيارة الَّتِي استخدمها اشتراها لَهُ رجل أعمال. ولقاء تفانيه وإخلاصه سدد المُلَّا عُمَر ديونه لَاحِقًا، فحَتَّى ذَلِكَ الحين لَمْ يكن أبناؤه قادرين على سداد ديونه. بينما تلقت جميع الأحزاب الستة أموالاً من حكومة رباني، حَتَّى الأستاذ فريد نائب حكمتيار حصل على دعم من الحكومة لفترة.

تميز المَوْلَوِي نصر الله منصور أيضًا بطابعه الوطني، فقد تتلمذ في أَفَغَانِسْتَان على أيدي ملالي مختلفين، واستطاع فهم طبائع الناس في بلده. ولما زار زابل وغزنة خلال حكم المجاهدين، عقد العَدِيْد من الاجتماعات هناك، وشعر الجميع أنه سيستحوذ في وقت قياسي على محبة أهل المنطقة وعلمائها ودعمهم. ورغم أنه لَمْ يحظ بفرصة لإثبات نفسه في باكستان، إلا أنه كان قادراً على تأمين موارد من الداخل تمكنه من منافسة تأثير الأحزاب الأخرى في العَدِيْد من المقاطعات.

وأثار نفوذه حفيظة حكمتيار الَّذِي اعتاد إقصاء خصومه أو التخلص منهم، فجعله هدفًا لَهُ. وأمام عجزه عن تحقيق أي تقدم في مواجهة مسعود على محاور كابول، خطط حكمتيار للاستيلاء على مناطق أخرى من القادة الَّذِينَ لَمْ يشتركوا في الاقتتال في غزني وبكتيا وباكتيكا ولوجار، ودعمته في ذَلِكَ أجهزة استخبارات إقليمية. ولَمْ يكن لدى قادة هَـذِهِ الولايات الخبرة العَسْكَرِيَّة الكافية لمواجهته، وكان المسؤول الإداري عَنْهَا جميعًا المَوْلَوِي منصور، ولَمْ يتوقع أن يغدر بِهِ حكمتيار أو يهدده بالقتل، فقد جمعتهما معارك واحدة أيام الجِهَاد ضِدّ السوفييت وأكلا من وعاء واحد. لَمْ يشترك أي مقاتل من مجموعة مَوْلَوِي منصور في الصراع الدائر بين مسعود وحكمتيار، بل كان يُعد مع قادة آخرين معارضين للاقتتال الداخلي بمثابة قوة فصل بين الطرفين بقيادة صبغة الله مجددي لإحلال السَّلَام.

وبينما كان مَوْلَوِي منصور في طريقه من كابول إلى مدينة غارديز حاملاً معه الميزانية الحكومية المخصصة للمدينة، أوقفه رجال حكمتيار عند نقطة تفتيش في شارسياب وأنزلوه من سيارته، وسجنوه لبضعة ساعات كما سرقوا المَال من السيارة. يروي أحد القادة المحليين في كابول القصة فيقول (قبل وصول مَوْلَوِي منصور، قدم رجال مَوْلَوِي نظام الدين تقريراً سريًا إلى حكمتيار مفاده أن مَوْلَوِي منصور خارج من كابول وبحوزته مبالغ مالية ضخمة). لكن

المقربين من نظام الدين ينفون هَذَا الاتهام ويعتبرونه جزءاً من الدعاية المغرضة. ويقال إن مَوْلَوِي نظام الدين كان تابعاً للمولوي جلال الدين حقاني، لكنه تحالف سراً مع حكمتيار، وأراد السيطرة على بكتيا من مَوْلَوِي منصور بالقوة. ويضيف هَذَا القائد المحلي: أثناء سرقة الأَمْوَال، حاول أحد قادة حكمتيار المدعو ملك نذير منع الآخرين من سرقة المَال، لكنهم أخذوه بالقوة.

من المؤسف أن هَذِهِ الحادثة وغيرها من السرقات قام بهَا رجال زعيم متشدد دينياً كحكمتيار، مِمَّا ساهم في نشر الفوضى أكثر فأكثر، وعزز من نشاط اللصوص والمفسدين. وبعد أن سُرق المَال علم المَوْلَوِي جلال الدين حقاني بالأمر، وسارع لإطلاق سراح مَوْلَوِي منصور. وقَالَ منصور حينها لتلفزيون كابول: لقد هددوني بالقتل، فأجبتهم أن الموت والحياة بيد الله. كما تعرض مَوْلَوِي مُحَمَّد يونس خالص لحادثة مماثلة عندما أوقفه القائد زرداد التابع لحكمتيار في منطقة ساروبي، ولَمْ يستطع إنزاله من سيارته لوجود قادته ومرافقيه معه، ثُمَّ أفرج عَنْهُ بضغط من إخوة مَوْلَوِي جلال الدين حقاني.

وفي حادثة مماثلة أوقف أحد قادة حكمتيار المشهورين المدعو وحيد الله القائد الجِهَادِيّ بير سيد أحمد جيلاني في طريقه إلى لغمان، رغم أنه كان جزءاً من حكومة كابول. لكن القائد الشهير التابع لجيلاني شوملي خان تحرك لإطلاق سراحه، وأعطى حكمتيار في اليوم التالي مهلة 12 ساعة للخروج من جلال أباد حَيْثُ كان منزل حكمتيار آنذاك. وقد روى لي الحاج عبد المتين قائد الحِزْب الإِسْلَامِيّ في كوتشي أن شوملي خان حذر حكمتيار، ولَمْ يجرؤ قادة الحِزْب في ننجرهار على إرسال مسلحين لحماية منزله في جلال أباد.

قَالَ الحاج متين (أرسلت 12 مسلحاً إلى منزله لكن الوضع لَمْ يعد يسمح ببقائه هناك. وعند دخول المجاهدين إلى كابول دعت الحكومة مجددي وجميع المعنيين من الأحزاب السبعة وأعضائها الرئيسيين بالإضافة إلى مجددي. فأرادوا السفر إلى كابول عبر الطريق السريع من جلال آباد، فأرسل لي حكمتيار رسالة يطلب مني مهاجمة هَذِهِ القافلة قرب منطقة

تشوروا غالاي في جلال أباد والقضاء عَلَيْهَا لكني رفضت ذَلِكَ، ولحسن الحظ لَمْ يسلكوا هَذَا الطريق حَيْثُ ذهب مجددي والآخرون جواً)[1].

بعد مرور شهر على حادثة شاراسياب، انفجرت عبوة ناسفة في سيارة مَوْلَوِي منصور على طريق غارديز-كابل ما أسفر عن مقتله رفقة مَوْلَوِي ظبطو خان العالم المشهور من لوجار. تضاربت الآراء حول هَذِهِ الحادثة، فالبعض يرى أن العبوة زرعت على جانب الطريق، ويقول آخرون إنها زرعت في سيارته عندما أوقفه عناصر الحِزْب الإِسْلَامِيّ في شاراسياب وفجرت عن بعد. لكن الرأي الثاني أقرب للصواب إذ يقول عناصر الأمن التابعين للمولوي منصور إنه لا أثر في الأرض على وجود عبوة أو ما شابه. وبحسب أحد قادة الحِزْب الإِسْلَامِيّ في كابول، هنأ قادة الحِزْب بعضهم البعض عبر اللاسلكي فور سماعهم نبأ استشهاده.

كان مَوْلَوِي نصر الله منصور زعيماً جهادياً شاباً، رحيماً بالناس وصاحب بصيرة وذكاء، وعالماً بعلوم الشريعة. لقد أقام في بيشاور علاقة جيدة مع حكمتيار وحزبه لكن تجاوزات عناصر استخبارات حكمتيار وأفعالهم السيئة دفعته لَاحِقًا للاعتماد على دعم مسعود ورباني لحماية مناطقه.

عند سيطرة طَالِبَان على منطقة شاراسياب شارك المُلَّا سيف الرحمن منصور أيضاً في العملية قائداً. وسمعت أحد إخوانه يقول: بعد هروب حكمتيار ذهب المُلَّا سيف الرحمن إلى منزله وأخذ ملابس أسرته وأغراضه الخاصة وسلمها إلى شخص يثق بِهِ وقَالَ لَهُ (خذها إلى حكمتيار وأخبره أن شرفك شرفي. صحيح أنك احتجزت والدي وأهنته لكن والدي علمني أن أعتبر شرفك شرفي).

نشأ سيف الرحمن على إرشادات والده وخرج من عنده مقاتلاً عادلاً ورحيماً بالناس، يقوم الليل طويلاً، ويحرص على حسن استخدام الأَمْوَال والأملاك العامة. يقول أحد إخوانه عَنْهُ: لَمْ يحضر سيف الرحمن حفل زفاف شقيقه لأنه لا يستخدم سيارة حكومية في حياته

1-هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية فقط.

الشخصية. قاتل سيف الرحمن مع طَالِبَان قائداً ميدانيّاً على الجبهة فأصيب مرتين في يديه، ما تسبب لَهُ بإعاقة.

في 12 نوفمبر 2001، أعلنت وزارة الدفاع إخلاء المراكز والمقرات، وبدأ مقاتلو طَالِبَان بمغادرة كابول وفق اتفاق سري يقضي بعدم تعرضهم للقصف أثناء الانسحاب إلا أن القائدين الشهيرين المَوْلَوِي جلال الدين حقاني والمُلَّا سيف الرحمن منصور لَمْ يكونا على علم بالأمر، واعتزما القِتَال حَتَّى النهاية للدفاع عن كابول، ولذا احتجا على القرار.

في النهاية انحاز الجميع من كابول، فبدأ مَوْلَوِي جلال الدين حقاني العمل المقاوم في خوست، وأعاد سيف الرحمن منصور العمل في قاعدة والده في منطقة شاهي كوت الجبلية، والَّتِي أقيمت خلال الجِهَاد ضِدّ السوفييت لتنظيم العمل الجِهَادِيّ. وعمل كلاهما على إخلاء أسر المجاهدين العرب القادمة من الجَنُوب والشرق إلى مكان آمن، فنجح المُلَّا سيف الرحمن منصور بدعم من المُلَّا نيك مُحَمَّد وأهالي وزيرستان بتأمين ملاذ آمن للعرب وغيرهم من المهاجرين. وجاهد المُلَّا نيك مُحَمَّد كفرد في مجموعة عسكرية بمديرية قرغي بولاية لغمان، وكان صديقاً مقرباً لِلْمُلَّا سيف الرحمن منصور.

أصيب مَوْلَوِي جلال الدين حقاني بجروح خطيرة في قصف جوي أمريكي خلال وجوده في منزل نجله سراج الدين في قرية زنيخل بمديرية نادر شاكوت التابعو لولاية خوست حَيْثُ أقام ليخطط لشن هجمات ضِدّ قوات الاحتلال. بعدها أنشأ أبناؤه قواعد جهادية على الجانب الآخر من الحدود، وشنوا عمليات فعالة. واختار المُلَّا سيف الرحمن جبال شاهي كوت قاعدة لَهُ، وتعاون أيضاً مع المجاهدين المهاجرين.

في مطلع عام 2002، بدأ جواسيس الولايات المتحدة بمراقبة هَذَا المعسكر التدريبي. اشتهر المَوْلَوِي عبد الحكيم منيب النائب السابق لوزير الشؤون الحدودية في حكومة طَالِبَان بدوره الرئيسي في معارك شاهي كوت. نشأ مَوْلَوِي منيب وعاش في مقاطعة زرمت التابعة لبكتيا، ولازم "رحمة الله واحديار" منذ صغره، ولذا اعتبر نفسه من أتباع مَوْلَوِي منصور. لَمْ تكن سمعته حسنة كما ينبغي داخل أوساط طَالِبَان، فقد تورط مرة بسرقة سيارة لكنه ظل مسؤولاً برتبة عادية.

قبل الغزو الأمريكي، كان لمولوي منيب صلات مع CIA عبر القائد الجِهَادِيّ السابق المُلَّا ملنج. ومع بداية الغزو أدلى بتصريحات ضِدّ المُلَّا عُمَر أمام وسائل الإعلام، وشارك بنشاط في دعم الغزاة. وبمجرد انتشار تصريحاته على الإعلام اعتقلته طَالِبَان، فتذرع أن باشا خان زدران[1] قيده وأرغمه على الإدلاء بِهَـذِهِ التصريحات. وفي وقت لاحق حاول سيف الرحمن منصور إلقاء القبض عَلَيْهِ. وشوهد ذات مرة مع امرأة أجنبية يسيران في مدينة جرديز ومحيطها لجمع معلومات حول قاعدة شاهي كوت، وأرسلها إلى المسؤولين الأمريكيين. بعد معركة شاهي كوت كوفئ منيب بمبلغ مالي ومنصب رسمي. واستطاع بتعاونه مع الأمريكيين مهاجمة قاعدة سيف الرحمن، وبتوفيره لعروض الحج والعمرة المجانية للعديد من سكان باكتيا أن يكسب ولاء شيوخ زرمت وملاليها ومحبتهم.

بعد رصد دقيق للمنطقة، أعد العدو هجوماً على شاهي كوت. وفي مارس 2002، بدأ التمهيد بغارات جوية أمريكية، ثُمَّ تقدمت قوات أفغانية عميلة براً، وواجهوا مقاومة عنيفة. وأسر سيف الرحمن المئات من أفراد الجَيْش الأَفَغَانِيّ العميل أحياء ثُمَّ أطلق سراحهم فيما بعد. وتعرضت القُوَات الأمريكية لخسائر فادحة للمرة الأولى في الحرب، ووصفتها وسائل الإعلام الغربية أنها الخسارة الأكبر لَهَا منذ حرب فيتنام. واعترف الأمريكان بتدمير طائرتين ومقتل ثمانية جنود وإصابة آخرين. لكن شهود العيان وسكان المنطقة أكدوا سقوط العَدِيْد من الطائرات ومقتل أكثر من مئة جندي أمريكي.

يقول فتح الرحمن شقيق سيف الرحمن: في قرية أوريا خيل البعيدة عن منطقة القِتَال أحصيت سبع مروحيات أصابها مقاتلو طَالِبَان. ورأينا سقوط طائرة من نوع أواكس E_3 بالقرب من مدينة غرديز. ويقول مُحَمَّد قاسم حليمي الَّذِي اعتقل في قاعدة باغرام: رأيت جندياً من الحراس في باغرام يبكي في اليوم الأول من هَـذِهِ المعارك، ويقول إن قواتنا تكبدت خسائر فادحة، وأُحضر إلى باغرام حَتَّى الآن أربعون جثة.

1-زعيم ميليشيا في ولاية باكتيا جَنُوب شَرْق أَفَغَانِسْتَان. حارب السوفييت، وقام بدورٍ في محاربة طَالِبَان خلال الغزو الأمريكي عام 2001، وأقصي من المشهد عقب رفضه تعيين حاكم للولاية من طرف الحكومة الجديدة في كابول.

استمر القِتَال لمدة أسبوعين، ولَمْ ينتهِ إلا باستشهاد المُلَّا سيف الرحمن فيما نجا بعض إخوانه. واستشهد معه أبرز قادته العسكريين المَوْلَوِي مُحَمَّد يوسف والمولوي فدا مُحَمَّد جواد. وبعد هَذِهِ المعارك أدركت القُوَات الأمريكية لأول مرة صعوبة القِتَال المباشر مع الأَفَغَان حَتَّى مع وجود التكنولوجيا المتقدمة. وارتفعت الروح المعنوية لمجاهدي طَالِبَان، وبدأت تنشط عمليات المقاومة ضِدّ الغزاة. ولأن المُلَّا سيف الرحمن كان رمزاً للبطولة والمقاومة ضِدّ الغزاة فقد أخفى إخوانه خبر استشهاده لإبقاء معنويات المجاهدين عالية.

بعد استشهاد سيف الرحمن منصور فشل إخوانه في لَمْ شمل جماعته، وذَلِكَ لقلة خبرتهم وضعف مستشاريهم. كما أن التنسيق مع بعض أعضاء جماعة "خدام الفرقان" أساء إلى سمعتهم، وانشغلوا في صراعاتهم الشخصية والمحلية. وفي المقابل طور أبناء مَوْلَوِي جلال الدين حقاني عملهم المقاوم بِشَكلٍ فعال، واتسعت رقعته لتشمل نصف البلاد. وعموماً تتمتع الأسرتان بشعبية كبيرة بين أتباعهما نظراً لفعالية عملهما المقاوم وتضحيات أفرادهما الشخصية.

الإعلان عن جماعة خدام القرآن

بعد الغزو الأمريكي وسقوط حكومة طَالِبَان انحاز بعض المجاهدين مثل سيف الرحمن منصور إلى الجبال لبدء المقاومة. وذهب بعضهم إلى المناطق الحدودية مع باكستان للعيش هناك بعيداً عن الأعين، فيما لجأ بعض المسؤولين إلى المدن البَاكِسْتَانِيَّة، وعاد بعض أبناء حركة طَالِبَان إلى ديارهم بناءً على وعد من كرزاي لكن الأمريكيين والميليشيات الداعمة لهم بدؤوا بملاحقتهم واعتقالهم، فحاولوا الفرار إلى أي مكان آمن. ونتيجة لِهَذِهِ الملاحقات والانتهاكات؛ قرر العَدِيْد من أبناء طَالِبَان استئناف القِتَال ضِدّ الأمريكيين وقوات التحالف الشمالي والقادة المحليين. لقد أيقنوا أن بقاءهم في المنازل سيعرضهم لخطر القتل أو الإذلال، ولذا فضلوا عدم الاستسلام للعدو.

من ناحية أخرى، طلبت باكستان من مسؤولي طَالِبَان من الصف الثاني الَّذِينَ عاشوا في باكستان خلال الجِهَاد ضِدّ السوفييت دعم حكومة كرزاي وإعلان انشقاقهم عن الحَرَكَة. في

ذَلِكَ الوقت تمتع كرزاي بعلاقات حميمة مع باكستان، وانتقلت أسرته مؤخراً من كويتا إلى قندهار وكابول. وحَتَّى في الانتخابات صوَّت اللاجئون الأَفْغَان في باكستان لصالح كرزاي، وسهلت الحكومة البَاكِسْتَانِيَّة لهم المشاركة في هَذِهِ الانتخابات. ونظراً لأن باكستان انضمت إلى التحالف الأمريكي، فمن الواضح أن سياستها اقتضت اعتقال عناصر طَالِبَان وتسليمهم أو إقناعهم بدعم كرزاي.

في تِلْكَ الظروف أُعلن عن تشكيل جماعة "خدام الفرقان" بقيادة كُلّ من أمين جان مجددي[1]، مَوْلَوِي أرسلان رحماني، عبد الحكيم مجاهد، حبيب الله فوزي، رحمة الله واحديار، الحاج أحمد هوتك، سهيل شاهين، ومَوْلَوِي عبد الستار صديقي. ويعود هَذَا الاسم إلى الجماعة الَّتِي أسسها العُلَمَاء والزعماء الروحيين بعد الحرب الأنجلو – أفغانية الثانية بهدف حماية القيم الإِسْلَامِيَّة من السياسة البريطانية، واستمر نشاطها حَتَّى الانقلاب الشُّيُوعِيّ.

كان المُلَّا أرسلان رحماني والحاج أحمد هوتك المؤسسين الفعليين لِهَذِهِ الجماعة، وجعلا من أمين جان مجددي رمزاً للجماعة في خطوة ذكية ومثمرة. فقد عمل مجددي في حكومتي رباني وطَالِبَان وزيراً ونائب وزير، واختير عضواً في مجلس الشيوخ في إدارة كرزاي، ويمتلك عقاراً ضخماً في باكستان، وكان كُلّ من "واحديار" و"رحماني" من بين ستين شخصاً من قادة جماعة "الانقلاب الإِسْلَامِيّ" بقيادة مُحَمَّد نبي محمدي الَّذِينَ حصلوا على الجنسية البَاكِسْتَانِيَّة بقرار من الرئيس البَاكِسْتَانِيّ السابق غلام إسحاق خان في نهاية الجِهَاد ضِدّ الاتحاد السوفيتي.

برز رحماني أيام الجِهَاد كقائدٍ جهادي شهير في بكتيكا، لكنه فيما بعد استحوذ على ثروة كبيرة من أملاك المجاهدين العرب وأراضي اللاجئين. ويُقال أيضاً إنه في نهاية الجِهَاد باع كمية كبيرة من السلاح وأصبح ثرياً. فاشترى أملاكاً في إسلام آباد، وامتلك أيضاً مستودع تبريد للخضروات والفواكه الطازجة. وفي عهد حكومتي رباني وطَالِبَان اشترى العَدِيْد من

1– ورد اسمه في النسخة الإنجليزية فقط من الكتاب.

المنازل والمتاجر. فسأله أحدهم عن عدم عودته إلى كابول، فأجاب مازحًا: لقد استثمرت جهادي كله في هَذِهِ الأملاك، وسأفقدها كلها إذا تركتها الآن.

استخدم المُلَّا رحماني اسم أمين جان محمدي في هَذَا العمل، وذَلِكَ بهدف التبرؤ من طَالِبَان، والعودة إلى كابول بوجه جديد. وبعد اتضاح هَذَا الأمر ترك المَوْلَوِي عبد الستار صديقي هَذِهِ الجماعة، وبايع المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور عام 2016، وتوفي مطلع عام 2017.

حظيت جماعة خدام الفرقان بدعم من المنظمات البَاكِسْتَانِيَّة والغربية. وبدلاً من استخدام هَذَا المَال لصالح الشأن العام، تنازعوا فيما بينهم عَلَيْهِ. فغضب الحاج أحمد هوتك وترك التنظيم لأن حصته من المَال كَانَت أقل مِمَّا توقع.

واقترح المُلَّا رحماني استثمار هَذِهِ الأَمْوَال، فتحجج الآخرون بعدم فهمهم للأعمال التجارية، وشجعوه على البدء بِذَلِكَ نظراً لدرايته وخبرته. فَقَالَ: سعر البطاطس هَذِهِ الأيام مناسب للشراء، لذا سأشتري آلاف الأطنان وأخزنها في مخازن التبريد الخاصة بي وأنتظر ارتفاع الأسعار في السوق، وحينها سنكسب الكثير من المَال. وما عليكم سوى أن تدفعوا لي إيجار المخزن. ومع انتهاء الموسم انخفض سعر البطاطس أكثر، وهنا بدأت الخسارة لكنه حصل على إيجار مخزن التبريد. وإثر الغزو الأمريكي والضغط البَاكِسْتَانِيّ حاول بعض مسؤولي خدام الفرقان التفاوض مع إدارة كرزاي والأمريكيين لكنهم فشلوا.

استسلام مسؤولي طَالِبَان

في مارس 2002، توجهت مجموعة من مسؤولي طَالِبَان برئاسة وزير العدل المُلَّا نور الدين ترابي إلى حاكم قندهار جول آغا شيرزاي. وضمت هَذِهِ المجموعة عضو المجلس الأعلى لِطَالِبَان سابقًا المُلَّا مُحَمَّد صادق، وقائد شرطة هرات المُلَّا عبد الحق شقيق المُلَّا سعد الدين، ورئيس الشؤون الإدارية مُلَّا سيد مُحَمَّد حقاني، وقائد شرطة غزني المُلَّا عبيد الله، وآخرين. لكن شيرزاي علم أن الأمريكان لن يسامحوهم بل سيعتقلونهم في غوانتنامو، ولذا أخبرهم بحقيقة الوضع وأعطاهم بعض المَال وطلب منهم التواري عن الأنظار. وساعدت هَذِهِ المواقف طَالِبَان على دعم مقاومتها ودفعت الكثيرين للالتحاق بنشاطها العَسْكَرِيّ،

وأدرك كُلّ قادة طَالِبَان أن لا مجال للتسوية مع الأمريكان فهم لن يتركوهم، وأن المقاومة أمر لا مفر مِنْهُ.

حصلت هَذِهِ المجموعة من شيرزاي على رسالة توصية داخل باكستان كي لا يضايقهم أحد. لقد اعتقدوا أنه تربطه بباكستان علاقة جيدة وأن هَذِهِ التوصية ستحميهم. لكن بمجرد أن عرض المُلَّا مُحَمَّد صادق هَذِهِ الرسالة على الشرطة البَاكِسْتَانِيَّة، سلموه إلى الاستخبارات البَاكِسْتَانِيَّة الَّتِي سلمته بدورها إلى الأمريكيين فأُرسل لَاحِقًا إلى غوانتنامو.

سهلت هَذِهِ الرسالة في بعض الأحيان تحركات الطَّالِبَان داخل أَفَغَانِسْتَان. وأرسل شيرزاي برسالة مماثلة إلى المفتي المَوْلَوِي عبد الحكيم بقندهار جاء فِيْهَا (هَذَا المَوْلَوِي اختلف مع طَالِبَان، ويريد العيش في منزله، فلا يضايقه أحد). أثناء حكم طَالِبَان عمل المفتي عبد الحكيم رئيسًا إداريًا لقندهار. وبهذه الرسالة عاد إلى أهله وبيته لكنه بعد عام تعاون مجدداً مع طَالِبَان، وعمل لفترة رئيسًا للجنة الاقتصادية.

كما شملت حالة الاستسلام هَذِهِ مَوْلَوِي وكيل أحمد متوكل لكنه عندما علم باعتقال المُلَّا عبد السَّلَام ضعيف في باكستان تأكد من مصيره خاصة أنه وزير خارجية طَالِبَان. وبعد أيام من الاتصالات أقنعه الحاج بشير الَّذِي كان على صلة بالمسؤولين في قندهار أنه سيعيش حياة طبيعية في أَفَغَانِسْتَان فيما لو قبل بالجلوس مع الأمريكيين. وأعطاه آخرون تطمينات من الجانب الأمريكي لكنهم في الحقيقة أبرموا صفقة مع الأمريكان لتسليمه. وفور وصوله إلى قندهار قيده الأمريكيون بالأصفاد، وأعلنوا أمام وسائل الإعلام اعتقاله بدلاً من الاستسلام الطوعي، واعتبروا ذَلِكَ إنجازاً كبيراً. وسُجن لمدة عامين، فأصيب بمرض السل، وتساقط شعر رأسه ولحيته. وبالرغم من تلقيه العلاج فلا يزال يعاني من آثار السجن.

نشاط طَالِبَان الدبلوماسي بعد سقوط حكومتها[1]

بعـد سـقوط حكومـة طَالِبَـان أخفقـت الحَرَكَـة لفـترة طويلـة في إقامـة علاقـات مـع أي جهـة في ظـل غيـاب خطـة منهجيـة أو كـادر مناسـب لِـذَلِكَ. ولَـمْ يقـم أي فـرد مـن وزارة خارجيـة طَالِبَـان بِهَـذَا الدور أو بِشَكلٍ أدق لَمْ تكن هناك نوايا صادقة وجهود إيجابية لتفعيل هَذَا الملف.

فقـد استسـلم وزيـر الخارجيـة وكيـل أحمـد متوكـل في بدايـة الأمـر ثُـمَّ سُـجن، ومُنع نائبـه الأول المُـلَّا عبـد الجليـل مـن العمـل وفقـاً لرسـالة صـوتية مـن المُـلَّا عُمَـر حَيْـثُ اتُّهـم بإقامـة علاقـات شخصـية مـع الاسـتخبارات البَاكِسْـتَانِيَّة. وسـمح لَـهُ نـواب المُـلَّا عُمَـر مـن حـين لآخـر بالعمـل علـى جمـع مسـاعدات ماليـة، لكنـه قـام بلقـاءات سـرية دون الحصـول علـى إذن، وكـان علـى خـلاف مـع قيـادة الحَرَكَـة. وبعـد وفـاة المُـلَّا عُمَـر دعـم جماعـة المُـلَّا مُحَمَّـد رسـول المنشـق عـن الحَرَكَـة علانية، وقطع علاقاته بالكامل مع قيادة طَالِبَان.

أمـا النائـب الثـاني فهـو المُـلَّا عبـد الـرحمن زاهـد الَّـذِي اشـتهر بـين الطَّالِبَـان منـذ اليـوم الأول بعـد سـقوط الحكومـة، واتُّهـم فيمـا بعـد بالفسـاد المـالي. وللأسـف أُثبتـت عشـرات قضـايا الفسـاد المـالي المرفوعـة ضـده، حَيْـثُ خـدع العَدِيْـد مـن الجهـات بزعمـه أنـه ممثـل عـن طَالِبَـان، واسـتغل منصبـه الرسـمي السـابق لتحقيـق مكاسـب شخصـية وماليـة. زار في إحـدى المـرات الجزائـر سـراً ممـثلاً عـن الحَرَكَـة للحصـول علـى دعـم للاجئـي طَالِبَـان. ولكـن بعـد أن علـم المُـلَّا عُمَـر بِـذَلِكَ، اعتـذر ووعـد بتسـليم المبلـغ لـلإدارة المعنيـة لكنـه لَـمْ يفعـل ذَلِـكَ أبـداً. لَـمْ تكـن قيـادة الحَرَكَـة تثـق بـهِ مطلقـاً بسـبب فسـاده المـالي المعـروف وانتحالـه لصـفة رسـمية. ولـذا كـان مـن الصـعب تكليفـه بإقامـة أي علاقـات. ومـن ناحيـة أخـرى كـان تكليـف القِيَـادَة لممثلـين عـديمي الخـبرة وغيـر راغبـين في هَـذِهِ المهام سبباً آخر للإخفاق وإهدار الفرص.

عُـين مَوْلَـوِي عبـد الكبيـر أول رئـيس للجنـة السياسـية، فكـان ذكيـاً جـداً وصـاحب نظـرة ثاقبـة ومحيطـاً بالمكائـد الداخليـة لكنـه عجـز عـن تنفيـذ خططـه. وألقـى بعـض خصـومه بـاللوم عَلَيْـهِ لميلـه نحـو السَّـلَام والمُفَاوَضَـات لتـأثره بمزاجـه المعتـدل وطباعـه اللينـة. فتواصـل بعـض زملائـه في

---

1 –وردت هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية.

اللجنة السياسية بِالقِيَادَةِ مباشرة دون علمه، وعقد آخرون اجتماعات وأنشطة مستقلة، فَلَمْ يكن مثلاً على علم باجتماعات مَوْلَوِي شهاب الدين ديلاوار بالبريطاني مايكل سيمبل«[1]».

وفقًا لتعليمات المُلَّا عُمَر حاول مَوْلَوِي عبد الكبير بناء علاقات مع الجماعات المناهضة للولايات المتحدة. كَانَت هَذِهِ المهمة في البداية شبه مستحيلة، في حين أن إقامة علاقات مع الدوائر الغربية أسهل نسبيًا لأنها دوائر تحظى بدعم من CIA. لكن هَذَا يتعارض مع أهداف طَالِبَان الَّتِي أرادت بناء علاقات تعزز مقاومتها، بينما حاولت هَذِهِ الدوائر دفع الحَرَكَة نحو الاستسلام. ثُمَّ عُين المَوْلَوِي عبد اللطيف منصور رئيسًا للجنة السياسية لفترة وجيزة، ولكن سرعان ما كلف بمهمة أخرى. كما كُلف بِهَا معتصم آغا جان لبضعة أشهر حَيْثُ أرادت الحَرَكَة منعه من الوصول إلى الموارد المالية. لكنه نجح مرة أخرى في الوصول إلى منصب رئيس لجنة الشؤون المالية، وفي النهاية فصله المُلَّا عُمَر.

عندما عُين طيب آغا رئيسًا لِهَذِهِ اللجنة فضل أيضًا الجانب السهل من العلاقات، فتواصل مع الدوائر الغربية واتخذ خطوات معاكسة للمسار الآخر بدعم من أصدقائه المقربين وبعض أعوان المُلَّا عُمَر. وللأسف كلما اقتربت الحَرَكَة من الجهات المناهضة للولايات المتحدة عرقلتها تصرفات طيب أغا. وذَلِكَ لأن تِلْكَ الجهات وصفت علاقات طيب آغا الودية مع الأطراف الغربية بأنها تتعارض مع مصالحها، وأبدى البعض خيبة أملهم واشتكوا من ذَلِكَ أيضًا.

زار طيب آغا أوروبا لأول مرة عبر جمهوريات آسيا الوسطى، وأجرى مفاوضات رفيعة المستوى في ألمانيا. ومن ناحية أخرى أكد المُلَّا عبد السَّلَام ضعيف وآخرون وجود صلات لطيب آغا مع CIA. وبعد الشروع في هَذِهِ المهمة أخفيت علاقات استخباراتية أخرى عن الشُّورَى والقِيَادَة لفترة طويلة، فاتُهم طيب آغا فيما بعد بالعصيان واتخاذ القرارات بِشَكلٍ مستقل حَيْثُ لَمْ يكن بمستوى صنع القرار داخل الحَرَكَة.

1- دبلوماسي بريطاني في الاتحاد الأوروبي، وأكاديمي في جامعة كوينز بلفاست مهتم بالشأن الأَفَغَانِيّ عمل على فتح خط تواصل مبكر مع طَالِبَان.

حين أصبح متوكل وزيراً، كان طيب أغا هو أمين السر الثاني في مكتب المُلَّا عُمَر، أما أمين السر الأول عبد السَّلَام كاتب فَلَمْ يسعفه عمره وتجربته لأن يكون شخصية محل ثقة لدى قادة الحَرَكَة. ففي عمله في قطر لَمْ تحظَ قراراته الارتجالية والمتفردة بقبول أعضاء مجلس الشُّورَى المهمين وقادة الحَرَكَة. لكن طيب أغا سُر بعمله، ولذا ازداد بعده عن القِيَادَة حَتَّى استقال في النهاية.

سياسة كُلّ من إيران وباكستان والسعودية بعد الغزو الأمريكي

أولاً: باكستان[1]

بعد سقوط حكومة طَالِبَان تحالفت القِيَادَة العَسْكَرِيَّة البَاكِسْتَانِيَّة مع أمريكا، وفتحت أبواب قواعدها العَسْكَرِيَّة لتقصف من خلالها أَفغَانِسْتَان. وجاء حامد كرزاي وجول آغا شيرزاي والقائد عبد الحق والعَدِيْد من عملاء الولايات المتحدة إلى أَفغَانِسْتَان عبر باكستان وبدعم مِنْهَا، وبدؤوا حربهم على طَالِبَان إلى جانب القُوَات الأمريكية. استقر هَؤُلَاءِ العملاء في باكستان قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وعملوا منذ ذَلِكَ الحين بدعم أمريكي على إنشاء تجمعات مناهضة لِطَالِبَان في كويتا وبيشاور.

بعد انهيار حكومة طَالِبَان ظلت باكستان كما هي، فبعد انتصار المجاهدين وسقوط حكومة نجيب فرَّ عدد كبير من أتباع نظامه ومسؤوليه وأسرهم عبر الحدود المفتوحة. وأُرسلت طلبات اللجوء عبر الوفود الغربية في بيشاور وإسلام أباد. وبعد انتصار طَالِبَان ذهب لَهَا القادة الفارون من الملاحقة الأمنية والعَدِيْد من الجهاديين السابقين. ولَمْ تُفتح أبواب جمهوريات آسيا الوسطى المجاورة وإيران للأفغان إلا لفترة محدودة للغاية. أما أبواب باكستان فكَانَت دائماً مفتوحة لجميع الأَفغَان.

وبعد سقوط حكومة طَالِبَان هاجر الَّذِينَ لَمْ يتمكنوا من البقاء في أَفغَانِسْتَان إلى باكستان. فمئات الأشخاص والآلاف عملوا في حكومة طَالِبَان وكانوا جزءاً مِنْهَا. ولَمْ ترد أمريكا إثارة

1 – وردت هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية فقط.

عـداء هَـؤُلَاءِ، كمـا لَـمْ ترغـب باكسـتان أيضـًا باتخـاذ إجـراءات ضـدهم بـل التزمـت كُـلّ قراراتهـا وسياساتها بتعليمات الولايات المتحدة بوصفها شريكًا في التحالف.

أضـف أن هَـؤُلَاءِ لَـمْ يكونـوا جميعـًا مطلـوبين للولايـات المتحـدة. أمـا المطلوبـون الَّـذِينَ بلـغ عـددهم حـوالي مئـة شـخص مـن الطَّالِبَـان وغيـرهم مـن الَّـذِينَ فـروا مـن المـوت والسـجن في أَفْغَانِسْـتَان، فَلَـمْ تتـوفر عـنهم وثـائق سـفر أو حسـابات مصـرفية أو أوراق ثبوتيـة أو مـا شـابه، واستخدم معظمهم ألقابًا مختلفة كما لَمْ تكن صورهم متاحة.

الَّـذِينَ عـبروا الحـدود إلـى باكسـتان ذهبـوا إِلَيْهَـا لحمايـة شـرفهم فقـط فَلَـمْ ينشـطوا عمليـًا هنـاك. ومـن حـاول التحـرك مـنهم تعـرض لضـغوط باكسـتانية، وشـمل هَـذَا القِيَـادَة العامـة ونـواب المُـلَّا عُمَـر. واعتُقـل القـادة الكبـار بمـن فـيهم المُـلَّا عبيـد الله والمُـلَّا بـرادار. أمـا المُـلَّا أخـتر مُحَمَّـد عثمـاني فقُتـل بغـارة جويـة أمريكيـة أثنـاء هربـه عـبر الحـدود مـع باكسـتان. وسُـجن وعُـذب رئـيس اللجنـة العَسْـكَرِيَّة سـردار إبـراهيم وعضـو مجلـس الشُّـورَى والمسـؤول عـن اللجنـة الاقتصـادية المُـلَّا جـول آغـا ورئـيس اللجنـة الثقافيـة الأسـتاذ ياسـر وأعضـاء مجلـس الشُّـورَى البـارزين والمتحـدثين الرسـميين والعشـرات مـن قـادة طَالِبَـان الآخـرين. وقُتـل بعضـهم في السـجون كـالملا عبيـد الله والأسـتاذ ياسـر. وسُـلم آخـرون إلـى حكومـة كـابول، وأُطلـق سـراح بعضـهم مـن السـجون البَاكِسْتَانِيَّة، مثل شقيق جلال الدين حقاني الحاج خليل وابنه والدكتور ناصر الدين حقاني.

أطلـق بيـت الله محسـود سـراح أعضـاء مجلـس الشُّـورَى الأعلـى ونائـب اللجنـة العَسْـكَرِيَّة أميـر خـان حقـاني مقابـل الإفـراج عـن ضـباط وجنـود الجَـيْش البَاكِسْـتَانِيّ المحتجـزين لديـه. وتـم إطـلاق سـراح عـدد قليـل مـنهم عـام 2014 وفقـًا لاتفـاق دعمـه حامـد كـرزاي. والـبعض مـنهم لا يـزال علـى قيد الحياة.

مـع رحيـل حكومـة الجنـرال مشـرف عـن باكسـتان وعـودة طَالِبَـان بقـوة في الـداخل، اضـطربت العلاقـة أكثـر بـين باكسـتان والولايـات المتحـدة. وأصـبحت باكسـتان أكثـر حرصـًا علـى موازنـة موقفهـا مـن الحَرَكَـة وانتهـاج سياسـة جديـدة معهـا. وبـين عـامي 2009 و2010، بـدأت باكسـتان جهـوداً عـبر شخصـيات دينيـة لإقامـة علاقـات غيـر مباشـرة مـع مجلـس شـورى طَالِبَـان. وعـام 2010، عينت الحَرَكَة ممثلاً عَنْهَا لدى إسلام أباد، لكن الأجواء بين الطرفين ظلت معقدة.

مـع نهايـة عـام 2010، لـوحظ تغييـر كبيـر في السياسـة البَاكِسْـتَانِيَّة تزامنـًا مـع ذهـاب ممثلـي طَالِبَـان إلـى قطـر. اعتقـدت باكسـتان أن العـالم يريـد تحقيـق تفـاهم مـع الحَرَكَـة فَلَـمْ تـرد تفويـت الفرصة واتخذت خطوات هامة، وأطلقت سراح العَدِيْد من سجناء طَالِبَان عام 2014.

لا شـك أن بعـض مسـؤولي طَالِبَـان أقـاموا علاقـات مـع جهـات باكسـتانية بعـد الغـزو مباشـرة، لكنهـا ظلـت في إطـار العلاقـات الشخصـية وبموافقـة قيـادة طَالِبَـان وضـمن الحـدود المسـموح بهـَا. وانعكسـت هَـذِهِ العلاقـات سـلبًا علـى هَـؤُلَاءِ، وفقـدوا الثقـة بهـم داخـل أوسـاط الحَرَكَـة أمـا باكسـتان فقـد استـفادت مـن هَـذِهِ العلاقـات للاطـلاع عـن قـرب علـى واقـع الحَرَكَـة في إطـار الجهـود المبذولـة لاعتقـال المزيـد مـن قـادة طَالِبَـان. كمـا اسـتفادت الاسـتخبارات الأمريكيـة مِنْهَـا عـبر تبـادل المعلومات الاستخبارية مع الجانب البَاكِسْتَانِيّ.

عـزَّزت حركـة طَالِبَـان فيمـا بعـد نفوذهـا في أجـزاء مختلفـة مـن الـبلاد خاصـة في جنـوب أَفْغَانِسْـتَان وغربهـا، واسـتولت علـى عـدة منـاطق. وانضـم العَدِيْـد مـن قادتهـا الرئيسـيين إلـى العمـل المقـاوم في الـداخل، ووجـدت الحَرَكَـة أيضـًا هامشـًا للحركـة في دول أخـرى مهتمـة بتحقيـق مصـالح جيوسياسـية عـبر العلاقـة مـع طَالِبَـان. أدركـت باكسـتان أنهـا لا تسـتطيع تطويـع الحَرَكَـة، ولا إضـعافها باعتقـال قادتهـا أو طـردهم، ورأت أنـه مـن غيـر المفيـد اسـتعداء اللاعـب الرئيسـي في المشهد الأَفْغَانِيّ، فاتبعت سياسة أكثر حذراً وإغراءً تجاهها.

مـن ناحيـة أخـرى، لَـمْ تُجْـدِ الإجـراءات المشـددة علـى الحـدود البَاكِسْـتَانِيَّة الأَفْغَانِيَّة في إيقـاف الحـرب أو إضـعاف وتيـرة المقاومـة علـى مـدى السـبع عشـرة سـنة الماضـية، وتوقـع نتيجـة مختلفـة بعـد هَـذِهِ السـنوات هـو الجنـون بعينـه. لقـد أدركـت إسـلام أبـاد أن تِلْـكَ أسـاليب قديمـة لا طائـل مـن الاسـتثمار فِيْهَـا، وأن عَلَيْهَـا اعتمـاد أسـاليب جديـدة. إن الحـرب في شـكلها الحـالي لَـمْ تسـبب سـوى الندم.

ثانيًا: إيران والسعودية[1]

خاضت إيران صراعات حادة مع حكومة طَالِبَان لكنها تعاطفت مع الحَرَكَة بِشَكلٍ ضمني بعد الغزو الأمريكي انسجامًا مع موقفها المعادي لأمريكا. فمن ناحية أقامت إيران علاقات رسمية وطيدة مع النظام الأَفْغَانِيّ الجديد عبر الجماعات الشيعية، فتزايد النفوذ الإيراني في أَفْغَانِسْتَان لأول مرة منذ عقود. ومن ناحية أخرى اهتمت بالعلاقات مع طَالِبَان، ونجحت في التواصل مع قيادتها تبعًا لسياستها المناهضة للولايات المتحدة ووجود القواعد الأمريكية في المنطقة.

وفي المقابل لَمْ تتمكن دولة إسلامية مهمة مثل السعودية من إحداث أي تأثير في المشهد الأَفْغَانِيّ، ولَمْ تنجح في إقامة علاقات مع طَالِبَان. وبدلاً من ذَلِكَ عملت مع أشخاص مخادعين انتحلوا صفة تمثيل الحَرَكَة، فالمملكة ليس لديها سياسة مستقلة تجاه أَفْغَانِسْتَان، وقد التزمت بالسياسة الأمريكية إلى أبعد حدود بينما كان على دولة مهمة كالسعودية أن تركز على سياسة مستقلة بشأن قضية حساسة مثل أَفْغَانِسْتَان.

لَمْ تكن طَالِبَان لتهمش الدور السعودي بل لطالما منحته أولوية على غيره. وسبق أن أعطت المملكةَ هَذِهِ الأولوية على سائر الدول الإِسْلَامِيَّة للبعد الأيديولوجي والديني. وأذكر أن المُلَّا عُمَر لَمْ يصدر أي تصريح سلبي بحق القِيَادَة السعودية، ولَمْ يقر أو يدعم أي نشاط معادٍ لَهَا.

عام 2013، نجح قيوم كرزاي شقيق حامد كرزاي والمهندس عارف وبعض المسؤولين الأَفْغَان بالتنسيق مع الاستخبارات الأمريكية وبدعم من المسؤولين السعوديين بإعطاء تأشيرات حج وعمرة لبعض مسؤولي طَالِبَان من الصف الثالث. وذَلِكَ بهدف جمعهم في السعودية وإطلاق مفاوضات أو عملية سلام من خلالهم. فبدلاً من أن يتواصلوا مع قادة طَالِبَان الفعليين، آثروا جمع بعض الأشخاص الَّذِينَ فكوا ارتباطهم بالحَرَكَة أو الَّذِينَ استسلموا من قبل وجمدوا عضويتهم داخل الحَرَكَة وخسروا ثقتها. واستمر منح هَذِهِ

---

1 –هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية فقط.

التأشيرات فيما بعد لكن الدور السعودي في المشهد الأَفغَانِيّ بقي محل شك، وازداد التباعد بين طَالِبَان والمملكة، وتراجعت الثقة بينهما أكثر.

طَالِبَان ومنظمات حقوق الإنسان الدولية[1]

خلال حكم طَالِبَان نشطت مختلف منظمات حقوق الإنسان الدولية رفيعة المستوى في أَفغَانِسْتَان، وافتتحت مكاتب لَهَا في المدن الكبرى. بعد سقوط حكومة طَالِبَان شعر مجاهدو طَالِبَان بكره شديد تجاه كُلّ أجنبي، وخاصة النشطاء والمنظمات الغربية، وقاد هَذَا لمواجهة تِلْكَ المنظمات لمشاكل عديدة، ولَمْ تستطع إبرام أي تفاهم مع قيادة الحَرَكَة. وانشغلت بعض المنظمات غير الحكومية الجديدة بأهداف وغايات مشبوهة، وهو ما انعكس سلباً على سائر المنظمات غير الحكومية. وطلب قلة من قادة طَالِبَان منخفضي المستوى فضلاً عن بعض الأفراد من هَذِهِ المنظمات دفع رشاوي مقابل السماح لهم بالمرور على الطرقات. وتلقيت معلومات حول بعض الحوادث من هَذَا النوع.

عام 2005، تعرض بعض عناصر طَالِبَان لقوافل الصليب الأحمر على الطريق السريع بين كابول وقندهار، وفرضوا عليهم دفع ضريبة يتراوح قدرها بين مئتين إلى ثلاثمئة ألف دولار أو ما يعادلها. وكان المدعو عبد الحنان همت صاحب متجر للأدوية تابع لوزارة الصحة إبان حكم طَالِبَان، ولَمْ يكن ناشطاً في صفوف الحَرَكَة في ذَلِكَ الوقت. فزعم بالتعاون مع صديق لَهُ أنه قادر على إيصال هَذَا المَال لقيادة طَالِبَان مقابل تأمين مرورهم على الطرقات. لكن منسق هَذِهِ المنظمة المهندس نزار مُحَمَّد مطمئن الَّذِي عمل مع المنظمات الدولية غير الحكومية في هلمند وقندهار أثناء حكم طَالِبَان، سجل كلام عبد الحنان همت واحتفظ بهِ. اعتقد همت وصديقه أن الطَّالِبَان لن يهاجموا هَذِهِ القوافل، فهَذَا النوع من الهجمات على الطرق السريعة لَمْ يكن شائعاً تِلْكَ الفترة، فحصلوا على مبلغ ضخم من المَال بينما لَمْ تكن قيادة طَالِبَان على علم بِذَلِكَ. وقُدّر أن يهاجم بعض عناصر الحَرَكَة المحليين هَذِهِ القافلة في هَذَا الوقت تحديداً

1 – وردت هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية.

فاتصل نزار مُحَمَّد مطمئن بقيادة طَالِبَان عبر قنوات أخرى، وأظهر لهم محادثات عبد الحنان همت المسجلة فافتضح أمر أنشطته.

في نهاية العام، بعد لقاء مع المُلَّا عبيد الله والمُلَّا برادر، تقرر عقد اتفاق ثنائي مع منظمة الصليب الأحمر. وتواصل ممثلو المنظمة مع قيادة طَالِبَان، وطلب مني المُلَّا عبيد الله والمُلَّا برادر أن أكتب بعد التوافق مع عدد قليل من الزملاء خطاباً مفصلاً يؤكد ضماننا لأمن قوافلهم. كتبت الخطاب بلغة البشتو في منزل مَوْلَوِي حميد الله ناني، ومعي عبد اللطيف منصور والحاج محب الله (المعروف باسم حاج لالا، والمنسق مع قيادة طَالِبَان). ذكرنا في هَذَا الخطاب ضمان دعمنا لهم فيما يخص أمن قوافلهم وطلبنا في المقابل أن يعالجوا مقاتلينا المصابين، فأبدوا استعدادهم لِذَلِكَ. فأخذ الدكتور رحمة الله الخطاب وترجمه للغة الإنجليزية ثُمَّ أرسله لهم مترجماً.

وفيما بعد فُتحت قناة تواصل بين الصليب الأحمر وقيادة طَالِبَان، وأفرجت الحَرَكَة عن حوالي ثلاثين مبشرة مسيحية كورية من سجونها في غزنة. وحاولت مجموعة وهمية أخرى ابتزاز المنظمة للحصول على فدية لكن التواصل المباشر بين الصليب الأحمر وطَالِبَان أفشل هَذِهِ المحاولة. بدأت القصة عندما حاول النائب السابق للشؤون الخارجية في حركة طَالِبَان عبد الرحمن زاهد أخذ مئة ألف دولار من الصليب الأحمر باسم أمن الطرقات للإفراج عن امرأة كورية. وحاول خداعهم باسم القِيَادَة، لكنه لَمْ يعلم أن المنظمة على تواصل مباشر مع قيادة الحَرَكَة. ولَاحِقَاً أخبرنا المُلَّا برادر عن هَذِهِ القصة فَقَالَ (عندما أبلغني ممثل هَذِهِ المنظمة أن أحد ممثلينا يطلب مِنْهُ دفع فدية، أخذت رقمه وتواصلت معه وسألته: من الَّذِي طلب المَال من الصليب الأحمر، فَقَالَ ممثل المُلَّا برادر، فقلت لَهُ أنا المُلَّا برادر! فارتبك جدّاً بعد سماعه ذَلِكَ).

بين عامي 2012 و2013، اعتُمدت آلية مع المنظمات الإنسانية الدولية تحت إشراف المُلَّا اختر منصور، وتحسن إطار التعاون معهم إلى حد ما، لكن العَدِيْد من العوائق بقيت قائمة. وبما أنني عملت مستشاراً – وإن كان بِشَكلٍ غير رسمي – لِلْمُلَّا أختر مُحَمَّد منصور فقد ساعدته في الشؤون الإنسانية والسياسية.

أخبرني صحفي إقليمي شهير أن أفغانيًا وباكستانيًا يلتقيان بوصفهما ممثلين عن طَالِبَان مع منظمات إنسانية تتخذ من جنيف مقراً لَهَا، وذَلِكَ على مدى السنوات الخمس الماضية. وعندما حققنا في هَذَا الأمر حددنا هويتهما. يدعى أحدهم سميع الحق من سكان ننجرهار والآخر فيصل، وهو باكستاني ينتمي لجماعة جَيْش مُحَمَّد الكشميرية. **كان لغياب قادة طَالِبَان الفعليين والقيود المفروضة عليهم أثر سلبي في ظهور العَدِيْد من المخادعين الَّذِينَ قاموا بعمليات وهمية باسم الحَرَكَة.**

التقينا بممثلي منظمة دولية أخرى، ولمسنا لديهم القدرة على إجراء اتصال مباشر مع المنظمات الدولية لحقوق الإنسان، وكَانَت هَذِهِ فرصة جيدة لنا. طلب مني المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور مواصلة عملي في ظل وجود إمكانية للنجاح. رئيس هَذِهِ المنظمة هو مسن بريطاني يتمتع بالذكاء والخبرة عمل مع كوفي عنان في سوريا أثناء عمله مع الأمم المتحدة، وكان بمثابة فرصة لنا. وبمساعدة هَذِهِ المنظمة عقدنا اجتماعات مع منظمة الصحة العالمية ومفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في الشرق الأوسط، وأحرزنا تقدمًا إلى حد ما.

لكن بعض أعضاء اللجنة العَسْكَرِيَّة والعُلَمَاء وبعض مؤيديهم كَانَت لديهم وجهة نظر مختلفة، وتعاملوا بحذر شديد مع هَذَا الملف. وجرت مناقشات عدة حول إمكانية استغلال الاستخبارات الغربية لِهَذِهِ المنظمات لأغراض استخبارية. وفي المقابل كَانَت أنشطة بعض مسؤولي هَذِهِ المنظمات مشبوهة أيضًا، ما دعم وجهة النظر الثانية. ولكن الأصل في هَذِهِ المنظمات أنها ليست لأغراض استخباراتية، ولَمْ تنشئها وكالات الاستخبارات، إنما لديها مهمة واضحة. فإذا أساءت استخدام صلاحياتها فبالإمكان التعامل معها بحزم.

كثر الحديث المتعلق بحملات التطعيم ضِدّ شلل الأطفال، والقصة الشهيرة للطبيب البَاكِسْتَانِيّ شاكيل أفريدي الَّذِي تجسس على الشيخ أسامة بن لادن لصالح CIA تحت غطاء حملات تطعيم مماثلة. وناقش بعض القادة ما حدث فيما يتعلق بمنظمة برنامج الأغذية العالمي خلال حكم طَالِبَان. حَيْثُ أنشأت المنظمة في المرحلة الأخيرة من حكم الحَرَكَة أفران خبز مجانية للأرامل والنساء الفقيرات في كابول. وكَانَت العاملات فِيْهَا من النساء، وخضعت لرقابة وزارة الصحة والشؤون الاجتماعية. وعُين خان دوران رئيسًا إداريًا لِهَذِهِ الوزارة، وهو

ضابط عسكري سابق في عهد داود خان، وأصبح قائداً في عهد المجاهدين. واشتهر بين صفوف طَالِبَان باسم الحاج خان دوران. ولَمْ يكن مُلَّا أو طالب علم شرعي بل مجرد رجل متدين ذي شخصية محترمة.

عندما أغلق برنامج الأغذية العالمي هَـذِهِ المخابز لفترة، احتجت الأرامل والنساء الفقيرات أمام الوزارة. كلفت المنظمة مسعود جلال بمراقبة هَـذَا المشروع، والَّـذِي تربطه علاقات جيدة بحكومة طَالِبَان. يقول خان دوران إنه ذهب إلى مكان الاحتجاجات، وأرسل مسعود جلال شخصاً ليخبره أن هَـؤُلَاءِ النسوة يُحدثن الكثير من الضجيج، وطلب مِنْهُ السيطرة عليهن أو إبعادهن عن المكان. فأراد خان دوران ومعاونوه السيطرة على النساء وإخافتهن لكنهم لَمْ يكونوا على علم أن موظفي المنظمة لديهم كاميرات سرية معدة مسبقاً كجزء من خطة.

لا زالت صورة الرجل الَّـذِي يرتدي عمامة سوداء وهو يضرب النساء مشهورة ومتداولة حَتَّى اليوم، وتعطي انطباعاً أنه أحد أفراد طَالِبَان من أعضاء لجنة الأمر بالمعروف. لكن لجنة الأمر بالمعروف نادراً ما عاقبت النساء، كانوا إذا كشفت المرأة رأسها ضربوها، أما اللواتي شاركن بالاحتجاجات فجميع رؤوسهن مغطاة.

نظمت طَالِبَان آلية للتطعيم ضِدّ شلل الأطفال في إطار وزارة الصحة لكن الفوضى الداخلية انعكست سلبياً. فقد سمحت اللجنة العَسْكَرِيَّة لِكُلِّ قائد عسكري في المنطقة بإدارة حملات التطعيم، وبسبب ذَلِكَ أخفقت هَـذِهِ الحملات في كونار ونورستان ومناطق أخرى، لأن قادة الحَرَكَة المحليين كانوا ضدها. وفي ولايات أخرى دعمت الحَرَكَة برنامج التطعيم ونجحت الحملة.

أعطت هَـذِهِ الفوضى انطباعاً سيئاً جداً عن طَالِبَان أمام المنظمات الدولية. وجرت مناقشات بيني وبين القِيَادَة حول هَـذَا الموضوع، وحصلت على وعود قوية لكن استمرت هَـذِهِ المشكلة عملياً. كما لَمْ تُوزع مناطق العمل بين المنظمات غير الحكومية واللجان الصحية بِشَكلٍ صحيح مِمَّا أدى إلى مشاكل عديدة في بعض الأحيان. وصدرت أحكام اعتباطية ضِدّ

المكونات الفعالة في مجال لقاحات شلل الأطفال دون أي تحقيق أو أدلة مثبتة، وهو ما لَمْ يكن ممكنًا دون الرجوع إلى طبيب مختص.

في الفقه الحنفي؛ لا يمكن للمفتي إصدار حكم في مجال معين دون الرجوع إلى خبير مختص وثقة في هَذَا المجال. فعلى سبيل المثال للحكم على دواء معين بالمنع أو الإباحة، يلزم الحصول على أدلة من الأطباء والتشاور معهم حول وجود مواد محرمة في هَذَا الدواء من عدمه. لكن الدعاية هنا بُنِيت فقط على مزاعم وافتراضات. كتب أحد الملالي السلفيين مقالاً في مجلة يحرم فِيْهِ لقاح شلل الأطفال، ونشره العَدِيْد من أفراد طَالِبَان لكن أدلته لا أساس لَهَا من الصحة وتستند إلى الأوهام والعواطف.

فناقشناهم مستدلين بأحكام تتعلق بمسألة اللقاح صادرة عن مؤسسة الفقه الإِسْلَامِيّ العالمية ودار العُلُوم الحقانية بباكستان، وفتوى مولانا عبد الغني من منطقة شامان[1]. فهَـذِهِ الأدلة تعتمد عَلَيْهَا طَالِبَان، ولكن الإخوة من هَـذَا التوجه ظلوا مصرين على رأيهم. ومع ذَلِكَ لَمْ يكن لدى الحكومة المركزية وقيادة طَالِبَان أي معارضة لحملات التطعيم.

1 – مدينة تقع في منطقة سبين بولدك بولاية قندهار، ويوجد بهَا معبر حدودي بين باكستان وأَفَغَانِسْتَان.

تشكيل مجموعات جديدة للمقاومة، وأحدث التطورات

الشريط الصوتي الأول لِلْمُلَّا مُحَمَّد عُمَر

مطلع 2003، أرسل المُلَّا مُحَمَّد عُمَر تسجيلاً صوتيًا إلى نوابه من المجاهدين وعناصر طَالِبَان، استمعت لِهَذَا التسجيل حَيْثُ ذكر فِيْهِ تعيينه المُلَّا برادر قائداً أولاً والمُلَّا عبيد الله قائداً ثانيًا للمقاومة والجِهَاد الجديد. وذكر في بيان آخر أسماء أعضاء مجلس الشُّورَى العشرة، وهم مَوْلَوِي أختر مُحَمَّد عثماني، والمُلَّا سيف الرحمن منصور، ومَوْلَوِي جلال الدين حقاني، ومَوْلَوِي عبد الكبير، ومَوْلَوِي حمد الله ناني، والمُلَّا مُحَمَّد حسن رحماني، والمُلَّا مُحَمَّد حسن أخوند (كان نائبًا لرئيس مجلس الوزراء في عهد طَالِبَان)، والمُلَّا أختر مُحَمَّد منصور، والمُلَّا داد الله، والمُلَّا أمير خان حقاني. عندما علم المُلَّا عُمَر باستشهاد سيف الرحمن منصور عين ابن عمه عبد اللطيف منصور عضواً في مجلس الشُّورَى. وازداد عدد أعضاء الشُّورَى بين الحين والآخر بناءً على توصية بعض الإخوة. استخدم المُلَّا عُمَر في هَذَا التسجيل كلمات قاسية بحق المُلَّا عبد الجليل والمُلَّا نور الدين ترابي إثر عصيانهما لبعض التعليمات لكنها أزيلت من التسجيل لتحقيق المصلحة المرجوة.

اتَّسمت رسائل المُلَّا عُمَر وتسجيلاته حول كُلّ حادثة بالأهمية، كما تضمنت تعيينات وتعليمات أخرى موجهة إلى الدائرة الخاصة الَّتِي تضم المُلَّا برادر والمُلَّا عبيد الله فقط. وعام 2004، تأسست لجان عسكرية وثقافية ومالية تبعها تعيين المسؤولين عن العمل الجِهَادِيّ في الولايات. وعام 2005، بات هيكل الحَرَكَة أكثر تنظيمًا، وعاد بعض المسؤولين الَّذِينَ اختبؤوا حَتَّى ذَلِكَ الحين للظهور مجدداً.

محاولات للهروب من السياسات المتطرفة

بصفتي متحدثاً باسم المُلَّا عُمَر عقدت مؤتمراً صحفياً عبر الإنترنت عام 2005 مع وكالات إعلام دولية معروفة، وأخبرتهم عن سياسة حركة طَالِبَان المستقبلية. واتصل بي ممثلو "فورين بوليسي" و"رويترز" وبعضاً من وسائل الإعلام الدولية الأخرى. ولضمان أن تكون تِلْكَ السياسة المستقبلية واضحة ومعقولة ومنضبطة أكدت أن جهادنا لا يتجاوز أَفَغَانِسْتَان، وكررت موقفنا القديم من أحداث 11 سبتمبر، واستنكرتها مرة أخرى. وقد أثار هَذَا المؤتمر الصحفي قلق بعض الإخوة من القاعدة وقادة طَالِبَان لكنه عزز من ناحية أخرى أسس المقاومة المنضبطة والسياسات المنظمة.

وفي الأعوام التالية، خلال 2006 و2007 و2008، قمت بتنظيم رسائل العيد لِلْمُلَّا مُحَمَّد عُمَر ثُمَّ نظمتها بِشَكلٍ جزئي بين عامي 2010 و2012. وذكرت فِيْهَا قضية المُفَاوَضَات مع الغزاة، ومقترحات مناسبة للانسحاب، ومواضيع سياسية مماثلة، وأرسلتها إلى المُلَّا عُمَر الَّذِي وافق عَلَيْهَا. سبق لي أن نظمت رسائل العيد بين عامي 1999 إلى 2001، ولذا وثق المُلَّا عُمَر بي في هَذَا الباب، وأعطاني صلاحية جمعها وترتيبها والتعديل عَلَيْهَا لكنها لقيت انتقادات داخل بعض دوائر الحَرَكَة.

من ناحية أخرى، أرسل زعيم القاعدة بأَفَغَانِسْتَان حافظ سلطان عام 2007 مستخدماً اسماً حركياً خطاباً يعاتب فِيْهِ قيادة طَالِبَان ويرى أن حصر الجِهَاد والمقاومة في أَفَغَانِسْتَان واستخدام مصطلح "النضال الأَفَغَانِيّ" يمثل خيانة للجهاد العالمي. كان حافظ سلطان هو المسؤول العام لتنظيم القاعدة في أَفَغَانِسْتَان، وكُنّي باسم "مصطفى أبو اليزيد"، وقُتل في شَمَال وزيرستان في 21 مايو 2010 مع أفراد أسرته في هجوم بطائرة مسيرة.

اعتبرني البعض الشخص المسؤول عن التصريحات السياسية الناعمة لِلْمُلَّا عُمَر، لذا طلب مني المُلَّا عبيد الله والمُلَّا برادر تقديم إجابة مناسبة على رسالة القاعدة. فقرأت الرسالة واحتفظت بِهَا معي لكتابة رد مفصل. كان طريق العودة يشهد تدقيقاً أمنياً مشدداً فقرأت الرسالة بسرعة لمرة أخيرة، ومضغتها للتخلص مِنْهَا تحسباً لأي تفتيش أمني محتمل،

واحتفظت بجوهر الرسالة في ذاكرتي. وكتبت لَاحِقًا في رد مفصل عن دوافع حركة طَالِبَان، وقدمت المبررات وفق الظروف الحالية محاولًا إقناعهم لكني لَمْ أتلق بعدها أي رد منهم.

مقاومة ضعيفة

كان لغياب قيادة طَالِبَان وتجنيد الشباب الجدد والعمليات الفردية الأثر البالغ في وقوع حوادث مسيئة وعمليات قتل مشبوهة والعَدِيْد من التجاوزات كحرق المَدَارِس وقتل أشخاص متهمين بالتجسس دون محاكمة، والإساءة إلى الناس بطريقة أو بأخرى وغيرها من الأفعال الَّتِي نُفذت في أجزاء مختلفة من أَفْغَانِسْتَان باسم طَالِبَان.

وبالرغم من إصدار المُلَّا عُمَر ومجلس الشُّورَى عدة تعليمات بين عامي 2007 و2008 إلا أن العَدِيْد من الأفراد والقادة المحليين لَمْ يلتزموا بهَا، وكان هَذَا عصيانًا للقيادة. شهدت على مقتل عشرات الشباب والكبار في منطقتي، وهو أمر لَمْ تستطع الحَرَكَة تبريره شرعيًا. أصبحت هَذِهِ التجاوزات ذريعة للكثيرين للانضمام إلى الأربكي[1] ودعم الحكومة والقُوَات الأجنبية. وفي بعض الأحيان أدت جرائم أحد المنتسبين للأربكي إلى الانتقام منهم بقتل أفراد أسرهم.

وكنا كلما اشتكينا من هَذِهِ الأنشطة لقيادة طَالِبَان تلقينا وعوداً بالتحقيق بالحادث محل الشكوى، وقيل لنا أحيانًا إن حوادث كهَذِهِ من الطبيعي أن تقع في ظل حرب قائمة، لكننا سنحاول السيطرة عَلَيْهَا. وللأسف لَمْ تكن انعكاسات هَذِهِ التجاوزات بالأمر السهل بِحَيْثُ نكتفي بالقول إنها وقعت في إطار فوضى الحرب المستعرة. إن قتل نفس بريئة يؤثر بِشَكلٍ مباشر على الهدف العام. وفي بعض الأحيان عومل الأَفْغَان بقسوة، مثلما حدث عام 2007 حين قُتل المترجم الأَفْغَانِيّ أجمل نقشبندي أثناء تبادل رهائن مع الإيطاليين بينما أُطلق سراح الإيطاليين في سابقة خطيرة للغاية، لكن أحداً لَمْ يستمع لنا حينها.

1 – ميليشيات قبلية بشتونية، أعادت الحكومة الأَفْغَانِيَّة بالتنسيق مع القُوَات الأمريكية تنشيطها للتصدي لحركة طَالِبَان.

مـع مـرور الوقـت، أصبـح مـن الضـروري اتبـاع القواعـد، وتأسسـت لأجـل ذَلِـكَ المحـاكم. فمسـألة قتـل الجواسـيس مـثلاً قضـية معقـدة للغايـة، ولـذا فُرضـت عَلَيْهَـا بعـض القيـود والقواعـد. وبالمثـل عممـت القِيَـادَة العَدِيْـد مـن القواعـد والـنظم المتعلقـة بالتعامـل مـع الأمـاكن العامـة وعـوام النـاس والمؤسسـات التعليميـة، لكـن بعـض شـواهد الإهمـال وغيـاب المسـؤولية ظلـت قائمـة داخـل صـفوف الحَرَكَـة خاصـة فيمـا يتعلـق بعمليـات اغتيـال مسـؤولي الحكومـة وتفجيـر العبـوات والمفخخات.

إن حربًـا كهَـذِهِ تحتـاج إلـى المزيـد مـن الحـذر والتسـامح. ففـي بعـض المنـاطق يعامـل قـادة طَالِبَـان المحليـين السـكان بِكُـلِّ رحمـة، لكـن الحـال لـيس كَـذَلِكَ في منـاطق أخـرى. وفي البدايـة لَـمْ يكـن المُـلَّا عُمَـر محبـذاً للعمليـات الاستشـهادية، ولكـن عنـدما ارتفعـت وتيرتهـا أصـدر قـراراً يقضـي بمنـع الشـباب الصـغار في السـن مـن تنفيـذها، وأكـد عـدم اللجـوء إِلَيْهَـا سـوى في الحـالات الخاصـة حَيْـثُ تقتضـي الضـرورة ذَلِـكَ، كمـا عـارض التجـاوزات والاعتـداءات في الأمـاكن العامـة حَتَّـى وفاته.

جَيْش المسلمين بزعامة أكبر آغا

عُـرف مُحَمَّـد أكـبر آغـا بأنـه مـن سـكان قريـة جـي لاهـور في منطقـة أرغنـداب التابعـة لقنـدهار. وهـو ابـن عـم والـي خوسـت السـابق في عهـد طَالِبَـان الحـاج عبـد الله آغـا (تـورك آغـا). شـارك أكـبر أغـا في الجِهَـاد ضِـدّ السـوفييت، وعمـل أيضـًا قائـداً عسـكريـًا صـغيراً مـع طَالِبَـان. وخـلال حكـم الحَرَكَـة كَانَـت القنصـلية البَاكِسْـتَانِيَّة علـى الجانـب الآخـر مـن الطريـق مـن مكتـب طَالِبَـان، فـأمر المُـلَّا عُمَـر حينهـا بعـدم الـذهاب إِلَيْهَـا دون إذن مسـبق مـن وزارة الخارجيـة. وذات مـرة توقفـت سـيارة دفـع ربـاعي سـوداء عنـد بـاب القنصـلية وترجـل مِنْهَـا شـخص ملـتحٍ فسـألت عَنْـهُ فـأخبرني الإخـوة أنـه مـن أقـارب طيـب أغـا، واسـمه أكـبر آغـا، ولـه علاقـة خاصـة مـع المسـؤولين الباكسـتانيين تعود إلى أيام الجِهَاد، وهو لا يزور القنصلية بوصفه ممثلاً عن طَالِبَان.

سـمعت اسـم أكـبر أغـا مجـددًا بعـد عـام 2005 عنـدما أسـس جماعـة عسـكرية تُسـمى "جَـيْش المسـلمين"، فحـاولوا إطـلاق نشـاطهم بـدعم مـن بعـض الجماعـات والشخصـيات الكشـميرية،

وخاصة جماعة "جَيْش مُحَمَّد" الكشميرية. لَمْ يكن لأكبر آغا ومن معه نفوذ في أَفْغَانِسْتَان، لكنهم كانوا على صلة بمسؤولين سابقين في طَالِبَان. فجهز بعض القادة المحليين، وقَالَ في تصريحات لَهُ (لن يستطيع المُلَّا عُمَر العمل بعد الآن، وطَالِبَان عاجزة عن الحَرَكَة لأن باكستان أيضًا لا تريدها، لذا يجب على الناس أن يقفوا معي). في ذَلِكَ الوقت، اعتبر الكثيرون أنها مزحة، فكيف لمقاتلي طَالِبَان أن ينضموا إلى هَذَا الشخص الَّذِي لا يعرفونه في ظل وجود المُلَّا مُحَمَّد عُمَر!!

استند نشاط أكبر آغا على اعتقاد بسيط للغاية، وهو أن باكستان ستقويه على حساب طَالِبَان، وتلقى بعض الوعود بِذَلِكَ. ووقعت بعض العمليات المهمة الَّتِي لَمْ تتبنَّها الحَرَكَة فسارع أكبر آغا واتصل بالصحفيين وتبنى هَذِهِ العمليات، فتداولت وسائل الإعلام اسم "جَيْش المسلمين".

أُتهم أكبر أغا باختطاف نساء أجنبيات في شَمَال أَفْغَانِسْتَان حَيْثُ تورط بِهَذِهِ الأفعال مع المافيا الأَفْغَانِيَّة. وأدى هَذَا إلى تفاقم الأوضاع، وضغط الأجانب على باكستان وقدموا لَهَا أدلة تثبت تورطه. فاعتقلته الاستخبارات البَاكِسْتَانِيَّة وسلمته إلى الأمريكيين الَّذِينَ أعادوا تسليمه لَاحِقًا إلى الحكومة الأَفْغَانِيَّة، وبذلك انتهت قصة "جَيْش المسلمين

الحفاظ على حيوية عملية التعليم

عام 2006، نجحنا في لفت انتباه القِيَادَة إلى اتخاذ خطوات إيجابية فيما يتعلق بالمؤسسات التعليمية. وبالرغم من أنها تبدو ناجحة حاليًا، إلا أنها واجهت عقبات جوهرية في ذَلِكَ الوقت. لَمْ تكن القِيَادَة قادرة على التخطيط لإستراتيجية تتوافق مع الظروف بينما العَدِيْد من المقاتلين المحليين لا زالوا يخالفون تعليمات المُلَّا عُمَر. وعمد بعض قادة طَالِبَان لسنوات إلى إغلاق المَدَارِس، وربما لا يزال الحال كَذَلِكَ.

لكن الشيء الوحيد الَّذِي نجحنا فِيْهِ حينها هو تطوير رؤية إيجابية نحو التعليم. ففي نهاية عام 2006 بعد مناقشات مطولة مع المُلَّا برادر والمُلَّا عبيد الله تقرر أن تستخدم طَالِبَان مناهجها التعليمية في المناطق الَّتِي تسيطر عَلَيْهَا تمامًا. في ذَلِكَ الوقت سيطرت الحَرَكَة جزئيًا

علـى بعـض المنـاطق المحـدودة. وشـهد مجـال التعلـيم تقـدمـًا ملحوظـًا، وبعـد عـامين تأسسـت هيئـة التعلـيم والتـدريب. كـان البرنـامج المطـروح متقـدمـًا لكـن مراقـب الميزانيـة الماليـة معتصـم آغـا جان عارض ذَلِكَ، واعتبر الشؤون العَسْكَرِيَّة أولى بالميزانية المرصودة لِهَذَا البرنامج.

في ذَلِـكَ الوقـت، وثـق بعـض القـادة مقـاطع مسـجلة لاغتيـال مـوظفي الحكومـة وجنودهـا، وأطلعـوا معتصـم عَلَيْهَـا، فحصـلوا لقـاء ذَلِـكَ علـى المَـال، ومـن بيـنهم أفـراد شـاركوا بـإحراق مدارس البنات، ورغم ذَلِكَ حصلوا على تمويل من معتصم.

شـكل التبـاين في السياسـة بـين المـديريات والولايـات مشـكلة أخـرى بحـد ذاتـه. فقـد ركـزت طَالِبَـان جهـدها وضـبطت سياسـتها في بعـض المنـاطق بِشَـكلٍ مباشـر مثـل بعـض مـديريات كونـار وبكتيـا لكنهـا اعتمـدت أحيانـًا سياسـة ارتجاليـة كمـا في لوجـار وغزنـة، وعارضـها الـبعض علنـًا كمـا حـدث في بعـض مـديريات زابـول وهلمنـد. كـان كُـلّ شـيء يـتم وفـق المـزاج والهـوى لا وفـق الأيدولوجيـة أو المعتقـدات أو التوجهـات الدِّيْنِيَّـة. واقترحـت لجنـة المتحـدثين الرسـميين إهمـال عمليـات حـرق المَـدَارِس والعيـادات الطبيـة وعـدم تبنيهـا أو مكافـأة فاعليهـا لتثبـيطهم عـن هَـذِهِ الأفعال ودفعهم نحو تركها في المستقبل.

لجنة المتحدثين

عـام 2006 ألقـي القـبض علـى المتحـدث العَسْـكَرِيّ والسياسـي باسـم طَالِبَـان المفتـي لطيـف الله حكيمـي وسُـلم إلـى حكومـة كـابول. أرسـل لـي المُـلَّا بـرادر رسـالة يطلـب منـي مسـاعدته في هَـذَا المجـال فأجبتـه أنني لا أسـتطيع تحمـل هَـذِهِ المسـؤولية لكـن بإمكـاني نشـر بعـض البيانـات السياسـية أو مـا شـابه. لَـمْ أوافـق علـى إلقـاء التصـريحات حـول الشـؤون العَسْـكَرِيَّة كـوني أرى أن بعـض عمليـات الطَّالِبَـان العَسْـكَرِيَّة خاطئـة وغيـر مسـؤولة، فطلـب منـي إعـداد إسـتراتيجية للنشـر وحسـب، ووافق على اقتصاري على التصريحات والبيانات السياسية.

بنـاءً علـى تعليمـات القِيَـادَة قـدمت شخصـين بوصـفهما متحـدثين رسـميين همـا: صـديقي القـديم قـاري يوسـف الَّـذِي عُـين متحـدثـًا عسـكريـًا لولايـات جنـوب غَـرْب أَفْغَانِسْـتَان، والـدكتور حنيـف الَّـذِي قدمتـه اللجنـة الثقافيـة أيضـًا وكـان زمـيلاً سـابقـًا للأسـتاذ ياسـر، وعُـين كمتحـدث

عسكري باسم ولايات جنوب شَرْق وشمال شَرْق أَفَغَانِسْتَان. كما عُين نواب للمتحدثين الرسميين ليحلوا محلهم في حال الاعتقال أو الوفاة. ووضعنا سياسة إعلامية جديدة وحصلنا على موافقة القِيَادَة، وأذكر مثالاً هنا لنقاط متعلقة بتناول الحِزْب الإِسْلَامِيّ وحكمتيار: فقد تبنينا في لجنة المتحدثين سياسة "عدم التعليق" حول شؤون الحِزْب الإِسْلَامِيّ وحكمتيار، ولحسن الحظ طُبقت هَذِهِ السياسة حَتَّى بعد رحيلي.

اعتقدنا أن شدة انتقاد حكمتيار لِطَالِبَان من وقت لآخر سببها مزاجه الصعب وبعض الظروف الأخرى، فلو رددنا عَلَيْهِ فسينعكس هَذَا سلبًا على الهدف الأكبر المتمثل في محاربة الغزو الدولي الضخم. وفي المقابل لو انخرطنا في هَذِهِ السجالات فستنعكس سلبًا علينا جميعًا، وسيستفيد مِنْهَا عدونا حتمًا. كما منعنا بعض قادة الحَرَكَة من الإدلاء بتصريحات تتعلق بسياسات حكمتيار ضِدّ الغزاة. قَالَ هَؤُلَاءِ إنهم لا يستطيعون الوثوق بحكمتيار لأنه عادة ما يغير تصريحاته، فإذا توقف عن المقاومة وتحول إلى صف العدو، فستكون تصريحاتنا المؤيدة لَهُ باعثة على السخرية منا.

وللأسف أدت السجالات الَّتِي دارت على الفيسبوك والمواقع الالكترونية بين أنصار الطَّالِبَان وأنصار حكمتيار لتوتير الأجواء، واعتبر حكمتيار هَذِهِ المقالات سياسة معتمدة من قيادة الحَرَكَة. ورداً على ذَلِكَ استخدم تعابير غير لائقة. وطلبت اللجنة الثقافية في الحَرَكَة من الإخوة الناشطين على الفيسبوك تجنب هَذِهِ السجالات لكن دون جدوى. وعندما صرح حكمتيار بتصريحاته تِلْكَ، روجت مصادر حكومية ووسائل إعلام غربية لتصريحاته. فقد أرادوا تحريضه هو وأنصاره على طَالِبَان.

كَانَت لجنة المتحدثين الرسميين المصغرة منظمة للغاية وناجحة من حَيْثُ الأنشطة. ومع ذَلِكَ انعكست القيود المالية سلبًا على عملها. في ذَلِكَ الوقت عاشت حركة طَالِبَان ضائقة مالية، ولَمْ نحظَ بتواصل شخصي مباشر مع القِيَادَة. أما في عهد الإمارة قبل الغزو فقد كنا على اتصال مباشر مع المُلَّا عُمَر، وبعد سقوط حكومة الإمارة بقينا على اتصال مع أصدقاء مشتركين مع القِيَادَة. لكن للأسف كَانَت مجرد صداقات شخصية وحسب. ومعنى هَذَا أن اللجان الَّتِي عينت مؤخراً لَمْ تحظ بالدعم الكافي، فَلَمْ يحصلوا حَتَّى على مئة دولار كنفقات

شـهرية للهـاتف الفضـائي، ولـذا طلبـت منهم التحلي ببعض الصبر. لكـن أمنهم الشخصـي تعـرض للخطـر مـع فقـدانهم لنفقـات الهـاتف الفضـائي، فكـانوا يـذهبون إلـى المـدن المجـاورة لاسـتخدام الهـاتف الخليـوي. وحَتَّـى شـبكة الخليـوي في أَفَغَانِسْـتَان لَـمْ تكـن متطـورة في ذَلِـكَ الحـين، لكنهـا في باكسـتان حظيـت بتغطيـة واسـعة. إثـر ذَلِـكَ تعقبـتهم الاسـتخبارات مـن خـلال هـواتفهم المحمولـة فاعتقل أحدهما بالقرب من مدينة جلال آباد أما الآخر فقد اعتُقل في باكستان.

أفرجـت الاسـتخبارات الأَفَغَانِيَّـة عـن الـدكتور حنيـف بسـبب إصـابته بالسـرطان، وبعـد بضـعة أشـهر داهمـت مجموعـة مـن المسـلحين منزلـه في جـلال آبـاد لـيلاً وقتلـوه مـع اثنـين مـن أبنـاء عمومتـه. وسُـجن إخوتـه الأصـغر مِنْـهُ في باكسـتان، وأفـرج عـنهم بعـد عـام. أمـا المتحـدث الثـاني فقـد اعتُقـل في باكسـتان وأفـرج عَنْـهُ بعـد سـبع سـنوات مـن السـجن، وكَانَـت حالتـه الصـحية حرجـة، وخضع لجراحة بعينيه في سن مبكرة.

بعـد إلقـاء القـبض علـى المتحـدثين باشـر نـوابهم أعمـالهم. وفي نهايـة عـام 2007، تركـت هَـذَا العمـل وبـدأت أهـتم بحيـاتي الخاصـة، وقطعـت علاقـاتي مـع الجميـع. عـام 2012، طلـب منـي المُـلَّا أخـتر مُحَمَّـد منصـور مسـاعدته لكنـي لَـمْ أقبـل تحمـل أي مسـؤولية، فسـاعدته وقـدمت لَـهُ النصـح في الشـؤون السياسـية لمـدة محـدودة. وعـام 2015، اختـار مجلـس شـورى طَالِبَـان المُـلَّا أخـتر مُحَمَّـد منصـور زعيمـاً للحركـة، فأرسـلت هَـذِهِ المعلومـات لوسـائل الإعـلام ثُـمَّ استشـهد في العـام التـالي بقصـف طـائرة أمريكيـة مسيرة. بعـد هَـذَا فضـلت البقـاء في المنـزل، ولا أشـغل أي منصـب في طَالِبَـان حاليـًا.

(إن العمـل متحـدثـًا باسـم الإمـارة أو زعـيم طَالِبَـان أمـر صـعب للغايـة، فـالإعلام الأَفَغَـانِيّ يخضـع بِشَـكلٍ مباشـر أو غيـر مباشـر لسـيطرة الغـرب، مِمَّـا يعنـي أن صـوتنا لا يصـل إلـى العـالم كمـا نريـد نحـن. في بعـض الأحيـان ينسـب ممثلـو وسـائل الإعـلام المحليـة لِطَالِبَـان تصـريحات كاذبـة أو مبـالغ فِيْهَـا. فخـلال الأزمـات الَّتِـي عاشـتها حكومـة طَالِبَـان كنـت المتحـدث الرسـمي باسـم القِيَـادَة، ونشـرت وسـائل الإعـلام الدوليـة حينهـا بمـا في ذَلِـكَ رويـترز وأسوشـيتدبرس وفـرانس بـرس وبـي بـي سـي وصـوت أمريكـا بياناتنـا وتصـريحاتنا. وبالمثـل نشـرت الصـحف البَاكِسْـتَانِيَّة أخبارنـا. وبعـد سـقوط نظـام طَالِبَـان غبنـا عـن الأسـماع لفـترة، ولَـمْ نسـتطع إنكـار أي تصـريحات كاذبـة تُنسـب إلينـا

ولا تصحيحها. فخلال حكم طَالِبَان مثلًا نسبت بعض وسائل الإعلام تصريحات لي تفيد أن خاطفي الطائرة الهندية ذهبوا إلى باكستان بينما كانوا في قندهار، ففوجئت بِهَذَا إذ لَمْ أصرح بشيء من هَذَا القبيل.

عام 2006، اتصل بي الصحفي البَاكِسْتَانِيّ سليم صافي عبر الهاتف وسألني عن دور باكستان في الحرب الأَفغَانِيَّة. فأخبرته أن باكستان تدعم أمريكا والناتو وتوفر لهم الطرق اللوجستية والمطارات العَسْكَرِيَّة. لكنه بدلًا من ذَلِكَ كتب أن مطمئن يقول: باكستان عدوتنا! كان هناك اختلاف واضح بين ما صرحت بِهِ وما نسبه إلي صافي، وهو ما أثار غضب الطبقة الدِّيْنِيَّة في باكستان. كما نسب إلي تصريحًا آخر مفاده أن الأمريكيين يريدون تنصير أَفغَانِسْتَان، لكني لَمْ أقل هَذَا مطلقًا إنما قلت إن الأمريكيين يريدون استعمار أَفغَانِسْتَان والسيطرة على مواردنا القيمة ويستخدمون الشعارات الدِّيْنِيَّة سلاحًا لا غير[1].

اعتقال نائب المُلَّا عُمَر[2]

في يناير 2007، ألقت الاستخبارات البَاكِسْتَانِيَّة القبض على المُلَّا عبيد الله في بلوشستان أثناء شرائه الأسلحة. وبحسب تعليمات المُلَّا عُمَر فقد سبق أن عين المُلَّا عبيد الله كنائب ثاني. وقد شارك من قبل في الجِهَاد ضِدّ السوفييت حَيْثُ كان صديقًا مقربًا لِلْمُلَّا عُمَر، كما كان لَهُ تأثير بالغ في المقاتلين، وتولى مسؤولية الشؤون العَسْكَرِيَّة.

عُرف المُلَّا عبيد الله بشجاعته وعزيمته الصلبة. ومن كلماته الَّتِي قالها في أحد الاجتماعات (إذا أردنا الانتصار في حربنا مع الاحتلال الأمريكي، فعلى جميع القادة الجالسين هنا بمن فيهم أنا أن نكون مستعدين للسجن أو الموت. عندها فقط ننتصر في هَذِهِ الحرب، وستكون تضحياتنا دافعًا نحو المضي قدمًا في هَذِهِ المعركة وتحقيق النصر).

أخبرنا من رآه في السجن أنه تعرض للتعذيب لفترة طويلة كي يعترف أنه المُلَّا عبيد الله نائب زعيم طَالِبَان، لكنه ظل ينفي ذَلِكَ. ويقول أمين الحق أحد الَّذِينَ عاشوا معه في السجن

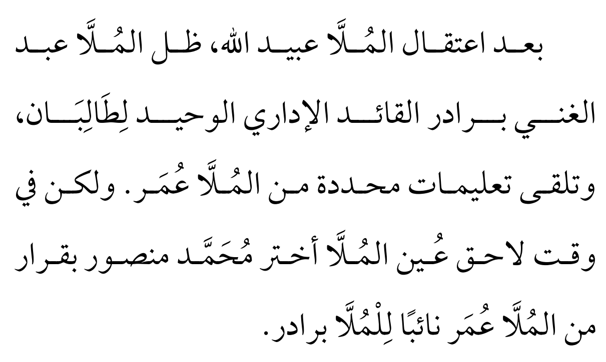
1 – وردت هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية فقط.

2 –هَذِهِ الفقرة في النسخة الانجليزية فقط.

(ذات مرة أُلقي بهِ على الأرض من على جدار مرتفع فسقط وسط السجناء، لكنه ظل هادئـًا. بعد أيام قليلة سنحت لي الفرصة للتحدث معه، فَقَالَ لي: إن هَؤُلَاءِ يريدون مني الاعتراف أنني المُلَّا عبيد الله، وقالوا لي أنهم بِذَلِكَ سيحصلون على مكافأة من الأمريكيين، لكنني لن أعطيهم فرصة الحصول على هَذِهِ المكافأة).

حينها لَمْ تكن صورة المُلَّا عبيد الله منتشرة بعد، ولَمْ يتعرف الناس عَلَيْهِ. لكن بعد زمن قصير تعرفوا عَلَيْهِ بوشاية من بعض السجناء والجواسيس هناك. إن هَذَا النوع من التعذيب يكشف أنه ضحى بحياته في سبيل القضية. لكن المسؤولين الباكستانيين أرسلوا بعد وفاته رسولاً إلى أسرته يبلغهم أنه توفي إثر أزمة قلبية. وقد توفي المُلَّا عبيد الله بتاريخ 5 أغسطس 2010 في سجن سري بباكستان، ولَمْ تعلم أسرته ولا قيادة طَالِبَان بوفاته إلا بعد وقت طويل.

القبض على المُلَّا عبد الغني برادر[1]



بعد اعتقال المُلَّا عبيد الله، ظل المُلَّا عبد الغني برادر القائد الإداري الوحيد لِطَالِبَان، وتلقى تعليمات محددة من المُلَّا عُمَر. ولكن في وقت لاحق عُين المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور بقرار من المُلَّا عُمَر نائبًا لِلْمُلَّا برادر.


المُلَّا عبد الغني برادر

عُرف المُلَّا برادر بتواضعه وهدوئه وجديته. وقد شهد سقوط حكومة طَالِبَان، وشارك في القِتَال المباشر مع القُوَات الأمريكية والميليشيات المحلية. وعام 2003، أصيب بجروح خطيرة في أوروزغان فنُقل سراً إلى مستشفى في بلوشستان لتلقي العلاج. ولَمْ يكن قد شفي تمامـًا عندما عينه المُلَّا عُمَر نائبـًا لَهُ في

1- ورد هَذَا المقطع في النسخة الإنجليزية فقط.

رسالة صوتية. وحَتَّى خلال فترة عمله نائبًا، شارك المُلَّا برادر في المعارك، وواجه ذات مرة قصفًا عنيفًا في منطقة بانجواي في قندهار. كان يشبه المُلَّا عُمَر إلى حد كبير في طبيعته الجادة والهادئة والبسيطة، فقد عاش حياة بسيطة للغاية.

بعد اعتقال المُلَّا عبيد الله عام 2007، نصح أعضاء مجلس الشُّورَى المُلَّا برادر بتوخي الحذر الشديد. وعام 2009، اختار منطقة من كراتشي للإقامة فِيْهَا. وبدلاً من المكالمات الهاتفية استخدم الرسائل النصية في الغالب، وكان على اتصال فقط ببعض الشخصيات المهمة. لكن يُقال إن مكانه اكتشف إثر عملية تجسس رفيعة المستوى. فقد تلقى أحد أبنائه تعليمًا دينيًا في مدرسة باكستانية شهيرة، ويقال إن ابنه هَذَا راقبته المدرسة نفسها كونها تحت تأثير الاستخبارات البَاكِسْتَانِيَّة ومراقبتها. فقُبض على المُلَّا برادر مطلع عام 2010 أثناء زيارته مكانًا آخر سراً دون إبلاغ أسرته حَيْثُ يُعتقد أنه خضع لمراقبة مشددة.

تعرض المُلَّا في بداية اعتقاله لتعذيب شديد، وسُمح عام 2013 لبعض موفدي طَالِبَان بمقابلته رسميًا. ضم هَذَا الوفد مَوْلَوِي شهاب الدين ديلاوار الَّذِي قَالَ: (أخبرني المُلَّا برادر أنه تعرض للتعذيب الشديد. وأنه لا يتمنى تعذيبًا كهَذَا حَتَّى لأعدائه الأمريكيين، لأن الإنسان في الحد الأدنى يبقى إنسانًا). وقد بلّغ المُلَّا مُحَمَّد عُمَر عبر بعض الرسل أعضاء مجلس الشُّورَى وغيرهم من الشخصيات المهمة في الحَرَكَة، والمقيمين في باكستان ألا تكون لهم تجمعات بارزة وألا يثقوا بالمسؤولين الباكستانيين.

بين عامي 2006-2011، اعتقلت باكستان العَدِيْد من مسؤولي طَالِبَان، وبعض الأصدقاء المقربين من المُلَّا عُمَر بعد مطاردة عنيفة. اعتقد المسؤولون الباكستانيون في ذَلِكَ الوقت أن المُلَّا عُمَر قد يكون في باكستان، وأثار وجود أقاربه المقربين مِنْهُ في كراتشي ريبتهم. لكن هَؤُلَاءِ الأقارب لَمْ يروا المُلَّا عُمَر منذ أن غادروا قندهار، ولَمْ يكونوا على علم بمكان وجوده. دفعت هَذِهِ الشكوك باكستان لاعتقال بعض الأصدقاء المقربين من المُلَّا عُمَر للحصول على معلومات تتعلق بِهِ أو برسله. أحد هَؤُلَاءِ الأصدقاء كان المُلَّا غول آغا صديق المُلَّا عُمَر منذ حقبة الجِهَاد السوفيتي، وأحد سكان ولاية هلمند، وقد لازمه في مكتبه خلال حكم الحَرَكَة صديقًا مقربًا جديراً بالثقة.

يوضح غول آغا أنه تعرض لتعذيب شديد لعدة أشهر ليدلي بمعلومات عن المُلَّا عُمَر، ولما تأكدوا من عدم وجوده في باكستان، عذبوه وسألوه عن رسله. يقول غول آغا (كنت أعرف بعض هَؤُلَاءِ الرسل، لكني قاومت التعذيب ولَمْ أعترف بشيء. وبعد أن تعافيت بدأ الأمريكيون تحقيقاتهم معي فتدهورت صحتي بسبب مرض السل، ونُقلت إلى المستشفى. فأكد الأطباء أنني مريض جداً ولن أعيش لفترة طويلة، وتناقص وزني من 110 كجم إلى 50 كجم. وبناء على توصية من الطبيب أطلقوا سراحي وألقوا بي في كويتا. ذهبت إلى أخي الَّذِي يعيش في منزل مستأجر هناك، ودخلت إلى غرفة الضيافة لديه. رآني أطفاله في الداخل وأخبروا أخي أن هناك شخصاً مجهولاً في غرفة الضيافة. فجاء ولَمْ يعرفني، فقلت: أنا غول أغا! فَقَالَ: إنك لا تشبهه أبداً! فأمعن النظر حَتَّى تعرف علي، وسعد لوجودي عنده، لكنه حزن كثيراً لما آلت إِلَيْهِ صحتي). وقد تعافى غول آغا بعد علاج طويل، لكن صحته لَمْ تعد كما كَانَت من قبل. ورغم مرضه استأنف العمل مع طَالِبَان، وشغل منصب المسؤول المالي للحركة في هلمند وقندهار.

مرض المُلَّا مُحَمَّد عُمَر ووفاته

بعد أن انحازت طَالِبَان من قندهار غادر المُلَّا عُمَر المدينة مع بعض المجاهدين، وذهب إلى سرخانكو في زابل فعقد هناك اجتماعاً مع قادة الحَرَكَة المحليين ووزع الأَمْوَال عليهم لاستئناف العمل الجِهَادِيّ. ومعظم هَؤُلَاءِ القادة ماتوا أو استشهدوا، ومنهم المُلَّا عبد الرزاق نافذ والمُلَّا روزي خان والمُلَّا مُحَمَّد جل نيازي. ثُمَّ نوى المُلَّا عُمَر أن يبدأ النشاط الجِهَادِيّ مع مجموعته الصغيرة في زابل. ويُقال إنه شارك في بعض الاشتباكات المسلحة لكن بعض الإخوة كلموه وأقنعوه بأن وجوده إنما هو شريان الحياة لِطَالِبَان كلها وأن القِيَادَة أهم وأولى من المشاركة في العمليات العَسْكَرِيَّة. وبناء على نصيحة الإخوة وبدعم من بعض المخلصين اختار المُلَّا منطقة جبلية للعيش فِيْهَا. أقام في البداية في منزل لأحد المقربين مِنْهُ، وبعد فترة انتقل لمنزل آخر فِيْهِ غرفة صغيرة وبسيطة، وأنشأ لَهُ الإخوة بجانبها حماماً ومكاناً للوضوء، وبقي في هَذَا المنزل حَتَّى وفاته.

عـام 2003، أرسـل المُـلّا عُمَـر شـريطاً صـوتياً إلـى قـادة طَالِبَـان ومجاهـديها عـين فِيْـهِ المُـلّا بـرادر أخونـد والمُـلّا عبيـد الله نـائبين عَنْـهُ في العمـل الجِهَـادِيّ المقـاوم الجديـد، وقـد اسـتمعت إلـى هَذَا الشريط. وفي بيان آخر لَهُ عين عشرة أعضاء لمجلس الشُّورَى.

استمعت لشـريط ثـانٍ لِلْمُـلّا عُمَـر عـام 2007 اسـتخدم فِيْـهِ كلمـات قاسـية بحـق المُـلّا بخـت شـقيق المُـلّا داد الله، والَّـذِي عُـرف فيمـا بعـد باسـم منصـور داد الله. اتهـم المُـلّا بخـت كـلّاً من المُـلّا نسـيم والمُـلّا عبـد البـاري بـالتورط في اغتيـال المُـلّا داد الله الَّـذِي قُتـل في غـارة جويـة أمريكيـة. وبعـد بضـعة أيـام مـن التحقيقـات والتعـذيب طلـب المُـلّا بخـت منهمـا أن يعترفـا بتـورط كبـار مسـؤولي طَالِبَـان في اغتيـال المُـلّا داد الله. وبالفعـل اعترفـا بقائمـة مـن قـادة طَالِبَـان السـابقين الَّـذِينَ لَـمْ يلتحقـوا بالحَرَكَـة بعـد سـقوط الحكومـة. وصـلت هَـذِهِ المعلومـات لِلْمُـلّا عُمَـر، واعتقـد أنهـا مـؤامرة للقضـاء علـى جميـع رجـال الإمـارة المهمـين. فأرسـل رسـالة صـوتية مـن جـزأين، قَـالَ في الجـزء الأول مِنْهَـا (كـان المُـلّا داد الله مجاهـداً بحـق، وقـد استشـهد علـى نفـس الطريـق. وأنـا لا أعـرف أخـاه، ولَـمْ أرَ أوقـح مِنْـهُ في صـفوف حركـة طَالِبَـان. ولـذا أطلـب مـن إخـوان المُـلّا داد الله أن يجلسـوا معـاً ويختاروا قائداً جديداً من بينهم).

أمـا الرسـالة الثانيـة فوجههـا لبيـت الله محسـود في وزيرسـتان يقـول لَـهُ فِيْهَـا (إن هَـذَا الشـخص قاسـي القلـب قـد أسـر اثنـين مـن قـادة طَالِبَـان، ويريـد إجبارهمـا بـالقوة علـى الإدلاء باعترافـات مغلوطـة. ولـذا فعليـه إطـلاق سـراحهما والتحقيـق معهمـا وهمـا بكامـل حريتهمـا. فـإن كانـا مـذنبين فعـلاً فليعاقبهمـا وفقـاً للشـريعة الإِسْـلَامِيَّة، وإلا فليطلـق سـراحهما). حـاول بيـت الله محسـود تحريـر القائـدين مـن قبضـة منصـور داد الله لكـن الأخيـر عنـدما علـم بـالأمر قطـع رأسـيهما وهـرب من وزيرستان.

انتـدب رفـاق المُـلّا داد الله زعيمـاً جديـداً لهـم فيمـا حصـل منصـور داد الله علـى دعـم بعـض شـباب قبيلـة كـاكرو تبعـاً للـروابط القبليـة بينـهم، وشـوهد في حـي قلعـة سـيف الله في بلوشسـتان مـع مسـلحيه في سـياراتهم. ويقـال إن بعـض شـيوخ قبيلـة كـاكرو دعمـوه أيضـاً وقـدموا ضـمانات للحكومـة بشـأنه. وشـنَّ أنصـاره هنـاك هجومـاً فاشـلاً علـى مولانـا مُحَمَّـد خـان شـيراني. وفي 11 فبرايـر 2008، أصـيب في اشـتباك مـع قـوات الأمـن البَاكِسْـتَانِيَّة واعتقـل لـديهم. وفي 14 ينـاير

2015، أطلق مسؤولون باكستانيون سراحه مع آخرين من حركة طَالِبَان. وبعد أربعة أيام ذهب إلى منطقة خاك أفغان في زابل، وفي 18 يناير 2015 كشف أسباب عودته أمام وسائل الإعلام. وفي 11 نوفمبر 2015، قُتل في خاك أفغان مع أربعة من مسلحيه في اشتباك مع طَالِبَان، وصلى عَلَيْهِ صلاة الجنازة قائد القُوَات الخاصة في طَالِبَان بير آغا.

يقول بعض أصدقائه إنه كان ذا ميول انتقامية يميل إلى إيذاء الآخرين، ويحب القتل والسلوك الوحشي، ومن السهل خداعه. سبب الشك الَّذِي راوده بداية حول اغتيال أخيه تعلق بالرسائل الَّتِي تلقاها من الاستخبارات الأَفَغَانِيَّة، لكنه نفى ذَلِكَ لَاحِقًا. عندما سُجن في باكستان التقى بسجناء آخرين من طَالِبَان قالوا لنا (نبهناه مراراً ألا يذكر المُلَّا عُمَر أمامنا بسوء، لكنه أخبر أحد أصدقائه أنه لو سنحت لَهُ الفرصة فسيقتل المُلَّا مُحَمَّد عُمَر بالتأكيد).

في نهاية عام 2009، استمعت إلى رسالة مصورة لِلْمُلَّا عُمَر، وبدا من صوته التعب الشديد وكأنه مريض، فقد تحدث بصعوبة. ركز الشريط حول إبعاد معتصم آغا جان، وقَالَ فِيْهِ لِلْمُلَّا برادر (يجب ألا يُسند لِلْمُلَّا آغا جان ولا لِلْمُلَّا عبد الجليل أي منصب في طَالِبَان). غضب المُلَّا عُمَر من آغا جان لأنه سلب أموالاً من بنك أَفَغَانِسْتَان ولَمْ يسلمها للحركة. كما استخدم الموارد المالية لشؤونه الشخصية، ومِمَّا زاد من غضب المُلَّا عُمَر مِنْهُ علاقاته السرية وتعاونه مع دول الجوار.

وعلى الفور عزله المُلَّا برادر ونائبه المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور من الشؤون المالية، وعيناه رئيسًا للهيئة السياسية دفعًا للمفسدة. لكن آغا جان سعى عبر هَذَا المنصب الجديد للحصول على صلاحيات في الشؤون المالية. في ذَلِكَ الوقت حصل على إذن من المُلَّا عُمَر باستلام أموال من دول الشرق الأوسط لكنه أثار بعض العقبات. دار حينها صراع بين معتصم آغا جان وطيب آغا، فأرسل المُلَّا برادر رسالة يشتكي فِيْهَا إلى المُلَّا عُمَر ويطلب رأيه فيما يحدث.

من هو معتصم؟

بعـد بضـعة أشـهر مـن فـتح كـابول، كنـت مـع بعـض الإخـوة المثقفـين في مديريـة الإعـلام والثقافـة في قنـدهار. فـدخل شـاب طويـل إلـى غرفتنـا مـع مَوْلَـوِي متوكـل، وجلـس بهـدوء لمـدة عشـر دقـائق تقريبًـا، ولَـمْ يـتكلم أي شـيء حَتَّـى النهايـة. ثُـمَّ نهـض وخـرج مـن الغرفـة دون أن يسـتأذن. فضـحك متوكـل قـائلاً (آغـا جـان يطلـب مني منـذ عـدة أيـام اصـطحابه إلـى مديريـة الإعـلام والثقافـة، كي يتمكن من تعلم الحديث كالشعراء والكتاب، فأحضرته إلى هنا لكنه هرب من المجلس).

اسـمه الحقيقـي عبـد الواسـع، وقدمـه صـديقه الجِهَـادِيّ المُـلَّا جـول آغـا لِلْمُـلَّا عُمَـر أثنـاء حكـم طَالِبَـان. كـان في البدايـة الحـارس الشخصـي لِلْمُـلَّا عُمَـر لكنـه اكتسـب ثقتـه فيمـا بعـد. ومنـذ ذَلِـكَ الحـين أطـاع المُـلَّا عُمَـر بشـدة. ذات مـرة قَـالَ أمـام أصـدقائه (أميـر المـؤمنين شخصـية رحيمـة للغايـة) فضـحك مـن حولـه لأننـا في مصـطلحاتنا لا نسـتخدم هَـذِهِ الكلمـة إلا للإشـارة إلـى الله سـبحانه وتعـالى. ولأجـل هَـذِهِ الطاعـة عُـين في مناصـب مهمـة مختلفـة. لكـن بعـد انهيـار حكومـة طَالِبَان، زعم ساخراً أن المُلَّا عُمَر يتمشى على شواطئ كراتشي.

لاحظـت أن آغـا جـان غيـر مـتعلم ومولـع بالسـلطة والرفاهيـة. وللأسـف كـان أسـلوبه ديكتاتوريـا ويعتمـد علـى الآخـرين في شـؤون الحكومـة. لكـن أكثر مـا عابـه داخـل حركـة طَالِبَـان هـو سـوء اسـتخدامه للأمـوال العامـة، وهـو مـا أثـار غضـب المُـلَّا عُمَـر. لكنـه عمومًـا شـخص موهـوب ومـتحمس، ويحسـن التعامـل مـع الشـؤون الماليـة أمـا علـى مسـتوى حياتـه الشخصـية، فَلَـمْ يكـن جيدًا كما ينبغي.

يـروي أصـدقاؤه المقربـون قصصـا غريبـة عَنْـهُ. يقـول معظمهـم إنـه اعتـاد أن يضـرب والـده لاختلافهمـا معـا، ويقـول صـديقه المقـرب مُـلَّا بخـت الـرحمن ذاكـري (ذهـب ذات مـرة إلـى منطقـة أنـدخوي في فاريـاب ضـمن وفـد، فشـتم معتصـم قائـد الشـرطة هنـاك، فضـربه قائـد الشـرطة ومعـاونوه ضـربـا شـديداً). ويقـول ذاكـري أيضـا إنـه رافـق معتصـم علـى مـتن طـائرة نقـل مـن مـزار الشـريف، فـذهب معتصـم إلـى مقصـورة الطـائرة حَيْـثُ جلـس علـى كرسـي الطيـار نـاظراً إلـى الخريطـة هنـاك.

فتوسل الطيار بنبرة عاجزة قائلاً إن هَذَا مقعده، لكن معتصم غضب بحجة أنه لا يوجد مكان آخر يذهب إِلَيْهِ! ولكمَ معتصم الطيار في وجهه فأصابه بنزيف.

ويقول المُلَّا أحمد جان صديق طيب آغا (كنت أقود السيارة مع معتصم من قندهار إلى كابول، فسأله المُلَّا عُمَر عبر اللاسلكي من نبش قبر عصمت مسلم[1] في مقبرة الخرقة الشريفة، هَذَا عمل مخالف للشريعة الإِسْلَامِيَّة، فأجاب باستخفاف: فعلت هَذَا لأن المُلَّا غازي طلب مني ذَلِكَ) فأنهى المُلَّا عُمَر المكالمة بغضب. فهَذِهِ القصص يرويها أصدقاؤه الَّذِينَ ما زالوا على علاقة طيبة بِهِ، وليس بينهم وبينه أي مشاكل، وقد كرروها مراراً على سبيل المزاح.

كان ضرب المسؤولين وتهديدهم وإساءة معاملتهم أمراً معتاداً من معتصم. وقد اعترض بعض إخواننا المقربين على إعطاء المُلَّا عُمَر هَذِهِ الأهمية لِلْمُلَّا خاكسار ومعتصم كونهما شاركا أحيانًا في مثل هَذِهِ الأفعال المروعة والسلبية، والَّتِي لَمْ تكن من صلاحياتهما. بعد سقوط حكومة طَالِبَان قام المعتصم بتحويل الميزانية المالية لِطَالِبَان لَهُ ولَمْ يعطها لِلْمُلَّا عُمَر. وحصل على دعم بعض الَّذِينَ أغراهم بالمَال والنفقات. وكان لديه موظفين خاصين بِهِ يتقاضون رواتب تزيد ثلاثة أضعاف عن رواتب مسؤولي الحَرَكَة.

عندما أرسل المُلَّا برادر رسالة يشكو فِيْهَا أمر المعتصم، قَالَ لَهُ المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور (كيف سنبرر الأمر لِلْمُلَّا عُمَر؟ فقد أخبرنا بألا نمنحه أي منصب، لكننا عيناه مسؤولًا للجنة السياسية!).

أعلن المُلَّا عُمَر في رسالة صوتية إقالة المعتصم من أي منصب متعلق بالشؤون المالية، واتهمه بالعصيان والتعدي على الأمور المالية، فذهب المعتصم إلى كراتشي. وفي أغسطس 2010، أصيب بجروح بالغة في هجوم مسلح، وبعد مدة من الزمن ذهب إلى كابول ومِنْهَا إلى تركيا.

1- عصمت مسلم قائد قبلي في قندهار اشتهر بالوحشية وتجارة المخدرات، انضم إلى الحكومة الشُّيُوعِيَّة وقاتل بجوارها ضِدّ المجاهدين الأَفْغَان.

حملت الرسالة الصوتية في طياتها معاني الأسى والغضب معًا، فيقول المُلَّا في جزء مِنْهَا (من القائد الَّذِي يمكن أن يقبل أن يستخدم المسؤول عن الشؤون المالية المَال العام للاستخدام الشخصي؟). بدا واضحًا من صوت المُلَّا عُمَر في هَذِهِ الرسالة أنه يعاني من مشاكل في الجهاز التنفسي أو الصدر أو أعراض مرض مشابه. ولا زال بعض أصدقاء المُلَّا عُمَر يحتفظون بأشرطة مسجلة من هَذِهِ الرسالة.

اعتاد رسول المُلَّا عُمَر أن يذهب أولاً إلى منطقة أخرى ثُمَّ يعطي الرسالة لرسول آخر، وأحيانًا يأخذ المضيف المُلَّا عُمَر على دراجة نارية للقاء الرسول على بعد عشرات الكيلومترات. وبالمثل يعطيه الرسول أشرطة صوتية أخرى. ويستغرق هَذَا الأمر مدة شهرين، وفي بعض الأحيان يستغرق مزيداً من الوقت، أما عند وقوع حادثة جديدة، فيحاول الرسول تبادل الرسائل في غضون أسبوع أو عشرة أيام.

عانى المُلَّا عُمَر من مرض شديد عام 2013، فأحضر مضيفه لأول مرة طبيبًا محليًا موثوقًا بِهِ، فأخبره أنه لا يمكن السيطرة على المرض، وأن هَذَا الشخص يحتاج إلى فحوصات وعلاج مستمر. لَمْ يأتِ الرسول خلال تِلْكَ الأيام، وأراد المضيف إبلاغ أسرة المُلَّا وقيادة طَالِبَان بحالته. فسافر إلى أسرته وأخبر نجله المَوْلَوِي مُحَمَّد يعقوب وشقيقه المُلَّا عبد المنان بالأمر. وعلى الفور خططوا لزيارته، وغادروا المنزل في وقت متأخر من النهار وسافروا طوال الليل. وفي اليوم التالي تلقوا نبأ وفاة المُلَّا عُمَر.

توفي المُلَّا عُمَر في 24 أبريل 2013، ووصل ابنه وشقيقه إلى هناك بعد أيام قليلة من موته ودفنوه، وقالا: (إن جسده لَمْ يتضرر ولكن كَانَت عَلَيْهِ آثار المرض الشديد). وقالا إنهما علما بمرضه منذ عام، لكنهما لَمْ يظنا أنه خطير لِهَذِهِ الدرجة. وقَالَ المضيف (عانى المُلَّا عُمَر من التهاب في الصدر منذ بضع سنوات، ولَمْ يكن للدواء الَّذِي قدمه الأطباء المحليون أي آثار إيجابية. كما لَمْ يهتم المُلَّا عُمَر بشأن العلاج واعتبر الأمر طبيعيًا. ولما اشتد عَلَيْهِ المرض، لَمْ يسمح لنا بأخذه إلى مكان آخر. وفي النهاية تفشى الألم في جسده كله، وظهرت عَلَيْهِ أعراض مرض السل الشديد لكنه لَمْ يشكُ من المرض حَتَّى وفاته).

خلف المُلَّا عُمَر وراءه أربع زوجات وأربعة عشر من الأبناء (بنت واحدة وثلاث عشرة من الذكور). عندما ذهب إلى زابل في نهاية عام 2001، فضل العيش بمفرده، ولَمْ يلتق قط بأي من أفراد أسرته أو قادة طَالِبَان حَتَّى موته باستثناء رسله.

يقول ابنه الأكبر مَوْلَوِي مُحَمَّد يعقوب (أجرى المُلَّا عُمَر مكالمة قصيرة معي عام 2001 عبر هاتف يعمل بالأقمار الصناعية. كنت صغيراً جداً، وذاب قلبي بعد سماع صوته، فبكيت بشدة). وفي رسائله الأخيرة طلب من أفراد أسرته الصبر والثبات والاستقامة على الدين، وأمرهم بتربية أولادهم على ذَلِكَ.

نبأ وفاة المُلَّا عُمَر، واجتماع العُلَمَاء[1]


مَوْلَوِي مُحَمَّد يعقوب

بعد وفاة المُلَّا عُمَر أبلغ نجله مَوْلَوِي يعقوب وشقيقه المُلَّا عبد المنان رئيس دار الإفتاء المَوْلَوِي عبد الحكيم ورئيس القضاء مَوْلَوِي هبة الله أخوندزاده. وقالا (لو بقينا دون أمير، فلن تكون لأنشطتنا أطر شرعية، لذا علينا تعيين أمير سواء في السر أو العلانية). فاجتمع الشيخ عبد الحكيم والشيخ عبد السَّلَام ومَوْلَوِي هبة الله أخوندزاده ومَوْلَوِي يعقوب والمُلَّا عبد المنان والمسؤول السابق لمكتب المُلَّا عُمَر عبد السَّلَام كاتب ورسول المُلَّا عُمَر، ودعوا نائب المُلَّا عُمَر المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور وأبلغوه بوفاة المُلَّا عُمَر. فَقَالَ المُلَّا أختر منصور: إن أمراً كبيراً كهَذَا لا يمكن لبعض الناس أن يبتوا فِيْهِ، لذا يجب أن يشارك جميع أعضاء الشُّورَى في اختيار الأمير الجديد، فَقَالَ المُلَّا عبد المنان والآخرون لِلْمُلَّا منصور: إذا تم الأمر بِهَذِهِ الطريقة فلن يبقى موت المُلَّا عُمَر سراً. والظروف حساسة للغاية، وقد أعلن الأمريكيون عزمهم على سحب قواتهم، ومن الممكن أن يسبب إعلان وفاة المُلَّا

1 – في النسخة الإنجليزية ورد العنوان كالتالي: وصول خبر وفاة المُلَّا عُمَر لقادة طَالِبَان، واجتماع العُلَمَاء وبدء الصراع.

عُمَـر المزيـد مـن المشـاكل. لـذا علينـا إبقـاء هَـذَا الأمـر سـراً، واختيـار أميـر جديـد. وحـين تصبح الظـروف مواتيـة، نعلـن وفـاة المُـلَّا عُمَـر، ونعقـد البيعـة العامـة. وفي النهايـة أقنـع المُـلَّا منصـور المُـلَّا عبـد المنـان بضـرورة إشـراك بعـض أعضـاء الشُّـورَى المهمـين، وأحـد العُلَمَـاء المعـروفين مـن ولايات وسط البلاد في هَذِهِ العملية.

أراد المُـلَّا أختـر منصـور إعـلام الكثيـرين، لكنـه اقتنـع بـرأي المُـلَّا عبـد المنـان والآخـرين فتقـرر إبـلاغ كبيـر القضـاة السـابق مَوْلَـوِي نـور مُحَمَّـد ثاقـب الَّـذِي كـان ضـمن أعضـاء مجلـس الشُّـورَى القيـادي. ودُعـي رئـيس الهيئـة العَسْكَرِيَّة المُـلَّا عبـد القيـوم ذاكـر ونائبـه أميـر خـان حقـاني مـع مضيف المُلَّا عُمَر الَّذِي عاش معه لمدة اثني عشر عاماً.

حُـدد موعـد الاجتمـاع الثـاني خـلال أسـبوع، فحضـره الشـخص الَّـذِي استضـاف المُـلَّا عُمَـر، ومَوْلَـوِي نـور مُحَمَّـد ثاقـب والمُـلَّا أميـر خـان حقـاني والمُـلَّا عبـد القيـوم ذاكـر ليبلـغ مجمـوع الحاضـرين عشـرة أشـخاص. طُلـب مـن مضـيف المُـلَّا عُمَـر أولاً سـرد كُـلّ مـا حـدث معـه فـروى القصـة كاملـة، وقَـالَ إن المُـلَّا عُمَـر لَـمْ يـوصِ لأحـد مـن بعـده قـط بـل كـان حَتَّـى وفاتـه يصـدر تعليماته لهيكل الإمارة الحالي، ولَمْ يقدم أي تلميح لتعيين خلف لَهُ.

وفي وقـت لاحـق عقـد العُلَمَـاء الأربعـة: مَوْلَـوِي عبـد الحكـيم، والشـيخ عبـد السَّـلَام، ومَوْلَـوِي هبـة الله، ومَوْلَـوِي نـور مُحَمَّـد ثاقـب، كممثلـين عـن جميـع الحاضـرين اجتماعـاً منفصـلاً. وبعـد سـاعتين مـن المناقشـة والمشـاورات في غرفـة منفصـلة دعـوا إلـيهم جميـع الحاضـرين، وتحـدثوا بدايـة عـن الوضـع الشـرعي للإمـارة، ثُـمَّ قـالوا: بعـد التشـاور، قررنـا اختيـار المُـلَّا أختـر مُحَمَّـد منصـور أميـراً، لأنـه كـان نائبـاً لِلْمُـلَّا عُمَـر، ولا نجـد أي شـخص آخـر ينافسـه في هَـذَا. فـإذا اخترنـا أي شـخص آخـر الآن، فسيسـبب هَـذَا مخـاوف وشـكوكاً لـدى الكثيـرين، ولـن يكـون مـوت المُـلَّا عُمَـر سـراً حينهـا. ثُـمَّ أمسـك الشـيخ عبـد السَّـلَام بيـد المُـلَّا منصـور ليبايعـه ثُـمَّ بايعـه العُلَمَـاء الثلاثـة الآخـرون، وتلاهـم المُـلَّا عبـد القيـوم ذاكـر وأميـر خـان حقـاني ومضـيف المُـلَّا عُمَـر والآخـرون الحاضـرون. بينمـا رفـض المُـلَّا عبـد المنـان مبايعتـه، وعنـدما طلـب مِنْـهُ العُلَمَـاء أن يبـايع، قَـالَ: يجـب أن يكـون وضـع أسـرتنا في الإمـارة واضـحاً. فَقَـالَ عبـد القيـوم ذاكـر لِلْمُـلَّا عبـد المنـان: لا

زلت شاباً، فلا تتدخل في هَـذِهِ المسائل وبايع. فانصاع المُـلَّا عبد المنان وبايع، وأخبره العُلَمَاء أنه سيحصل على وظيفة مناسبة ولن تبتعد أسرته عن الإمارة.

ووفق ما قاله رسول المُـلَّا عُمَر، فقد أراد خلال حياته من أخيه عبد المنان أن يعتني بأسرته فقط، وألا يُسند إِلَيْـهِ أي منصب رئيسي في الإمارة. وحَتَّى وفاة المُـلَّا عُمَر لَـمْ يكن لِلْمُـلَّا عبد المنان أي منصب رسمي، ولكن القِيَادَة الجديدة عينته لَاحِقًا عضواً في مجلس الشُّورَى القيادي وعضواً في اللجنة العَسْكَرِيَّة وخولته بعض المهام الخاصة. وفي هَـذَا الاجتماع بويع المُـلَّا أختر مُحَمَّد منصور بالإجماع زعيمًا لِطَالِبَان، وأقسم المشاركون على إبقاء وفاة المُـلَّا عُمَر طي الكتمان حَتَّى يحين الوقت المناسب.

بعد بضعة أشهر من هَـذَا الاجتماع نشب خلاف بين المُـلَّا عبد القيوم ذاكر وبعض القادة العسكريين المهمين في الجَنُوب. أراد ذاكر حل بعض المجموعات العَسْكَرِيَّة ودمجها بأخرى كما أراد إحصاء الأسلحة المتوفرة لدى الحَرَكَة على مستوى البلاد كلها، وهي مهمة صعبة للغاية. سبب هَـذَا الأمر خلافًا بين ذاكر وبعض قادة الحَرَكَة. فوصلت هَـذِهِ الأنباء إلى المُـلَّا منصور، فعارض قرار ذاكر لأنه تلقى شكاوى من العَدِيْد من القادة. كما أوصى المُـلَّا ذاكر بتجنب مثل هَـذِهِ المسائل درءاً للفتنة. كما أيد هَـذَا القرار أعضاء مهمون في مجلس الشُّورَى فيما هدد المُـلَّا ذاكر بالاستقالة. فَقَالَ لَـهُ المُـلَّا أختر منصور: لا تستقل فالوضع حساس، ولا زلنا نخفي موت المُـلَّا عُمَر. وكذلك طلب مِنْهُ أعضاء بارزون آخرون في الحَرَكَة، ولكنه أصر على ذَلِكَ حَتَّى قُبلت استقالته، وجمد عضويته في مجلس الشُّورَى.

اعتزل ذاكر في منزله بضعة أشهر ثُمَّ أخبر العُلَمَاء الأربعة ومن كانوا على علم بوفاة المُـلَّا عُمَر أن لديه مخاوف على الحَرَكَة بعد ورود شكاوى ضِدّ القِيَادَة، وطالب بحلها وإلا فسيكشف عن موت المُـلَّا عُمَر. ورداً على ذَلِكَ قَالَ أمير خان حقاني: هَـذَا عمل صبياني جداً، إن لَمْ يقبل أحد ما تقوله فستكشف السر، وإن قبلوا فستحافظ على صمتك؟!

في نهاية المطاف عقد العُلَمَاء مجلس تحكيم بين المُـلَّا عبد القيوم والمُـلَّا أختر مُحَمَّد منصور. وقدم المُـلَّا عبد القيوم مطالبه واعتراضاته العشرة، وكان من بينها مطلب بقائه رئيسًا للهيئة العَسْكَرِيَّة. فقبل المُـلَّا منصور تسعة مطالب ورفض العاشر، وقَالَ: إن رضيتني أميراً لك،

فعليك التزام المنصب الَّذِي أسندته إليك، فلا أستطيع إعطاءك منصباً تطلبه لنفسك. وقَالَ العُلَمَاء لِلْمُلَّا ذاكر: الذنب الآن عليك، فمطالبك التسعة قُبلت، لذا عليك التنازل عن المطلب العاشر. فَلَمْ يقتنع المُلَّا ذاكر بالأمر وغادر الاجتماع. وحَتَّى منتصف عام 2014 تداولت بعض الدوائر المحدودة خبر وفاة المُلَّا عُمَر، فتسربت بعض الأخبار إلى العلن. وفي مطلع عام 2015، نوقش هَذَا الخبر في العَدِيْد من التجمعات، وعلم بهِ أيضاً منصور داد الله وأشخاص آخرون.

أثارت بعض المصادر الاستخبارية المحلية ووسائل الإعلام هَذَا الخبر عدة مرات، لكن الحَرَكَة لَمْ تعترف بِذَلِكَ رسمياً مِمَّا أجبر الجميع في النهاية بالتزام الصمت. في نهاية المطاف صلى المُلَّا عبد القيوم ذاكر -بحضور أصدقائه وعدد من القادة- صلاة الغائب على المُلَّا عُمَر، وذَلِكَ في شهر شعبان. وسرعان ما انتشر الخبر بين عناصر طَالِبَان، واضطر المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور إلى إعلان وفاته بِشَكلٍ رسمي. وبعد التشاور مع العُلَمَاء جُمع قادة الحَرَكَة الآخرين الموثوق بهم من الَّذِينَ لَمْ يعلموا بوفاة المُلَّا عُمَر سوى من خلال نشرات الأخبار. فأخبروهم أولاً بقصة وفاة المُلَّا عُمَر كاملة والبيعة السرية لِلْمُلَّا أختر منصور، وبدأت الاستشارات معهم لوضع خطة مستقبلية. واقترحوا إعلان وفاته بعد رمضان، واختيار الأمير من جديد. وبعد عيد الفطر عُقد اجتماع لأعضاء مجلس الشُّورَى القيادي ضم الأسماء التالية:

المُلَّا مُحَمَّد حسن أخوند، مَوْلَوِي حمد الله ناني، خليفة سراج الدين، مَوْلَوِي عبد الكبير، مَوْلَوِي عبد اللطيف منصور، مَوْلَوِي نور مُحَمَّد ثاقب، مُلَّا أمير خان حقاني، حافظ عبد المجيد، المُلَّا غول آغا، خليفة سراج الدين، مَوْلَوِي أمير خان متقي. ومن العُلَمَاء: مَوْلَوِي هبة الله أخوندزاده والشيخ عبد الحكيم ومَوْلَوِي فريد محمود. وانضم إليهم أيضاً المُلَّا عبد المنان والمُلَّا عبد القيوم ذاكر لكنهما غادرا دون أن يبايعا. وامتنع المُلَّا عبد الرزاق والمُلَّا حسن رحماني والمُلَّا مُحَمَّد رسول عن المشاركة.

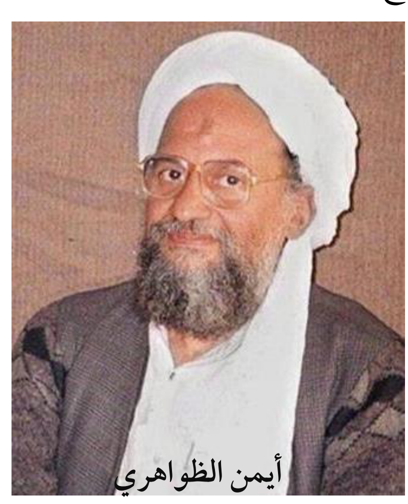
في اليوم الأول أرسل المُلَّا أختر منصور رسالة إلى المشاركين عبر المُلَّا مُحَمَّد حسن (نائب مجلس الوزراء في عهد طَالِبَان) مفادها أن الجميع يجب أن يصوتوا علانية، وأن يُعطى

حق التصويت لأعضاء مجلس الشُّورَى الحاليين. وقَالَ لِلْمُلَّا مُحَمَّد حسن: أنا أيضًا أعطيك الصلاحية الكاملة، وأي شخص تختاره فهو أمير.

استمر الاجتماع لمدة يومين. قَالَ المُلَّا عبد القيوم ذاكر إن أختر منصور لا ينبغي أن يكون مرشحًا فرد عَلَيْهِ آخرون أن هَذَا لا يمكن أن يكون لأجل خاطرك فقط، وأنهم سيبايعون من يختاره أعضاء الشُّورَى بالأغلبية. وبعد المناقشات اختير المُلَّا أختر منصور أميرًا بالإجماع لكن المُلَّا ذاكر رفض مبايعته.

غادر المُلَّا عبد المنان والمُلَّا ذاكر الاجتماع، وقَالَ المُلَّا عبد المنان: أحتاج لمزيد من الوقت كي أفكر، لكنني لا أعدكم بشيء. ودعا مجلس الشُّورَى المُلَّا أختر منصور وأخبره بقرار اختياره، فَقَالَ (إذا وافق المشاركون في هَذَا الاجتماع فسأقبل هَذَا التكليف، ولكن عليكم جميعًا أن تعدوا بأنكم لن تتركوني بمفردي وستدعمونني في قراراتي) فوعد المشاركون بدعمه ثُمَّ بايعوه أميراً.

في اليوم التالي وبمشاورة شقيق المُلَّا عُمَر وابنه أعلنت طَالِبَان رسميًا وفاة المُلَّا عُمَر، وألقى المُلَّا أختر منصور خطبة أمام حشد حضره مئات الولاة والقادة، وشرح لهم الإستراتيجية المرتقبة للحركة فبايعه الحضور جميعًا. ومن بين الغائبين وافق الشيخ مَوْلَوِي عبد الرشيد على بيعة المُلَّا أختر منصور، وكذلك بايع من في قطر باستثناء مُحَمَّد طيب آغا ومَوْلَوِي نك مُحَمَّد. كما بايع ثمانية عشر عضواً من مجلس الشُّورَى القيادي وجميعهم من ولاة طَالِبَان ورؤساء اللجان والقادة العسكريين. ونُشرت الرسائل الصوتية والمرئية لجميع مسؤولي طَالِبَان على موقع الحَرَكَة الرسمي على الإنترنت لعدة أسابيع.


أيمن الظواهري

وفي 12 أغسطس، أعلن زعيم القاعدة أيمن الظواهري بيعته لِلْمُلَّا منصور عبر رسالة صوتية نشرت على الإنترنت. بعد ذَلِكَ ذهب بعض مسؤولي طَالِبَان بوفد إلى المُلَّا ذاكر فأخبرهم أنه لا يعارض المُلَّا منصور لكنه لا يبايعه، وأنه لا يزال بحاجة إلى مزيد من الوقت للتفكير. وفي المقابل التقى

المُلّا يعقوب سراً بالمُلّا أختر مُحَمَّد منصور، وطمأنه أنه معه ولن يعارضه.

أقامت أسرة المُلَّا مُحَمَّد عُمَر مجاهد مجلس عزاء صغير ألقى خلاله المُلَّا يعقوب خطاباً قصيراً قَالَ فِيْهِ: إن المُلَّا عُمَر لَمْ يوصِ لأي شخص من بعده، ولا لأي من أفراد أسرته. وقد توفي بسبب مرض السل. فسجل كلامه ونشره على الفيسبوك وعلى الموقع الرسمي لِطَالِبَان مِمَّا أبطل ادعاءات المُلَّا عبد المنان ومنصور داد الله داخل صفوف الحَرَكَة.

وقَالَ بعض أنصار المُلَّا عبد المنان إنه سيبايع المُلَّا أختر منصور فيما لو عينه نائباً لَهُ لكن قيادة طَالِبَان عارضت البيعة المشروطة أيّاً كان صاحبها. وفي 15 سبتمبر 2015، وبعد جهود العُلَمَاء ووسطاء طَالِبَان المستمرة تعهد المُلَّا عبد المنان ومَوْلَوِي مُحَمَّد يعقوب خلال اجتماع بالولاء دون قيد أو شرط لِلْمُلَّا أختر منصور.

أما المُلَّا رسول والمُلَّا حسن رحماني والمُلَّا عبد الرزاق فَلَمْ يشاركوا في اجتماع البيعة والولاء، ولَمْ يتعهدوا بِذَلِكَ للقيادة الجديدة. وفي اليوم الَّذِي أعلن فِيْهِ عن اختيار الأمير الجديد، أعلن المُلَّا مُحَمَّد حسن والمُلَّا رسول معارضتهما لَهُ على وسائل الإعلام في اجتماع رسمي مع مسؤولين باكستانيين في إسلام أباد.

أظهر معظم قادة طَالِبَان السابقين الَّذِينَ سبق وتمردوا على المُلَّا عُمَر كمنصور داد الله وعبد الرزاق وآخرين معارضتهم لإمارة المُلَّا أختر منصور. وفي 3 نوفمبر 2015، أعلن المُلَّا رسول عن تشكيل جماعة مسلحة منفصلة، لكن رحماني وعبد الرزاق لَمْ يدعموه. وفي نهاية يناير 2016، أصدر حسن رحماني بياناً مكتوباً وموقّعاً بخط يده يعلن فِيْهِ بيعته لِلْمُلَّا أختر منصور، ونشره عبر وسائل الإعلام ثُمَّ اشتد عَلَيْهِ المرض بعدها، وتوفي بعد أسبوع في مستشفى بكراتشي. وقد جاء في بيانه ما يلي:

"أنا مُحَمَّد حسن رحماني، مجاهد من المسلمين الأَفْغَان الشجعان، لطالما تمنيت قيام نظام شرعي خالص في أَفْغَانِسْتَان. ولتحقيق هَذَا الهدف، استخدمت كامل قوتي وقدراتي. واليوم أيضاً في إطار تحقيق هَذَا الهدف، أتعهد بالولاء لأمير المؤمنين المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور، وسأظل مطيعًا لَهُ بما لا يتعارض مع الشريعة الإِسْلَامِيَّة".

بسم الله الرحمن الرحيم

زه ملا محمد حسن رحماني د افغانستان د
مسلمان او غیور ولس په حیث، چه د
د ژوند له پیل نه بیا تر اوسه پورې په
افغانستان کښې د یوه مروجه شرعي نظام د
پلی کیدو په ارمان وم او یم، او همدی ارمان د
تکمیل په لاره کښې مې تر خپل وس او توانه پورې
زیار ایستلی دی، او د همدی ارمان د ترسره کیدو
په منظور د اسلامي امارت د نوي امیر محترم ملا
اختر محمد منصور صاحب سره په ټولو شرعي امورو
کښې د مکمل اطاعت په موخه د زړه له کومې
بیعت اعلانوم ...... والسلام

محمد حسن رحماني

25- جنوري - 2016
2016

صورة خطاب بيعة المُلَّا مُحَمَّد حسن رحماني لِلْمُلَّا أختر منصور "وردت الصورة في النسخة الإنجليزية من الكتاب"

وقبل ذَلِكَ بشهر وصل شريط مسجل لِلْمُلَّا أختر منصور يظهر فِيْهِ زعيم حركة طَالِبَان البَاكِسْتَانِيَّة المُلَّا فضل الله في اجتماع مع مئات المسلحين، يعلن أمامهم ولاءه لِلْمُلَّا أختر مُحَمَّد منصور باللغتين البشتو والعربية. أما المُلَّا عبد القيوم ذاكر فقد بقي موقفه غامضاً بين البيعة والمعارضة، ولكن الجهود المستمرة لأصدقائه أثمرت في النهاية، فأعلن بيعته في 30 مارس 2016 عبر البيان التالي:

"بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذِي أمر المسلمين بالاتحاد والاتفاق، والصلاة والسلام على قائد الأنبياء مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وسلم، وعلى آله وأصحابه أجمعين، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته،

إلـى جميـع علمـاء المسـلمين وقـادة المجاهـدين وشـبابها في إمـارة أَفَغَانِسْـتَان الإِسْـلَامِيَّة،
السَّلَام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أيهـا الإخـوة الأعـزاء، تعلمـون جميعًـا أن حركـة طَالِبَـان الإِسْـلَامِيَّة بـدأت في أَفَغَانِسْـتَان بقيـادة أميـر المـؤمنين المحـترم المُـلَّا مُحَمَّـد عُمَـر مجاهـد بهـدف تأسـيس نظـام إسـلامي خـالص. وقـد ضـحينا جميعـًا بـالآلاف مـن الأرواح مـن أجـل هَـذَا النظـام وحققنـا العَدِيْـد مـن الإنجـازات لإنشـاء إمـارة إسـلامية في أَفَغَانِسْـتَان رغمـًا عـن أنـف العـالم الكـافر. ونظـراً لأن الصـليبيين والغـزاة في العـالم لـن يتسـامحوا مـع هَـذَا النظـام المقـدس، فقـد بـدأ اختبـار جديـد للإمـارة الإِسْـلَامِيَّة. لقـد أفشـل أميـر المـؤمنين بعـون الله خطـط عـالم الكفـر. وبعـد انتشـار نبـأ وفـاة المُـلَّا عُمَـر، كَانَـت لـدي بعـض التحفظـات الشـرعية مـن أجـل الاسـتقلال والوحـدة وتحسـين النظـام وحـل المشـكلات ونجـاح الإمـارة الإِسْـلَامِيَّة. والحمـد لله رب العـالمين، وبفضـل جهـود الإخـوة جميعـًا، اتفقنـا علـى معالجـة هَذِهِ المشاكل كما تأمر الشريعة الإِسْلَامِيَّة، فبارك الله فيكم وجزاكم خيراً.

إن المحـترم المُـلَّا أخـتر مُحَمَّـد منصـور أميرنـا وأنـا أبايعـه علـى ذَلِـكَ، وسـأظل مطيعـًا لَـهُ بمـا لا يخالف الشريعة.

وإلـى الله المشـتكى، حسـبنا الله ونعـم الوكيـل، نعـم المـولى ونعـم النصـير، ونفـوض أمورنـا إلـى الله، إن الله بصير بالعباد.

أخوكم في الله، الحاج حافظ مُلَّا عبد القيوم ذاكر.

20 جمادى الاخرة 1437 هجريًا

30 مارس 2016 ميلاديًا.

(لَـمْ تكـن جماعـة المُـلَّا مُحَمَّـد رسـول قويـة للغايـة، ولكـن لأنها جماعـة منشـقة عـن طَالِبَـان ولإضـعاف الحَرَكَـة فقـد دعمتهـا مصـادر داخليـة وخارجيـة، لكنهـا لَـمْ تكـن قـادرة علـى الاسـتمرار لفـترة طويلـة في ظـل شـح المـوارد. وبعـدها اختفـى المُـلَّا رسـول، ويقـال إن باكسـتان اعتقلتـه، وانفصـل منصـور داد الله بالفعـل عـن طَالِبَـان. وسـرعان مـا انتشـرت لقطـات لِلْمُـلَّا عبـد المنـان نيازي تجمعه مع مسؤولي قوات الأمن الأَفْغَانِيَّة وقائد شرطة قندهار.

في يوليـو 2016، تعـرض صـهر المُـلَّا داد الله المُـلَّا مُحَمَّـد صـادق للضـرب علـى يـد عبـد المنـان نيـازي ومعاونيـه. فتوجـه إثرهـا إلـى قيـادة طَالِبَـان وكشـف لَهَـا عـن مكائـد نيـازي ومـن معـه. وقَـالَ: أخـبرني عبـد المنـان نيـازي أن أسـرة داد الله يجـب أن توجـد في أي مكـان تريـده، كـي تجـذب المسـلحين إِلَيْهَـا، لثقـة النـاس في هَـذِهِ الأسـرة. لكنـي قلـت لَـهُ: لمـاذا لا تحضـر أسـرتك إلـى هنـا. وبعـد نقـاش حـول هَـذَا الموضـوع، غـادرت الاجتمـاع، وأثنـاء طريـق العـودة جـاء عبـد المنـان ورجالـه وضـربوني بشـدة. فهربـت وأجليـت أفـراد عائلـة داد الله مـن هنـاك. وأضـاف: كـان بيننـا وبـين عبد المنان نزاع حول بعض القضايا، فاتصلت بنا وزارة الدفاع ونصحتنا باتباع أوامره[1].

المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور قائدٌ عسكريٌّ وسياسيٌّ وإداريٌّ[2]


المُلَّا أختر منصور

ولـد المُـلَّا أخـتر مُحَمَّـد منصـور ابـن الحـاج مُحَمَّـد جـان عـام 1968 في قريـة بانـدي تيمـور بمنطقـة مايوانـد في ولايـة قنـدهار. شـارك في الجِهَـاد ضِـدّ الاتحـاد السـوفياتي، ولمـا ظهـرت حركـة طَالِبَـان كـان قـد تبقـى لَـهُ عـام كامـل لإكمـال تعليمـه الـديني. ومـع اسـتيلاء طَالِبَـان علـى قنـدهار لأول مـرة عُـين المُـلَّا منصـور مسـؤولاً عـن مطـار قنـدهار. وبعـد السـيطرة علـى كـابول عُـين وزيـراً للطيـران وقائـداً لسـلاح الجـو. عنـدما

1 – وردت هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية فقط.

2 – وردت هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية فقط.

سقطت حكومة طَالِبَان قاتل حَتَّى النهاية في مطار قندهار ثُمَّ أخلاه بناء على تعليمات المُلَّا عُمَر.

خلال مرحلة ما بعد الغزو وبدء المقاومة ضِدّ الغزاة، كان المُلَّا أختر منصور في البداية عضواً في مجلس الشُّورَى، والمسؤول العَسْكَرِيّ عن قندهار. كما عمل مستشاراً لِلْمُلَّا برادار والمُلَّا عبيد الله. وبعد اعتقال المُلَّا عبيد الله عام 2007 عُين نائبًا لِلْمُلَّا برادر بمرسوم صادر عن المُلَّا عُمَر. وبعد وفاة المُلَّا عُمَر بويع باسم أمير المؤمنين، وبايعته حركة طَالِبَان الأَفْغَانِيَّة وحركة طَالِبَان البَاكِسْتَانِيَّة وقيادة تنظيم القاعدة.

شارك المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور منذ البداية في التخطيط الداخلي وصياغة العلاقات الخارجية للحركة. وعندما كان المسؤول العَسْكَرِيّ عن قندهار نفذ بنجاح عدة هجمات ضِدّ القُوَات الأمريكية. وأجرى عمليات مميزة داخل المدينة. ونظم عمليتي هروب ناجحتين من سجن قندهار، وهرب العَدِيْد من الطَّالِبَان.

وبمتابعةٍ وتنسيق مِنْهُ سلمت الحَرَكَة مواطنين من تركيا وروسيا ومن بلدان أخرى من الَّذِينَ اعتقلتهم حركة طَالِبَان لمشاركتهم في دعم الحكومة عسكريًا ولوجستيًا إلى دولهم. فمهد الطريق بِهَذِهِ الفرص الجديدة لتأسيس العلاقات مع هَذِهِ الدول.

بعد اعتقال المُلَّا برادر عام 2010، عيّنه المُلَّا مُحَمَّد عُمَر نائبًا ومسؤولاً عامًا للحركة. فأحدث تغييرات في أنظمة طَالِبَان العَسْكَرِيَّة والسياسية والإدارية ومهد الطريق للمفاوضات مع المحتلين. وفي الشؤون العَسْكَرِيَّة دعا طَالِبَان لدعم مشاريع التنمية والمنفعة العامة، ووضع قواعد مثل الحكومة لمشاريع المنفعة العامة ضمن اللجنة الاقتصادية لِطَالِبَان، ووضع قواعد لتنظيم عمل المنظمات غير الحكومية بِحَيْثُ عندما تستوفيها تسمح لَهَا طَالِبَان بالعمل.

كما أنشأ لجنة استخبارات لمراقبة العدو وتطورات الحرب، ووضع قواعد صارمة للحد من الخسائر المدنية في عمليات طَالِبَان، وكذلك أنشأ لجنة داخل حركة طَالِبَان للتعامل مع المنظمات الدولية غير الحكومية.



مکتوب نمبر ۱٤۰۵۳ نیټه ۱۱/۲/۱۳۹۷ هـ ق

بسم الله الرحمن الرحيم
دافغانستان اسلامی امارت
دمشرتابه دفتر
محترمو دنظامی کمیسیون او ټولو ولایتونو مسولینو ته،
السلام علیکم ورحمة الله وبرکاته.

وروسته :
کومو عام المنفعه پروژو ته لکه : آب برق، زراعت او داسی نورو ته چه دامارت دا صولو موافق اجازه ورکړه سوی وی. دهغو په پوره کولو کی داقتصادی کمیسیون دمسول ملا هدایت الله اخند او اړونده مسولینو سره بی پوره همکاری کوی او ستونزی مه ورته جوړ وی.
والسلام
امیرالمومنین ملا اخترمحمد (منصور)

خطاب أرسله المُـلَّا أختـر منصـور للجنـة العَسْـكَرِيَّة في طَالِبَـان ومسـؤولي الولايـات يحـثهم فِيْـهِ علـى دعـم مشـاريع المنفعـة العامـة مثـل الكهربـاء والزراعـة وعـدم وضـع عراقيـل أمامهـا (وردت صـورة الخطـاب في النسـخة الإنجليزية من الكتاب)

وبفضـل تجربتـه الطويلـة مـع طَالِبَـان؛ أسـس المُـلَّا أخـتر منصـور أرضـية صـلبة للحركـة، وحســن بعـض الجوانـب السـلبية الَّتِـي سـيطرت علـى نظـام الحَرَكَـة الـداخلي كإعطـاء بعـض المناصـب المهمـة للمقـربين أو حصـر السـلطة في فئـة معينـة أو الشـك غيـر المـبرر بالمرؤوسـين والنظر إلى عملهم بريبة.

كَانَـت مفاجـأة للكثيـرين عنـدما عـين المُـلَّا منصـور خليفـة سـراج الـدين حقـاني نائبـًا لَـهُ. وبحسـب مسـؤول مكتـب المُـلَّا منصـور مَوْلَـوِي محـب الله، فقـد قَـالَ المُـلَّا أخـتر منصـور (تتمتـع عائلـة حقـاني بنفـوذٍ واسـعٍ في مناطقهـا، وقـد حـاول الغـرب تمييزهـا عـن الحَرَكَـة باسـم شـبكة حقـاني لضـربها، لكـنهم ظلـوا متماسـكين وثبـت خليفـة سـراج الـدين حقـاني ثبـات الجبـال وظـل متمسـكًا بولائه للإمارة، ولذا فهو يستحق هَذَا المنصب).



بسم الله الرحمن الرحيم
دافغانستان اسلامی امارت
دمشرتابه دفتر
مکتوب نمبر ۱۳/۵۴ نیته ۱۱/۲/۲۰۱۳ م
محترمو دنظامی کمیسیون او ټولو ولایتونو مسولینو ته:
السلام علیکم ورحمة الله وبرکاته.

وروسته :
کومو عام المنفعه پروژو ته لکه : آب برق،زراعت او داسی نورو ته چه دامارت دا صولو موافق اجازه ورکړه سوی وی. دهغو په پوره کولو کی داقتصادی کمیسیون دمسول ملا هدایت الله اخند او اړونده مسولینو سره بی پوره همکاری کوی او ستونزی مه ورته جوړ وی.
والسلام
امیرالمومنین ملا اخترمحمد (منصور)

خطـاب أرسـله المُـلَّا أختـر منصـور بخصـوص تأسـيس مكتـب قيـادة لِطَالِبَـان (وردت صـورة الخطـاب في النسخة الإنجليزية من الكتاب)

وبالمثـل، حـد المُـلَّا أخـتر منصـور مـن التمييـز الحاصـل داخـل حركـة طَالِبَـان بـين الملالـي والمثقفـين المعاصـرين، فاختـار شـير عبـاس سـتانيكزاي رئيسـًا للجنـة السياسـية بعكـس توصيـة مجلـس الشُّـورَى. يقـول مَوْلَـوِي محـب الله (أخـبر المُـلَّا منصـور مجلـس الشُّـورَى بعـد اسـتقالة طيـب آغـا مـن رئاسـة اللجنـة السياسـية رفضـه توصيـة المجلـس بتعيـين شـير عبـاس سـتانكيزاي رئيسـًا للجنـة. وقَـالَ لـي ينبغـي أن نعتمـد علـى كفـاءة سـتانيكزاي وخبرتـه الدبلوماسـية، إنـه يسـتحق قيـادة هَـذِهِ اللجنـة). وكـان المُـلَّا أخـتر منصـور القائـد الوحيـد في طَالِبَـان خـلال فـترة المقاومـة الَّـذِي أنشـأ مكتبـًا للعمـل الإداري باسـم "مكتـب القِيَـادَة" لتنظـيم قـرارات القِيَـادَة وتعليماتهـا والمستندات الرسمية.

زيارة ممثلي طَالِبَان إلى قطر وافتتاح مكتب طَالِبَان

عـام 2005، التقـى مَوْلَـوِي شـهاب الـدين ديـلاوار رفقـة أحـد قـادة الصـف الثـاني في طَالِبَـان برجـل بريطـاني غـامض يـدعى مايكـل سـيمبل في منطقـة تاكـال في بيشـاور. عُقـد الاجتمـاع في سـيارة تعـود لقائـد جهـادي سـابق مـن كونـار يـدعى القائـد ديـدار. سـمبل بريطـاني متـزوج مـن ابنـة ضـابط عسـكري باكسـتاني متقاعـد. كَانَـت زوجتـه راقصـة فيمـا شـبكة اسـتخباراته منتشـرة في جميـع أنحـاء باكسـتان. بعـد هَـذَا الاجتمـاع سُـمع مـرارًا مـن المَوْلَـوِي ديـلاوار في بعـض الاجتماعـات أن قيـادة

طَالِبَان يجب أن تؤسس موطئ قدم لَهَا في بلد محايد ثالث لكن الهدف من ذَلِكَ بقي غامضًا حينها.

دعم مَوْلَوِي شهاب الدين عملية السَّلَام مع نظام كرزاي لكن عندما شُكلت لجنة السَّلَام الرمزية برئاسة صبغة الله مجددي، زار نجل مجددي باكستان وعقد اجتماعات مع بعض مسؤولي طَالِبَان السابقين، وأخبرهم أن أمريكا لا تريد السَّلَام، ولكن إذا أرادت طَالِبَان الاستسلام فعليها فعل ذَلِكَ عبر لجنتهم حصراً في رسالة واضحة بالنسبة لنا. ثُمَّ استأنف مايكل سمبل اجتماعاته من جديد.

بعد ذَلِكَ زار المهندس الأَفَغَانِيّ ألماني الجنسية وحيد الله حليمي باكستان. ولحليمي علاقات وثيقة مع الاستخبارات الألمانية، وقد ظل مقرباً من الأسرة الحاكمة في قطر لسنوات، ولديه شركة هندسية هناك. أقام حليمي علاقة بين طيب أغا والاستخبارات الألمانية لأول مرة، وبدعم مِنْهُ زار طيب آغا ألمانيا سراً، وعزز علاقاته مع الحكومة الألمانية.

ساهم المُلَّا عبد السَّلَام ضعيف في إنشاء قناة تواصل بين CIA وطيب آغا، وبعد مناقشات عدة وافقوا على فتح مكتب لِطَالِبَان في الخارج دون تحديد مكان لِذَلِكَ. عام 2011، سأل المُلَّا ديلاوار أحد أصدقائي عن معلومات حول الهجرة غير الشرعية إلى ألمانيا، وبدا أنهم أرادوا في البداية العيش في ألمانيا. في وقت لاحق، وبسبب اتفاق بين CIA وألمانيا وقطر، تقرر فتح مكتب للحركة في قطر فيما لَمْ يكن المُلَّا عُمَر وأعضاء مجلس الشُّورَى على دراية بِهَذِهِ العملية برمتها.

عام 2010، أرسل طيب آغا رسالة إلى المُلَّا عُمَر، وطلب فِيْهَا اصطحاب بعض أصدقائه من طَالِبَان إلى قطر لإتمام عملية تبادل سجناء من غوانتنامو بدعم من الألمان. لطالما تعامل المُلَّا عُمَر مع ملف الأسرى بِكُلِّ جدٍّ وحذر، فردَّ على طيب آغا قائلاً: (إن كَانَت هناك إمكانية لتحرير جميع أسرى طَالِبَان المحتجزين في كوبا، فأنا أسمح لك بِهَذَا). لكنه لَمْ يقل أي شيء مطلقاً عن افتتاح مكتب في قطر أو مفاوضات السَّلَام كما أن أحداً لَمْ يطلب موافقته على إجراء محادثات للسلام.

(بعد نشر كتابي هَذَا باللغة البشتونية تحدثت مع طيب آغا بالتفصيل عن هَذَا الأمر فأنكر ذَلِكَ، وقَالَ: لقد أطلعنا المُلَّا عُمَر على آخر المستجدات بخصوص عملية السَّلَام. لكن عندما طلبت مِنْهُ الأدلة والوثائق الَّتِي تثبت ذَلِكَ، لَمْ ينجح في تقديم أي إثبات صحيح، ولذا لا يمكن أخذ ادعاءاته بعين الاعتبار. لقد أقر بِكُلِّ ما ذكرته عَنْهُ في هَذَا الكتاب عدا ما يتعلق بافتتاح مكتب قطر، كاستقدام من يختاره هو، وعدم قبوله تصويت الشُّورَى، وتجاهل تعليمات المُلَّا أختر منصور ونصائحه، وجميع الأجزاء الَّتِي ذكرتها عن مكتب قطر)[1]. في نهاية عام 2012، اختار رئيس اللجنة السياسية طيب آغا بعضاً من أصدقائه في طَالِبَان، وأخذهم إلى قطر دون أن يُعلم بِذَلِكَ المُلَّا أختر مُحَمَّد ومجلس الشُّورَى متذرعاً بأنه حصل على إذن مباشر من المُلَّا عُمَر. ومن ناحية أخرى اختار المُلَّا عبد السَّلَام ضعيف أيضاً بعض الأشخاص لمكتب قطر.

في مطلع عام 2013، اشتد المرض على المُلَّا عُمَر، وقام المُلَّا أختر منصور بمعظم المهام الَّتِي دعمت عمل طيب آغا، كما لَمْ يقبل طيب آغا أي تدخل في عمله، فقد اعتقد أن رسائله لا زالت تصل إلى المُلَّا عُمَر مباشرة إذ لَمْ يخبره الرسول بمرضه حينها.

توفي المُلَّا عُمَر في 24 أبريل 2013، وافتتح مكتب قطر بعد نحو شهرين من ذَلِكَ. ووافق مجلس الشُّورَى على افتتاحه لكن ضغط المسؤولين الحكوميين الأَفْغَان وتدخلهم أدَّى إلى إغلاقه لَاحِقاً.

استغل رسول المُلَّا عُمَر والأشخاص المقربون مِنْهُ طبيعة المُلَّا منصور الهادئة وعدم علم طيب آغا بوفاة المُلَّا عُمَر، فأرسلوا أصدقاءهم المقربين وأقاربهم وشركاءهم التجاريين كأعضاء في الوفد إلى قطر بينما قَالَ طيب آغا للمسؤولين الآخرين إنهم موجودون هنا بإذن من المُلَّا عُمَر.

استقال طيب آغا حينها من مجلس الشُّورَى، وتعاطى مع سائر الأمور باعتباره على اتصال مباشر بالمُلَّا عُمَر، ووضع المعوقات أمام أي اسم يقترحه المُلَّا أختر منصور أو مجلس الشُّورَى. أرسل منصور تعليمات بشأن القضايا السياسية الرئيسية ولَمْ يتدخل في الشؤون

1 – هَذَا المقطع موجود في النسخة الإنجليزية فقط.

المالية أو الأنشطة الإدارية والدبلوماسية العامة، ومن ثُمَّ شغل هَذَا المنصب أشخاص آخرون من الَّذِينَ اختيروا عن طريق الشُّورَى.

أما القضية الأخرى فهي عدم سيطرة القِيَادَة والشُّورَى على هَذَا المكتب، فَلَمْ تتبناه القِيَادَة بِشَكلٍ كامل، وبالتالي لَمْ يستطيعوا تنسيق جهدهم السياسي مع الواقع العَسْكَرِيّ في الميدان، فشكل انعدام الثقة المتبادل بين القِيَادَة ومكتب قطر مشكلة رئيسية، وألقي اللوم عليهم في أحداث عدة. وقد قيل مثلاً أن جان آغا أحمدزاي لديه عشرات المركبات الثقيلة ويقدم الدعم اللوجستي لقواعد الناتو من باكستان إلى أَفَغَانِسْتَان مقابل المَال في الوقت الَّذِي تحرق فِيْهِ طَالِبَان قوافل الناتو وتلحق بهَا خسائر فادحة.

وعُرف عن شهاب الدين أنه في لقاءات باريس كَوَّنَ صداقة مع معصوم ستانيكزاي[1]، ولهذا حصل ولداه على منح دراسية حكومية، كما ربطته علاقات ودية مع مسؤولي الاستخبارات الأَفَغَانِيَّة والبَاكِسْتَانِيَّة. وبعد أن بويع المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور أميراً لِطَالِبَان، تأسست لجنة تحقيق في الشؤون المالية برئاسة مَوْلَوِي عبد الكبير، وأرسل المُلَّا مُحَمَّد يونس إلى قطر للتدقيق المالي وعاد مستاء من الفساد المالي هناك. كما تحدث عن التعاملات التجارية ومشاريع أعضاء المكتب في دبي وأملاكهم.

أثارت العلاقة السرية بين قطر ومسؤولي طَالِبَان المقيمين في كابول قلق قيادة الحَرَكَة، فقد أطلقت الحكومة الأَفَغَانِيَّة عملية السَّلَام بدعم من وكالات الاستخبارات الأجنبية. وعُين معصوم ستانيكزاي رئيس الاستخبارات الأَفَغَانِيَّة رئيساً للجنة التفاوضية الحكومية ما جعل قيادة طَالِبَان أكثر ريبة. وقد قَالَ مسؤول سابق في طَالِبَان لمسؤول سابق في جهاز استخبارات الحَرَكَة في كابول: سمعت ستانيكزاي يقول لأحدهم "أرسله إلى قطر حَتَّى نتمكن من إرسال الأَمْوَال المخصصة معه أيضاً".

أثارت أفعال طيب آغا وعبد السَّلَام ضعيف غضب المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور لأنهما بوصفهما ممثلين عن حركة طَالِبَان تلقيا أموالاً من بعض الدول الأجنبية وأسسا مشاريعهما

1- رئيس المخابرات الأَفَغَانِيَّة السابق، استقال عام 2019، وعُين رئيساً للجنة التفاوض الحكومية الأَفَغَانِيَّة.

الاستشمارية الخاصة في كابول. ومن ثُمَّ نشبت الخلافات بين أعضاء المكتب في قطر. واتهم بعضهم طيب آغا بإخفاء علاقاته السرية مع الاستخبارات الأمريكية عنهم، وقالوا لقد عقد طيب آغا اجتماعات مع ممثلين أمريكيين في غرفة مغلقة بمفرده دون حضورنا.

علم طيب آغا بوفاة المُلَّا عُمَر قبل ستة أشهر من إعلان الحَرَكَة عن ذَلِكَ. وخاف من المساءلة القضائية كونه قام لمدة عامين بعدة خطوات ونشاطات باسم المُلَّا عُمَر كما خشي من أن يخسر ثقة الأطراف الدولية، وكان على استعداد لإعلان انشقاقه معتمداً على أولئك الَّذِينَ وعدوه بدعمه في المستقبل.

منذ عام 2014، أصيب المُلَّا أختر منصور بخيبة أمل من ممثلي الحَرَكَة في قطر إثر إقامتهم علاقات هامة وسرية مع جهات دولية عدة. وأكد أنهم لا يستطيعون إخفاء علاقاتهم مع CIA، ولا يمكنهم تأدية دور أساسي وطويل الأمد في هَذِهِ العلاقات، ويعني بِذَلِكَ العلاقات مع الدول المعادية للولايات المتحدة. فبادر لإنشاء علاقات وقنوات اتصال سرية ودائمة مع جهات دولية أخرى، ونجح إلى حد ما في ذَلِكَ لكن هَذِهِ القنوات أُغلقت من طرف مكتب قطر بعد استشهاده.

(بعد وفاة المُلَّا منصور تراجع دور مكتب قطر، وسرب من كان على اتصال مع طيب آغا معلومات عن المكتب، وقدموها إلى بعض وسائل الإعلام، فيما بقي طيب آغا على اتصال بأعضاء المكتب الرئيسيين في قطر. لَمْ يستطع أعضاء المكتب توسيع أنشطتهم أكثر، ومع مرور الوقت خسروا ثقة القِيَادَة، فبات تمثيلهم الآن رمزياً وقريباً من التلاشي، فقيادة طَالِبَان لا تثق بهم ولن تبقيهم في موقع المسؤولية. ويقتصر نشاطهم الآن على بعض الاجتماعات والقليل من الدعاية المشوشة. وإذا ما طرأت أي تغييرات في هَذَا المكتب، فسيكون ذَلِكَ واضحاً في المستقبل.

واجه مكتب قطر العَدِيْد من المشاكل عندما نشرت الطبعة الأولى من كتابي هَذَا (باللغة البشتونية) عام 2017، خاصة بعدما فقدوا ثقة القِيَادَة العليا والقادة العسكريين. وانضم بعضهم إلى السيد طيب آغا بعد استقالته من رئاسة المكتب. وعاد التفاؤل للقيادة بعدما انضم عدد من السجناء المحررين من غوانتانامو إلى المكتب بعد حصولهم على جوازات سفر،

فشاركوا في الأعمال الإدارية في قطر. أدى ذَلِكَ إلى عودة الثقة بين القِيَادَة والعمل السياسي في الخارج، فقد سبق أن شغل هَؤُلَاءِ الأسرى المحررون مناصب رئيسية خلال فترة حكم طَالِبَان خلال التسعينيات. كان اثنان منهم قائدين عسكريين من قبل، ويحظيان بولاء آلاف المقاتلين في الداخل. شغل المُلَّا خير الله خيرخوا منصب وزير الداخلية ووالي هرات، كما كان رئيس المنطقة الجغرافية الَّتِي تشمل هرات ونيمروز وبادغيس فيما كان المُلَّا مُحَمَّد فضل قائداً عسكرياً معروفاً وقائداً للجيش. وكان المُلَّا نور الله نوري والي بلخ ورئيس منطقة تتكون من عدة ولايات شمالية أما عبد الحق واثق فكان نائباً لوزير الاستخبارات.

تمتع سجناء غوانتنامو المفرج عنهم بميزتين؛ إذ يعرفهم الجميع في صفوف طَالِبَان ويحظون بولاء كبير، وقد عانوا الكثير في السجن لدى الأمريكيين فقدموا تضحيات جسيمة مِمَّا عزز من احترامهم ومكانتهم بين مقاتلي الحَرَكَة. كما لَمْ يكونوا موضع شك، بخلاف مَوْلَوِي شهاب الدين ديلاوار والعَدِيْد من الأعضاء الآخرين الَّذِينَ كانوا موضع ريبة بسبب اتصالاتهم السرية وتقاربهم مع الحكومة في كابول.

تعزز دور المكتب أكثر عندما عُين المُلَّا برادر رئيساً لَهُ. أُفرج عن المُلَّا برادر من السجون البَاكِسْتَانِيَّة في أكتوبر 2017 بناءً على طلب المبعوث الأمريكي زلماي خليل زاد. وأحد أسباب إطلاق سراحه هو مساعدة الولايات المتحدة في إتمام عملية السَّلَام. وقد أضافت شخصيته وانضمامه لعملية السَّلَام عاملاً إيجابياً دفع بِهَا نحو الأمام. كما أعطى هَذَا مصداقية للعملية، واكتسب المكتب المزيد من الصلاحيات فقد كان المُلَّا برادر نائباً لِلْمُلَّا مُحَمَّد عُمَر ما أكسبه تأثيراً واسعاً داخل صفوف الحَرَكَة.

بدأت طَالِبَان بإعطاء أهمية للمكتب السياسي بعد ذهاب المُلَّا برادر إلى قطر، فتحول إلى مركز ثقة بعد انخراط العَدِيْد من أعضاء مجلس القِيَادَة فِيْهِ. ولكن حَتَّى ذَلِكَ الحين لَمْ تحظ بعض سياسات المكتب برضى الشخصيات السياسية والدِّيْنِيَّة داخل الحَرَكَة. رفضت القِيَادَة العَدِيْد من قراراته، ولذا يراعي المكتب الآن حساسية قادة الحَرَكَة الدينيين والعسكريين. فقد فضل العَدِيْد من أعضائه تمديد وقف إطلاق النار مع الولايات المتحدة لكن القادة العسكريين والقِيَادَة بِشَكلٍ عام لَمْ يقبلوا بِهَذَا الاقتراح.

ويُعتقد أن مكتب قطر والقِيَادَة سينتظرون ظروفًا أنسب وابتكار تكتيكات جديدة فيما لو تحول وقف إطلاق النار المؤقت إلى دائم. فقد استند وقف إطلاق النار الهش قبل الاتفاق مع الولايات المتحدة على هَذَا الأمر، لِذَلِكَ تم التأكيد للقادة العسكريين على أنه سيُطلق سراح السجناء فور إبرام الاتفاق. وهَؤُلَاءِ السجناء هم من المقاتلين والقادة العسكريين المنتظر بفارغ الصبر إطلاق سراحهم. وستكون هناك إمكانية لوقف دائم لإطلاق النار إذا ما وفت الولايات المتحدة بالتزاماتها وأفسحت المجال لحوار أفغاني داخلي)[1].

عقبات خطيرة أمام السَّلَام الحقيقي والتفاهم

منذ أن بدأ الحديث عن السَّلَام، بدا أن المشكلة الرئيسية تكمن في تعريف السَّلَام وفهمه. تستخدم الولايات المتحدة وحلفاؤها الأَفْغَان كلمات السَّلَام والتفاوض بِشَكلٍ براغماتي للغاية بينما تنطلق طَالِبَان من ثوابت دينية بحتة، فهم ينظرون أولاً إلى حكم أي اتفاقية في الشرع، فإن كَانَت اتفاقية السَّلَام هَذِهِ مباحة يتجهون نحو المُفَاوَضَات. وفي هَذَا السياق، إلى جانب الخلفية الإيمانية والعقدية، يشكل وجود الغزاة دافعًا أساسيًا نحو المقاومة. لذا فإن كُلّ عملية سلام لا تنهي الغزو أو تضع انسحاب الغزاة ضمن برنامجها فلن تحقق أي نتيجة.

(إن كلمة السَّلَام في العملية الحالية تُستخدم تكتيكًا فحسب. ومن الواضح أن شعارات السَّلَام الحالية الَّتِي تُرفع في كابول وقطر ما هي إلا مضيعة للوقت وهدر للأموال الَّتِي تُنفق عَلَيْهَا، فنتائجها الإيجابية ليست واضحة، ولا يمكنها أن تمهد الطريق لعملية عقلانية. إن المنخرطين في هَذِهِ العملية لا يرددون هَذِهِ الشعارات إلا لاستمرار مشاركتهم وللحصول على وظيفة. فهم لا يعرفون حقيقة السَّلَام الفعلي، ولا يملكون أي خطة عقلانية وعملية لتحقيقه.

(إن مسؤولي حركة طَالِبَان السابقين من الساخطين الجالسين في كابول، يملؤون فراغهم بهذين الشعارين المزيفين: شعار السَّلَام، وشعار معارضة باكستان. وهي حقيقة مجرد

1 – هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية فقط.

شعارات يستخدمونها للحصول على دور في الحكومة والعيش في كابول. فقد انعتقوا من الولاء لحركتهم، ولَمْ يلتزموا بمبادئها، بل اعتمدوا هَذَا المسار لتحقيق مصالحهم الشخصية[1].

إن لجنة السَّلَام في كابول لا زالت منخرطة في أنشطة استخباراتية، وتروج لدعاية مضادة لخصومها الَّذِينَ يمثلون في الواقع قوة عسكرية وسياسية فاعلة. ومنذ أن تأسست هَذِهِ اللجنة بقيادة مجددي استخدمت شعار السَّلَام للتأثير في الجمهور والعالم، ولتحفيز طَالِبَان عملياً على الاستسلام، وفي هَذَا الإطار أعلنوا استسلام مسلحين مزعومين.

ومثالاً على هَذَا، طلب أقارب أحد أعضاء هَذِهِ اللجنة أن يجد لَهُ وظيفة في الحكومة، فقيل لَهُ إذا اشتريت بعض الأسلحة القديمة، فبإمكاننا تصوير مقاطع فيديو لك ولرفاقك ونعلن أنكم من طَالِبَان وقد استسلمتم. سنمنحكم المَال وهنا تنتهي حملتنا الدعائية. فهَذَا المثال يدل على افتعال مئات الإعلانات والأنشطة المزيفة الأخرى مِمَّا يجعل من عملية وخطة السَّلَام أمراً مشكوكاً فِيْهِ.

لا شك أن المقاومة المستمرة ليس لديها من الموارد والمعدات مثلما كان لدى المجاهدين في حقب الجِهَاد السابقة، فالواقع الآن ممتلئ بالمشاكل والمصاعب. لكن طَالِبَان لا تعتمد على الموارد والمعدات بل على المعتقدات والأيديولوجية، وبالتالي لا يمكن تصور أن من يسلك هَذَا الطريق بدافع عقائدي ليجاهد في سبيل الله يمكنه التخلي عَنْهُ والاستسلام مقابل المَال أو غير ذَلِكَ. أما إذا دار الحوار مع طَالِبَان حول القضايا الأساسية، فمن الممكن أن يفضي إلى سلام حقيقي. وهَذِهِ القضايا تتعلق بِشَكلٍ النظام والحكم والوصاية الأجنبية والاحتلال والانسحاب التدريجي للقوات وصولاً إلى الانسحاب الكامل.

إن الخطوة الأولى قبل بحث عملية السَّلَام تكمن في التفاهم المتبادل والالتقاء عند نقاط مشتركة، وهو أمر ضروري لكلا الطرفين حَتَّى دون سلام، مثل تبادل الأسرى، إذ لا يمكن إتمامه دون تفاهم متبادل. اتفقت طَالِبَان مع الولايات المتحدة على إنشاء مكتب في قطر

1- هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية فقط، ويظهر مِنْهَا نفس عدائي من المؤلف تجاه مكتب قطر الَّذِي قاد لَاحِقًا التفاوض مع أميركا وصولاً لعقدها اتفاقية سلام عام 2020 انسحبت على إثرها من أَفَغَانِسْتَان، أي حدث عكس ما توقعه المُلَّا مطمئن.

بـالرغم مـن أن هَـذَا المكتـب لَـمْ يكـن نشـطـاً بِشَـكلٍ كامـل إلا أن ممثلـي الحَرَكَـة تمكنـوا مـن عقـد صـفقات تبـادل مـع الأمـريكيين خـرج بموجبهـا سـجناء مهمـون لنـا، ولا تـزال هَـذِهِ العملية مسـتمرة. فإزالـة العقبـات واجـب علـى مكتـب قطـر، وقـادة طَالِبَـان لَـمْ يفتتحـوه بنيـة الجنـوح للسـلام. إن إيجـاد تفـاهم متبـادل ومطلـق هـو واجـب هَـذَا المكتـب، أمـا محادثـات السَّـلَام فـأمر اختيـاري ولـيس أساسـياً. وفي الواقـع كـان المُـلَّا أخـتر مُحَمَّـد منصـور مسـتعداً للسـلام الحقيقـي الممكـن. أمـا السَّـلَام الَّـذِي يحـدده الأمريكيـون وعملاؤهـم في كـابول فغيـر ممكـن، ولـن يوافـق عَلَيْـهِ أي زعـيم من زعماء طَالِبَان حَتَّى الرمق الأخير.

المنطقة الحدودية الأَفْغَانِيَّة وداعش

لـن أنـاقش هنـا مسـألة تأسـيس داعـش أو الدولـة الإِسْـلَامِيَّة وتوسـعها في العـراق وسـوريا. لكننـا مـع بدايـة ظهورهـا في العـراق سـمعنا هنـا قصصـاً عـن اضـطهاد أهـل السـنة في العـراق، وأبـدت حركـة طَالِبَان ارتياحها لِهَذِهِ الظاهرة واعتبرتها ردَّ فعل إيجابي ضِدّ السياسات الغربية في المنطقة.

لكـن وجـودهم في العـراق وسـوريا تحـول فيمـا بعـد لضـربة كبيـرة لوجـود تنظـيم القاعـدة في تِلْـكَ الـبلاد، وكشـفت الأحـداث عـن سـلوكهم الوحشـي تجـاه القاعـدة والنـاس عمومـاً. وسـببت تصـرفاتهم إحباطًـا لـدى الكثيـرين هنـا، فبعـد إعـلان الخلافـة أرادوا فرضـها علـى الجميـع بـالقوة، مـا اعتُبر في البداية جنوناً ثُمَّ تحول لَاحِقَاً في عيوننا لمؤامرة.

سـيطرت داعـش علـى بعـض المـدن العراقيـة، ولَـمْ تكـن العاصـمة بغـداد تحـت سـيطرتهم لكـنهم اعتـبروا أن طاعـة تنظـيمهم واجبـة علـى المسـلمين الَّـذِينَ يعيشـون علـى بعـد آلاف الأميـال مـن منـاطق حكمهـم. وفي الحقيقـة لَـمْ يكـن ثمـة وجـود لـداعش في أَفْغَانِسْـتَان لكـن الـدوائر الحكومية ووسائل الإعلام الغربية روجت لَهَا أكثر من خلال التقارير الإعلامية.

اعتـبرت طَالِبَـان خـروج هَـذِهِ المجموعـة في الحـدود الشـرقية أمـراً بـالغ الحساسـية فَلَـمْ تبـادر إلـى أي فعـل خشـية أن يكـبر شـأنهم. لكـن الحَرَكَـة شـعرت تـدريجياً بالحاجـة للتفـاوض مـع قيـادتهم في العـراق، وشـرح حساسـية الموقـف الحـالي لهـم. فأرسـل المُـلَّا أخـتر مُحَمَّـد منصـور رسـالة ملؤهـا الاحـترام والتعـاطف إلـى البغـدادي أميـر التنظـيم. وأشـار في رسـالته إلـى الوضـع الـراهن في

أَفَغَانِسْتَان، والتضحيات المشتركة الَّتِي بذلها المجاهدون العرب والأَفَغَان معًا، ومؤامرات العدو على هَذَا البلد. وأخبر البغدادي أننا في حرب مع الغزاة منذ ثلاثة عشر عامـًا، وأن الظروف صعبة للغاية، والعدو ينتظر الانقسامات الداخلية. وذكر لَهُ أن الإمارة الإِسْلَامِيَّة قائمة فعلاً في البلاد ولا حاجة لإعلان فرع للتنظيم هنا. لكن العدناني المتحدث باسم التنظيم رد بِشَكلٍ سلبي واستخدم لغة مسيئة للغاية بحق المُلَّا مُحَمَّد عُمَر (قبل إعلان وفاته). بعد ذَلِكَ قررت قيادة طَالِبَان بعد مشورة العُلَمَاء أن ما يحصل خدعة ومؤامرة مدبرة لإفشال مقاومة طَالِبَان المستمرة منذ ثلاثة عشر عامًا. لذا بدأت الحَرَكَة نشاطها العَسْكَرِيّ ضِدّ داعش.

في ذَلِكَ الوقت انقسمت حركة طَالِبَان البَاكِسْتَانِيَّة في المناطق الحدودية إلى فصائل وانخرطت في صراعات دامية. فأعلن المنشقون عن طَالِبَان البَاكِسْتَانِيَّة لمطامع مادية ولاءهم لداعش، ونجحوا بلفت اهتمام الإعلام. ومن مقره في باجور أعلن مَوْلَوِي "مسلم دوست" ولاءه لداعش ومهد الطريق للتنظيم في ننجرهار. بعد ذَلِكَ أعلنوا بيعتهم للبغدادي على الإنترنت، وعُين حافظ سعيد خان أوركزي أميراً لولاية خراسان.

سعيد خان شخص سيئ السمعة اشتهر على خلفية عمليات الخطف وغيرها من الأنشطة الَّتِي نفذها، والَّتِي أشبه ما تكون بأعمال المافيا. كما أنه يقلد الفقه البنجبيري الحنفي الجامد في المسائل الشرعية، أما صديقه الآخر شاهد الله شاهد، فهو المتحدث السابق باسم طَالِبَان البَاكِسْتَانِيَّة، ويتبع فكريـًا مدرسة أهل الحديث الَّتِي لا يلتزم أعضاؤها باتباع اجتهاد معين.

في المقابل، وجد بعض الأفراد العسكريين في طَالِبَان فرصة في الانضمام لتنظيم جديد يحميهم من المساءلة أمام طَالِبَان لتورطهم بأنشطة ممنوعة أو لكونهم أساسـًا معاقبين من قبل الحَرَكَة فانضموا إلى داعش. بعض هَؤُلَاءِ من المنطقة الشرقية، وآخرون من لوجار وزابل وولايات الشَّمَال، لكن نشاط التنظيم تراجع فيما بعد، فتركه معظم هَؤُلَاءِ.

عُقد الاجتماع الأول لسعيد خان أوركزي وأنصاره الأَفَغَان في منطقة سبين غار في ننجرهار. وأسسوا قاعدتهم الأولى هناك في منطقة مامندري. وفي هَذِهِ المنطقة تحديداً بدأ القِتَال معهم إثر انتهاء المهلة الَّتِي أعطتهم إياها طَالِبَان لمغادرة المنطقة.

وفي وقـت لاحـق، بـرز نشـاطهم في منـاطق دهبـالا، وآجـين، وكـوت، وجبرهـار. وأول مـن انحـاز إلـيهم مـن الأَفْغَـان هـم مَوْلَـوِي مسـلم دوسـت ومَوْلَـوِي عزيـز ودكتـور سـباجول ومَوْلَـوِي إسـماعيل ومَوْلَـوِي إسـلام الـدين. وعلـى الجانـب الآخـر مـن الحـدود انضـم إلـيهم سـعيد خـان وشـاهد الله شـاهد وأبـو بكـر مـن بـاجور. وفي وقـت لاحـق نشـط التنظـيم في مقاطعـات أخـرى مـن ننجرهـار في ظـل تغاضـي الحكومـة عـنهم ثُـمَّ جـاءت قـوة مـن طَالِبَـان وحاصـرتهم في منطقـة صـغيرة بدعم من السكان المحليين.

في البدايـة أمـرت القِيَـادَة بـإطلاق سـراحهم إذا تـابوا بعـد القـبض علـيهم، وتغليـب إطـلاق النـار في الهـواء خـلال المعـارك لـدفعهم لمغـادرة المنطقـة. لكـن موقفهـا تجـاههم تغيـر فيمـا بعـد وبـات أشـد صـلابة، وذَلِـكَ بسـبب إصـرارهم علـى أفعـالهم. فعنـدما تطـردهم طَالِبَـان مـن منطقـة تقـوم الحكومـة الأَفْغَانِيَّـة بقصـف قـوات طَالِبَـان. وذات مـرة هـاجمتهم الحَرَكَـة ونشـب اشـتباك بـين الطـرفين، فقصـفت المروحيـات الأمريكيـة كليهمـا وتوقفـت المعركـة. لقـد واجهـت طَالِبَـان وضـعًا معقـدًا للغايـة، فالسـماء مليئـة بالطـائرات الأمريكيـة والأرض تعـج بالاسـتخبارات الأَفْغَانِيَّـة والجَـيْش، ومجموعـات داعـش تنتشـر في القـرى والجبـال. فكَانَـت مـواجهتهم جميعًـا في وقـت واحـد اختبـاراً جديـداً للحركـة. ورغـم إعلانهـا العفـو عـن كُـلّ مـن يستسـلم إلا أن قـادة التنظـيم لَـمْ يستسـلموا حَتَّـى بعـد هـزيمتهم، فانضـم بعضـهم إلـى عمـلاء الحكومـة وآخـرون سـلموا أنفسـهم للاسـتخبارات الأَفْغَانِيَّـة، وعـولج معظـم مصـابيهم في مشـافي ننجرهـار العامـة بمـن فـيهم القائـد المهم عُمَر عبد الخالق.

في ذَلِـكَ الوقـت أعلـن القائـد المنشـق عـن طَالِبَـان سـعد الإمـاراتي بيعتـه لـداعش. كمـا بايعهـا بعـض الأوزبـك بقيـادة منصـور داد الله في زابـل، وأعلنـوا الحـرب علـى طَالِبَـان. لكـن اختطـافهم لنسـاء الهـزارة علـى الطريـق السـريع بـين كـابول وقنـدهار واقتيـادهن إلـى منطقـة أرغنـداب في زابـل تسـبب بفتنـة عرقيـة كبيـرة. وواجـه البشـتون في المنـاطق المحاذيـة للهـزارة مشـاكل خطيـرة. فاضـطرت حركـة طَالِبَـان إلـى وضـع حـد لِهَـذِهِ التجـاوزات، وبعـد معركـة مـع داعـش أُطلـق سـراح بعـض النسـاء لكـن بعضـهن قُـتلن قبـل ذَلِـكَ. واسـتمرت هَـذِهِ المواجهـات حَتَّـى مقتـل منصـور داد الله واستسلام بعض أنصاره من الأوزبك الَّذِينَ أودعوا السجن بينما قُتل الآخرون.

حاليـًا لا تنظر طَالِبَـان لمـن تـرك داعـش علـى أنـه عـدو رغـم الخسـائر الَّتِـي تسـببوا بِهَـا. وقـد انشـق مَوْلَـوِي مسـلم دوسـت عـن داعـش رغـم أنـه كـان أول خطيـب للتنظيـم ومفـتٍ لَـهُ في أَفَغَانِسْـتَان، لكـن قتـل أبنـاء أخيـه علـى أيـديهم دفعـه للانشـقاق عـنهم، واتهمهـم بـالتخطيط لقتلـه. وكان مِمَّا قاله أيضًا:

منـذ حـوالي عـامين أعلنـت انفصـالي عـن داعـش بعـد سـجنهم بعـض أبنـاء منطقتـي كـوت وشـينوار في ننجرهـار. حاولـت السـعي في إطـلاق سـراحهم لكـنهم رفضـوا وهـددوا بقتلـي. لقـد أعـدموهم بوحشـية، وقتلـوا بعـدها أبنـاء إخـوتي. أحـدهما طـارق الَّـذِي قُتـل في منطقـة أسـرة خـالص في جـلال آبـاد، والآخـر هـو إسـماعيل الَّـذِي ذهـب بـدوره إلـى سـوريا فقتلـوه هنـاك لأنـه ذهـب دون إذن سعيد خان.

في البدايـة، بـدأت حركـة طَالِبَـان تواجـه داعـش بحـذر شـديد، لكننـا الآن نلاحـظ بعـض الخلـل في إسـتراتيجية مـواجهتهم، كـالتعريف الخـاطئ للتنظـيم. فطالبـان حركـة دينيـة، وكونهـا تمثـل مدرسـة دينيـة معينـة لا يخولهـا هَـذَا فـرض تعريفهـا الخـاص للقضـايا الثانويـة علـى النـاس. فـبعض أفـراد الحَرَكَـة بـات يـتهم الَّـذِينَ يعارضـون البـدع في الـدين أو يعلمـون مفـاهيم التوحيـد ونبـذ الشـرك بـالولاء لـداعش، وهَـذَا أمـر غيـر مـبرر أبـداً بـل يـنعكس سـلبًا علـى الجهـد العَسْكَرِيّ للحركـة في الميدان. كما أن سياسة قيادة الحَرَكَة تتعارض كليًا مع هَذِهِ الممارسات.

في المقابـل جـاء ظهـور داعـش في صـالح الولايـات المتحـدة وحلفائهـا، فنشـاطها في العـراق فكـك البنيـة المتماسـكة لتنظـيم القاعـدة هنـاك، ونشـاطها في أَفَغَانِسْـتَان يعمـل علـى تشـتيت المقاومـة الأَفَغَانِيَّـة المتواصـلة منـذ ثلاثـة عشـر عامـًا. ولـذا اسـتطاع مشـروعهم التوسـع بِشَـكلٍ سـريع، وتـداول أنصـار حكومـة كـابول الـتهم المهينـة الَّتِـي أطلقهـا إعلامهـم بحـق المُـلَّا عُمَـر علـى نطـاق واسع.

كمـا لـوحظ الـدعم الغـامض والمسـتمر لـداعش مـن قبـل بعـض أنصـار حكمتيـار. ومـن هَـؤُلَاءِ الحـاج "حيـاة" القائـد السـابق للحـزب الإِسْـلَامِيّ بمنطقـة أزري في لوجـار، والَّـذِي جنـد الشـباب لصـالح داعـش في معسـكر شمشـتو التـابع حكمتيـار في بيشـاور، وأرسـلهم إلـى أَفَغَانِسْـتَان للقتـال ضِدّ طَالِبَان.

كما وردت أنباء تفيد أن وفداً من الحِزْب يضم القادة السابقين الحاج حياة وشرفات ورئيس استخبارات الحِزْب السابق الحاج مالك التقوا برئيس الاستخبارات الأَفغَانِيَّة معصوم ستانيكزاي الَّذِي شجع الحاج مالك على استئناف نشاطاته السابقة مشيراً إلى عمليات الاغتيال الَّتِي كَانَت تحصل في بيشاور.

وأعقب ذَلِكَ مقتل العشرات من أنصار طَالِبَان في أجزاء من مخيم شمشتو في بيشاور، ومناطق أخرى من المدينة خلال ساعات النهار. لكن لَمْ يتضح لدينا ما إذا كان هَؤُلَاءِ القادة يتصرفون بناء على تعليمات حكمتيار المباشرة أم أن جهات أخرى أوعزت لهم بِذَلِكَ. وقد نشرت صحيفة "شهادت" أي الشهادة التابعة للحزب الإِسْلَامِيّ خلال المواجهة الأولى بين داعش وطَالِبَان مقالاً جاء فِيْهِ (لو كَانَت هَذِهِ حرباً بين الحكومة وطَالِبَان كنا سندعم طَالِبَان، لكن ما دامت الحرب بين طَالِبَان وداعش، فسندعم داعش).

بعد مطالبات السكان المحليين واحتجاجات المسؤولين الحكوميين وسعياً لإرضاء دول المنطقة، أعلنت الحكومة الأَفغَانِيَّة ومن ورائها الأمريكيون شن عمليات تستهدف مجموعات داعش، فحصلت بعض المواجهات بينهم. لكن الأمر المثبت حَتَّى الآن هو دعم الاستخبارات الأَفغَانِيَّة والدول الإقليمية وبعض الدول الغربية لداعش في مواجهة طَالِبَان. ولدى الحَرَكَة وثائق وأدلة كثيرة تثبت هَذَا، لكنها لا تريد الآن نشرها للعلن. ففي بعض الأحيان تحصل مجموعاتهم على الأسلحة والمَال بِشَكلٍ مفاجئ ثُمَّ يتشجعون للتقدم نحو الشَّمَال، وهو ما يثير المزيد من الشك في أن هناك جهوداً جارية لاستخدامهم ضِدّ الصين ودول الاتحاد السوفيتي السابق.

في أبريل 2017، قبل "مؤتمر موسكو" المنعقد لبحث القضية الأَفغَانِيَّة أعلنت الولايات المتحدة استخدام قنبلة ضخمة في منطقة أجين في ننجرهار ضِدّ داعش، والَّتِي اعتبرها العَدِيْد من المحللين مجرد رسالة دعائية. فخلال السنوات الست عشرة من بدء الغزو لَمْ تكن الولايات المتحدة تفصح عن تفاصيل استخدام قنابلها وأسلحتها، فلا أحد يسألها عن القنابل الَّتِي تستخدمها يومياً، فما الحاجة الآن للكشف عن نوع القنبلة المستخدمة؟ كما أن حجم هَذِهِ القنبلة وتأثيرها غير واضح حَتَّى الآن.

تشعر قيادة طَالِبَان بقلق أكبر بشأن التحديات الإقليمية فضلاً عن الصراعات الداخلية الَّتِي تخوضها. فهي تسعى لاستثمار نجاحاتها العَسْكَرِيَّة لتحقيق مكاسب ملموسة في نهاية المطاف. كما تخشى من دخول البلاد في مواجهات جديدة تضعها في موقف حرج مجدداً.

الأرض المحكومة بالفوضى[1]

لأكثر من قرن حكّمت القبائل الحدودية بين أَفَغَانِسْتَان وباكستان الأعراف والتقاليد القبلية لحل نزاعاتها وقضاياها. ولكن بعد ظهور دولة باكستان استدعت الصراعات الَّتِي عاشتها هَـٰذِهِ القبائل فيما بينها تدخل ممثل الحكومة البَاكِسْتَانِيَّة أو الوكلاء السياسيين المعينين من قبل الحكومة الفيدرالية. ويتخذ هَـٰؤُلَاءِ قرارات وفقًا للقانون البَاكِسْتَانِيّ للمناطق القبلية الخاضعة للإدارة الفيدرالية، والمعروفة باسم لوائح الجرائم الحدودية، وهي مجموعة خاصة من القوانين تنطبق فقط على المناطق القبلية الخاضعة للإدارة الاتحادية، ويعطي هَـٰذَا القانون أهمية كبيرة لزعماء المنطقة وشيوخ القبائل.

لكن عام 2018، وافق البرلمان البَاكِسْتَانِيّ على مشروع قانون يجعل جميع المناطق القبلية جزءاً من إقليم خيبر بختونخوا[2]. وانقسم أبناء القبائل حول هَـٰذَا القرار إلى قسمين، فقلة قليلة أيدته، بينما أراد الآخرون مقاطعة قبلية مستقلة. ولكن إذا قبلت الحكومة بمطالبهم فسيؤدي ذَٰلِكَ إلى إنهاء قانون لوائح الجرائم الحدودية القديم في المناطق القبلية والَّذِي كان ساريًا منذ زمن الاستعمار البريطاني في شبه القارة الهندية وحزام قبائل البشتون.

تتمتع وزيرستان في الحزام القبلي بأهمية كبيرة، وقد حظيت باهتمام العالم بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. وتنقسم إلى منطقة جنوب وزيرستان وعاصمتها "وانا" والأخرى شَمَال وزيرستان وعاصمتها "ميرانشاه". ينتمي معظم سكان وزيرستان إلى قبيلة وزير، والقبيلة الرئيسية الثانية هي محسود في الجَنُوب والمناطق المجاورة، والقبيلة الرئيسية الثالثة هي قبيلة داوار، بالإضافة إلى قبيلة سليمان خيل الَّتِي يتوزع أفرادها بين الجَنُوب والشَّمَال.

1– وردت هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية.

2– أحد أقاليم باكستان الأربعة، وهو يقع في شَمَال غربي البلاد.



وزيرستان الشمالية والجنوبية على الخريطة

خلال الحقبة الاستعمارية البريطانية نشبت حروب بين قبائل البشتون والقُوَات البريطانية، ولذا عُرفت هَذِهِ المناطق باسم ياغستان، أي الأرض الخارجة عن القانون. عاش فِيْهَا المجاهدون الوطنيون، ونظم القادة مقاتليهم هناك، وكان أهلها محاربين أذكياء وأشداء تندلع بينهم أحيانًا نزاعات داخلية لكنهم يحتكمون لنظام المجالس القبلية "الجيرجا" في حلها، كما وثقوا بشدة في علماء الدين وشيوخ الصوفية المشهورين. أما اللحى الطويلة والعمائم والشعر الطويل والصنادل ذات الخطوط والمسدسات على كتف كُلّ رجل فهي جزء من ثقافتهم.

قبل مئة عام، وبعد عودة الملك الأَفَغَانِيّ أمان الله خان، ازداد الصراع بينه وبين علماء الدين. فهاجرت العائلة الشريفة الشهيرة عائلة مجددي إلى وزيرستان لفترة. وظلت المنطقة

مـأوى للمجاهـدين الهنـود خـلال حـروبهم ضِـدّ السـيخ بقيـادة سـيد أحمـد شـهيد[1] وشـاها إسـماعيل شهيد[2].

بعـد اسـتقلال باكسـتان خـاض سـكان هَـذِهِ المنـاطق حروبًـا شرسـة مـن أجـل اسـتقلال كشـمير، واسـتطاعوا تحريـر الجـزء المسـتقل مـن كشـمير الآن. واحتضـنت وزيرسـتان قواعـد مهمـة للمجاهـدين الأَفغَـان أثنـاء الجِهَـاد ضِـدّ الغـزو السـوفيتي كمعسـكرات اللاجئـين ومعسـكرات التدريب والمَدَارِس الدِّيْنِيَّة.

تفتخـر المنطقـة بعلمائهـا المشـهورين مثـل مَوْلَـوِي جـلال الـدين حقـاني أحـد العُلَمَـاء الجهـاديين البـارزين، وقـد أسـس أكـبر قاعـدة في وسـط ميرانشـاه بشـمال وزيرسـتان كمـا افتـتح مدرسـة وجامعـة عسـكرية والعَدِيْـد مـن مراكـز التـدريب هنـاك. أنشـأ حقـاني علاقـات وديـة مـع سـكان المنطقـة وعلمائهـا، وقـاد الجِهَـاد ضِـدّ السـوفييت في ولايـة خوسـت ودخلهـا مـن هنـاك. ومنـذ قيـام نظـام الطَّالِبَـان حَتَّـى بعـد سـقوطه عـام 2001، اسـتغلت أسـرة مَوْلَـوِي حقـاني وأنصـاره نفوذهـا في المنطقة وعززوا مقاومتهم.

بعـد الغـزو الأمريكـي انتقـل العـرب المتمركـزون في أَفغَانِسْـتَان وأسـر المجاهـدين القـادمين مـن جمهوريـات آسـيا الوسـطى إلـى وزيرسـتان الجنوبيـة بمسـاعدة أنصـارهم مـن أبنـاء المنطقـة، وذَلِـكَ تجنبـًا لـويلات الحـرب. ولعـب المُـلَّا نـك مُحَمَّـد الَّـذِي عـاش مقـاتلاً مـع حركـة طَالِبَـان في كـابول وكـان صـديقًا للقائـد الشـهير سـيف الـرحمن منصـور دورًا مهمًـا في نقـل هَـذِهِ الأسـر إلـى جنـوب وزيرسـتان وإقنـاع السـكان المحليـين بتقـديم الـدعم لهـم. ولا أريـد أن أنـاقش وأخـوض في التفاصـيل المتعلقـة بـالنزال الـدائر بـين باكسـتان ووزيرسـتان، لأن ذَلِـكَ يتطلـب كتابـًا منفصـلاً. لكنني أود أن ألخص القضية بما يلي:

1- سـيد أحمـد برافلـي، أو سـيد شـهيد (1786- 1831)، مؤسـس الطريقـة المحمديـة في شـبه القـارة الهنديـة في القـرن الثالـث عشـر الهجـري، قـاد حركـة دينيـة في شـبه القـارة الهنديـة مـن أجـل إعـادة الوحـدة الإِسْـلَامِيَّة، وبـث الـوعي الـديني، وواجـه القُوَات البريطانية وإمبراطورية السيخ.

2- إسـماعيل بـن عبـد الغنـي الـدهلوي (1779- 1831)، عـالم إسـلامي صـوفي قاتـل في صـفوف سـيد أحمـد برافلـي، ولـه مصنفات في أصول الفقه والتوحيد والتصوف.

مع تواتر التقارير عن المقاتلين المهاجرين في وزيرستان أجبرت حكومة مشرف شيوخ القبائل على إيجاد حل للقضية. ودارت النقاشات وعُقدت الاجتماعات ومجالس المشورة القبلية "الجيرغا" سعيًا من الحكومة لطرد هَؤُلَاءِ أو القبض عليهم. ونصحت الدوائر البَاكِسْتَانِيَّة نك مُحَمَّد وأنصاره المحليين بصفتهم مواطنين باكستانيين بالابتعاد عن القضايا الأَفْغَانِيَّة وإنهاء علاقته بِطَالِبَان والقاعدة كي يتجنب المشاكل، لكنه أصر على موقفه لحمايتهم تحت غطاء حماية اللاجئين.

وحسب ملاحظتي تأسست حركة طَالِبَان باكستان في هَذِهِ الظروف، وأعلنت المُلَّا نك مُحَمَّد زعيمًا لَهَا. ووقعت اتفاقية مع الجَيْش البَاكِسْتَانِيّ بعد وساطة شيوخ القبائل وبعض العُلَمَاء. لكن هَذَا الاتفاق لَمْ يصمد لفترة طويلة، فبعد وفاة المُلَّا نك مُحَمَّد تدهورت الأوضاع، ولجأ المقاتلون الأجانب إلى قبيلة محسود، وقام أشخاص بقيادة عبد الله محسود وبيت الله محسود تحت مظلة حركة طَالِبَان البَاكِسْتَانِيَّة بدعمهم.

كان عبد الله محسود (واسمه الحقيقي مُحَمَّد علم) صديقًا لِطَالِبَان الأَفْغَانِيَّة. بعد الغزو الأمريكي اعتقلته القُوَات الأمريكية وسجنته في غوانتانامو. وبعد وفاة المُلَّا نك مُحَمَّد أُطلق سراحه وعاد إلى منطقته. اشتهر محسود بعد سجنه، فقد أحبه الشباب الجِهَادِيّ في منطقته. ومن ناحية أخرى اعتُبر بيت الله محسود تبعًا لعشيرته وعمره مؤهلاً لقيادة حركة طَالِبَان البَاكِسْتَانِيَّة. فأراد عبد الله محسود الابتعاد عن هَذَا الكيان فرجع إلى هلمند وانضم إلى حركة طَالِبَان الأَفْغَانِيَّة في قتالها ضِدّ الأمريكيين. وقبل مغادرته وزيرستان خطف عبد الله مهندسًا صينيًا في محاولة مِنْهُ لإطلاق سراح أصدقائه المعتقلين لدى الجَيْش البَاكِسْتَانِيّ. بعد فترة من ذَلِكَ استشهد في تبادل لإطلاق النار مع الجَيْش البَاكِسْتَانِيّ أثناء عودته سرًا إلى وزيرستان.

سمعت قصة مذهلة عن عبد الله محسود من أحد أعوانه المقربين تقول إنه في صغره كان وسيمًا جداً، وذو شخصية متدينة. فأرادت إحدى بنات عمه الزواج مِنْهُ وكَانَت جميلة جداً لكن ذويهما لَمْ يوافقوا بسبب التنافس المحتدم بين البشتون. وعندما تزوجت الفتاة من شخص آخر انتحرت فأصيب عبد الله بالإحباط، ولَمْ يتمكن من فعل أي شيء ضِدّ والده وعمه بسبب التزامه الديني. فنذر أنه لن يتزوج غيرها أبداً، وبدأ يكره منطقته. فقرر النفير للجهاد،

وغيـر اسـمه مـن مُحَمَّـد علـم إلـى عبـد الله محسـود. بعـد مقتلـه اختيـر بيـت الله محسـود زعيمـاً لحركة طَالِبَان البَاكِسْتَانِيَّة في وزيرستان ومناطق قبلية أخرى.

كـان العـداء والصـراع بـين طَالِبَـان البَاكِسْـتَانِيَّة والجَـيْش البَاكِسْـتَانِيّ علـى أشـده لكـن بيـت الله محسـود ظـل يتمتـع بعلاقـات جيـدة مـع طَالِبَـان الأَفَغَانِيَّـة، خاصـة أنـه سـاهم في الإفـراج عـن بعـض قـادة طَالِبَـان الأَفَغَانِيَّـة في عمليـة تبـادل أسـرى مـع الجَـيْش البَاكِسْـتَانِيّ. فعـام 2007، خـلال تبـادل الجنـرالات الباكسـتانيين المسـجونين، نجـح بيـت الله محسـود في إطـلاق سـراح الحـاج خليـل شـقيق جـلال الـدين حقـاني والـدكتور نصيـر ابـن جـلال الـدين حقـاني[1] وعـدد قليـل مـن حركـة طَالِبَـان الأَفَغَانِيَّة في تبادل الأسرى.

عاشـت المنـاطق القبليـة في باكسـتان فوضـى عارمـة باسـم طَالِبَـان البَاكِسْـتَانِيَّة. ففـي ظـل غيـاب القِيَـادَة المنظمـة وعصـيان الأوامـر وكثـرة المـؤامرات ارتُكِبـت العَدِيْـد مـن التجـاوزات باسـمها. كمـا اسـتغل العَدِيْـد مـن المتشـددين القبليـين الاسـم ونشـطوا مـن خلالـه، وصـدرت بحقهـم أحكـام في جـرائم قتـل. واسـتغل اللصـوص وقطـاع الطـرق الظـروف وعملـوا تحـت مظلتهـا فتورطـوا في عمليـات سـطو وسـرقة. وظهـر قـادة مختلفـون في مقاطعـات أوراكـزاي ومهمنـد وخيـبر، لكـنهم كـانوا بـلا أميـر أو مفـتٍ، فنفـذوا عملياـتهم دون الرجـوع إلـى أحـد، وأرسـلوا رسـائل تحـذير إلـى رجـال الأعمـال يطلبـون مـنهم المَـال. كمـا اسـتخدموا أسـماء حكـام الولايـات والأقـاليم مـن حركـة طَالِبَـان الأَفَغَانِيَّـة الَّتِـي بـذلت قصـارى جهـدها للتحقيـق في هَـذِهِ القضـايا، وثبـت أن هَـذِهِ الأنشـطة نفذها اللصوص باسمها.

أثـرت هَـذِهِ الفوضـى أيضـاً علـى الجماعـات المنظمـة في وزيرسـتان. فاسـتمرت عمليـات القتـل واختطـاف زعمـاء القبائـل ومضـايقة النـاس في المنطقـة مـا خيـب آمـال شـعب وزيرسـتان وأثـر في معنويـاتهم. فقـد تعرضـوا لـلإذلال باسـم طَالِبَـان، وعاشـوا ظروفـاً صـعبة إثـر العمليـات العَسْـكَرِيَّة المتعاقبة.

1- اغتيل الدكتور نصير الدين حقاني في هجوم نفذه مجهولون في اسلام اباد عام 2013.

بعد مقتل بيت الله محسود عاشت المنطقة فترة صعبة للغاية في ظل قيادة حكيم الله محسود وولي الرحمن محسود لِطَالِبَان باكستان. فنفذوا العَدِيْد من الهجمات الدموية ضِدّ الجَيْش البَاكِسْتَانِيّ لكن سلوكهما السيء أدى إلى تفاقم الوضع في المنطقة، وأثارت غارات الطائرات المسيرة المتكررة غضب السكان.

في ذَلِكَ الوقت انقطعت العلاقات بين طَالِبَان الأَفَغَانِيَّة ووزيرستان، وعمل مقاتلو التجمعات القبلية بمحض إرادتهم. وكثرت الخصومات في المنطقة بسبب التجاوزات والأخطاء. وبعد مقتل حكيم الله وولي الرحمن محسود ساءت أحوال طَالِبَان باكستان، وأريقت الدماء في صراعات وحروب داخلية، فتنازعوا فيما بينهم وقتل بعضهم بعضًا، فاغتنمت الحكومة البَاكِسْتَانِيَّة الفرصة لهزيمتهم. ثُمَّ انقسموا إلى مجموعات متنازعة، فانضم نصفهم إلى داعش، ولَمْ يتمكن الباقون من مواجهة واقعهم الصعب حَيْثُ أدت عملياتهم وسياساتهم إلى تفاقم الكره تجاههم في أوساط الشعب البَاكِسْتَانِيّ.

معركة زابل[1]

بعد مقتل المُلَّا داد الله في هلمند، أطلق شقيقه المُلَّا بخت على نفسه اسم منصور داد الله. وقد شرحت في الصفحات السابقة من هَذَا الكتاب أسباب خلافه مع طَالِبَان، وسأتكلم الآن عن تفاصيل المواجهة اللاحقة معه ومقتله.

عام 2014، عاد المُلَّا منصور داد الله لأول مرة إلى بكتيكا، وكان حينها بلا مأوى. فأراد الحصول على دعم السكان وتحويل المنطقة إلى قاعدة لَهُ، لكن المدعو عبيد الله هنر القائد المحلي الَّذِي بايع داعش مؤخرًا حال بينه وبين ذَلِكَ. وفي 19 يناير 2015، انتقل منصور للمرة الثانية والأخيرة من بلوشستان إلى منطقة خاك الأَفَغَانِيَّة في زابل، وأراد الحصول على دعم قبيلة كاكار لاستعادة نفوذه، حَيْثُ صرح بِذَلِكَ في 1 يناير لوسائل الإعلام.

1 – وردت هَذِهِ الفقرة في النسخة الإنجليزية فقط.

عـام 2015، أعلنـت حركـة طَالِبَـان خـلال أيـام العيـد وفـاة المُـلَّا عُمَـر، فاعتبرهـا منصـور داد الله فرصـة جيـدة لَـهُ، وأعلـن تمـرده علـى المُـلَّا أخـتر منصـور، وبـدأ ببـث ادعاءاتـه عـبر مقـاطع مصـورة. لَـمْ تخطـط قيـادة طَالِبَـان لأي عمـل عسـكري ضـده لأنـه لَـمْ يكـن يشـكل تهديـداً كبيـراً واقتصـر نشـاطه فقـط علـى التصـريحات الإعلاميـة. وثمـة آخـرون كَـذَلِكَ لـديهم نشـاطات إعلاميـة كهَـذِهِ ثُـمَّ مـا لبثـوا أن استسلم بعضهم، وسكت الآخرون لَاحِقًا.

لَـمْ يكـن لـدى منصـور داد الله مجموعـة كبيـرة مـن المقـاتلين آنـذاك لكنـه أراد الاحتمـاء بالانتمـاء القبلـي في مواجهـة قـادة طَالِبَـان في المنطقـة. تنقسـم قبيلـة كاكـار في هَـذِهِ المنطقـة إلـى أربـع قبائـل فرعيـة، في كُـلّ قبيلـة مِنْهَـا يوجـد قائـد مـن طَالِبَـان، وهـم: خالـد وعبـد الله حكمـال وحنفـي ونـوراني، وكـان خالـد وحكمـال الأكثـر قـوة بيـنهم. عنـدما اشـتد الصـراع بـين طَالِبَـان ومنصـور داد الله، دعـم خالـد طَالِبَـان وحـاول حكمـال إيقـاف القِتَـال وبقـي علـى الحيـاد، ثُـمَّ حـاول حمايـة منصور.

بقـي مـع منصـور داد الله بعـض الأشـخاص مـنهم عبـد الله نعـيم مـن بكتيكـا، وهـو قـروي مـن منطقـة عبيـد الله هنـر، وثلاثـة أفـراد مـن قبيلـة كاكـار مـن بـادغيس، ومَوْلَـوِي رحمـة الله أحـد قـادة طَالِبَـان وثلاثـة مسـلحين ثُـمَّ انضـم إِلَيْـهِ المُـلَّا قلنـدار نجـل شـقيق مَوْلَـوِي مُحَمَّـد يـونس خـالص، وثلاثة شيشانيين وآخر كشميري. كما اجتمع بآخرين في منزل عبد الله حكمال.

أسـرت حركـة طَالِبَـان خـلال المعـارك نجـل مَوْلَـوِي خـالص المُـلَّا قلنـدار ثُـمَّ أطلقـت سـراحه لَاحِقًـا، فكـان مِمَّـا قالـه واعـترف بـهِ (قـام شـخصٌ يـدعى حـافظ سـلطان بزيـارة منصـور داد الله، واعتـبر علـى صـلة بمسـؤولي قنـدهار. وقـد شـوهد لَاحِقًـا في اجتماعـات السَّـلَام المزيفـة الَّتِـي عقـدت في تركيـا، فكـان يرتـدي قبعـة ويغطـي نفسـه بالشـال الأَفَغَـانِيّ. كمـا زاره شـخص مـن ولايـة وردك يُـدعى عبـد الـرحمن أو رحمـة الله وردك ونصـحه، وربمـا كـان هـو نفسـه الَّـذِي قـدم نفسـه كممثـل رسـمي لِطَالِبَـان خـلال اجتماعـات السَّـلَام المزيفـة في تركيـا. وذكـر المُـلَّا قلنـدار أن شخصين من هلمند يدعيان عزام لالا وعبد الله صميم كاكار زارا منصور أيضًا).

أرسلت قيادة طَالِبَان وفوداً عبر ملالي المنطقة وزعماء القبائل لإقناع منصور بإنهاء تمرده، والالتزام مع الحَرَكَة في قتال الغزو الأجنبي. ومقابل ذَلِكَ ستوفر لَهُ طَالِبَان كُلّ الموارد الممكنة وتعطيه المنصب الَّذِي يختاره.

وبالرغم من أن المُلَّا مُحَمَّد عُمَر أكد في حياته ضرورة فصل منصور داد الله من طَالِبَان باعتباره ليس جزءاً من الإمارة ولن يكون كَذَلِكَ في المستقبل. لكن المُلَّا أختر منصور لَمْ يكتفِ بضمه إلى الحَرَكَة وحسب بل منحه أيضاً منصباً رسمياً. فعندما أُفرج عَنْهُ من السجون البَاكِسْتَانِيَّة أعطاه المُلَّا أختر منصور المَال لنقل مقاتليه كما قدمت القِيَادَة المَال لأسرته خلال وجوده في السجن لتغطية نفقاتها المالية.

لكنه في المقابل انشق وشكل جماعته المستقلة، وأعلن تمرده العَسْكَرِيّ على الحَرَكَة. ثُمَّ بايع مقاتلون أوزبك وأجانب آخرون في مناطق من كابول داعش. بالإضافة إلى الحَرَكَة الأوزبكية الإِسْلَامِيَّة بقيادة النجم السينمائي الأوزبكي السابق عثمان غازي.

بعد القصف الأمريكي والعملية العَسْكَرِيَّة القوية للجيش البَاكِسْتَانِيّ بالمنطقة، بلغ عدد مقاتلي الأوزبك والأيغور القادمين من آسيا الوسطى إلى زابل بدعم من قادة طَالِبَان الأَفْغَان المحليين حوالي مئتين إلى ثلاثمئة شخص. اعتبرتهم طَالِبَان أقلية مضطهدة من المهاجرين، ولَمْ تتوقع أبداً أن يتسببوا بِهَذِهِ المشاكل. وقدمت المساعدات المالية لعائلاتهم وفقاً لتعليمات القِيَادَة. فانتشروا في أربعة مناطق في زابل تحت قيادة طَالِبَان بما في ذَلِكَ أرغنداب وميزانا ودايشوبان وخاك أفغان لكن قاعدتهم المركزية ومعظم شيوخهم كانوا في منطقة خاك أفغان.

يروي شهود عيان من أنصار منصور داد الله والمُلَّا قلندار أنه بعد أسبوع من الإعلان الرسمي عن وفاة المُلَّا عُمَر، عقد منصور داد الله اجتماعاً مع قادة داعش الأوزبك بحضور وسطاء سابقين في خاك أفغان. ووفقًا لِلْمُلَّا قلندار أراد منصور داد الله توسيع نفوذه عبر قبيلة كاكار. ولَمْ تكن علاقاته مع الأوزبك جيدة لأن لديهم خطة عسكرية طموحة ولَمْ يعطوه أهمية كبيرة. كما انضم إليهم أنصار داعش من دول أخرى حَتَّى يتمكنوا من محاربة طَالِبَان. ويقول: لو لَمْ تبدأ طَالِبَان هجومها، لكان من الممكن نشوب صراع بين منصور داد الله والأوزبك، لأن

كلا الجانبين كانا يحاولان أن يصبحا قوة عسكرية في المنطقة ولَمْ يقبل أي منهما الآخر، وكان لِكُلِّ منهما أنصار من الأَفْغَان.

ظهرت مشاكل مماثلة لِطَالِبَان في مناطق أخرى أيضًا حَيْثُ أقنع أنصار داعش فكريًا العَدِيْد من المترددين، واتبعوا السياسة نفسها. وإلى حين اختطاف نساء الهزارة، ابتكروا أدوات مختلفة للحرب. أرسلت قيادة طَالِبَان وفداً من علماء الشريعة من مختلف المناطق وقادة طَالِبَان المحليين إلى منصور داد الله، وآخر إلى المقاتلين الأوزبك على رأسه الحاج جول نائب رئيس استخبارات الإمارة لإقناعهم بحساسية الموقف، وضرورة إيقاف الأعمال الفردية وخطف الرجال والنساء. أمضى الحاج جول وقتًا مع القائد الأوزبكي السابق طاهر يولداشيف، وكَانَت لَهُ علاقات ودية مع الأوزبك تعود إلى الماضي لكن هَذِهِ الجهود باءت كلها بالفشل.

بدأ الأوزبك وغيرهم من المهاجرين عمليات خطف النساء في المنطقة بعد أن أوقف مقاتلون أوزبك في منطقة ميزانا ثلاث حافلات نقل عام تقل ركابًا من قبيلة الهزارة على الطريق السريع بين قندهار وكابول. فأرادوا إجراء عملية تبادل لإطلاق سراح أسرى أوزبك مقابل هَؤُلَاءِ الركاب. ونجحوا في ذَلِكَ لأول مرة عندما أطلقت الحكومة سراح سجنائهم مقابل المختطفين الهزارة. لكن الحكومة شنت عملية عسكرية في الموقع الَّذِي خططوا فِيْهِ لتبادل الأسرى واعتقلت ثلاثة من الأوزبك وامرأة مصابة.

رداً على ذَلِكَ اختطف الأوزبك وأنصارهم المحليون حافلة نقل عام ممتلئة برجال الهزارة ونسائها الَّذِينَ يعيشون في منطقة سانغ ماشا بين غزنة وزابل. اعتُبر هَذَا عملاً وحشيًا وخلق مشاكل كبيرة بين السكان المحليين، لأن البشتون السنة والهزارة الشيعة يعيشون معًا في هَذِهِ المنطقة، وتجمعهم المبادئ القبلية الَّتِي يتوافقون عَلَيْهَا للعيش بوصفهم جيرانًا. فأخذ الهزارة نساء وأطفالاً من عشيرة كاكار كرهائن، والَّتِي تنتمي إلى قبيلة كاكار الكبيرة. إثر ذَلِكَ طلبت العشيرة دعم منصور داد الله، لكنه لَمْ يكن قادراً على فعل أي شيء. فطلب شيوخ القبائل تدخل طَالِبَان، فطلبت من الأوزبك إطلاق سراح نساء الهزارة في أسرع وقت ممكن خاصة أن ذَلِكَ محرم في الإسلام ومرفوض في الثقافة الأَفْغَانِيَّة. لكن الأوزبك المتورطين في

الحادث سبق أن بايعوا داعش، ورفضوا الانصياع لأوامر طَالِبَان. وأدى ذَلِكَ إلى تمرد السكان المحليين على الأوزبك ومنصور داد الله معاً.

قررت طَالِبَان تحرير المختطفين فأرسلت مطلع نوفمبر 2015، قوة كبيرة حاصرت هَؤُلَاءِ المسلحين، واندلعت اشتباكات عنيفة مع الأوزبك الَّذِينَ قاوموا، ووقعت خسائر فادحة. بعدها أُفرج عن معظم الرهائن بمن فيهم الرجال والنساء، لكن سبع نساء نقلن قبلها إلى أرغنداب فقُتلن وأُحرقت جثثهن هناك. كشف هَذَا الفعل عن وحشيتهم وتبعيتهم التنظيمية والمنهجية لداعش. وقد قاتل منصور **داد** الله وأنصاره مع الأوزبك ضِدّ طَالِبَان في هَذِهِ المعركة.

خلال المعركة أصيب منصور إصابات خطيرة في عينه اليمنى وساقه اليسرى ثُمَّ اختفى من المنطقة. وبدأت طَالِبَان عملية البحث عن المتوارين من المسلحين ومن تبقى من نساء الهزارة المختطفات. وفي اليوم الثالث توجهوا إلى منزل القائد عبد الله هنر المؤيد لمنصور داد الله. و تبين أن الرهائن غادروا منزله منذ ثلاثة أيام، فيما كان منصور داد الله واثنان من أتباعه متحصنين في المنزل فاشتبكوا مع قوات طَالِبَان. وبعد اشتباك عنيف استمر ست ساعات انتهى الأمر بمقتل منصور داد الله، وذَلِكَ بعد ظهر يوم 11 نوفمبر.

مستقبل طالبان العسكري والسياسي والقضايا المنهجية

بـالرغم مـن نجـاح طَالِبَـان في تجـاوز الأزمـات الصـعبة الَّتِـي مـرت بهَـا واسـتمرار مقاومتهـا المنظمـة إلا أننـا مـا زلنـا نعـاني مـن مشـاكل عملياتيـة. يمكـن لمقـاتلي طَالِبَـان وقادتهـا القِتَـال بشـجاعة وإخـلاص، ولكـنهم بحاجـة إلـى تطـوير تكتيكـات وخطـط متقدمـة، فيمـا لا زالـوا يفتقـرون للدقـة والذكاء الكافيين لإفشال خطط الخصوم وتكتيكاتهم.

تقـوم طَالِبَـان بتعلـيم مقاتليهـا الأحكـام الإِسْـلَامِيَّة الشـرعية وفقـه الجِهَـاد ضـمن تربيـةً أيديولوجيـةً. لكـنهم لا يتعلمـون سـوى القليـل جـداً مـن فقـه التعامـل مـع النـاس والأقـران فضـلاً عـن الخصـوم والأعـداء أثنـاء الحـرب. لـذا لا يـدرك معظمهـم الإجـراءات اللازمـة الَّتِـي يجـب اتخاذهـا أثنـاء الحـرب، وفي كثيـر مـن الأحيـان يقـف النـاس ضِـدّ الحَرَكَـة بسـبب حادثـة إهمـال مـا أو قسـوة غير مستحقة من مقاتليها.

تهمـل طَالِبَـان أيضـًا تقنيـات الاسـتخبارات بـالرغم مـن أن الحَرَكَـة شـهدت العَدِيْـد مـن الأحـداث الخطيـرة. لـذا يتسـاهلون في اسـتخدام الهـاتف والإنترنـت والكـاميرات في بعـض الظـروف الحرجـة، وهـو مـا يسـهل علـى العـدو مراقبـة مقـاتلي الحَرَكَـة وقادتهـا ورصـدهم لاغتيـالهم أو القبض عليهم.

في هَـذِهِ الأيـام مـن الصـعب الفـوز بحـرب دون دعـم إعلامـي قـوي. لكـن طَالِبَـان لـيس لـديها حَتَّـى الآن وسـيلة إعـلام فعالـة تنقـل صـوتها للنـاس. ولا يـرى النـاس سـوى هَـؤُلَاءِ المقـاتلين الشباب حاملين أسلحتهم على أكتافهم، وليس لديهم أي عمل آخر سوى القِتَال.

في بعـض الأحيـان، لا تكـون القِيَـادَة العليـا والعامـة لِطَالِبَـان علـى درايـة بأفعـال كافـة عناصـرها وسـلوكياتهم، ولـذا تجـد بعـض مقاتليهـا يعملـون في بعـض المنـاطق وفقـًا لهـواهم دون الرجـوع إلـى القِيَـادَة، ويشـاركون في أفعـال لا تقرهـا الحَرَكَـة، فيعـاملون النـاس بِشَـكلٍ غيـر لائـق ويمارسـون عليهم أحيانًا أعمالاً قمعية.

ولا تمتلك طَالِبَان خططًا متسقة ومنهجية في الشؤون السياسية والدبلوماسية. فعلى سبيل المثال لو أنشأ شخص ما قناة اتصال مع جهة ما فلا يمكن لمجلس الشُّورَى والقِيَادَة الإشراف عَلَيْهَا.

يبحث العَدِيْد من أفراد طَالِبَان في العمل السياسي عن مزايا محدودة وراتب يومي. ولا يعطون أهمية للأمور الأساسية أو الخطط طويلة الأجل الَّتِي تؤسس لعلاقات متينة، وبالتالي يخفقون في الحفاظ على تحالف مستدام وعلاقة إستراتيجية موثوقة مع أي جهة. فلو عرض على مسؤول من الحَرَكَة أثناء زيارة إحدى الدول الحصول على منح تعليمية لتدريب خمسين كادراً محترفًا فسيفضل على ذَلِكَ دعمًا ببضع مئات الآلاف من الدولارات، فيما يبحث هو نفسه عن منح دراسية لأبنائه.

وتغفل طَالِبَان عن تلقين أتباعها وإقناعهم بأهمية التعليم الحديث في القرن الحادي والعشرين، الأمر الَّذِي يثير مخاوف من بقائها حركة مقاتلة إلى الأبد، وعاجزة عن إقامة حكم منظم. في التسعينات لَمْ يلم العالم طَالِبَان أبداً على ذَلِكَ لأنها وصلت فجأة من المَدَارِس الدِّيْنِيَّة إلى السلطة، ولذا كانوا بحاجة إلى شيوعيين سابقين لأداء مهام ووظائف مهنية. لكن الآن بعد خمسة وعشرين عامًا من مسيرتها العملية، إذا لَمْ تدرب الحَرَكَة أي مهندس أو طبيب أو اقتصادي محترف، فإنها ستفتقر للموظف اللازم لإدارة الحكومة في العصر الحديث، وليس لديها حَتَّى من يفهم الخطط التقنية والاقتصادية المعقدة للعدو.

لا زال بعض القادة اليوم ينكرون ضرورة تحصيل معلومات حول التعليم والمهارات الحديثة في العالم. لكن إذا كان لدى مسؤولي طَالِبَان خطة لإدارة البلاد، فإن المسار الوحيد لِذَلِكَ يبدأ في تدريب الكوادر المهنية وتوفير التعليم العالي للشباب إلى جانب مواجهة الغزاة الأجانب.

دورات الكمبيوتر واللغة الإنجليزية ليست دراسات تخصصية بل يمكن لرجال الأعمال وكبار السن غير المتعلمين وحَتَّى المعوقين تعلمها وإتقانها. فمن الضروري الآن في هَذَا اليوم وهَذَا العصر تدريب الشباب على العُلُوم الحديثة وتوفير تعليم جيد لهم على المستوى الجامعي. فالأمة الَّتِي تتخلف عن هَذَا المجال ستبقى متخلفة في المجالات الأخرى.

لقد عزم المُلَّا أختر مُحَمَّد منصور تنظيم حركة طَالِبَان وتحديثها تزامنًا مع مواصلة الجِهَاد ضِدّ الولايات المتحدة كما اتخذ بعض الخطوات العملية في هَذَا الصدد. وحاول بذكائه وفطنته وبعد نظره ضم بعض الأَفَغَان من مناطق أخرى إلى قيادة الحَرَكَة بدلاً من الاقتصار على مناطق وعرقية محددة. فكان تعيين سراج الدين حقاني نائبًا لَهُ جزءاً من هَذِهِ الجهود.



عن
مركز الخطّابي

هو مركزُ دراساتٍ وأبحاثٍ مختصٌ في علومِ وفنونِ الحروبِ الثَّوريَّةِ، تَمَّ إنشاؤهُ في إدلب–سوريا سنة 2019. يسعى مركز الخطابي إلى إيجادِ مراجعَ شاملةٍ تتناولُ مبادئ وإستراتيجياتِ وتكتيكاتِ الحروبِ الثَّوريَّةِ، لتلبيةِ حاجةِ الثُّوَارِ التَّدريبيَّةِ والبحثيَّةِ، كما يَهدِفُ إلى توفيرِ مصادرَ علميَّةٍ وافيةٍ عن الفنونِ السِّيَاسِيَّةِ والعَسْكَرِيَّةِ والاجتماعيَّةِ التي يحتاجُهَا الثُّوَارُ في العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ، وذلكَ من خلالِ التحليلِ الدقيقِ والتقييمِ العلميِّ لتاريخِ أهمِّ الثَّورَاتِ السابقةِ، وتقديمِ التوجيهاتِ والتحليلاتِ الدقيقةِ التي تحتاجُهَا النُّخَبُ الثَّوريَّةُ حولَ أهمِّ النوازلِ المعاصرةِ، والأرشفةِ الشاملةِ عن أحداثِ الثَّورَةِ السوريَّةِ على المستوى العَسْكَرِيِّ والسياسيِّ والاجتماعيِّ.

ومنذُ نشأتِهِ، قدَّمَ الخطَّابيُّ لمتابعيه أكثرَ من عشرين مادةً علميَّةً.

1. الخطَّابي، مُلهِم الثورات المسلَّحة، ثورة الريف الثالثة (1921 – 1926م): السياق التاريخي والأبعاد السِّيَاسِيَّة والعَسْكَرِيَّة والاجتماعية.
2. لمحةٍ عن المسارِ السياسيِّ لآلِ سعودٍ في الدولة الثالثة.
3. «أستانا»، مسارُ القضاءِ على الثَّورَة السورية.
4. الاحتلالِ بين النظريَّةِ والتطبيقِ، عواملُ قوةِ عملياتِ مكافحةِ التمردِ الأمريكيَّة، وجدوى هَذِهِ العوامِلِ في أفغانستان بين 2001 و2020.
5. انتفاضةِ الصحراء، الثَّورَةُ الليبيَّةُ 1911 – 1931 وأبعادُها السِّيَاسِيَّةُ والاجتماعيَّةُ والعَسْكَرِيَّةُ.
6. التجنيد الاستخباري؛ دوافعه، مراحله، مخاطره.
7. الدفاع في الحرب الثورية؛ مدخل إلى مبادئ الدفاع وأنواعه وعوامل قوته وإجراءات السيطرة فيه خلال الحرب الثورية.
8. الصلح في الشريعة وتطبيقاته في الثورة السورية، إدلب نموذجاً.

9. نشوبُ الثَّورَةِ المسلحةِ، دروسٌ من الفيت كونغ وصولاً إلى الدولةِ الإسلاميَّةِ، تأليف سيث جونز.
10. تكتيكاتُ طالبان جنوبَ أفغانستان بين 2005 و2008، تأليف كارتر مالكاسيان وجيري ميبرلي.
11. الجانبِ الآخرِ من الجبلِ، تكتيكاتُ المجاهدين في الحربِ الأفغانيَّةِ السوفييتيَّةِ، تأليفُ أحمد جلالي ولستر غراو.
12. مكافحةُ الانقلابِ، لجين شارب وبروس جينكيز.
13. من الدولةِ العميقةِ إلى تنظيمِ الدولةِ الإسلاميَّةِ، الثَّورَةُ العربيَّةُ المضادةُ وموروثها الجهادي، لجان بيير فيليو.
14. ردع الأعداء داخل البلاد وخارجها، كيف تصبح ضابط استخبارات، ويليام جونسون.

يُشَـرِّفُنَا اطِّلاعُـكَ علـى أرشيفِ المركـزِ أو التواصـلِ معَنَـا علـى المواقـعِ الرسـميَّةِ التاليَّـةِ:

- الويـب: (/https://alkhattabirw.com)
- الفايسبوك: (http://fb.me/alkhattabirw1)
- التويتر: (https://twitter.com/alkhattabirw)
- التلغرام: (https://t.me/alkhattabirw)



ليس بالضرورة أن تتفق مع كل ما كتبه عبد الحي مطمئن الكاتب والمسؤول الطالباني السابق، لكنك بالضرورة ستصل حين قراءته لنتيجة مؤداها: أن كتابه من النوادر التي تحدثت عن التجربة من داخلها، وربما فتحت كوّة، لآخرين في التأليف، والرد، والتعليق. لقد ألقى بحجر في مياه راكدة.

د. أحمد موفق زيدان

الملا محمد عمر



مركز **الخطابي** للدراسات

Khattabi Centre for Studies